

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي في ضوء السنة النبوية

- دراسة موضوعية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إشراف:

أ.د. بوبكر كافي

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

لجنة المناقشة:

المؤسسة الأصلية	الصفة	الدكتور المناقش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيسا	أد/ نور الدين بن تومي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مشرفاً ومقرراً	أد/ بوبكر كافي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	عضواً	د/ نعيمة هاللي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ فايزة محمدي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ سامية دردوري
جامعة العربي التبسي تبسة	عضواً	د/ خضرة حديدان

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين
قسم: الكتاب والسنة

مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي في ضوء السنة النبوية

- دراسة موضوعية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إشراف:

أ.د. بوبكر كافي

إعداد الطالبة:

حسينة فرجة

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي في ضوء السنة النبوية

- دراسة موضوعية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إشراف:

أ.د. بوبكر كافي

إعداد الطالبة:

حسينة فريجة

لجنة المناقشة:

المؤسسة الأصلية	الصفة	الدكتور المناقش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيسا	أد/ نور الدين بن تومي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مشرفاً ومقرراً	أد/ بوبكر كافي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	عضواً	د/ نعيمة هاللي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ فايزة محمدي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ سامية دردوري
جامعة العربي التبسي تبسة	عضواً	د/ خضرة حديدان

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي في ضوء السنة النبوية

- دراسة موضوعية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

في العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

إشراف:

أ.د. بوبكر كافي

إعداد الطالبة:

حسيينة فريجة

لجنة المناقشة:

المؤسسة الأصلية	الصفة	الدكتور المناقش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيسا	أد/ نور الدين بن تومي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	مشرفاً ومقرراً	أد/ بوبكر كافي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	عضواً	د/ نعيمة هاللي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ فايزة محمدي
جامعة الحاج لخضر باتنة 01	عضواً	د/ سامية دردوري
جامعة العربي التبسي تبسة	عضواً	د/ خضرة حديدان

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

علي بن أبي طالب
العلوم الإسلامية

الإهداء

إلى نبع الحبِّ والحنان، اللذانِ حفَّاني بالرَّعاية والتشجيع، وخصَّاني بالدعاء في كلِّ حينٍ . . .
والديَّ الكرمين . . . إليهما خالصُ محبتي وامتناني .
إلى المتفضل عليّ، بجلِّمه وتشجيعه وتوجيهه . . . فكان لي السند والمعين .
إلى نروحي العزيز .
إلى أبنائي قرة عيني، الذين أخذتُ من حقهم الكثير حتى يُولد هذا البحث .
آلاء الرحمن، عبد الله، عبد البر، إسراء، صفية .
إلى كلِّ أفراد أسرتي الغالية، الذين وجدتُ منهم كلَّ دعم وتشجيع . . .
إلى أخي، وأخواتي .
إلى كلِّ وبيٍّ ومُربيٍّ، يجاهد في تربية أبنائه - على كتاب الله وسنة نبيه -، في زمنٍ كُثرت
فيه المغربات والفتن .
إلى كلِّ محبِّ لسنة الحبيب المصطفى ﷺ، متمسِّكٍ بها، داعٍ إليها - علماً وعملاً - .
أهدي هذا العمل المتواضع .

حسينة

شكر وتقدير

الحمد لله، أحمدده حمد الشاكرين لإنعامه، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فهو سبحانه صاحب الفضل والنعم، فشكراً لمن هو بالثناء حقيق، والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم النبيين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم/07]. فإنني أتوجه بعظيم الشكر والامتنان لله ﷻ أولاً وأخراً، أن هداني لموضوع هذه الرسالة، وأعاني على إنجازها وإتمامها على هذا الوجه، وإنني أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم.

وإقراراً بالفضل لكل ذي فضل، فإنني أتقدم بالشكر الخاص لفضيلة الشيخ، الأستاذ الدكتور:

"بوبكر كافي"، الذي تكرم بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وبذل الكثير من وقته وجهده في متابعتها ومراجعتها، وأسدى إليّ من النصح والإرشاد ما دُللُّ أمامي الصعوبات، وكشف ما خفي عني من المهمات، فأحاط البحث بعنايته الفائقة، وأغناه بملاحظاته وتوجيهاته السديدة، فكان لي نعم المعين بعد رب العالمين. ولهذا، أسأل الله تعالى أن يُجازيه خير الجزاء، ويُديمه ذخراً للطلبة والباحثين.

وأقدم بالشكر والتقدير للأساتذة الأفاضل، الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة، الذين تحملوا أعباء قراءة هذه الرسالة وتقويمها ومناقشتها، لتكون ملاحظاتهم دعماً لها حتى تخرج في أحسن صورة، يتحقق النفع بها. كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للصرح العلمي الشامخ، ومناارة العلم الشرعي "جامعة الأمير عبد القادر"، التي تخرّج منها طلبة العلم عبر أجيال، ممثلة في مديرتها، الأستاذة الدكتورة "السعيد دراجي"، وكل أعضاء هيئة التدريس العاملين بها.

وأتوجه بجميل الشكر والعرفان، إلى كلية أصول الدين، ممثلة في عميدها، الأستاذ الدكتور "أحمد عبدلي"، وكل طاقم الإدارة الفاعلين بها، وبالأخص إدارة قسم الكتاب والسنة، الذين لم يخلوا علينا بخدماتهم و توجيهاتهم، وحسن معاملتهم.

هذا ولا يفوتني أن أشكر كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد، بنصيحة أو توجيه أو دعاء، حتى

جزى الله الجميع خيراً

إتمام هذه الرسالة.

مَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ
كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ:
لَوْ غَيَّرْتُ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ . وَلَوْ نَرِيدُ
كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ ، وَلَوْ قَدَّمَ هَذَا
لَكَانَ أَفْضَلَ ، وَلَوْ تَرَكْتُ هَذَا لَكَانَ
أَجْمَلَ ، وَهَذَا أَعْظَمُ الْعَيْبِ . وَهُوَ
دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيْلَاءِ النِّقْصِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ .

العماد الأصفهاني

(الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء

، ط1، دار الأرقم، بيروت، 1420هـ، 12/1).

المقدمة

جامعة الأمير
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

إنَّ الشريعة الإسلامية هي صنع الله الذي أتقن كل شيء، شريعة أرادها الله تعالى أن تكون خاتمة لما قبلها، فجاءت محكمة، شاملة، متكاملة، وصفها الله ﷻ بالكمال فقال: ﴿إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/03]؛ وهي التي اهتمت برعاية شؤون الإنسان من المهد إلى اللحد، ووضعت له من الأحكام والآداب ما يضمن له حياة هنيئة ومريحة يتمتع في ضوئها بجميع حقوقه المادية والمعنوية.

إنَّ الشريعة الإسلامية لم تنظر للإنسان باعتباره ذلك الفرد المكلف بالأحكام فقط، بل نظرت إليه بصورة أرفق وأرحم تجاوزت بها نطاق التكليف المتعلق بالجزاء والعقاب، فاهتمت به قبل التكليف وبعد رفعه عنه، قال ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الْغَائِمِ...»⁽¹⁾.

وقبل أن تقوم الشريعة الإسلامية بمحاسبة الإنسان على أفعاله تهتم أولاً بتكوين الفرد المسلم الصالح، تكويناً شاملاً من جميع النواحي: عقائدياً وتعبدياً وأخلاقياً وفكرياً وبدنياً وعاطفياً، فينشأ من خلالها على الاستقامة بعيداً عن عوامل الانحراف والضلال؛ ولأجل ذلك فقد حظيت عملية التربية وتنشئة الأجيال في الإسلام باهتمام واسع وعناية فائقة، تجسدت في مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية إليها والمبينة لمنهجها ومجالاتها ومحاسنها، وما إنبثق عن هذين المصدرين من اجتهادات العلماء وتأصيلاتهم وإرشادات المرئيين التي تجلي الأسس والتفاصيل وتشرح سبل العناية بالتربية.

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، الحدود، في الجنون يسرق أو يصيب حداً، ح(4403)، 141/4. الترمذي: السنن، الحدود، ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، ح(1423)، 32/4. وقال: (حديث عليّ حديث حسن غريب من هذا الوجه). النسائي: السنن، الطلاق، من لا يقع طلاقه من الأزواج، ح(3432)، 156/6. أحمد: المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، من مسند علي بن أبي طالب، ح(1183)، 95/2. الحاكم: المستدرک، الطهارة، أما حديث عبد الرحمن بن مهدي، ح(949)، 1/389. وقال: (هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه). وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح)، وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح(3287)، 2/980.

وتكوين الفرد وتنشئته في الإسلام لا يتوقف عند سنّ معين من حياة الإنسان، بل يبدأ من لحظة تكوينه في الرحم إلى أن يصير شابًا ناضجًا وفردًا صالحًا. وتُعدُّ مرحلة الطفولة أهم وأخطر المراحل العمرية في حياة الإنسان، من جهة أثرها البالغ في تنشئته وسبك شخصيته، فالطفل - كما قال أبو حامد الغزالي - صفحة بيضاء قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير نشأ عليه وسُعد في الدارين، وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وخسر⁽¹⁾.

وإنّ العناية بهذه المرحلة في عصرنا الحالي بات مؤشرًا حضاريًا على ثقافة الشعوب ورقيها، وصار الاهتمام بحقوق الطفل وحمايته من كل أشكال الاعتداء ضمن تشريعات العديد من الدول والمنظمات العالمية؛ وإن كان هذا الاهتمام في أصله وليد أوضاع مريرة ومزرية عاشها أطفال هذه الشعوب في حقبة متعاقبة من التاريخ، حتى جاءت المطالب بضرورة التغيير بعد دراسات ونظريات تؤكد على أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان.

أما الإسلام فقد تخطى حدود الزمان والمكان ليُقرر في أولى تشريعاته كل ما للطفل وما عليه، مبرزًا بهذا الأهمية الكبرى التي يُوليها لهذه المرحلة الحسّاسة والهامة. والطفل في حقيقته وكُنْهه كتلة من العواطف والمشاعر التي تعمل على تحريك سلوكه وانفعالاته بصور مختلفة، ولا يمكن النظر في هذا السلوك وتحديد ماهيته وما يحتاجه من توجيه إلا بعد تحديد الشعور الذي تولّد عنه؛ وفي هذه الحالة يتوجب الالتفات إلى هذا الفضاء من حياة الطفل وإعطائه القدر الكافي من العناية والرعاية حتى يشبَّ الطفل بشكل صحيح، وفق منهج تربوي سليم ومتكامل يُراعي فيه متطلبات النفس والبدن معًا.

والناظر في نصوص السنة النبوية يجدها حافلة بالأمثلة والقصص التي تُظهر مدى عناية النبي ﷺ بمشاعر الطفل ومراعاتها في مختلف الأحكام والأعمال والتصرفات. ولكثرتها وتنوعها فقد احتاجت هذه النصوص إلى وقفة موضوعية علمية جادّة لاستنطاقها واستقراءها واستخراج الأحكام والحكم منها، والتي من شأنها خدمة الأولياء والمعلمين والمربين، وتُسهم في التأسيس لفكر تربوي سليم وطرائق استخدامه، ينبثق من منهج نبوي قويم، يُستعان به في تربية الطفل وتوجيه سلوكه.

(1): يُنظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 3/ 66.

ولأجل هذا جاءت هذه الدراسة كمحاولة للكشف عن مضامين هذا الموضوع، وتقديم صورة واضحة عن منهج النبي ﷺ في تعامله مع الطفل ومدى مراعاة مشاعره وكيفية استثمارها في العمل التربوي، داخل البيت وفي دور الحضانه ورياض الأطفال، وفي المؤسسات التربوية التعليمية؛ وجعلتها بعنوان:

" مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي في ضوء السنة النبوية - دراسة موضوعية - "

أولاً: أهمية الموضوع:

لعدة اعتبارات يمكن القول أنّ البحث في مشاعر الطفل من منظور السنة النبوية له من الأهمية ما يسمح بجعله موضوع بحث لهذه المرحلة العلمية؛ يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1- الأطفال قرة العين وزينة الحياة الدنيا وهم مستقبل الأمة ورجاؤها، ووجودهم في حياة الإنسان يزيد بها بحة ومتعة، ولا بد من الاعتناء بهذا النبض الحيوي المرح داخل البيت، هذا وإن سعادة الأطفال وبهجتهم تُعد في حد ذاتها طاقة نفسية تزيدهم صحة وقوة.

2- إنّ العناية بالطفل والنظر في أحواله والاهتمام بحاجاته ومشاعره تعدّ عبادة يُرجى بها طاعة الله تعالى ونيل رضاه، فقد دعا الله ﷻ إلى الاهتمام بالولد وإصلاح الذرية فقال على لسان عبد صالح:

﴿..وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنَّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف/15]، فعلمنا سبحانه وتعالى الدعاء الصالح للولد وحثنا بذلك على الاهتمام به؛ وفي حديث عن رسول الله ﷺ قال: «...فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَّ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»⁽¹⁾. وعن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»⁽²⁾. فالولد أكثر من يُرجى صلاحه وهدايته.

3- الأهمية البالغة التي تكتسبها طريقة التربية وأسلوب التعامل مع الطفل، ومدى تأثير ذلك في بناء شخصيته وأفكاره مستقبلاً، فقد يصبح أسلوب التربية الذي تلقاه في صغره موروثاً فكرياً ينقله لأبنائه؛ ولهذا يتوجب العمل على تكريس الطريقة الصحيحة في الوسط التربوي التعليمي، تكون مستوحاة من نصوص

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، أصحاب النبي ﷺ، مناقب علي بن أبي طالب، ح(3701)، 18/5. مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة، من فضائل علي بن أبي طالب، ح(2406)، 1872/4.

⁽²⁾: مسلم: الصحيح، الوصية، ما يلحق الإنسان من الثواب بعد، ح(1631)، 1255/3.

الكتاب والسنة، تعود بالمسلمين إلى ما تربى عليه الجيل الأول، بدل الخضوع للطرائق العرفية أو المعارف المنقولة عن الفكر التربوي الغربي.

4- ورغم الزّحم الموجود من البحوث والكتابات عن الطفولة وتربية الطفل والتي عاجلت جُلّ زوايا ومناحي هذا المجال، إلا أنّ الكثير منها لا يزال بحاجة إلى المزيد من الاستقراء والتحليل، وبعض آخر يحتاج إلى إعادة النظر في النتائج والتقارير المتوصل إليها لأنها مبنية على معطيات استمدّت من حياة المجتمع الغربي، تم قبولها واعتمادها كمسلّمة في البلدان الإسلامية، دون تمحيصها وغربلتها؛ وكان عليها العمل في التعامل مع الطفل لدى الكثير من أطباء النفس والمربين؛ ومن هذه المواضيع التي تستوجب إعادة النظر وفق الرؤية الإسلامية:

- تحديد السنّ الذي تنتهي فيه مرحلة الطفولة.

- بداية مرحلة المراهقة ونهايتها.

- الاختلاف الحاصل في تحديد الأسلوب المناسبة للتعامل مع الطفل في كل مرحلة من طفولته.

5- إنّ أهم جانب في رعاية الطفل هو اختيار منهج تربوي صحيح يراعي فيه متطلبات الروح والجسد معاً، ويحترم فيه مشاعره وأحاسيسه ويعطيها قدرها الكافي من الرعاية، ولا يتوفر هذا بشكل أكيد إلا في المنهج الإسلامي والتربية النبوية بشكل خاص؛ وإنّ إهمال العناية بمشاعر الطفل يؤدي به إلى أمراض نفسية كثيرة، فيتبدّل طبعه الحميد وتهدم إرادته وتضعف حيويته.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

إنّ موضوعاً كهذا تدفع لاختياره عدّة أسباب، منها:

1- حاجة المجتمعات الإسلامية إلى فكر تربوي مستنبط من وحي السنة النبوية، يُبين المعالم الأساسية والأسس النَّاجعة في كيفية التعامل مع الطفل في كل جزئية تختص به، ويوضّح للأولياء والمربين الصورة الصحيحة في طريقة التعامل مع الطفل والاهتمام بمشاعره على القدر الواجب للوصول إلى بناء شخصيته بشكل سليم.

2- عدم توفر بحث متخصص وجامع في هذا الموضوع يعطي تصوراً متكاملًا عن كيفية مراعاة مشاعر الطفل في العمل التربوي، لا في الدراسات الوضعية كعلم النفس وعلوم التربية، ولا في الدراسات الشرعية الإسلامية، سواء من المنظور العام، أو المنظور الخاص في ضوء السنّة النبوية.

3- رغبنا الملحة في اختيار موضوع بحث ينطلق من نصوص الشريعة الإسلامية ويعالج أحد موضوعات علم النفس الذي يزعم الكثير من منتسبيه بأنه علم وضعي بحت لا دخل للشريعة في تقرير وحداته أو حتى الاستدلال عليها، وهو بحث يؤكد حقيقة التأصيل الشرعي لعلم النفس وقد يُسهم في بناء وحداته، وبناءً عليه اهتديتُ إلى هذا الموضوع الذي وَجَّهْتُ من خلاله إلى عالم البراءة المفعم بالعواطف والمشاعر والذي استحوذ على الكثير من موضوعات علم النفس العام، بل تفرَّع عنه علم مستقل هو " علم نفس الطفل".

4- يُعتبر هذا البحث بمثابة امتداد وتعميق لسلسلة اهتماماتي بالسنة النبوية، خاصة فيما تعلق بالحديث الموضوعي، في المسائل التي تشغل عامة الناس وخاصَّتهم، وبالذات في القضايا التي انكب فيها المسلمون على النظريات الغربية وتركوا ما جاء به كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ من علم غزير وشامل في كل علم وفن؛ فقد سبق هذا الموضوع موضوع آخر تناولته في مذكرة الماجستير في ضوء السنة النبوية بعنوان: "منهج التعامل مع الغرائز الإنسانية في ضوء السنة النبوية".

ثالثاً: الإشكالية التي يعالجها البحث:

لم يكن للبحث العلمي أن يؤسَّس ما لم تكن من ورائه إشكالية رئيسية يروم الإجابة عنها؛ ولهذا البحث إشكالية واضحة تتلخص في:

إنَّ الباحث في نصوص السنة النبوية يجد وفرةً في الأحاديث التي تتناول قضايا الطفل، سواء في مجال التربية والتوجيه أو في حسن التعامل معه والرفق به، وبناءً على هذه النصوص عُولجت الكثير من البحوث العامة والمتخصصة وعملت على شرحها والتعليق عليها واستنباط الأحكام والحكم منها؛ والإشكال الرئيسي المتبادر هنا، هو: كيف أرشدت السنة النبوية إلى المعاملة التربوية الصحيحة للطفل بحيث تحفظ مشاعره وتصون كرامته؟.

ويتولَّد عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، هي:

هل وُجد في السنة النبوية حقيقةً ما يدل على عناية النبي ﷺ بمشاعر الطفل وإعطائها نصيباً من الاهتمام والتوجيه؟، وإذا ثبت ذلك، فهل قدمت السنَّة النبوية صورة متكاملة عنها وكيفية مراعاتها والتعامل معها في مختلف مراحل الطفل العمرية، وكذا في العملية التربوية والتعليمية في مختلف صورها، صورةً تغني الباحثين والمربين عن السؤال والبحث في الكتابات الأجنبية.

وهل فصلت الشريعة الإسلامية في الجزئيات التي وقع فيها خلاف بين المدارس الغربية في المسائل المتعلقة بالطفل ومشاعره، ولا يزال الخلاف حولها قائماً؟.

هذا البحث يُروم الإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية وما يتفرع عنها من مشكلات جزئية.

رابعاً: المنهج المتبع في البحث.

1- أول منهج احتجت إلى العمل به في البحث هو المنهج الاستقرائي حيث قمت بتتبع الأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع من مظاهرها، فعمدت إلى قراءتها قراءة متأنية وتأملت في دلالاتها وفحوى خطابها، ليتسنى لي جمع الأحاديث والآثار التي لها ارتباط بالموضوع قيد الدراسة، وأتبع ذلك بالانتقاء والفرز ثم قمت بإدراج المادة العلمية حسب المباحث المناسبة لها. ونفس الجهد قمت به من خلال تتبع المصادر والمراجع التي شكلت مادة دسمة، حيث جمعت منها الجزئيات والنقاط التي تخدم الموضوع، كلٌ حسب مجاله واختصاصه.

2- وتبعاً لذلك وظّفت المنهج التحليلي؛ إذ حاولت من خلاله تحليل محتوى الأحاديث وإبراز موضع الشاهد الذي يشير إلى مشاعر الطفل، ثم أبين وجه الاستدلال الذي يساعدنا على تحديد نوع الشعور، وتقريب الرؤية وشرحها.

3- واستعنت بالمنهج المقارن عند الوقوف على بعض المسائل الفقهية التي نشأ فيها الخلاف، وكذا في محاولة تبيين وجه الفرق بين النظرة الشرعية الإسلامية والنظرة الغربية الوضعية في بعض النقاط التي وجد فيها خلاف بين النظرتين.

هذا وكان البحث في مجمله بمنهج الحديث الموضوعي، باعتباره المنهج الأكثر مناسبة لمثل هذه المواضيع، بحيث يسمح بالنظر في مختلف المواضيع المعاصرة والمستجدة ومعالجتها في ضوء الأحاديث والآثار الواردة في السنة النبوية، وهو أسلوب يُمكن الطالب من استيعاب النصوص الشرعية ذات الصلة بالموضوع وتوظيفها في معالجة مستجدات الواقع ومشكلاته.

خامساً: الدراسات السابقة.

أول ما تبادر إلى فكري هذا الموضوع ذهبت للتأكد من وجود دراسات سابقة فيه أم لا، وخاصة في مجال الدراسات الأكاديمية المتخصصة؛ وبعد بحث مستفيض وقفت على دراسة واحدة عن المشاعر في

الدراسات الإسلامية، بعنوان: "عناية القرآن والسنة بمشاعر المرأة - دراسة موضوعية-"، وهي رسالة دكتوراه قامت بإنجازها: "مها يوسف جار الله الحسن الجار الله"؛ تتقاطع مع بحثي من جهة واحدة فقط وهي كونها تتكلم عن المشاعر في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية؛ رغم أنّ الباحثة لم تتعرض لأيّ عنصر من عناصر التعريف بالمشاعر بشكل خاص، وانكبت على استنباط مشاعر المرأة من نصوص الشريعة بطريقة وأسلوب يختلف عن الأسلوب والمنهج الذي اتبعته في هذا البحث؛ فهي تترك الحديث عن المشاعر في كل مسألة إلى ما بعد تحليلها وبيان الأحكام المتعلقة بها لتفرد بها بفقرة خاصة.

وبهذا وصلت إلى أنّ هذه الدراسة يمكن اعتبارها بحث جديد لم يسبق إليه أحد في الدراسات الأكاديمية عامة، والإسلامية بشكل خاص، وفي السنة النبوية بشكل أخص.

سادساً: الجديد الذي يضيفه البحث.

1- تسليط الضوء على أحد أهم الجوانب في تكوين الإنسان وواحد من أكبر المحركات السلوكية لديه وهو الجانب العاطفي والشعوري، الذي يُمثل الشطر الأكبر من الحياة النفسية والمعنوية في الإنسان وخاصة لدى الأطفال، من خلال بيان مدى أهميته للمربين وأولياء الأمور، ورسم السبل الصحيحة والناجعة في التعامل معه استناداً لنصوص شرعية من السنة النبوية.

2- محاولة إدراج موضوع مشاعر الطفل ومراعاتها في العمل التربوي ضمن المواضيع التي تحتاج إلى تأصيل علمي مستمد من الشريعة الإسلامية من بؤابة السنة النبوية؛ لإبراز مدى نجاعتها في معالجة قضايا علم النفس، وبيان المنهج الإسلامي القويم والسديد في تناول هذه الموضوعات.

3- المساهمة في إثراء مكتبة الطفل من خلال تزويدها بدراسة في علم نفس الطفل تنبع من نصوص القرآن والسنة تدرس مشاعره وأهمية العناية بها.

سابعاً: مصادر البحث.

فَرَضَتْ طبيعة الموضوع نفسها على مصادر البحث فكانت متنوعة، على رأسها كتب الحديث (تخریجاً وشرحاً)، ثم كتب الفقه الإسلامي، وكتب التربية الإسلامية، وعلم النفس، ولقد استندت إليها جميعاً بشكل متساوي تقريباً كلٌّ في بابهِ ومجالهِ.

وإذا تكلمنا عن بعض جزئيات الموضوع المتفرقة في بطون الكتب، فإنَّ الكلام عن الطفل وأساليب تربيته وتنشئته فقد أخذ النصيب الأوفر من الدراسة والبحث، وهذا ما ينطبق أيضاً عن المشاعر والعواطف والانفعالات بشكل عام.

وقد كان من بين مصادر البحث كتب اعتنت بدراسة المشاعر الإنسانية وبيان أقسامها وكيفية إدارتها والتحكم بها؛ هي:

1- كتاب: "تربية مشاعر الأطفال في الأسرة"، ل: ي. إ. كولتشيستسكايا، ترجمة: عبد المطلب أبو سيف، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، دمشق، 1997م. ولقد اطلعت على هذا الكتاب واستعنت به في بعض المواضع من البحث، تكلمت الكاتبة فيه على حقيقة المشاعر كجانب نفسي في الإنسان، ثم عن حقيقة المشاعر عند الطفل الرضيع، ودورها الإيجابي في بناء شخصيته؛ وجعلت جزءاً كبيراً من الكتاب للحديث عن انفعالات المشاعر؛ غير أنَّ محتواه لا يُلبّي حاجة بحثي الذي ضمَّ جوانب كثيرة من مشاعر الطفل.

2- كتاب: "المشاعر" ل: روبرت بلوتشيك. مطبعة جامعة أمريكا، نيويورك- لندن، 1991؛ لم أجده إلا في نسخة إلكترونية في الويب باللغة الإنجليزية لم أستطع تنزيلها والتمعن فيها. وقد أوضح فيه مؤلفه ما توصل إليه حول عجلة المشاعر التي قسّم فيها المشاعر إلى قسمين: مشاعر أساسية، وأخرى تتفرع عنها. وقد أشرت إلى ما وصل إليه عن أقسام المشاعر وتفرعاتها في عنصر انفعالات المشاعر.

3- كتاب: "إدارة المشاعر بتقنيات العلاج بخط الزمن"، لمؤلفه: علوي عطرجي، الطبعة الأولى، دار فكرة، 2011م، وهو كتاب بيّن فيه صاحبه التقنيات والطرق المساعدة للتحكم في المشاعر السلبية وتوجيهها والاستفادة منها بشكل إيجابي، غير أنني لم أستفد منه إلا قليلاً جداً، فهو يدرس كيفية التحكم بالمشاعر الإنسانية عامة بطريقة العلاج بخط الزمن، وهذا يجعل موضوع الكتاب بعيد عن بحثي.

4- كتاب: "التعبير عن العواطف عند الإنسان والحيوانات" لتشارلز داروين، ترجمة: محمد عبد الستار الشихلي، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010م، وقد اطلعت على الكتاب فوجدته يتكلم عن أنواع التعبيرات الشعورية عند الإنسان والحيوان، وقسّمه إلى أجزاء، أفرد جزءه الأول للحديث عن وجوه التعبير العاطفي عند الحيوان، و جعل باقي الأجزاء الأخرى للحديث عن أساليب التعبير العاطفي عند الإنسان؛ ولم أستفد منه إلا في بعض العناصر من البحث، لأنه بحث عام عن المشاعر الإنسانية تكلم فيه عن مشاعر الطفل في مواضع منه.

وأؤكد- وفي حدود اطلاعي- أني لم أقف على بحث علمي متخصص يتناول هذا الموضوع بدراسة علمية مفردة في ضوء السنة النبوية.

ثامناً: منهجية البحث.

1- بالنسبة للآيات القرآنية فقد اعتمدت فيها على المصحف الشريف برواية ورش عن نافع، وأوردتُ تخريج كل آية مباشرة بعدها في المتن تفادياً لطول الهامش بذكرها فيه.

2- قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ به، وإن كان في غيرهما خرّجته من المعتمد من كتب السنن والمسانيد والمعاجم وموطأ الإمام مالك، وفي هذه الحالة أذكر درجة الحديث بذكر حكم المحدثين عليه من المتقدمين والمعاصرين.

وطريقة العزو عند التخريج كالتالي: اسم المحدث ثم الكتاب، ثم اسم الكتاب، ثم الباب، ثم رقم الحديث، وبعده الجزء والصفحة.

وقد أستدلُّ بالحديث الواحد في مواضع مختلفة من البحث إذا كان له أكثر من وجه استدلال، فإذا ذكرت تخريجه أول موضع فإني لا أكرر تخريجه في المواضع التالية، وأكتفي بالإحالة على الصفحة المذكور فيها.

3- وفي شرح الألفاظ اكتفيت بشرح الألفاظ الغريبة والمهمة.

4- بالنسبة لترجمة الأعلام، قدّمتُ ترجمة مختصرة لغير المشاهير منهم، ومن استندت عليهم بشكل بارز في البحث.

5- وفيما يخص توثيق المعلومات للكتب المستعان بها في البحث، فإن كان الكلام منقولاً حرفياً عزوته لقائله في مصدره، فإن ورد اسمه للمرة الأولى في البحث ألحقتُ به كل معلومات النشر المتعلقة به؛ أمّا إن تكرر ذكره في مواضع أخرى من البحث فإني أكتفي بذكر اسم المؤلف والمؤلف والجزء والصفحة. أمّا إن تصرفتُ في الفكرة بغية تلخيصها، أو جمع فكرة مشتتة بين المراجع، أو الإشارة إلى بعض المراجع المفيدة في الموضوع، فإني أشير في عزوها بكلمة "يُنظر".

6- بالنسب للمسائل الفقهية فقد قمتُ بمعالجة ما لها الامتداد وثيق بموضوع مشاعر الطفل؛ فأذكر أقوال المذاهب الأربعة فيها، وإن وجدت لها ترجيحاً أوردته، مستنيرة في ذلك كله بمنهج الفقه المقارن؛ وحرصت على نقل المعلومة من مصادرها الأصلية لكل مذهب.

ثم ألحقت البحث بجملة من الفهارس العامة التي تُعين على الاستفادة من البحث، وقد كان ترتيبها حسب المعمول به عادةً.

تاسعاً: صعوبات البحث.

أكثر ما واجهني من صعوبات وعوائق في إعداد هذا البحث يمكن إجماله فيما يلي:

1- دقّة المصطلحات ذات الصلة بموضوع المشاعر وتداخل مفاهيمها، شكّل صعوبة في عملية التنظيم والتصنيف.

2- احتاج مني البحث إلى تدقيق كبير وتأمل واسع في الأحاديث النبوية واستخراج معانيها؛ للوصول إلى ما يرمي إليه الحديث من مشاعر.

3- أغلب كتب شروح الحديث والفقهاء لا تشير إلى المشاعر والعواطف ولا تتطرق إليها البتّة أثناء شرح الأحاديث واستنباط ما فيها من فوائد، فأغلبها لا يلتفت إلى الجانب النفسي إلا في التّادر منها، وهذا شكّل صعوبة في سياق استخراج أوجه الاستدلال وتعصيد الأقوال.

4- لما كان الحديث عن مشاعر الطفل تتفرع عنه العديد من الأبواب والمباحث، صار من الصعوبة بمكان حصرها والتحكم في مادتها، خاصة مع وجود كم كبير من أدلة القرآن والسنة النبوية.

عاشراً: خطة البحث.

قمتُ بتقسيم البحث إلى مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة، فجاء على النحو الآتي:

مدخل: جعلته بعنوان: "مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل"؛ تناولتُ فيه الحديث عن ماهية المشاعر، وخصائصها، وما يتداخل معها من مصطلحات أخرى؛ كله في فصل أول مقسم إلى ثلاثة مباحث. والفصل الثاني في الحديث عن مرحلة الطفولة، فقامت أولاً بتعريفها، ثم ذكر خصائصها النفسية والجسمية، كلٌّ في مبحث منفرد، وخصّصتُ من هذا الفصل مبحثاً للحديث عن المراهقة ومدى تأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه وذلك لحساسية هذه المرحلة وخطورتها. كما أفردت مبحثاً رابعاً للحديث عن حقيقة التفكير عند الطفل ومدى استيعابه لقضايا الكبار وتأثره بها.

الباب الأول: وكان في الحديث عن مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيئاً وبعد الولادة، مع ذكر أبرز الارتباطات الشعورية في مرحلة الطفولة. وقسمته إلى أربعة فصول، كلٌّ في فصل يحوي مبحثين، كالآتي:

الفصل الأول: في مراعاة السنة النبوية لمشاعر الجنين وحديث الولادة.

والفصل الثاني: في مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل بعد الولادة في أهم حقوقه الفطرية والشرعية.

أما الفصل الثالث فكان للحديث عن: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في علاقته بأمه.

والفصل الرابع والأخير من هذا الباب فتناولت فيه موضوع اللعب والمشاعر الجنسية عند الطفل ومدى مراعاة السنة النبوية لهما.

الباب الثاني: بعنوان: "مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على الأحكام الشرعية، وفي الحياة الأسرية والاجتماعية". وقسمته على ثلاثة فصول؛ فكان الفصل الأول في مدى مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة وأحكام العبادات، كل واحد في مبحث منفرد.

والفصل الثاني: في مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أحكام الأسرة. تناول قضايا مهمة كقضية العدل بين الأولاد في الأمور العاطفية والأمور المادية؛ وكذا اضطراب الحياة الأسرية ومدى تأثيره على مشاعر الطفل، ومن ذلك مسألة فك العصمة الزوجية، وعمل المرأة خارج البيت.

أمَّا الفصل الثالث: فكان في مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحياة الاجتماعية، تناول عدة قضايا مهمة جعلت كل واحدة منها في مبحث منفرد، منها: الكلام عن مشاعر اليتيم ومدى مراعاة السنة النبوية لها في الأحكام الشرعية والتعامل معه كفرد من المجتمع. وكذا الكلام عن مشاعر الطفل اللقيط وولد الزنا وما تعلق بكل واحد منهما من أحكام شرعية كان فيها قدر وفيرة من مراعاة المشاعر.

الباب الثالث: بعنوان: "مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الأساليب التأديبية، وبعض المشكلات الشعورية عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية. وقد ضمّ فصلين وملحق.

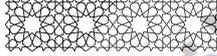
جعلت الفصل الأول منه في الكلام عن أثر الأساليب التأديبية في تدعيم مشاعر الطفل الإيجابية وتوجيه مشاعره السلبية؛ فصلته على مبحثين، الأول في أسلوب الترغيب في السنة النبوية على مشاعر الطفل؛ والثاني في أسلوب الترهيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل.

أمَّا الفصل الثاني فكان في ذكر بعض المشكلات الشعورية عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية. جعلته في مبحثين حيث تناول كل مبحث معالجة نوعين من المشاعر، فضم المبحث الأول الكلام عن شعور التعلق والغيرة عند الطفل وعلاجه التربوي في السنة النبوية، والمبحث الثاني عن شعور الخوف والخجل وعلاجها التربوي.

وأردفته بملحق كان لبيان بعض الأسرار الشعورية في تعليم الأطفال أدب الاستئذان في ضوء السنة النبوية.

وأردفتُ البحث بخاتمة حوصلتُ فيها أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، مع ذكر جملة من التوصيات التي يُرجى الأخذ بها.

وبهذا أسأل الله تعالى رب العرش العظيم أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني ويغفر لي تقصيري فيه، وينفعني به في الدنيا والآخرة، وينفع غيري ممن يطلع عليه، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.



مدخل:

مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل.

يتضمن فصلين:

- الفصل الأول: مفهوم المشاعر وخصائصها، والفرق بينها وبين غيرها من المصطلحات ذات الصلة.
- الفصل الثاني: التعريف بمرحلة الطفولة وخصائصها وتقسيماتها، بين النظر الشرعي وعلماء النفس.

الفصل الأول:

مفهوم المشاعر وخصائصها والفرق بينها وبين غيرها
من المصطلحات ذات الصلة.

فيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف المشاعر لغة واصطلاحًا.
- المبحث الثاني: خصائص المشاعر وانفعالاتها.
- المبحث الثالث: مصطلح المشاعر وما يتداخل معه من مصطلحات ذات الصلة.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

يدخل الحديث عن مفهوم المشاعر وخصائصها في إطار توضيح وبيان أبرز النقاط المتعلقة بموضوع الدراسة، وضبط مصطلحات الموضوع من خلال بيان الحدّ الفاصل بينها وبين ما يُقارنها من مصطلحات، وإنّ هذا التوضيح يُعين في تحديد حيز الدراسة ويُسهل فهم الموضوع.

وبناءً عليه نستعرض حديثنا عن المشاعر وخصائصها، وما يُقارنها من مصطلحات في هذه المباحث:

المبحث الأول: تعريف المشاعر لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: خصائص المشاعر وانفعالاتها.

المبحث الثالث: مصطلح المشاعر وما يتداخل معه من مصطلحات ذات الصلة.

المبحث الأول: مفهوم المشاعر لغةً واصطلاحًا.

قد يتبادر إلى ذهن الكثير أنّ كلمة مشاعر من الكلمات المعروفة والمتداولة في استعمالات الناس فلا تحتاج إلى تعريف، ولكنّ الحقيقة أنّ لها مفهومًا عميقًا يحتاج إلى توضيح.

المطلب الأول: تعريف المشاعر لغةً.

المشاعر جمع شُعور، وهو مأخوذ من فعل شَعَرَ، وشَعَرَ يَشْعُرُ شِعْرًا وشَعْرًا وشِعْرَةً ومَشْعُورَةً وشُعُورًا وشُعُورَةً وشُعْرِي، كُله بمعنى عَلِمَ.

وشَعَرْتُ بكذا، معناه: فَطِنْتُ له وَعَلِمْتُ به؛ ومنه قولهم: وليت شِعْرِي، بمعنى: ليتني شعرتُ أي علمتُ. ومنه: شَعَرْتُهُ، بمعنى: عَقَلْتُهُ وفَهَمْتُهُ، وما شَعَرْتُ به بمعنى: وما فَطِنْتُ له وما عَلِمْتُهُ؛ ولهذا سُمِّي الشاعر لفطنته.

وفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرْكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[الأنعام/109]. فُسِّرَتْ "وما يُشْعِرْكُمْ" بـ: وما يُدْرِيكُكم. (1)

(1) يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 57/2. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 177/3. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، 1420هـ-1999م، 316/3.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

وتُطلق المشاعر في اللغة أيضاً على الحواس التي زُوِّد بها الإنسان ليستشعر بها ما حوله من موادٍ وصُورٍ وأصوات، يقول الشاعر:

كالرأس مرتفع فيه مشاعره
يهدى السبيل له سمع وعينان⁽¹⁾
فسمى السمع والعينان مشاعر. ويُقال: استشعرت البقرة، أي: صَوَّتت إلى ولدها تطلب الشعور بحاله.⁽²⁾
وعليه يكون من معاني المشاعر في اللغة هي: العلم والفطنة والإدراك والفهم، والحواس أي الإحساس.

المطلب الثاني: تعريف المشاعر في الاصطلاح.

لم يكن لكلمة مشاعر (Emotions) تعريف مضبوط ومحدد، خاصة في كتب المعاجم ومصطلحات علم النفس وكتب علوم التربية. وجُلُّ الكتابات التي تكلمت عن المشاعر إنما كانت تمرُّ في الكلام عن مكوناتها وما تعلَّق بها من مواضيع، دون تقديم تعريف.

وهذا راجع إلى أنّ كل مدرسة من المدارس الفكرية الغربية حاولت أن تنظر للمشاعر من زاوية تخصصها، فبين علم السلوك وعلم الاجتماع، وعلم النفس الفسيولوجي، وعلم الأعصاب، وكذا النظريات المعرفية، وغيرها، كلٌّ منها قدم تفسيراً ومفهوماً حسب مُكون المشاعر المتعلقة به⁽³⁾. ولذلك جاءت تعريفاتها مختلفة ومتعددة.

⁽¹⁾: البيت ل: "بلعاء بن قيس" من شعراء الجاهلية من بني كنانة. يُنظر: عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني بالولاء الليثي أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان، ط1، دار الجليل، بيروت، 1410هـ، 493/1. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ت: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط1، دار الجليل، بيروت، 1411هـ-1991م، 133/1.

⁽²⁾: يُنظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: كتاب العين، ت: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 251/1. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور: تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 268/1. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ-1987م، 699/2. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1426هـ-2005م، 416/1. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، ط3، دار صادر- بيروت، 1414هـ، 409/4.

⁽³⁾: يُنظر: شعور، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org، ديسمبر 2018. غيداء أبو خيران: سيكولوجيا العواطف: كيف تفهم مشاعرك وتفسرها، ن بوست، www.noonpost.org.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ومن جملة التعاريف التي وقفت عليها، ما يلي:

- (... الشعور هو علاقة الإنسان بالعالم المحيط والناس الذين يعيش معهم، وصلته بالأشياء والمواد وألوانها وأصواتها ورائحتها وشكلها...) (1).

- (و) قالت المدرسة التجريبية... إنَّ ما نسميه المشاعر هو نتيجة التفاعلات الكيميائية التي تحدث في الغدد والأعضاء، ونتيجة النشاط الكهربائي الذي يحدث في المخ...) (2).

- وقيل: (هي الدلالة على ما يصاحب الإحساسات من لذة أو ألم...) (3).

- (المشاعر هي حالات من الشعور الذي يؤدي إلى التغيرات الجسدية والنفسية التي تؤثر على السلوك) (4) من خلال هذه التعريفات يمكن الخروج بتعريف أكثر شمولية واستيعاب:

المشاعر هي: جملة الانفعالات النفسية المختلفة والمتعددة التي تختلج الإنسان بسبب عوامل داخلية أو خارجية، قد تؤدي إلى تغيرات جسدية أو نفسية تؤثر على السلوك.

المبحث الثاني: خصائص المشاعر وانفعاليتها.

إنَّ مما يلحق بتعريف المشاعر من مفرداتها وعناصرها المهمة ويزيد تعريفها فهماً وإيضاحاً هو معرفة خصائصها التي تميزها عن غيرها، ولذلك كان هذا المبحث من النقاط المهمة التي وجب التطرق إليها.

المطلب الأول: خصائص المشاعر.

صُبغت المشاعر الإنسانية بعدة خصائص، جُمعت من خلال الملاحظات الدقيقة للملامح والانفعالات التي تظهر على الفرد اتجاه موقف معين. ومقارنتها مع ما يظهر على غيره اتجاه نفس الموقف. ومن خلال ذلك توصل الباحثون إلى جملة من الخصائص والميزات، ومما يجسُن ذكره منها هو:

- المشاعر هي انفعالات فطرية في أصلها، وفي جملة تعابيرها، غير مكتسبة، وإذا قلنا أنها غير مكتسبة في جملتها فهذا لا ينفي وجود بعض التعابير والانفعالات التي قد يكتسبها الإنسان من محيطه، من باب التأثير

(1) ي.إ. كولتشتيسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة: عبد المطلب أبو سيف، دار علاء الدين، ص: 05.

(2) محمد قطب: دراسات في النفس الإنسانية، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ - 1993م، ص: 159.

(3) فؤاد أبو حطب - محمد سيف الدين فهمي: معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م،

65/1.

(4) شعور، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

بغيره في أسلوب تعبيرهم عن مشاعرهم، كأسلوب التعبير عن السعادة أو الحزن أو الغضب، أو الرغبة في إظهار تعبير شعوري مخالف لباطن حقيقته...

وإلى القول بفطرية المشاعر وصل "السير تشارلز بيل"⁽¹⁾، وقال أنّ الإنسان خلق مزوداً بعضلات مكيفة خصيصاً للتعبير عن مشاعره⁽²⁾.

كما عبّر داروين⁽³⁾ عن ذلك في قوله: (وقد نستنتج بكثير من الاحتمال عندما تعبر الملامح أو حركة الجسم عن الانفعالات ذاتها في سلالات بشرية معينة، بأنّ هذه التعبيرات الصادقة هي غريزية أو فطرية)⁽⁴⁾ - تختلف أساليب وملامح التعبير عنها من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى، لذلك لا يمكن تعميم صورها على جميع الناس. ويكون هذا الاختلاف من عدة جوانب، فبين الحدة والخفة، أو السطحية والعمق، أو طول زمن التعبير عنها وقصره. مثلاً: في موقف مُضحك تجد من الناس من يضحك بشدة وعمق، ومنهم من لم يتجاوز الابتسامة على وجهه. ويجزن شخص ما على ميتٍ حزناً شديداً يعبر عنه بكلّ علاماته، في حين يتوقف حزن غيره على ذرف الدموع، وقد يعود هذا إلى درجة قرابة الشخص من الميت وقوة صلته به، وقد يكون ناجماً من قدرة الشخص على التحكم في مشاعره.

- هذا الوصف الأخير يضيف خاصية أخرى للمشاعر، وهو كونها قابلة للسيطرة عليها، فمستوى وعي الإنسان وتحضره يحدد أسلوب تعبيره عن مشاعره⁽⁵⁾، فبدلاً من الأسلوب الموروث على الطريقة الجاهلية في

⁽¹⁾ تشارلز بيل (1774-1842): عالم تشريح وجراح بريطاني. زاول دراسته الثانوية بها ثم التحق بكلية الطب. تم تعيين كطبيب جراح بإحدى مستشفيات لندن وأستاذاً بجامعة لندن سنة 1818، وفي عام 1836 عاد إلى إدنبرة إلى كرسي الجراحة. وقد ساهم بفكرته الأساسية في التأسيس لعلم وظائف الأعضاء العصبية. نشرت مقالاته عن تشريح التعبير في الرسم. ومن مؤلفاته: "نظام التشريح"، و"تشريح جسم الإنسان". يُنظر: Stefan Stater: Journal the royal college of physicians of Edinburgh, Volume 51, Issue 3, September 2021, p. 247-249.

⁽²⁾ يُنظر: تشارلز داروين: التعبير عن العواطف عند الإنسان والحيوانات، ترجمة: محمد عبد الستار الشخيلي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، 2010م، ص: 28، 33.

⁽³⁾ تشارلز روبرت داروين (1809-1882): عالم طبيعي إنجليزي، درس الطب بأدنبرة، وبدأ يدرس العلوم في كمبردج، وكان شغفه بالتاريخ الطبيعي، من كتبه: "أصل الأنواع"، "أصل الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس"، "تنوع النباتات والحيوانات تحت الاستئناس". يُنظر: ياسين صلاواي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 1647/4.

⁽⁴⁾ تشارلز داروين: المصدر السابق، ص: 28.

⁽⁵⁾ يُنظر: ي. إ. كولتشييتسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ص: 07.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

التعبير عن الحزن مثلاً، وهو الأخذ بالعويل وبتف الشعر وشق الجيب، فإنه يتوقف عند أساليب تعبيرية أكثر تحضراً، وعليه فإن تربية الإنسان ونمطه المعيشي والاجتماعي له دوره في توجيه مشاعره والتحكم بها.

- ويأتي دور الزمن في تغيير صورة الشعور أو تلاشيه إزاء موقف معين، (... فجميع المشاعر حتى أكثرها قوة تخضع لقانون التكيف، فالشيء الذي كان يثير فينا أقصى درجات الإعجاب في وقت ما، يصبح بعد فترة معينة- بعد شهور أو سنوات- أمراً مضحكاً وساذجاً، والشيء الذي كان سبباً في الحزن العميق والكرب الشديد لا يلبث أن يتحول إلى شعور يعيشه المرء بهدوء وسكينة.)⁽¹⁾.

- كما يختلف تعبير الفرد الواحد عن شعوره اتجاه نفس الموقف إذا تكرر معه. فقد يفزع من شيء لاحظته أول مرة، لكن مع تكراره تضعف الاستجابة الشعورية ويتلقاه بكل برودة.

- يمكن أن نصف المشاعر بالتناقض، من خلال مجموع ما تحويه من انفعالات متناقضة فيما بينها⁽²⁾، فيجتمع في دائرتها: الحب مع الكراهية، والشعور بالمتعة مع التقزز، والفرح مع الحزن، والكآبة مع الحيوية، والهدوء أو البرودة مع الغضب، والمواجهة مع الخوف... فلكل شعور نقيضه، وكلها تَنفَعَل باسم المشاعر.

كما يمكن أن يظهر التناقض على المشاعر في حال التعبير عن شعور معين، فنجد من الناس من يضحك ضحكا هستيريا في موقف محزن، لسبب ما. ومنهم من يبكي بكاءً شديداً في موقف يستدعي الفرح.

- تتجه المشاعر في غالب الأحوال نحو المثير والمنبه الذي أثارها، والذي يمكن أن يكون بسبب عوامل خارجية أو داخلية، وغالباً ما يكون المثير خارجياً، فتحدث الاستجابة الفسيولوجية عند رؤيته. مثلاً: عند مواجهة الإنسان لحيوان مفترس وقد أيقن مدى خطورته عليه في تلك اللحظة، فإنه يتصبَّب عرقاً وترتعش أطرافه نتيجة شعوره بالخوف الشديد. وقد يسرع مهولاً ليظفر بالهرب والتخلص منه.

- تتميز المشاعر بأنها قابلة للاستقرار في نفس الفرد ما لم يطرأ عليها عامل خارجي جديد يحول الشعور إلى نقيضه، كمشاعر الحب قد تتحول إلى كراهية إذا صدمها عامل خارجي من خبر أو سلوك معين. وبيان

(1) ي. إ. كولتشييتسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ص: 06.

(2) يُنظر: ي. إ. كولتشييتسكايا: المصدر نفسه، ص: 05.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ذلك، ما ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال لابن الكوّاء: (هل تدري ما قال الأول؟: أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَمْ يَكُونُ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا. وَأَبْغُضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.)⁽¹⁾.

المطلب الثاني: انفعالات المشاعر.

عَمَدَ عدد من علماء النفس وباحثيه إلى تحديد جملة الانفعالات المصاحبة للمشاعر والعواطف، وقسموها إلى انفعالات أساسية وأولية، وما ينبثق عنها من انفعالات أخرى يمكن تسميتها بالمعقدة أو المركبة.

يكاد يتفق البعض على أنّ انفعالات المشاعر الأساسية هي: الخوف، والغضب، والسعادة أو السرور، والحزن، والاندهاش أو المفاجأة، والاشمئزاز أو التقزز⁽²⁾.

في حين قدّم "روبرت بلوتشيك"⁽³⁾ ما أسماه بـ: "عجلة العواطف"، ذكر فيها ثمانية انفعالات عاطفية أولية، هي: البهجة أو السعادة مقابل الحزن، والاندهاش مقابل الحدس أو التوقع، والغضب مقابل الخوف، والاشمئزاز أو التقزز مقابل الثقة. ويبيّن أنّ هذه الانفعالات الثمانية تنتج عنها انفعالات أخرى إذا تداخلت فيما بينها لتشكل الانفعالات المعقدة، على سبيل المثال: تداخل السعادة مع التوقع يولد انفعال التشويق أو الإثارة⁽⁴⁾.

⁽¹⁾: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409 هـ - 1989 م، 447/1. قال الألباني: (حسن لغيره موقوفاً وقد صح مرفوعاً)، ينظر: صحيح الأدب المفرد، ج (564)، 501/1.

⁽²⁾: يُنظر: غيداء أبو الخيري: سيكولوجيا العواطف: كيف تفهم عواطفك وتفسرها، ن بوست، www.noonpost.org
⁽³⁾: روبرت بلوتشيك (1927-2006): عالم نفسي أمريكي ولد بنيويورك. حصل على درجة الماجستير والدكتوراه في جامعة كولومبيا. وظلّ مدرساً ببعض الجامعات، ليصبح في النهاية أستاذاً فخرياً للطب النفسي وعلم النفس. له مئات من البحوث، واشتهر بالتأليف في مجال العواطف. وآخر كتاب له بعنوان: "المشاعر والحياة وجهات نظر من علم النفس، علم الأحياء والتطور" (2003). يُنظر: Ross Buck: The American Psychological Association, vol. 62, n°.2, February - March 2007, p.142.

⁽⁴⁾ look :Robert Plutchik : the Emotions, university press of America, London ,1991، p:54,65,111. www.psychologytoday.com

ونجد في المقابل "رينه ديكرت"⁽¹⁾ الذي نسب لنفسه سبق في الحديث عن الانفعالات وعدّها، جعل الأساسية منها ستة، هي: التعجب، والحب، والكره، والرغبة، والفرح، والحزن. ومن هذه الأخيرة تتألف باقي الانفعالات الأخرى المعقدة.

وقد ذكر ديكرت مجموع الانفعالات الحاصلة في نفس الإنسان، حسب ما توصل إليه، وهي: (التعجب، الاحترام والاحتقار، النبيل أو التعجرف، التواضع أو الدناءة، التبجيل والازدراء، الحب والكره، الرغبة، الرجاء، التخوف، الغيرة، الاطمئنان والقنوط، التردد، الشجاعة، الإقدام، المنافسة، الجبن، الهلع، التأنيب، الفرح والحزن، الاستهزاء والحسد والرأفة، الرضا عن الذات والندم، المعروف والاعتراف بالجميل، الامتعاض والغضب، المجد والخجل، الاشمئزاز والتأسف والابتهاج).⁽²⁾

وجاء "تشارلز داروين" بمجموعة أخرى من وجوه التعبير عن المشاعر لم يتكلم عنها "ديكرت"، وكان في جملتها ما يلي: (المعاناة، الانتحاب (البكاء)، انحطاط الهمة، القلق، الحزن، الاكتئاب، اليأس، الحبور، ارتفاع المعنويات والمرح، الحب، المشاعر الرقيقة، الإخلاص والتفاني، التأمل، تعكر المزاج، الحرد، العزم، الكره، الغضب، الترفع، التحقير، القرف والاشمئزاز، الشعور بالذنب، الزهو والكبرياء، العجز، الصبر، المفاجئة، الدهشة، الخوف، الرعب، الخجل، التواضع، الاهتمام بالذات).⁽³⁾ ربما لو لاحظنا ما وصل إليه داروين من مجموع الانفعالات وقارناه مع ما وصل إليه غيره لوجدنا أن منه ما هو مكرر متفق عليه بينهم ومنها ما هو مضاف على غيره.

إنّ كل من تكلم عن انفعالات المشاعر كان كلامه يدور حول عملية التأريخ لمن تحدث عنها من العلماء وتقسيماهم لها.

⁽¹⁾: ديكرت رينيه (1596-1650): فيلسوف فرنسي، وعالم، ورياضي، مبتكر الهندسة التحليلية، حاول أن يُطَبِّق المنهج الرياضي على الفلسفة، انتقل بالشك المنهجي إلى إثبات وجود الله ووجود العالم، هو صاحب مقولة: "أنا أفكر وإذا فأنا موجود"، لم يؤلف كتاباً في التربية إلا أنّ مبادئه الفلسفية ولاسيما رسالته في المنهج قد أحدثت تأثيراً كبيراً في تاريخ التربية. يُنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص: 298.

⁽²⁾: رينه ديكرت: انفعالات النفس، ترجمة: جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت- لبنان، 1413هـ- 1993م، ص: 46.

⁽³⁾: تشارلز داروين: التعبير عن العواطف عند الإنسان والحيوانات، ص: 165.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ويبقى القول: أنّ كل من اجتهد لتحديد انفعالات المشاعر فإنّ صنيعه يبقى قاصراً بالنسبة لمجموع ما يجري على الألسن من أسماء للتعبير عن العواطف والمشاعر، ولذلك أرى أن يُترك الأمر للإطلاق اللغوي المتعارف عليه عند كل فئة أو لغة.

أمّا ما توصّل إليه "ديكارت" من مجموع الانفعالات التي عددها "أربعون انفعالاً" فقط، وكذا ما تكلم عنه "داروين"، لا يمكن قبوله ولا يمكن التوقف عنده، فإنّ كلاهما قد أغفل الكثير من المشاعر الأخرى المعروفة كمشاعر: الوجد، والأسى، والحنين، والشفقة، والحيرة، والقلق، والضجر، والانبساط، والحياء، والبغض، والحقد والضغينة، النقم، المقت، والملل... وغيرها.

واللغة العربية كونها أكثر اللغات اشتمالاً على عدد هائل من المرادفات، تحوي عدد كبيراً من أسماء الانفعالات، ولكل اسم مرادفات تختلف عن بعضها قوةً ومعنىً، فعلى سبيل المثال: الغضب له عدة مرادفات منها: الحرد، الاشتياط، الغيظ، السخط. فنجد الحرد مثلاً معناه: (أن يغضب الإنسان فيبتعد عمّن غضب عليه...) (1)، والسخط في اللغة يكون من الكبير على الصغير، عكس الغضب الذي يكون من الجهتين على السواء (2).

وكذلك فإنّ كل علماء النفس الذين تكلموا عن انفعالات المشاعر اعتبروا الغضب مقابل الخوف، أو نقيضه، غير أن كتب اللغة العربية اعتبرت الغضب ضد الرضا (3).

وأذكر في ختام الكلام عن هذه الجزئية أنّ مسألة تحديد انفعالات المشاعر وتقسيمها لا يمكن تعميمه ولا يمكن ضبطه وحصره، وربما يحتاج إلى دراسة مفردة لاستقراءها من القرآن الكريم والمعاجم اللغوية العربية.

(1): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 130/1.

(2): المصدر نفسه.

(3): يُنظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين - بيروت، 1987م، 354/1.

المبحث الثالث: الفرق بين مصطلح المشاعر وغيرها من المصطلحات ذات الصلة.

يستخدم الناس في حياتهم اليومية مسميات عدّة للتعبير عن حالاتهم الوجدانية الشعورية، وهي كثيرة، تجتمع تحت مصطلحات عامة، مثل: العواطف، المشاعر، الأحاسيس. وكلها في الاصطلاح العام يُراد بها معنى واحد. فهل يكون معناها الاصطلاحي متقارب كما في الاصطلاح العام، أم هناك تباين وتباعد. في هذا المبحث نحاول معرفة وجه الفرق بينها. إلى جانب بيان أهمية المشاعر في حياة الإنسان ومعرفة مدى تأثيرها على سلوكه.

المطلب الأول: الفرق بين مصطلح المشاعر والأحاسيس والعواطف.

1- الفرق بين المشاعر والأحاسيس:

الأحاسيس والإحساس في اللغة مشتقة من فعل أَحَسَّ، يُقال: أَحَسَسْتُ الشيءَ أَحْسَنُهُ إِحْسَانًا إِذَا وَجَدْتَهُ، وَأَحَسَسْتُ صَاحِبَكَ بِمَعْنَى وَجَدْتَهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنَ أَحَدٍ﴾ [مریم/98]. أي: هل تجد منهم من أحد، وقيل معناه: هل تُبصر، وهل ترى⁽¹⁾.

وحسيتُ الشيءَ إِذَا عَلِمْتَهُ وَعَرَفْتَهُ؛ وَأَحَسَّ الرَّجُلُ الشَّيْءَ إِحْسَانًا عَلِمَ بِهِ، وَأَحَسَّ بِهِ عَلَى مَعْنَى شَعَرَ. وَأَحَسَسْتُ بِالْخَيْرِ أَيِ أَيَقِنْتُ بِهِ؛ قَالَ الْأَخْفَشُ: أَحَسَسْتُ مَعْنَاهُ ظَنَنْتُ وَوَجَدْتُ.

وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء/12]، أي أدركوا.

وقوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْبِي مِنْهُمْ أَنْكَفَرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران/52]، بمعنى رأى وشعر. قال الزجاج: معنى "أحسَّ" وعلم ووجد في اللغة⁽²⁾.

ومنه: يكون الحِسُّ والإحساس بمعنى الإدراك والعلم والوجود، والشعور والرؤية والظنّ، وكلها تفيد العِلْمَ. ولا يكون الإحساس وانفعال الأحاسيس إلا باستعمال أحد الحواس الخمس وهي: السمع والبصر والشمّ

⁽¹⁾ يُنظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م، 442/6. إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شليبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ-1988م، 416/1.

⁽²⁾ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شليبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ-1988م، 416/1. البغوي: معالم التنزيل، 284/3.

والذوق واللمس؛ والتي يُعبّر عنها أيضًا بالمشاعر الخمسة.⁽¹⁾

والإحساس في الاصطلاح هو:

- (شعور الحي في مراكزه العصبية .. أو انفعال يصيب شيئًا من أعضاء الحواس، كحس البصر وحس السمع وحس اللمس وحس الذوق، وكلها حسوس خارجية تتميز من حسوس أخرى داخلية كالشعور بالانزاع والطمأنينة وغير ذلك.)⁽²⁾.

- وقيل هو: (حالة شعورية نوعية بسيطة، غير قابلة للتحليل ..، وتنتج عن تأثر الأطراف العصبية ومراكز الحسّ في الدماغ بمنبه ما.)⁽³⁾

فيكون الإحساس عبارة عن: حالة نفسية شعورية نحو شيء أو أمر ما.

وبهذا يتّضح أنّ الإحساس مبنّي على معطيات الحواس، وهو الذي ينقل إلينا مشاعر اللذة أو الألم عند التعرض لعامل خارجي معين، كلمس النار أو الإصابة بحروق جرّاء ذلك، يثير فينا عن طريق الحواس الإحساس بالألم، ممّا يُكوّن عندنا انطباع الخوف منها. وتَدوُّق طعام شهّي عن طريق الحواس يثير الإحساس بالمتعة، وهذا يُكون عندنا انطباع الفرح والتعلق به، والانطباع الذي يتكون عندنا اتجاه إحساس معين يبقى راسخاً في أذهاننا ما لم يحدث تغيّر على هذا العامل الخارجي، يجعلنا نُغير من انطباعنا نحوه، وهذا الانطباع هو ما تُسميه بالمشاعر، وبهذا يمكننا القول أنّ الإحساس هو آلية من آليات الوصول إلى المشاعر.⁽⁴⁾

⁽¹⁾: يُنظر: الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 917/3. الأزهري: تهذيب اللغة، 262/3. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، 135/1. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1420هـ- 1999م، 72/1. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ت: حاتم صالح الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412هـ- 1992م، 230/1.

⁽²⁾: منير وهيبه الخازن: معجم مصطلحات علم النفس- الأول من نوعه في اللغة العربية-، دار النشر للجامعيين، ص: 134.

يُنظر أيضًا: فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 16.

⁽³⁾: منير وهيبه الخازن: المرجع نفسه، ص: 133.

⁽⁴⁾: يُنظر: ي.إ. كولتشيستسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ص: 09.

ولذلك قيل: (... إنَّ الشعور هو حاصل مجموع خواطر الإنسان وأحاسيسه ونشاطه العقلي...) (1).

وهذا ما يبرز وجه الفرق بين المشاعر والأحاسيس، وأيضاً الوجه الرابط بينهما.

2- الفرق بين مصطلح المشاعر والعواطف:

العَوَاطِفُ في اللغة مُفرد عَاطِفَةٍ، وهي مشتقة من فعل عَطَفَ، بمعنى رَجَمَ وأشفق؛ يُقال: امرأةٌ عَطُوفٌ فهي الحانية على وَلَدِهَا، ورجلٌ عَطُوفٌ إذا عَطَفَ على القوم في الحرب فحَمَى دُبْرَهُمْ إذا انهزموا. وفي حديث طويل عن سلمة بن الأكوع، قال: «... فَأَبْصَرُونِي أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَعَطَفُوا عَنْهُ وَاشْتَدُّوا فِي الثَّنِيَّةِ...» (2)، أي رحموه؛ وَعَطَفْتُ عليه أي أشفقتُ، وتعاطفوا أي عطف بعضهم على بعض (3).
ومنه تحمل العواطف لغةً على الرحمة والشفقة والحنو.

وفي الاصطلاح وُضِعَتْ عدة تعريفات للعاطفة، تكاد تنصَّبُ في معنى واحد، منها:

- يتعلق مصطلح الانفعالات أو العواطف بحالات من المشاعر المركبة، لها جوانب نفسية وجسدية وسلوكية ترتبط بحالة الوجدان أو المزاج (4).

- وقيل: (كلمة عاطفة: تستخدم للدلالة على دفاء شعور أو حب نحو الآخرين وهي قد تكون عاطفة نحو فكر أو نشاط أو شيء أو فرد، أو مؤسسة أو حيوان...) (5).

- وقيل أيضاً: (تعتبر العاطفة استعداداً وجدانياً مركباً وتنظيماً مكتسباً لبعض الانفعالات نحو موقف معين،

(1): عبد المجيد الخليدي - كمال حسن وهي: الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1997م، ص: 50.

(2): الحديث طويل، وهو عند: أحمد: المسند، مسند المدنيين، بقية حديث ابن الأكوع في المضاف من الأصل، ح(16539)، 70/27. ابن حبان: الصحيح، ذكر سلمة بن الأكوع، ح(7173)، 133/16. ابن أبي شيبة: المصنف، المغازي، ما جاء في غزوة ذي قرد، ح(37002)، 420/7. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: (إسناده حسن). وقال الألباني: (حسن صحيح)، يُنظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ح(7129)، 246/10.

(3): يُنظر: الفراهيدي: العين، 18/2. الأزهرى: تهذيب اللغة، 106/2. زين الدين الرازي: مختار الصحاح، 212/1. ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتوح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِي: المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، 319/1.

(4): لطفي الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي، ص: 50.

(5): فاروق عبده فليلة - أحمد عبد الفتاح الزكي: معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م، ص: 175.

تدفع صاحبها للقيام بسلوك خاص).⁽¹⁾

من خلال النظر في هذه التعريفات نجد أنها تشترك في أنّ العاطفة هي حالة شعورية أي أنها نوع من المشاعر، ويُعبر عنها بمجموع انفعالات، هذه الأخيرة التي تُعدُّ من أهم مكونات المشاعر والعواطف.

أمّا ما يلاحظ من فروق بين المشاعر والعواطف، فقط لخص البعض بعضها، أذكر منها:

- يمكن قمع المشاعر في حين أن العواطف لا يمكن قمعها بسهولة.

- المشاعر لا تظهر بسهولة على الوجه، من ناحية أخرى تظهر العواطف بسهولة على الوجه.

- المشاعر لا يمكن تفسيرها في الطابع، ولكن العواطف قابلة للتفسير.⁽²⁾

على الرغم من أنّ الكثير ممن تكلموا عن الفرق بين المشاعر وباقي المصطلحات الأخرى فإنهم بعد توضيحهم لجملة من الفروق، يعودون للقول بأنّ بينها تشابك وتفاعل وارتباط، إلى جانب أن مجموع الانفعالات كالغضب والحزن والبهجة والفرح وغيرها فإنها تنسب في كتاباتهم للعواطف والمشاعر على السواء، وهذا ما يدل على أنها تكاد تكون واحدة.

إنّ هذه المرادفات - المشاعر، العواطف، الأحاسيس - تدور ضمن مسمى الحياة الوجدانية للإنسان، ولذلك يمكن القول بأنّ كلمة وجدان أشمل وأعم منها جميعاً. ووجدان الإنسان هو وجه من وجوه الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والذي سيتم اعتماده في هذا البحث هو المفهوم العام لهذه المصطلحات في أنها جميعاً واحدة تحمل معنى واحد، ولذلك لا فرق هنا أن نسميها عواطف أو مشاعر أو أحاسيس.

⁽¹⁾: عبد المجيد سيد أحمد منصور و زكريا أحمد الشربيني - إسماعيل محمد الفقي: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس

علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002م، ص: 222. يُنظر أيضاً: Mark Pettinelli: the Psychology of Emotions- feelingz and thoughts p: 20.

⁽²⁾: يُنظر أيضاً: حسناء: الفرق بين العواطف والمشاعر، موقع المرسل، www.almsal.com

المطلب الثاني: أهمية المشاعر ومدى تأثيرها على السلوك وتوجيهه.

وجد موضوع المشاعر والتعبير عنها أهمية كبيرة في مجالات وحقول معرفية متعددة مثل: علم النفس، وطب الأعصاب، وطب الأعصاب، وعلم السلوك، وعلم الاجتماع، وغيرها، وهذا لتأثيره الممتد في حياة الإنسان.

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ الذي أحكم صنعه جمع في تكوين الإنسان بين المادة والروح أو الجسم والنفس، وجعل بين هذين العنصرين تفاعلاً وتأثيراً كبيرين، وزود النفس بمجموعة مشاعر وأحاسيس لعبت دوراً مهماً في تحريك سلوك الإنسان.

وقد عمل الإسلام على إشباع الحاجات الشعورية الوجدانية لدى الفرد، وأعطى للمشاعر حظها من الاهتمام، إذ ورد ذكرها في الآيات القرآنية بصيغة " يشعرون، تشعرون" أربع وعشرين مرة. كما ورد ذكر انفعالات المشاعر كالخوف والغضب والسرور والفرح في مواضع عدّة، منها، - على سبيل المثال لا الحصر:

- قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/28]. والطمأنينة شعور يمثل أعلى مستويات الراحة النفسية. كما قال الرازي في تفسيره: (... لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل، فهذا المعنى قال: ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب.)⁽¹⁾

- وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ - آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم/21]. وفي هذه الآية ذكر ثلاثة مشاعر متقاربة في طبيعتها، هي: السكينة والمودة والرحمة.

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيسْتَبشرون بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران/170]. وهنا ذكر لمشاعر متباينة، هي: الفرح والخوف والحزن.

(1): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 40/19.

- وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/38]. ذكرت الآية شعور الخوف والحزن وهما من أبرز المشاعر وأشدّها على الانسان.

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف/95]. ذكر الله تعالى في الآية العفو الذي يأتي بعد الحقد على الظالم، ثم الضراء التي تجلب الألم والحزن، وضدّها السراء وهي الفرح والسعادة، ثم البغته التي هي الشعور بالمفاجأة، وعلى هذا العدد المذكور من المشاعر ختم الله سبحانه الآية بقوله: "وهم لا يشعرون".

- وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة/13].

تلعب المشاعر دوراً بارزاً في التأثير على اتجاهات الإنسان واختياراته وقراراته، ومن ثمّ على سلوكه. (... إنّ الشعور يُسيطر أحياناً على كياننا كلياً، بحيث لا يعود في إمكاننا التخلص منه حتى ولو لجأنا إلى قوة الوعي والعقل، ويمكن للعواطف في بعض الحالات أن تتحكم بسلوك الإنسان بصورة مستبدّة، وعلى الرغم من كل ذلك فإنّ هذه المشاعر الجامحة بالذات هي التي تجعل حياتنا ممتعة وجديرة بالاهتمام...) (1).
ومن حسنات المشاعر أنّها منشطة للحياة، داعية لبعث الإحساس بالتغيير والحيوية فيها من خلال تقلب الإنسان بين جملة انفعالاتها المتنوعة، ودونها تصبح الحياة مملّة رتيبة تضيق بها النفس. والإنسان ما خلُق ليكون آلة حديدية تعمل وفق برنامج معين، أو ليكون وجوده محصوراً بين النجاة أو الهلاك والريح أو الخسارة.

تعبّر المشاعر عن جوهر الفرد وحقيقة شخصيته، وتكون في بعض الأحيان فاضحة له وكاشفة لما يُكنه في داخله اتجاه أمر ما، إذا ما تعرض لموقف مفاجئ يتصرف تلقائي غير محسوب.

وقد كشفت العديد من الدراسات العلاقة السببية القائمة عند بعض المجرمين بين ما يرتكبونه من جرائم وبين مشاعرهم السلبية المكبوتة، التي تولدت عن المعاملة السيئة والظلم والألم التي عرفوها في الصغر، ممّا

(1): ي. إ. كولتشتيسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ص: 05.

دفع بهم إلى الانحراف وحب الانتقام⁽¹⁾.

ولذلك وجب الاهتمام بالمشاعر والعناية بها، بدءاً من مرحلة الرضاعة التي تُعدُّ انطلاقة التكوين الحقيقي لشخصية الإنسان، فكل فرد مسؤول عن تصرفاته اتجاه غيره، لأنَّ أي سلوك لا مبالي يصدر عنه قد يؤلِّد فيهم إحساساً بالضعف أو الاحتقار أو غيره، وهنا وجب على كل فرد أن يُراقب تصرفاته مع غيره خاصة مع الأطفال، وأن يراجعها حتى يتسنى له الاعتذار عليها.

إنَّ الإسلام قد حرَّم الكثير من السلوكيات القبيحة وجعل بعضها من كبائر الذنوب لأنَّ في هذه السلوكيات مساس بمشاعر الآخرين، ومن ذلك: تحريم النميمة والغيبة، والنهي عن إفزاز المسلم، والدعوة إلى ترك الشجار بين الزوجين أما الأولاد، والحث على سنَّة الرجوع عن التطويل في الصلاة عند سماع بكاء الصبي على أمه.

وبناءً على ما سبق بيانه في هذا الفصل يتَّضح لنا:

- مدى التقارب الحاصل في المعنى بين مصطلح المشاعر والعواطف والأحاسيس، وأنها جميعاً تدور ضمن مفهوم الحياة الوجدانية للإنسان.
- مدى أهمية المشاعر في حياة الإنسان من حيث تأثيرها البارز على صحته النفسية والجسمية، وسلوكه، وفي علاقاته مع الآخرين.

⁽¹⁾: يُنظر: عبد الفتاح مصطفى غنيمة: حاجات الطفل للنفس والبدن، ط2، 1994م، ص: المقدمة. محمد سلامه محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم وطرق العلاج، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م، ص: 21.

الفصل الثاني:

التعريف بمرحلة الطفولة وتقسيماتها وخصائصها.

فيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف الطفولة كمرحلة عمرية.
- المبحث الثاني: خصائص الطفل النفسية والجسمية.
- المبحث الثالث: مرحلة المراهقة وتأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه.
- المبحث الرابع: التفكير عند الطفل ومدى استيعابه لقضايا الكبار وتأثره بها.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

من أهم المبادئ التي يقوم عليها تكوين الفرد الصالح هو الاهتمام به في مرحلة طفولته، ويتحقق ذلك لمن كان على دراية بحقيقة المرحلة، ومالها من خصائص وميزات وما تتطلبه من حاجات يجب مراعاتها واحترامها.

وفي هذا الفصل نستعرض أهم المسائل المتعلقة بالطفولة، والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمشاعره وتؤثر عليها، أفردتُ لكلٍ منها مبحثاً مستقلاً، وهي:

المبحث الأول: تعريف الطفولة كمرحلة عمرية.

المبحث الثاني: خصائص الطفل النفسية والجسمية.

المبحث الثالث: مرحلة المراهقة وتأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه.

المبحث الرابع: التفكير عند الطفل ومدى استيعابه لقضايا الكبار وتأثره بها.

المبحث الأول: تعريف الطفولة كمرحلة عمرية.

ويشمل هذا المبحث على تعريف الطفل في اللغة، والاصطلاح من جهتين: من جهة التعريف الشرعي، ومن جهته عند علماء النفس؛ واشتمل أيضاً على الحديث عن مراحل الطفولة وتقسيماتها.

المطلب الأول: تعريف الطفل.

أولاً: تعريف الطفل في اللغة: (ط.ف.ل): الطُّفْلُ بالكسر: (الولد الصغير من الإنسان والدَّوَابِّ... ويكون الطُّفْلُ بلفظ واحدٍ للمذكر والمؤنث والجمع، قال الله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور/ 31] (1). وكذا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شِيوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلْيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر/ 67]. الآية فيها توضيح لمراحل حياة الإنسان بداية من لحظة التكوين مروراً بالطفولة إلى الشباب ثم الشيخوخة؛ وكلمة " طفلاً " في الآية مُفردٌ يُراد به الجمع بمعنى: " أطفالاً " (2).

(1): الفيومي: المصباح المنير، 374/2. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 402 /11.

(2): يُنظر: البغوي: معالم التنزيل، 122/4. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي - وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، 627/1.

تقول العرب: (جاريةٌ طِفْلٌ وطِفْلةٌ، وجاريتان طِفْلٌ، وجوارٍ طِفْلٌ وغلّام طِفْلٌ. ويُقال: طِفْلٌ، وطِفْلةٌ، وطِفْلانٌ، وأطفالٌ، وطِفْلَتانٌ، وطِفْلَاتٌ...)⁽¹⁾.

وفي تحديد زمن الطفولة مبدأها ومنتهاها، فقد نقل الزهري عن أبي الهيثم قوله: (الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه، إلى أن يحتلم)⁽²⁾. وهو ما صرّحت به جُلُّ معاجم اللغة العربية. وعليه فالطفولة لغةً تبدأ من لحظة التّكوين إلى حدِّ الاحتلام.

ثانياً: تعريف الطفل في اصطلاح علماء الشرع وعلم النفس.

أختلف في تعريف الطفل على عدة أقوال، أهمها:

أ- تعريف الطفل عند علماء الشرع:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الطفل هو: الصبي من حين سقوطه من بطن أمه إلى أن يحتلم.⁽³⁾ وقال الحنابلة: لفظ الطفل يطلق على الولد الصغير إلى أن يميّز فقط، ثم لا يقال له بعد ذلك طفل. بل يُطلق عليه: صبي، وغلّام، ومراهق، ويافع⁽⁴⁾. وهذه المسمّيات اعتبرها غيرهم مراحل للطفولة، ولذا يُردُّ على المذهب الحنبلي في قوله أنّ التمييز هو نهاية مرحلة الطفولة بقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالَ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾ [النور/59]، حيث سماه الله تعالى قبل الاحتلام طفلاً؛ وحديث رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنِ

⁽¹⁾: محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور: تهذيب اللغة، 235/13.

⁽²⁾: المصدر نفسه. يُنظر: أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، 919/2. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسن: معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 413/3. فؤاد أبو حطب- محمد سيف الدين فهمي: معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1984م، 26/1.

⁽³⁾: يُنظر: زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط2، دار الكتاب الإسلامي، 218/4. صالح بن عبد السمیع الآبي الأزهري: الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، 289/1. شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م، 24/2.

⁽⁴⁾: يُنظر: منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي: كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، 364/4. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي: المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، 1388هـ-1968م، 216/6.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ثلاثة:...»⁽¹⁾، ذكر منهم: "الصَّبِيَّ حتى يَحْتَلِمَ". وهذا ظاهر في أنَّ الاحتلام هو نهاية للطفولة بداية لما بعدها.

والذي أميل إليه في تعريف الطفل هو ما ذهب إليه الجمهور، وعلى قولهم يكون العمل في هذا البحث. - واختلف الفقهاء في تحديد سن البلوغ على أقوال:

فذهب الحنفية إلى القول بأنَّ البلوغ عند الغلام يكون (بالاحتلام والاحبال والإنزال إذا وطئ، فإن لم يوجد ذلك فحتى يتم له ثمان عشرة سنة عند أبي حنيفة، وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل فإن لم يوجد ذلك فحتى يتم لها سبع عشرة سنة...)⁽²⁾. وفي رواية عن أبي حنيفة أنَّ الغلام والجارية إذا تم لهما خمس عشرة سنة فقد بلغا⁽³⁾. وقالوا أنَّ أدنى مدَّة البلوغ هي اثنتا عشرة سنة عند الغلام، وتسع سنين عند الجارية⁽⁴⁾.

وذهب المالكية إلى أنَّ حدَّ البلوغ عند الرجال يكون بالاحتلام أو الإنبات، أو يأتي عليه من الزمان ما يعلم أنه لا يبلغه إلا محتملاً.

وحدَّ البلوغ عند النساء بالحيض أو الاحتلام أو الإنبات أو الحمل، أو يأتي عليها زمان ما يعلم به أنها قد بلغت في الأغلب⁽⁵⁾. أما الزمان الذي يُعلم به حدُّ البلوغ، فقليل: سبعة عشرة سنة، وقيل ثمان عشرة سنة⁽⁶⁾

(1): سبق تخريجه، يُنظر: المقدمة، ص: ب.

(2): علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني: بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، مكتبة محمد علي صبح، القاهرة، 202 / 1؛ يُنظر: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي: رد المختار على الدر المختار، ط2، دار الفكر، بيروت، 1412هـ - 1992م.

(3): يُنظر: المرغيناني: المصدر نفسه، 202/1.

(4): علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني: الهداية في شرح بداية المبتدي، ت: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

(5): يُنظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: الكافي في فقه أهل المدينة، ت: محمد محمد أحمد ولد ماديد الموريتاني، ط2، مكتبة الرياض الحديث، المملكة العربية السعودية، 1400هـ - 1980م، 331/1؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار الفكر، 1412هـ - 1992م، 59/5.

(6): يُنظر: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي: المعونة على مذهب عالم المدينة، ت: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، 1 / 1174؛ محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي أبو عبد الله المواق المالكي: التاج والإكليل لمختصر خليل، ط1، دار الكتب العلمية، 1416هـ - 1994م، 633/6.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

أمّا الشافعية والحنابلة فذهبوا إلى أنّ حدّ البلوغ خمس عشرة سنة للذكر والأنثى على السواء، أو يكون بخروج المني أو الحيض أو الحبل، في أظهر الروايات عن أحمد⁽¹⁾.

إذاً حاصل المسألة أنّ البلوغ يتحقق بظهور أحد علاماته الخاصة بكلى الجنسين، وإنما الخلاف بينهم محصورٌ في تحديد سن البلوغ، وإن لم يكن لهم فيه خلاف كبير بل كانت أقوالهم متقاربة.

ب- تعريف الطفل عند علماء النفس.

عرّف علماء النفس الطفل كلّ حسب اتجاهه وتصوره. ومن التعريفات المتداولة عنهم:

- (مرحلة من النمو تعبر عن فترة من الميلاد وحتى البلوغ، وتُستخدم أحياناً لتشير إلى الفترة الزمنية المتوسطة بين مرحلة المهد وحتى المراهقة.)⁽²⁾.

- أنّ الطفولة تبدأ من الميلاد وتمتد إلى الثانية عشرة من العمر⁽³⁾.

- أنّ الطفولة هي المرحلة التي تبدأ منذ الميلاد وحتى الرشد⁽⁴⁾.

والذي يتبيّن من خلال هذه التعريفات هو اتفاقهم في بداية مرحلة الطفولة، واختلافهم في تحديد نهايتها.

المطلب الثاني: مراحل الطفولة وتقسيماتها.

تمرّ طفولة الإنسان بمراحل، تبدأ من لحظة تكوينه في رحم أمه إلى حين بلوغه وانتقاله إلى مرحلة الرشد. ينتقل في خلالها نمو الوليد انتقالاً سلساً مستمراً، غير محسوس؛ وكل مرحلة من هذه المراحل لها تسميتها وطابعها الخاص. وقد أوجد هذا الارتباط المتشابك بين المراحل صعوبة في الاتفاق بين علماء التربية والنفس وغيرهم على تقسيم محدد، ومن ثمّ تعدّدت التقسيمات واختلفت.

(1): يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ت: علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419هـ- 1999م، 6/ 342. ابن قدامة المقدسي: المغني، 6/ 216؛ عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني أبو البركات مجد الدين: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط2، مكتبة المعارف، الرياض، 1404هـ - 1984م، 1/ 347. أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي: تنبيه النائم العَمْر على مواسم العمر، ت: قسم التحقيق بالدار، ط1، دار الصحابة، طنطا، 1411هـ- 1991م، ص: 14.

(2): فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 266.

(3): زيدان عبد الباقي: الأسرة والطفولة، ص: 117.

(4): نخبة من أساتذة قسم الاجتماع- جامعة الإسكندرية-: المرجع في مصطلحات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 55.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

والتقسيم الذي رأيته بعد نظر وتمحيص، ووجدته أكثر اعتماداً وشيوعاً - بوجه عام-، هو:

أ- **مرحلة ما قبل الميلاد:** وهي مرحلة الحمل، وتبدأ من لحظات تكوين الإنسان الأولى إلى حين الوضع؛ وتنطلق عبر سلسلة مراحل تكلم عنها القرآن الكريم والسنة النبوية، فأولها مرحلة النطفة، ثم تليها العلقة، ثم المضغة، وبعدها مرحلة التكوين، إلى أن يستقرّ المحمول جنيناً كاملاً ينتظر نمو جسده ليخرج إلى النور.

ب- **مرحلة المهد:** وتبدأ من الميلاد إلى نهاية السنة الثانية، وهي مرحلة الرضاعة، كما أشار إليها الله ﷻ في قوله: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة/233]. وسمّاها مرحلة المهد في

قوله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم/29]. وفيها يكون الولد شديد الالتصاق والتعلق بأمه.

ويمر خلالها الطفل بجملة من التغيرات النفسية والجسمية، التي تُعد في حدّ ذاتها مراحل نمو جزئية ضمن مرحلة المهد، ومنها: الأسابيع الأولى للولادة، ثم مرحلة الحبو، ثم المشي، إلى ظهور الأسنان الأولى كإعلان من الرضيع على تمام جاهزيته لاستقبال طعام الكبار.

ج- **مرحلة الطفولة المبكرة:** وتبدأ مع نهاية مرحلة المهد حتى خمس سنوات. وهي مرحلة ما قبل المدرسة، كما يسميها الدارسون في مجال التربية. وفي المنظر الإسلامي هي مرحلة الطفل غير المميز، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [النور/31]، حيث يكون الطفل فيها غير مدرك تماماً لحقائق الأمور والأشياء من حوله.

وهي المرحلة التي تزداد فيها حيوية الطفل (حيث يكتسب الخبرة والمهارة عن طريق الحركة واللعب، ويُجرب بنفسه هذا العالم الجديد المحيط به، وإذا أشبعت إحتياجاته في هذه المرحلة فإنه يزداد اطمئناناً إلى بيئته... ويزداد شعوراً بالأمن وهو يتفاعل مع أفرادها).⁽¹⁾

د- **مرحلة الطفولة المتأخرة:** وتمتد من ست سنوات إلى اثني عشرة سنة، وهي أطول مراحل الطفولة. يُطلقُ عليها البعض بمرحلة الدراسة الأولية أو الابتدائية. وهي مرحلة بداية التمييز التي يعقل فيها الطفل الكثير من الأمور ويستطيع فهمها على حقيقتها، ومن ذلك ما تعلق بموضوع العورة كما نصّت عليه الآية

(1): محمد سلامة غباري: أطفالنا: إحتياجاتهم ومشكلاتهم...، ص:50.

الكرامة وهي قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَدِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور/58].

وقيل هي مرحلة تتميز باضطراب نمو الطفل في شتى مظاهره العقلية والنفسية، والتعليمية والحركية⁽¹⁾. وقد تكون هذه الاضطرابات مقدمات تمهيدية وتحضيرية استعداداً لمرحلة المراهقة.

هـ- مرحلة المراهقة: تمتد من سن اثني عشرة سنة إلى حدّ البلوغ. وهي آخر مراحل الطفولة، وبعدها يصل الطفل إلى سنّ التكليف، أين يصبح راشداً مدركاً لعواقب سلوكياته. وهي مرحلة حسّاسة وحرحة من حياة الفرد، تكسوها تغيرات نفسية وجسدية وعقلية جليّة.

إنّ تحديد سنّ البلوغ ليكون خاتمة المراهقة يُخالف ما قدّمته المدرسة الغربية في ذلك؛ هذه الأخيرة التي عرّفت خلافاً واسعاً بين روادها؛ بين من يرى أن الثامنة عشر هو نهاية المراهقة، ومن يقول بسنّ الواحدة والعشرين أو الثلاثة والعشرين، وحيث أنّ نهاية الطفولة مرتبط بنهاية المراهقة كونها جزء منها، فقد رأى البعض أنّ نهاية الطفولة يكون مع الثامنة عشر، ومن ذلك ما نصّت عليه الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، والموقعة عام 1989م، أنّ فترة انتهاء الطفولة عند 18 سنة من عمر الفرد⁽²⁾. وهو ما تقرر في المادة: 01، بموجب اتفاقية حقوق الطفل المزمع تنفيذها بتاريخ: 2 سبتمبر 1990م⁽³⁾.

والأمر في التشريع الإسلامي أو في الاستعمال اللغوي العربي قد حُسم دون خلاف، على أن نهاية مرحلة المراهقة والطفولة معاً، يتأكّد بالبلوغ.

ويبقى في ختام الكلام عن مراحل الطفولة جميعاً وما يلزمها من حسن اهتمام ومتابعة، أنّ على الوالدين أن لا يتعجلاً نمو طفلهم بما يسبق أوانه، فالأصل أن يعيش الطفل مراحل نموه بما يلائم كل مرحلة بمتطلباتها وخصائصها. وأن لا يفرضاً عليه القيام بما هو أكبر منه سنّاً من سلوكيات وأعمال ونمط في التفكير؛ فما الداعي لاستجلاب خصائص مرحلة وتنزيلها على مرحلة قبلها؟.

(1): يُنظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: نمو وتربية الطفل (تربية - نمو - طيبة - اجتماعية)، كتب عربية، ص: 476. بلشير عمر- خلافي زاهية: العناية بالمرأة والطفل من خلال كتاب " خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين " ل: "عريب بن سعيد القرطي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر- الجزائر، ع: 11، ديسمبر 2016، ص: 134.

(2): إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: نمو وتربية الطفل، ص: 477.

(3): الأمم المتحدة: حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، ohchr.org

المبحث الثاني: خصائص الطفل النفسية والجسمية.

يُطلق على خصائص الطفل عبارة أخرى تُعرف بـ: "حاجات الطفل". وهي تُعبر في مجملها عن أحوال الطفل وتطوراتها النفسية والجسمية، وما يحتاجه في كل مرحلة من مراحل طفولته. وقد أعطى القائمون على تنشئة الطفل وتربيته عناية كبيرة بموضوع الحاجات النفسية والجسمية، فُصِّد استثمار صحة تامة للجانبين له. وفي هذا المبحث أحاول تسليط الضوء على بعضها:

المطلب الأول: الخصائص النفسية للطفل.

عدم وجود صحة نفسية عند الفرد يعني ملاحظة ضعف عام على صحته. ولذلك كان الاهتمام بالجانب الانفعالي النفسي ضرورة لا بدَّ منها.

وصحة الطفل النفسية تنمو تدريجياً عبر مراحل طفولته، فنجد أن لكل مرحلة خصائص نفسية تميزها عن غيرها، تتوسع دائرتها وتتأثر بالظروف المحيطة به.

وأبرز الاحتياجات النفسية للطفل في مجمل مراحل العمرية: (... الحب، والأمن، واحترام الذات، واللعب، والتقدير، والنجاح، والاستقرار، ووجود المثل الأعلى، والسلطة الموجهة المرشدة الضابطة،... كما تحدد حقوقه في الوقاية من المخاوف المختلفة...⁽¹⁾؛ وتفصيلها بشكل عام حسب كل مرحلة، كالتالي:

- في مرحلة الطفل الرضيع: يلاحظُ عنه بعض الانفعالات النفسية اتجاه ما يجري عليه أو حوله من أحداث، أبرزها البكاء المُعبر عن الحاجة إلى الطعام، أو الرغبة في التخلص من فضلات جسمه، أو البكاء عند سماع الأصوات الصاخبة، إلى جانب رغبته في ملازمة أمه له وبقائها إلى جانبه، و(قد توصلت بعض نظريات النمو النفسي إلى أن الطفل يُولد وهو مزود بانفعالات ثلاثة هي:

- الخوف: عندما يسمع صوتاً عالياً مفاجئاً، أو من شعوره بالسقوط من مكان مرتفع.

- والغضب: عندما يُعاق نشاطه بتثبيت قدمه أو يديه أو منعه من التحرك.

- والحب: عندما تضمه أمه إلى صدرها أو عند مداعبته واستجابته لها.⁽²⁾

ومع عملية الحب وأولى خطوات المشي، يبدأ الطفل باكتشاف ما حوله عن طريق حواسه، بمحاولة لمس كل ما يلقاه، وتحديد العين في كل جديد يراه، تعبيراً منه عن حاجته للمعرفة والاكتشاف.

⁽¹⁾ محمد سلامة غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم ...، ص: 37.

⁽²⁾ أحمد علي بديوي محمد: في نمو الإنسان وتربيته، ط1، دار العلم والإيمان، الإسكندرية، 2008م، ص: 113.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

- وينمو الطفل ليدخل **مرحلة الطفولة المبكرة**، وعندها تتسع دائرة مشاعره وانفعالاته الضيقة لتضم إليها مشاعر جديدة. وهي (التي تسمى أحياناً بالمرحلة العاطفية، حيث يتمركز وعي الطفل فيها على المسائل العاطفية، أي يبدأ في اكتشاف مشاعره ويتعلم معناها، كما يتعلم كيف تؤثر تلك المشاعر في الآخرين، وكيف يتحكم فيها من خلال التجارب التي يمر بها...⁽¹⁾).

ويوجه الطفل مشاعر الحب نحو والديه وبالذات نحو أمه، فيكون في هذه المرحلة أكثر تعلقاً بها، ويظهر ذلك في ملاحظته لخطواتها، وجلوسه جنبها، وتمعنه فيما تصنعه؛ ولذلك يحرص علماء التربية على ضرورة قضاء الطفل سنواته الخمس الأولى مع أمه، لأنها تمده بما يحتاجه من حنان وعطف، ناهيك على أنها المعين الذي يستقي منه التعاليم الإسلامية الأولية، والآداب، والأخلاق. ثم تتسع دائرة الألفة والمودة عند الطفل لتشمل تدريجياً الإخوة والأقارب وبعض الأصدقاء.

- و) تتميز انفعالات الطفل في هذه المرحلة بسرعة التغير والتقلب والتناقض أحياناً، والانتقال من انفعال إلى آخر، فتجده يغضب بشدة لأتفه الأسباب، ويثور أيضاً، وينفعل وسرعان ما يعود إلى حالة الهدوء.⁽²⁾ ومن مظاهر النمو الانفعالي لهذه المرحلة وجود الغيرة بين الإخوة والأقران، خاصة في حال قدوم مولود جديد للأسرة. وتعبّر عنها عدّة سلوكيات، منها مصُّ إصبعه، أو التبول اللاإرادي، أو اللجلجة في الكلام، وقد يكون منه الضرب لأخيه أو أخذ لبعض أغراضه، استرداداً لملكه ومكانته المسلوقة. وفي هذا كله انتكاساً لمرحلة المهد. وتزداد الغيرة حدة إذا كان الوالدان لا يجيدا التعبير عن الحب والعطف إلا للطفل الرضيع، وقد تصاحبه الغيرة حتى الكبر إذا لم يحسن الوالدان فك عقدها.

ويظهر لدى الطفل في السنتين الأخيرتين من هذه المرحلة الشعور بالخوف. كالخوف من الظلام، أو الخوف من بعض الحيوانات، أو توهم وجود من يتحول بالبيت وحوله؛ وفي هذه الحالة يكون دور الوالدين ضروري لزرع الأمن والطمأنينة في نفسه، وهي تعدّ من أبرز احتياجات الطفل النفسية في جميع المراحل. ومما يميّز هذه المرحلة ظهور العناد، الذي يُعتبر (من النزعات العدوانية، وهو سلوك سلبي وتمرّد ضد الوالدين، وانتهاك لحقوق الآخرين، وهو محصلة للتصادم بين رغبات الطفل وطموحاته وأوامر الكبار

⁽¹⁾: محمد سلامة غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم ...، ص: 52.

⁽²⁾: أحمد علي بديوي محمد: في نمو الإنسان وتربيته، ص: 118. ينظر: حصة بنت محمد بن فالح الصغير: تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربيواً، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1429هـ-2008م، ص: 41.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ونواهيهم⁽¹⁾. ورغم أنه من السلوكيات الطبيعية فإنّ معالجته ضرورة لا بدّ منها، حتى لا يرسخ فيه ويزداد حدةً؛ ويتحقق هذا بأحد الأساليب المتاحة والموصى بها.

وينتقل الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة إلى خصائص نفسية جديدة، يستقر معها انفعالياً (...ويتجه نحو الهدوء والثبات والاستقرار شيئاً فشيئاً، ويبدأ الطفل في تجميع انفعالاته حول موضوع معين لتكوين ما يسمى بالعواطف أو العادات الانفعالية، فإن سلوك الطفل في هذه المرحلة يمتاز بشيء كبير من الاعتدال وضبط النفس...⁽²⁾).

ويظهر على طفل هذه المرحلة حُبّه للعب الجمعي، كما تظهر عليه بعض أنماط السلوك الاجتماعي كرجته في تولي المسؤولية وحب الزعامة، والميل إلى تقديم المساعدة، كما يُفضّل الصمت أكثر والسكون؛ وفي حالة الغضب فإنّه يعبر عنه بانفعال الضيق والضحجر. هذه المرحلة بهذه الخصائص هي مَعْنَم يجدر بالوالدين استغلالها لترسيخ هذه السلوكيات الطيبة في ابنهم الناشئ على قواعد سليمة.

وتزداد حاجة الطفل للتعرف على محيطه، فتكثر أسئلته عن الخالق والكون وأصل الإنسان ومصيره، والسؤال عن كل ما يحيط به؛ وربما تكون أسئلته مزعجة لكثرتها وتفاهتها أحياناً، ورغم ذلك يُنصح الوالدان بالصبر، والإجابة عليها بصدق وعلى قدر فهم الطفل، فهي بداية نشاط فكري يأخذه لفهم عالمه.

أمّا المراهق فالغالب على سلوكه هو سرعة الانفعال سواء بالسلب أو الإيجاب، أو بالحزن أو الفرح، وغالباً ما يُدرك أنّ مشاعره قد كانت تحت سيطرة الخيال الذي تسلّل إلى فكره، واختلط مع الواقع فتسبّب في اختلال تصور المراهق لما يجري حوله؛ وكثيراً ما يلاحظ المراهق منزويًا لوحده مصطحباً معه مشاعر الحزن والأسى من الآخرين أو الغضب لأسباب مجهولة؛ ولذلك فإنّ المراهق بحاجة إلى صُحبة خاصة وحكيمة من أحد والديه حتى يتمكن من التخلص من شحنات المشاعر السلبية، وتتمين المشاعر الايجابية.

ومن أبرز الحاجات النفسية التي تلزم الطفل في عموم مراحل طفولته: الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، الحاجة إلى المحبة والعطف، الحاجة إلى التكريم والتقدير، الحاجة إلى سلطة ضابطة وموجهة، والحاجة إلى النجاح والتشجيع⁽³⁾.

⁽¹⁾: أحمد علي بديوي محمد: في نمو الإنسان وتربيته، ص: 120.

⁽²⁾: المرجع نفسه، ص: 127.

⁽³⁾: يُنظر: حصة بنت محمد بن فالح الصغير: تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً، ص: 61.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

ويبقى أنّ الطفل عموماً يكتسب مظاهر الصحة النفسية من: السرور والبهجة، والشعور بالطمأنينة، فقط بمجرد حصوله على بعض الأمور التي قد يراها الكبار بسيطة، ك: تكوين صداقات جديدة، أو التفوق في المدرسة، أو زيارة الأقارب، أو حصوله على ملابس وألعاب جديدة، ويكون مسروراً عند تحقيقه لرضا والديه وثنائهما عليه.

المطلب الثاني: الخصائص الجسمية للطفل.

يُطلق على الخصائص الجسمية باسم الخصائص البيولوجية أو الحاجات البيولوجية، وهي تعالج موضوع التطورات الجسمية للطفل وحقوقه المتصلة بها، سواء كانت حاجات مادية كالأكل المناسب، أو حاجات معنوية كالحماية من المخاطر، أو الحرية في الحركة والنشاط الذي يتماشى مع نموه الطبيعي. ويزود الطفل من حين ولادته بخصائص جسمية تتطور وتنمو عبر مراحل طفولته.

فبدايةً من مرحلة الرضاعة التي كان من حظّ الرضيع فيها النمو السريع لأطرافه وحركاته، خاصة في السنة الأولى من طفولته، حيث نلمح تطوراً جديداً من شهر لآخر. فمن الحركة السريعة والعشوائية لليدين والرجلين، إلى تدوير الرأس اتجاه الصوت المسموع، ومحاولة إمساك ما يُقدم له، إلى أن تظهر عليه القدرة على الجلوس، وتليها الرغبة في الحبو، ومن بعده المشي تلبية لحاجته في التنقل والحركة، وقد يحدث له تأخر في المشي إلى بداية السنة الثانية. كل هذا قد يتحقق للطفل الرضيع في السنة الأولى فقط من عمره.

ومن الخصائص البيولوجية التي تأكدت للطفل في هذه المرحلة، أنّ (...تنفسه ضعف تنفس الراشد، ويُدقُّ قلبه 120 نبضة في الدقيقة (الراشد 70-80)، ويُخرج البول 18 مرة يومياً. وتكون حركة الأمعاء لديه سبعة أضعاف حركتها عند الراشدين، ولكي يُعَدَّ نفسه ويُدَّخر طاقته لاستمرار بذل هذا الجهد ينام 14-18 ساعة كل 24 ساعة، ذلك أن حركة الوليد مثلاً بالنسبة لوزن جسمه تُعادل ثلاثة إلى أربعة أضعاف حركة الراشد بالنسبة لوزن جسمه).⁽¹⁾

ويمتاز الطفل في المرحلة الثانية: مرحلة ما قبل المدرسة بالنمو السريع في أطرافه جريباً على سابقتها، حيث يحقق زيادة سنوية في طوله قدرها 7سم، وفي وزنه 2 كلغ تقريباً، ولذلك يحاول الطفل في هذه المرحلة

⁽¹⁾ محمد عماد الدين إسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع - النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، عالم المعرفة، الكويت، 1986م، ص: 35. يُنظر: عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ط3، دار الفكر، الأردن، 1419هـ-1999م، ص: 117.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

استعراض بعض مهاراته في المشي والركض وربما التسلق أيضاً⁽¹⁾، ويزداد نشاطه بشكل لافت للانتباه استجابة لحجم الطاقة الكامنة داخله وحاجته الملحة للحركة واللعب.

ولذلك فإنَّ أهم ما يُناسب الطفل في هذه المرحلة هو النشاط الحركي الحر الذي يتيح له التعبير عن مشاعره وأفكاره المتنوعة، وفي هذا فرصة كبيرة للمربي أو الأخصائي ليعرف حقيقة المشاعر التي تختلج الطفل حتى يوجهه التوجيه السليم فيما يحتاج فيه إلى توجيه.

ويلاحظ أنّ حاسّة الإبصار تزداد عنده نشاطاً، ويُعرف ذلك من خلال حركة عينية التي تحاول تتبع كل شيء والتدقيق فيه، والانتباه لكل جديد، استجابةً لغريزة حب الاستطلاع.

ثمَّ يُقلُّ نموه الطولي تدريجياً كلما كَبُرَ، حيث يصبح متوسط الزيادة السنوية في الطول 5سم تقريباً، مع بقاء الزيادة في الوزن على مقدارها السابق (2 كلغ)، ويكون هذا في مرحلة الطفولة المتأخرة فيلاحظ عليه الامتلاء في جسمه -نوعاً ما-⁽²⁾، والصبيان في هذه المرحلة أطول من البنات وأقوى في العموم؛ ولأنها مرحلة الالتحاق بالمدرسة وبداية التردد عليها صباحاً ومساءً، وبالتالي سيحتاج إلى جسد قوي لاحتمال النشاط الكبير الذي ينتظره. وفي ضمن هذا التردد على المدرسة سيجد الولد نفسه قد دخل معترك الحراك اليومي مع العالم الخارجي، وأصبح عليه أن يقود زمام أموره بنفسه بعيداً عن الوالدين اللذين سينحصر دورهما فيما بقي من مراحل على المتابعة والتوجيه، هذا لأنّ من خصائص هذه المرحلة أن النمو الحسيحركي والنمو العقلي واللغوي، وكذا الإدراكي يقترب في نهاية هذه المرحلة إلى مستوى النضج⁽³⁾.

وفي هذه الخصائص والمهارات يتفاوت الأطفال من حيث الاستعدادات والقدرات. ثم إنَّ هذا المستوى من النضج الذي نتحدث عنه إنما هو استعداد للدخول في مرحلة مهمة من الطفولة وهي "المراهقة"، والتي تُعدُّ في حدِّ ذاتها نقطة تحول من مرحلة عمرية إلى أخرى.

أهم ما تمتاز به المراهقة من خصائص جسمية: هو حدوث نشاط لبعض الغدد التي تفرز الهرمونات، حيث تعمل على إحداث بعض التقلبات والتغيرات في جسمه. فيدخل الأطفال الذكور في مسار التحول

(1) يُنظر: محمد سلامة غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم..، ص:52. عزيز سمارة: سيكولوجيا الطفولة..، ص: 118.

(2) محمد سلامة غباري: المرجع نفسه، ص:52.

(3) عبد الظاهر الطيب - رشدي عبده حنين - محمود عبد الحليم منسى: التلميذ في التعليم الأساسي، دار المعارف، الإسكندرية، ص: 07.

نحو سمات الرجولة، والإناث نحو مظاهر الأنوثة المكتملة.

وهذه التغيرات الناجمة عن نشاط الهرمونات خاصة الجنسية، تُحدث في نفس المراهق اختلالاً انفعالياً يظهر على سلوكه، فتارةً تجده ينشط كثيراً ويسعى بنفسه نحو الأعمال ليشارك بها، وتارةً أخرى تجده يميل إلى الكسل والعصيان دون مبرر.

ويسعى المراهق لتكوين صداقات جديدة واحتكاك مع الآخرين من داخل العائلة وخارجها، كما يمتلكه الفضول لمعرفة الكثير عن حياتهم، ولكن في غالب الأوقات يُرى المراهق وهو منعزل، يسعى للبعد عن الواقع والهروب إلى عالم الخيال الذي يستعين فيه ببعض أحداث الواقع الذي يعيشه، ليبني لنفسه حياة خاصة على الوجه المثالي الذي يراه؛ وربما هذا الهروب عبارة عن إجراء وقائي فطري، لجعل المراهق يتعد عن انتقادات المحيطين به، والتي قد تكثر بسبب ما يجري عليه من اضطرابات انفعالية سلوكية.

وخلاصة القول: إنَّ مرحلة الطفولة هي مرحلة الطاقة والنشاط، الذي يصبُّه الطفل في اللعب والحركة، ولذلك ينبغي أن ينظر الوالدين بشكل خاص، والمربين بشكل عام إلى حركة الطفل على أنها سلوك صحي فطري، لأنَّ الطفل الهادئ على الدوام ونادر الحركة هو طفل غير طبيعي، ينبغي علاجه بأساليب وطرق تدفعه إلى النشاط والحركة.

ومن خلال هذا تتضح العلاقة الوطيدة بين الحياة النفسية للطفل وصحته الجسمية. ذلك أنَّ حركة الطفل إمَّا أن تكون طبيعية تتماشى مع سنِّه وقدرته وأقرانه، وهذا يبشر بصحة نفسية؛ وإمَّا العكس، ويكون هذا إمَّا بالإفراط في الحركة إلى حدِّ التخريب والعدوانية. أو التفريط فيها بالهدوء المطلق والخمول ممَّا يُنذر بوجود مرض نفسي يجب علاجه كالتوحد.

المبحث الثالث: مرحلة المراهقة وتأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه.

قد يتبادر إلى فكر البعض أنّ الحديث عن المراهقة في وقت كثرت الكتابات والمؤلفات عنها سواء من المتقدمين أو المتأخرين، يحمل في طياته تكراراً لما تقرر عندهم، ولكن لما نعلم أنّ قد وقع خلاف واسع حول أكثر عناصرها أهميةً وحساسيةً، حين ذلك يكون من الواجب على كل باحث أن يُسطر رأيه ويؤكد ما تقرر عنده في موضوعها.

وها هنا نحاول طرح هذه العناصر، بالنظر إلى أبرز الأقوال المطروحة، وأكثرها اعتماداً في بيان مرحلة المراهقة، ثم الترجيح بينها، وبيان أصحّها وأقربها لطبيعة المراهقة وحقيقتها، وذلك بالاعتماد على ما ورد من النصوص الشرعية التي أقرّها الخالق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وما نصّ عليه رسول الله ﷺ في سنته الشريفة. كل ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف المراهقة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تحديد زمن المراهقة بين الدراسات الإسلامية والدراسات الغربية.

المطلب الثالث: تأثير المراهقة على مشاعر الطفل وسلوكه.

المطلب الأول: تعريف المراهقة في اللغة والاصطلاح.

1- المراهقة لغةً: المراهقة من فعل (رَاهَقَ)، يُقال: رَاهَقَ الغلام، يُراهق، مُراهقَةً، فهو مُراهق. والمراهق هو: (الغلام الذي قد قارب الحلم، وجارية مُراهقة. ويُقال: جارية رَاهِقَةٌ وغُلامٌ رَاهِقٌ، وذلك ابن العشرة إلى إحدى عشرة⁽¹⁾). وهو المعنى الذي أجمعت كتب اللغة العربية على ذكره.

2- المراهقة اصطلاحاً: إذا كان علماء اللسان العربي أصحاب المعاجم والدواوين قد وصلوا إلى معنى واحد ومشارك لكلمة "مراهقة"، فإنّ المعنى الاصطلاحي لها قد وقعت فيه مفارقات كبيرة تعود في مجملها إلى طبيعة المدرسة التي استمد منها كل مفكر أو مربي فكرته وقناعته؛ وأكتفي في هذا المقام الداعي إلى الاختصار، إلى ذكر بعض ما جاء في تعريف المراهقة من المنظور الشرعي.

(1): ابن منظور: لسان العرب، 10/130. يُنظر أيضاً: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي أبو منصور: تهذيب اللغة، 5/260. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، 2/797. مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، 25/383. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: غريب الحديث، ت: عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ، 2/163.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

وُجِدَ من خلال البحث والاستقراء أنَّ الاستعمال الاصطلاحي الشرعي للكلمة يُوافق التعريف اللغوي. قال ابن القيم الجوزية: (... ثم بعد العشر إلى سن البلوغ يسمى مراهقاً ومناهزاً للاحتلام، فإذا بلغ خمس عشرة سنة عرض له حالٌ آخر).⁽¹⁾ أي: دخل البلوغ فانتهدت المراهقة وصار مكلفاً. وعَرَّفَ الجرجاني "المراهق" بقوله: (صبي قارب البلوغ، وتحركت آلتُه واشتهى)⁽²⁾. وهو ما ذكرته الموسوعة الفقهية الكويتية كواحدة من أبرز الدراسات المعاصرة، من أنَّ وصف "المراهق" يتحقق: (إذا قارب العُلامُ الإحتلامَ ولم يُحتلم...)⁽³⁾. وعلى هذا، لا نجد خلافاً بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي الإسلامي، ممَّا يؤكِّد أنَّ الكلمة المُعرَّفة قد وُضعت في نصابها الصحيح.

المطلب الثاني: تحديد زمن المراهقة بين الدراسات الإسلامية والدراسات الغربية.

اختلفت الأقوال في تحديد زمن المراهقة، بين ما أقرَّته المعاجم اللغوية والدراسات الإسلامية: الفقهية، والتربوية النفسية؛ وبين ما تداولته الدراسات والأبحاث النفسية الغربية على اختلاف مدارسها ومناهجها؛ حول من يجعل البلوغ نهاية للمرحلة، ومن يجعله بدايةً لها. وتوضيح ذلك فيما يلي:

أولاً: المراهقة من المنظور الإسلامي:

ذهب الفقهاء وبعض المشتغلين بحقل التربية إلى أنَّ المراهقة هي مرحلة من مراحل الطفولة تنتهي قبيل البلوغ، مستدلين على ذلك بجملة من النصوص الشرعية ومواقف لشخصيات تاريخية، إلى جانب الإطلاق اللغوي للكلمة؛ وسأذكر هنا ما تيسر من أقوالهم في حقيقة المراهقة وتحديد زمانها: جاء عن أئمة المذهب الحنفي قولهم: (... يُقال رَهَقٌ من كذا أي دَنَا منه، وصبي مراهقٌ دنا من البلوغ...)⁽⁴⁾.

(1): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة دار البيان، دمشق، 1391هـ- 1971م، 1/ 297.

(2): علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1403هـ- 1983م، ص: 208.

(3): وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، ط2، دار السلاسل، الكويت، 1404- 1427هـ، 6/ 252.

(4): ابن نجيم المصري: البحر الرائق، 8/ 96. يُنظر أيضاً: باين عابدين: رد المختار على الدر المختار، 6/ 154.

وقال مالك في المدونة في مسألة حجِّ المراهق: (قُلْتُ: أَرَأَيْتَ الصَّبِي يُحْرَمُ بِحِجَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلِمَ وَهُوَ مَرَاهِقٌ، ثُمَّ احْتَلِمَ عَشِيَةَ عَرَفَةَ وَوَقَّفَ، أَوْ قَبْلَ عَشِيَةِ عَرَفَةَ بَعْدَمَا أَحْرَمَ. أَيْجِزُهُ مِنْ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ؟. قال: قال مالك: لا يُجِزُهُ مِنْ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَمْ يُحْرَمَ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلِمَ...)⁽¹⁾.

وهو ما قال به أصحاب المذهب الشافعي⁽²⁾، والمذهب الحنبلي⁽³⁾، ومن ذلك ما نصَّ عليه الآمدي في كتابه الإحكام، قال: (... كالصبي المُميز والمراهق الذي لم يَبْقَ بينه وبين البلوغ سوى الزمان اليسير. فلا تقبل روايته...)⁽⁴⁾.

و من المعاصرين تكلم وهبة الزحيلي عن سنِّ المراهقة عند ذكره شروط مستحقي الزكاة ما نصَّه: (أن يكون بالغاً عاقلاً حرّاً: فلا تُجزئ لعبد اتفاقاً، ولا تجزئ عند الحنفية لصغير غير مراهق (ما دون السابعة) ...)⁽⁵⁾. ومن الأدلة الجاري اعتمادها لهذا الرأي:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/59]؛ قال الماوردي في تفسير الآية: (ثم أوجب على من بلغ من الصبيان الاستئذان إذا احتلموا وبلغوا لأنهم صاروا بالبلوغ في حكم الرجال)⁽⁶⁾، ويدخل في الطفل الذي لم يبلغ الحلم، الطفل المراهق الذي وجب عليه الاستئذان لأنه صار مميزاً.

⁽¹⁾: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني: المدونة، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1994م، 1/ 407. يُنظر أيضاً: محمد بن يوسف المواق المالكي: التاج والإكليل لمختصر خليل، 8/ 378. محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، 129/1.

⁽²⁾: يُنظر: محيي الدين يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا: المجموع شرح المهذب، دار الفكر، 20/ 292. وله أيضاً: روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، 1412هـ- 1991م، 10/ 243.

⁽³⁾: يُنظر: محمد بن أحمد بن علي البهوتي الخُلُوتِي: حاشية الخُلُوتِي على منتهى الإرادات، ت: سامي بن محمد بن عبد الله الصقير ومحمد بن عبد الله بن صالح اللحيدان (أطروحتا دكتوراة للمحققين)، ط1، دار النوادر، سوريا، 1432هـ- 2011م، 3/ 563.

محمد بن صالح بن محمد العثيمين: الشرح المتمتع على زاد المستقنع، ط1، دار ابن الجوزي، 1422هـ- 1428م، 11/ 14.
⁽⁴⁾: سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، 2/ 71.

⁽⁵⁾: وهبة بن مصطفى الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ط1، دار الفكر، دمشق، 3/ 1971.

⁽⁶⁾: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: تفسير الماوردي - النكت والعيون-، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 4/ 121.

- وحديث رسول الله ﷺ: «رُفِعَ القلم عن ثلاث: ...»⁽¹⁾. منهم: وعن الصبي حتى يحتلم، أي أن المراهق غير مكلف حتى يبلغ، وتكليفه دليل على نُضجه.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قال لأبي طلحة: «إِتمس غُلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج خبير». فخرج بي أبو طلحة مُرَدَفِي، وأنا غلامٌ راهقُ الحُلْم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ، إذا نَزَلَ...»⁽²⁾.

- وحديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «أقبلتُ ركباً على حمارٍ أتان، وأنا يومئذٍ قد ناهزتُ الاحتلام، ورسول الله ﷺ يُصلي بمئى إلى غير جدارٍ، فمررتُ بين يدي بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك عليّ.»⁽³⁾، قال ابن حجر في شرح الحديث: (... وقال فيه إنه كان ناهزَ الاحتلام أي قاربه ...) ⁽⁴⁾. أي أنه مراهق.

- حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: «عَرَضَنِي رسول الله ﷺ يوم أُحُد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجْزِي، وعَرَضَنِي يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني، قال نافع: فقدمتُ على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذٍ خليفة، فحدثتهُ هذا الحديث، فقال: إن هذا لحدٌ بين الصَّغِير والكبير، فكتبَ إلى عَمَّالِهِ أن يَفْرِضُوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة، ومن كان دُونَ ذلك فَاجْعَلُوهُ في العِيَالِ»⁽⁵⁾. إن هذا الحديث لمن أقوى الأدلة على وَعِي الصبي ونبوغه بعد بلوغه، ونزوله منزلة الرجال في كبرى المعتركات.

ولذلك وجدنا رسول الله ﷺ قد عين أسامة بن زيد قائداً على جيش عظيم فيه أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ثمان عشرة سنة؛ وتوفي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وهي بنت ثمان عشرة سنة، وقد استفاض العلم الذي أخذته عن رسول الله ﷺ في شتى المجالات.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: المقدمة، ص: ب.

(2): البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، من غزا بصبي للخدمة، ح(2893)، 36/4.

(3): البخاري: الصحيح، العلم، متى يصح سماع الصغير؟، ح(76)، 26/1.

(4): أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 346/2.

(5): مسلم: الصحيح، الإمارة، بيان سن البلوغ، ح(1868)، 1490/3.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

وعلي بن أبي طالب عليه السلام، الذي أعلن إسلامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فأدرك بعقله الناضج وقلبه الواعي أنه الدين الذي يجب إتباعه، ورغم كونه مراهق آنذاك!، إلا أن مراهقته لم تمنعه من إدراك الحق؛ والأرقم بن أبي الأرقم عليه السلام، الذي فتح داره للدعوة في فترة كانت في المرحلة سرية، وعمره ست عشرة سنة. فأين هي مراهقة هؤلاء، ومن على شاكلتهم؟. هل ظلمتهم السنن الكونية، فسلبتهم مرحلة المراهقة، وقفزت بهم إلى مرحلة الرشد مباشرة. أم أن الواقع المعيش في ظل تحول المجتمعات وتأثرها بالعلمانية، هو الذي أعطى لشبابه فرصة موسعة لتمديد هذه المرحلة.

ويبقى التأكيد على أن الشريعة في نصوصها وأحكامها الفقهية، إلى جانب ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع فئة المراهقين والفتيان البالغين قد جعلت المراهقة واحدة من مراحل الطفولة تنتهي بانتهائها، ولا تختص بها أحكام تُراعى فيها حالته النفسية أو تسمح له بممارسات غير شرعية من باب خصوصية المرحلة، بل وجدنا فيها التدب إلى تدريب المراهق على بعض الأحكام قبل بلوغه كالصلاة والصوم.

ثانياً: المراهقة في الدراسات الغربية.

اتفق أصحاب المدرسة الغربية في أكثر أقوالهم على أن البلوغ هو بداية المراهقة، لكنهم اختلفوا في تحديد نهايتها. وبيّن هذا ما جاء عنهم من تعاريف، منها:

قولهم أن: (المراهقة تُطلق على مرحلة تبدأ بالبلوغ وتستمر حتى مرحلة النضج ويقتصر معنى البلوغ على النمو الفسيولوجي والجنسي، ويصبح الفرد فيها قادراً على التناسل وحفظ سلالته).⁽¹⁾

وقيل هي: (مرحلة تبدأ بظهور علامات النضج الجنسي في جوانب النمو الجسمي والاجتماعي وتنتهي عندما يقوم الفرد بتولي أدوار الكبار في أغلب الأحوال على أنه شخص بالغ).⁽²⁾

وهناك من وضع لها نطاقاً عمرياً معيناً، فقال تبدأ من سن 11-13 سنة تقريباً، وتنتهي في سن 18 إلى 21 أو 23 سنة تقريباً⁽³⁾.

⁽¹⁾: حسان سخسوخ: محاضرات في الصحة النفسية للطفل والمراهق: لطلبة السنة الثالثة -توجيه وإرشاد (ل.م.د)، جامعة محمد لامين دباغين- قسم علم النفس وعلوم التربية-، سطيف 2، 2014-2015م، ص: 45.

⁽²⁾: المرجع نفسه.

⁽³⁾: يُنظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة نمو وتربية الطفل (تربوية- نمو- طبية- اجتماعية)، ص: 653. خالصة البطاشية: المراهقة مفهومها وحاجاتها المختلفة، نفسياً وجسدياً وعاطفياً، وزارة التربية والتعليم- المديرية العامة للبرامج التعليمية-، سلطنة عمان، ص: 03.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

وأطلق آخرون على المراهقة التي تبدأ من سنّ العاشرة إلى الرابعة عشرة اسم "المراهقة المبكرة"، أو "المراهقين الصغار"⁽¹⁾، أي أنّ المراهقة الحقيقية تبدأ بعد الرابعة عشرة.

وعرّفها "فرويد"⁽²⁾ زعيم مدرسة التحليل النفسي، بأنها مرحلة تبدأ من البلوغ وتنتهي متى اكتمل النضج الجنسي بالمفهوم النفسي. ويرى "فرويد" أنّ المراهق تُسيطر عليه جملة من الاضطرابات النفسية، مثل: الحزن والكآبة، ولكنه يستطيع حل الأمر عند إرجاعها جميعاً إلى الناحية الجنسية⁽³⁾.

في حين وصل "ستانلي هول"⁽⁴⁾ الذي قيل أنّه أول من أفرد المراهقة بالدراسة سنة 1904م، وصل بعد بحثه، إلى أنّ المراهق إنسان مريض نفسياً، يمكن وصفه بالحالة المستيرية المتقلّبة⁽⁵⁾. وعلى فكرته سار تلميذه "ستارليك" الذي وصف المراهقة على أنّها مرحلة شذوذ في السلوك تستمر على حالها حتى النضج⁽⁶⁾.

ويحصر علماء النفس الغربيون مرحلة المراهقة في كونها مرحلة انتقالية، ينتقل فيها الإنسان من الطفولة، التي تمثل مرحلة الحياة اللاجنسية إلى الرشد وهو مرحلة الحياة الجنسية، ولذلك لا بد من تهيئة المراهق ليتسنى

⁽¹⁾: U.S. Department of Education, Office of Communications and Outreach: Helping your child –through early adolescence, 2005, p:01.

⁽²⁾: سيجموند فرويد (1856-1939): طبيب نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي، أثارت نظريته في تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة الأولى سخط أطباء الأمراض العقلية وعدد ممن كاموا قد انظموا إلى حركته؛ حاول تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها. من أهم كتبه: "تفسير الأحلام"، "مدخل إلى التحليل النفسي"، "معالم التحليل النفسي". يُنظر: ياسين صلاواقي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ- 2001م، 2580/6

⁽³⁾: سيجموند فرويد: ثلاث مقالات في النظرية الجنسية، ت: سامي محمود، دار المعارف، القاهرة، ص: 61.

⁽⁴⁾: ستانلي هول (1846-1924): دكتور طبيب، من علماء النفس بأمريكا، كان منذ أيام دراسته حتى وفاته، مهتماً بالفلسفة وعلم النفس والتعليم والدين، حيث ساهم في تأسيس جمعية علم النفس الأمريكية، وفي عام 1904 أسس مجلة علم النفس الديني، ثم في عام 1917 مجلة علم النفس التطبيقي. كما درّس وكتب وألقى محاضرات. وقد وهب هول حياته للأنشطة التي كان يعتقد أنّها ستطور علم النفس والإصلاح التربوي بشكل استثنائي، ومن أشهر كتبه: "مرحلة المراهقة". يُنظر:

Edward L. Thorndike: Biographical memoir of Granville Stanley Hall (1846-1924), National Academy of sciences biographical memoirs. Volume XII fifth memoir. presented to the Academy at the annual meeting, 1925. P.135 et page suivantes.

⁽⁵⁾: عبد الله الطارقي: دعه فإنه مراهق- قراءات في تحديد مصطلح المراهقة، ط1، دار كنوز المعرفة، جدة، 1432هـ- 2011م، ص: 50.

⁽⁶⁾: المرجع نفسه.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

له الانتقال السليم لذلك؛ يُصرّح بهذا الرأي أحد القائلين به، فيقول: (وبغض النظر عن العمر المحدد للوصول إلى عالم الرشد، فإنّ المغزى بشكل عام يبقى واحداً، فالفرد ينفصل عن العالم اللاجنسي للطفولة ويؤهل للجنسية الراشدة والمسؤولية الأخلاقية الراشدة، ويُمنح الترخيص لكي يكون كبيراً يقوم بمهمة جنسية ضمن شروط إدخاله إلى النظام الأخلاقي، وفي طقوس الانتقال جميعها، وخصوصاً تلك المرتبطة بالبلوغ يتداخل العالمان: الجنسي والأخلاقي).⁽¹⁾

وفي هذا الانتقال كما يتصوره أصحاب هذا الرأي انفصال بين العالمين: عالم الطفولة، وعالم الرشد؛ لذلك يكون على الطفل التخلي عن ماضيه والولوج إلى عالم المستقبل، عالم الإدراك الكامل للإمكانيات الجنسية والأخلاقية عند الراشد، ويبقى عليه تخليد ما كان قيماً فقط من طفولته. أما المشاعر والعواطف التي كانت تربطه بوالديه ومن حوله في مرحلة الطفولة، فإنها تدخل في صندوق الماضي الذي يجب إقفاله⁽²⁾.

ثالثاً: تصويب للمسألة.

إنّ ما قرّره علم النفس الغربي من إطلاقهم مرحلة المراهقة على غير زمانها من عمر الإنسان، وتصويرها بصورة وطبيعة غير صورتها التي سنّها الله ﷻ في خلقه، يوافق ما سرّت عليه عاداتهم وطبيعة حياتهم، من انحلال خلقي وانغماس في الشهوات، وهو أمر خاص بهم؛ وما كان لهذا الفكر وهذه العادات أن تؤثر على المجتمعات العربية الإسلامية لولا وجود تلك الطبقة من أبناء المسلمين التي تأثرت بهذا الفكر، واجتهدت في نقله خاماً إلى الجامعات والمعاهد العربية عبر العلوم الإنسانية دون تمحيص وتنقيح. فأنحرفت بالمصطلح ومضامينه بعيداً عن الاستعمال اللغوي والشرعي له، وصارت الفكرة الغربية عن المراهقة هي السائدة في الوقت الحاضر لدى غالب المفكرين والمتعلمين المسلمين، بل وتغلّغت داخل الأسر، فبات يُعْتذر للشباب البالغ الراشد عن سلوكه المنحرف، بقولهم: "دعه فإنّه مراهق...".

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في هذا الشأن: (يقوم الفكر العلماني العربي بنقل أطروحات الاستنارة من الغرب بكفاءة غير عادية تبعث على الثأوب والملل أحياناً، وعلى الحزن والغم الشديدين أحياناً أخرى؛ فهو ينقل دون أن يُحوّر أو يُعدّل، أو ينتقد أو يُراجع).⁽³⁾ وكل ذلك يدخل ضمن مخطط

(1): لويز ج. كابيلن: المراهقة: وداعاً أيتها الطفولة، ت: أحمد رمّو، وزارة الثقافة، دمشق، ص: 17.

(2): يُنظر: المصدر نفسه، ص: 08.

(3): عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ - 2002م، 286/1.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

تفكيك الأمة الإسلامية وتضعيفها، فلم يجد الفكر العلماني العالمي أجمع من نشر الرذيلة والانحلال الأخلاقي سبيلاً لصرف المسلمين عن دينهم القويم ولغتهم الرصينة وهويتهم العريقة.

إنّ الشريعة الإسلامية قد ألزمت البالغ من لحظة بلوغه بتكاليف وأحكام يشترك فيها مع غيره مهما كانت المرحلة العمرية: شباباً كانوا أم كهولاً أم شيوخاً. فكل بالغ مطالب بتطبيق أحكام الشريعة، ولم نجد في التشريع الإسلامي أحكاماً خاصة تتعلق بالمراهق - كما يتصوره الغرب-، بل وجدنا في القرآن الكريم والسنة النبوية تعويداً وتدريباً للمراهق على أحكام شرعية وآداب، كما سبق ذكره في تعويده الصلاة والاستئذان قبل بلوغه، وآداب الأكل، ففي حديث عمر بن أبي سلمة، يقول: « كنتُ غُلاماً في حَجْرِ رسول الله ﷺ، وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسول الله ﷺ: « يا غُلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مِمَّا يليك » فما زالت تلك طِغْمِي بعدُ»⁽¹⁾.

عن ابن عباس، قال: كنتُ خَلَفَ رسول الله ﷺ يوماً، فقال: « يا غُلامِ إني أعلمك كلماتٍ، احفظِ الله يحفظك، احفظِ الله تجده تُجاهك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقلامُ ووجَّهَتِ الصُّحُفُ»⁽²⁾.

أما ما تكلمت عنه الدراسات الغربية من أنّ المراهق ينزوا إلى الغريزة الجنسية وتطغى على سلوكه، فلا محالة من تدريبه على إشباع حاجاتها قبل الرشد لتتحقق له الممارسة الناضجة بعد ذلك، فقد وجدنا في سنته ﷺ أحكاماً وآداباً تحدد لنا المنهج القويم في كيفية التعامل معها عند المراهق.

ولا أدلّ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما جاءت رسول الله ﷺ جارية تسأل، فأخذ الفضل بن العباس ينظر إليها وهي تنظر إليه فصرف رسول الله ﷺ وجهه الفضل عنها. قال العباس: « يا رسول الله ﷺ،

(1): البخاري: الصحيح، الأطعمة، التسمية على الطعام والكل باليمين، ح(5376)، 68/7.

(2): الترمذي: السنن، صفة القيامة والرقائق والورع، باب، ح(2516)، 667/4. وقال: (حديث حسن صحيح)، وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح (5302)، 1459/3. وقال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه على جامع الأصول: (حديث حسن)، يُنظر: جامع الأصول لابن الأثير، ح(9315)، 685/11.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: «إني رأيت غلاماً شاباً وجاريةً شابةً فخشيت عليهما الشيطان»⁽¹⁾. ألزهما الرسول ﷺ بأخذ الحِيطة والبعد عن مقدمات الفاحشة ولم يعتذر لهما بالمراهقة.

وإذا كان الفكر العلماني يرفض ما جاء من نصوص شرعية في الموضوع، فإن العلم الحديث في المجال الفسيولوجي يؤكد ما قرره الإسلام في تحديد زمن المراهقة. التي هي مرحلة تحولات بيولوجية في جسم الإنسان استعداداً للبلوغ الذي تتوقف مع تمامه دورة التحولات وتستقر في نظام عملها.

فمرحلة المراهقة التي ترافقها علامات البلوغ بالظهور شيئاً فشيئاً، هي: (مرحلة تغيّرات بيولوجية وفسيولوجية تحدث للفتى والفتاة... تبدأ الغدة النخامية في إفراز هرمونات النمو المسؤولة عن تكاثر خلايا الجسم وتحددها في مرحلة الطفولة، والهرمونات المنشطة للغدد التناسلية، ما يتسبب في تغييرات جسدية تهيئ الفتاة لتتحول إلى امرأة والفتى ليصبح رجلاً)⁽²⁾.

وعليه فقد أصبح رجلاً بعد بلوغه وأصبحت امرأة، فلا مراهقة بعد ذلك. ولا بد من العودة بمصطلح المراهقة إلى نصابه، واستعماله إلى الإطار العمري الخاص به، مع احترام متطلبات المرحلة وحاجاتها النفسية والتربوية السلوكية، دون مجاوزة للحد؛ وتطبيق ذلك تربوياً وتعليمياً في كل الفضاءات التربوية التعليمية، داخل الأسرة، وفي المحيط الاجتماعي العام، وفي المؤسسات التربوية والتعليمية سواء في مناهجها التعليمية وما تبثه من مادة علمية، أو في أسلوب تعامل المعلمين معهم، ونخص بالذكر الطور المتوسطة ولأنه الطور الذي يحوي هذه الشريحة بشكل بارز.

المطلب الثالث: تأثير المراهقة على مشاعر الطفل وسلوكه.

ثبت من خلال النظر والاستقراء أن المراهق تظهر عليه تغيرات انفعالية، وفكرية، وسلوكية. تعود في مجملها إلى التغيرات الجسمية التي تنمو تدريجياً وصولاً إلى البلوغ، وبسبب عدم تقبله لهذا التحول الجسماني، قد تغشى المراهق مشاعر الخجل والحياء من نفسه أمام الغير.

ورغم أن المراهق لديه رغبة في البقاء على صورته الجسمية الطفولية البريئة السابقة، إلا أن رغبته كبيرة

⁽¹⁾ أحمد: المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، ح(564)، 406/1. قال أحمد شاعر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح)، وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: التعليقات الحسان على صحيح بن حبان، ح(3933)، 119/6. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده حسن)،

⁽²⁾ هناء المكاوي: لا تلوموا الهرمونات على سلوكيات المراهقين، موقع للعلم، www.scientificamerican.com. يُنظر أيضاً: إبراهيم وجيه محمود: المراهقة خصائصها ومشكلاتها، دار المعارف، 1981م، ص: 25.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

لأن يُصبح راشداً واعياً، لديه القدرة على المشاركة في قضايا الكبار بإبداء رأيه، والمساهمة في صناعة الحلول، وإنجاز الأعمال؛ يرغب في أن يكون بطل الجميع والمغامر الذي لا يخشى المخاطر، وفي نفس الوقت يحذر من أن يقع في غضب الكبار ونقدهم؛ وهذا كله يسبب له تضارب في الرغبات، يزيده توتراً واضطراباً.

وهذا الانفلات في القدرة على التحكم في مشاعره وانفعالاته بين رغبة في إخفاء التغيرات الجسمية التي طرأت عليه، وبين حبه لاكتساب شخصية الكبار، هو ما يولد لدى المراهق أزمة المراهقة كما يسميها علماء النفس. حيث يحاول المراهق من خلالها تحقيق هويته والفوز باستقلال شخصيته.

ولذلك فإن أكثر ما يلاحظ على المراهق هو انزواؤه لوحده ساعات من الوقت بعيداً عن جلسات الكبار، ليحقق في خلوته ذاتيته المنشودة، ينشغل فيها بأحد الأنشطة المتاحة له، كالرسم أو اللعب أو الرياضة، أو التأمل والسفر في عالم الخيال الواسع وتصور كل ما يرغب بتحقيقه لنفسه.

و استعماله لعالم الخيال الواسع هو ما يساعده على تغيير نمط تفكيره، فمن مجرد إدراك الملموس إلى فهم الأمور المعنوية والفكرية العميقة⁽¹⁾.

ومن جملة تأثيرات المراهقة على سلوك المراهق أن تظهر عليه بعض أمارات الشعور بالاكْتئاب، الذي يُعدُّ من أكثر المشاكل شيوعاً لدى المراهقين، وهو يحمل في طياته مشاعر الحزن والضعف والإحباط، وكثرة استيائه مما يحدث حوله، إلى جانب ضعف تركيزه.

ويكون الشعور بالاكْتئاب دافعاً أحياناً إلى الوقوع في سلوك التمرد على سلطة الوالدين. وهذا التصادم العنيف بين ما يشعر به وما يلقاه من ضغوط، سواء من داخل الأسرة، أو محيطه المدرسي والاجتماعي، هو ما يدفع ببعض المراهقين للتفكير بالانتحار كسبيل للتخلص من كل هذا، - هذه الصورة طبعاً غالباً في البلدان غير الإسلامية-.

(إنَّ الانتحار لدى المراهقين شائع وترتبط أسبابه بالحياة العاطفية التي تضغط عليهم، فتصبح هذه الوسيلة الطريق الوحيد التي يتخلص بواسطتها المراهق نهائياً من " الأنا" الطاغية والنجاة من المأزق الواقع فيه...⁽²⁾).

⁽¹⁾ يُنظر: خالصة البطاشية: المراهقة مفهومها وحاجاتها المختلفة...، ص: 03. حسان سخسوخ: محاضرات في الصحة النفسية للطفل والمراهق، ص: 45. عبد الله الطارقي: دعه فإنه مراهق...، ص: 11. كامل محمد محمد عويضة: رحلة في علم النفس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416هـ- 1996م، ص: 159.

⁽²⁾ عبد اللطيف معاليقي: المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة: دراسة تحليلية اجتماعية للمراهقة في واقعها وديناميتها ومعطلاتها، ط3، شركة المطبوعات، بيروت- لبنان، 2004، ص: 179.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

هذه الحياة العاطفية أو الإحساس بالميل الجنسي هو من أبرز المؤثرات على مشاعر المراهق وسلوكه، فهو في هذه المرحلة قد صار لديه رصيد معرفي كافي عن وظيفة أعضائه التناسلية؛ وهذا الرصيد المعرفي إلى جانب الميل الغريزي مع بعض الفضول الجانح للممارسة الفعلية قد يدفعه للوقوع في بعض السلوكيات المنحرفة.

وأبرز هذه السلوكيات وأكثرها شيوعاً عند المراهقين: "الاستمناء"، حيث يلجأ المراهق في خفية عن أهله أو من حوله إلى محاول إفراغ ما يتأجج في نفسه من رغبة جنسية، ويكون ذلك بأي طريقة أو وسيلة تحقق له الغرض بغض النظر عن مدى خطورتها عليه. وأكثر ما يكون شائعاً عن المراهقين أبناء الأسر المحافظة.

إلى جانب إمكان وقوع المراهق - ذكراً كان أم أنثى - في الزنا، ونحن في زمن الانفتاح على العالم والمناداة بحرية الفرد وتحرير المرأة، مع وجود التلفاز وما هو أخطر منه وهي مواقع التواصل الاجتماعي كوسائل علمانية لتصدير الفكر الغربي وتعميم نمط الحياة الغربية، والترويج لها داخل الديار الإسلامية. فإن نسبة وقوع المراهقين في جريمة الزنا وما يدخل في زمرتها من اللواط والسحاق قد ازدادت؛ مستغلةً بذلك ضعف الدور التربوي والتعليمي للوالدين والمعلمين والمرشدين بوجه عام⁽¹⁾

وعليه فحتى لا ينفلت سلوك المراهق إلى سلوكيات شاذة ومنحرفة، وحتى لا يُرى منه ما يبعث على الريبة والقلق؛ يجب أولاً على المجتمع أن يراعي فيه جملة من الحاجات الوجدانية والاجتماعية فيعيّنه على تحقيقها وفق الضوابط الشرعية والآداب، والقيم الاجتماعية، ومن ذلك:

(- الحاجة لتشارك الأفكار وتبادل الأحاسيس.

- الحاجة للاهتمام بمشاعر الآخرين ورضاهم ورغباتهم.

- الحاجة للاستقلال الاجتماعي.

- الحاجة للقرب من الآخرين.

- الحاجة للأمن النفسي والتعبير عن الذات.

⁽¹⁾: يُنظر: خالد أحمد العلمان: المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة- رسالة ماجستير مطبوعة-، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006م، ص: 139.

- الحاجة للإنجاز والنجاح. (1).

ويبقى على الوالدين والمربين الاجتهاد في تحقيق ولو جزء يسير من هذه الحاجات، وعدم تتبع عشرات المراهقين في كل حين، ومحاولة إشغالهم بما ينفعهم كحفظ كتاب الله، وحفظ المتون العلمية، وحضور الحلق والدروس الشرعية والعلمية، والمشاركة في النوادي العلمية والرياضية، أو تعلم حرفٍ وصنائع مفيدة؛ استغلالاً لنشاطهم الحيوي الكبير، وصرفاً لهم عن الملهيات والفتن التي تجرهم للانحراف والضياع.

المبحث الرابع: التفكير عند الطفل ومدى استيعابه لقضايا الكبار وتأثره بها.

يستبعد الكثير من الأولياء ممن درجوا على التربية التقليدية أن يكون للطفل قدرة على التفكير وإنشاء عمليات عقلية يصل بها إلى حل مشكلات معينة، والحقيقة أن الطفل من لحظة ولادته إلى حدّ بلوغه مؤهل للتفكير بطريقة جيدة تناسب مرحلته العمرية، ذلك أن تفكير الأطفال يتقدم ويتغير بصورة دائمة عبر مراحل طفولته؛ وعليه (كلما زادت قدرة الأطفال العقلية، أمكنهم إدراك تفاصيل أدق في العالم المحيط بهم...) (2). حيث نجد للطفل عمومًا القدرة على الملاحظة والاستنتاج والابتكار والتخيل والحفظ والتذكر والتخطيط ونحوها. ولا يمكن الحكم على تفكير الطفل بمجرد صغر سنه، أو مجرد وقوفه عاجزًا أمام مسألة ما حملناه فيها مالا يطيق؛ ولذلك نعود للقول بأنّ من أسس التربية السليمة للطفل تعليمه أشياء وأفكاراً تناسب وقدراته ومستوى نضجه، فقدرة الطفل على التفكير والإبداع منوطة بالتدريب الجيد على التفكير وطريقة التعلم والتحفيز الذي يتلقاه (3).

المطلب الأول: الأساليب المساعدة على تنمية التفكير عند الطفل.

ينمو تفكير الطفل ويتطور من مجرد التفكير المادي الذي يعتمد فيه على الحسوس، إلى التفكير في المعاني المجردة، كمعنى الحرية والعدالة والحق والخير والشر، وذلك إذا وجد ما يعينه من صور أو بعض الوقائع (4).

(1) خالصة البطاشية: المراهقة مفهومها وحاجاتها المختلفة...، ص: 04.

(2) جرتود دريكول: كيف نفهم سلوك الأطفال، ترجمة: رشدي فام منصور، دار النهضة- مؤسسة فرانكلين، القاهرة- نيويورك، 1964م، ص: 69.

(3) يُنظر: روبرت سيجلر: تفكير الأطفال، ترجمة: السيد إبراهيم السمدوني، ط1، دار الفكر، بيروت، 2010م، ص: 23. حصة بنت محمد بن فالح الصغير: تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربيًا، ص: 35. عبد الكريم بكار: تأسيس عقلية الطفل، ط2، دار وجوه، الرياض، 1433هـ- 2012م، ص: 77.

(4) يُنظر: أحمد علي بديوي محمد: في نمو الإنسان وتربيته، ص: 117. عبد الكريم بكار: تأسيس عقلية الطفل، ص: 25.

يبدأ الطفل في استكشاف محيطه وكل ما يجري حوله استجابة لفطرة الله تعالى في حبّ الاستطلاع، مرتكزاً في ذلك على قاعدة "التساؤل"، فنجدّه يطرح سؤالاً عن كل أمر، باستخدام مفاتيحه للمعرفة، مثل: "لماذا"، "أين يذهب هذا"، "كيف صار"، "من أين جاء"، "ما اسم هذا"...، ولذلك سميت مرحلة الطفولة بمرحلة التساؤل أو السؤال، وبالذات مرحلة الطفولة المبكرة، (حيث تدل بعض الدراسات على أن ما بين 10% إلى 15% من حديث الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة⁽¹⁾).

وعليه: يكون على الوالدين والمربين استثمار رغبة الطفل في المعرفة لإثراء نموه الفكري وتطوير قدراته؛ ومما يساعد على تحقيق ذلك، ما يلي:

- أهم عامل مساعد هو عدم التضايق من أسئلة الطفل الكثيرة وقمعها، لأنّ في ذلك مصادرة لحرية في التعبير وقطعاً لطريقه نحو المعرفة، بل يجب تلقيها بصبر وحكمة واختيار الجواب الصحيح والمناسب.
- توفير جو ملائم لتفكير الطفل يسوده التشويق والتشجيع والحرية في التعبير، وتذكيره بنجاحاته والمواقف التي تفوّق فيها، لتكون له حافزاً يولّد لديه قناعة بالكفاءة والتميز ويزيده ثقة بنفسه⁽²⁾.
- فتح باب الحوار مع الطفل ومناقشته في مختلف القضايا الخاصة والعامة بما يتماشى مع قدراته الفكرية، والسماح له بالمشاركة في حل المشكلات العالقة داخل الأسرة.
- اختيار الأنشطة الإيجابية والمناسبة لعمر الطفل التي تزيد من حيويته وإقباله نحو التفكير والإبداع، كألعاب الذكاء، واللعب الخيالي⁽³⁾، والانخراط في النوادي الفكرية المتخصصة، إلى جانب ضرورة ربط الطفل بالكتاب وجعل القراءة عادةً لا يستطيع التخلّي عنها.

المطلب الثاني: مدى فهم الطفل لقضايا الكبار وتأثيرها على مشاعره.

يحتزن الطفل أفكار الكبار على أنّها معايير للصواب والخطأ والحق والباطل، ويرى أقوالهم وتصرفهم على أنّها الوجه الصحيح لما ينبغي أن يكون، فيمدح ما يمدحون ويذم ما يذمون⁽⁴⁾؛ وعليه فإنّ مدى وعيّه وتفسيره للأحداث يتركز على طبيعة المعلومة التي يقدمها له المرّبي.

(1): عبد الكريم بكار: تأسيس عقلية الطفل، ص: 16.

(2): يُنظر: المرجع نفسه، ص: 101.

(3): يُنظر: محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم...، ص: 52.

(4): يُنظر: عبد الكريم بكار: المرجع السابق، ص: 78، 143.

مدخلمقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

وتميل عقول الأطفال (إلى تصور الصعوبات والمستحيلات أكثر من ميلها إلى رؤية الأشياء الممكنة والسهلة...⁽¹⁾، فالطفل يرى الأمور دائماً على ضخامتها ويتصور الأحداث في أعلى مستوياتها؛ فإذا رأى خلافاً بين اثنين فإنه يتصور وصوله إلى حدّ التقاتل وإحداث الجروح ونحوها، وإذا رأى والداه يتجادلان حول أمرٍ ما وقد علّت أصواتهما وازداد الخلاف بينهما حدّةً، فإنه يفرع إلى تصور الأسوأ مما يراه ويسمعه، فيخال له أن والده سيضرب أمه ضرباً مبرحاً، وأنّ هذا الخلاف سينتهي بفراق لا محالة ويصبح هو محط نزاع بينهما.

وهذا المستوى العالي من التصور والمبالغ فيه يُؤلّد في الطفل شعوراً بالخوف والهلع، ويُسبّب له توتراً مستمراً كلما تكرر نفس الحدث، وربما يدفعه ذلك إلى الانغلاق على نفسه والكبت، وقد يقوده ذلك إلى الدخول في حالة اكتئاب؛ كل هذه الحالات الشعورية ممكنة في حال لم يجد الطفل من يحتضنه بشكل جيد ويصحح له مفاهيمه نحو ما يجري.

وجدير بالوالدين والمربين أن يسألوا الطفل عن طبيعة تصوره للأحداث الواقعة حال وقوعها أو بعدها بقليل، وعن المفاهيم التي علقت في ذهنه، ومن ثمّة السعي لتصحيحها وبيان الخطأ الحاصل فيها حتى تتكون لديه فكرة صحيحة للأحداث التي يراها والأفكار التي يسمعها من الكبار، وتكون لديه حصيلة معرفية جيدة يستطيع أن يزن بها الأمور مستقبلاً.

وقد يحتاج الوالدين في كثير من الأحيان إلى إخفاء الأمر على الطفل قدر المستطاع إذا رأوا فيه صعوبة لفهمه واستيعابه، أو سيكون له تأثير بالغ على مشاعره، كما في حالة مرض أحد أفراد العائلة، أو دخول الأسرة في دَينٍ كبيرٍ يمكن سداذه إلى أجل معين، أو عند وقوع خلاف بين الوالدين تترتب عنه فرقة بسيطة بينهما.

وعليه فإنّ الطفل صفحة بيضاء يكتب المربي على سطورها ما يشاء، وفكره البريء المتعطش للمعرفة والفهم بيدٍ مُربيه يزرع فيه من الأفكار ما يريد ويوجهه كيف يشاء، فالأولى بالأولياء والمعلمين والمربين أن يحسنوا توجيه هذه الطاقة.

من خلال ما سبق، في هذا الفصل، يتجلى لنا:

⁽¹⁾: عبد الكريم بكار: تأسيس عقلية الطفل، ص: 33.

مدخل مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل

- تباين الفرق في تحديد " نهاية مرحلة الطفولة " بين ما قال به أهل اللغة وجمهور الفقهاء من جهة، وبين علماء النفس من جهة أخرى. فالفريق الأول متفقٌ على أنها تنتهي مع البلوغ، أما علماء النفس فهم على خلاف بينهم.

- تمتاز كل مرحلة من مراحل الطفولة بخصائص نفسية وجسمية تختلف عن الأخرى، وأهم شيء في هذه المسألة هو ضرورة مراعاة الوالدين والمربين للتغيرات التي تظهر على الطفل في كل مرحلة وحسن التصرف معها بما يناسبها.

- تُعتبر المراهقة أهم وأخطر مراحل الطفولة، وهي تبدأ - شرعاً - عندما يدنو الطفل من البلوغ، وتنتهي معه. أما في الفكر الغربي، فهي تبدأ عندهم مع البلوغ، ولكن نهايتها لم يُتَّفَق عليها.

يظهر على الطفل في هذه المرحلة تغيرات جسمية ونفسية وفكرية واضحة، يكون لها الأثر البارز على سلوكه واستقرار مشاعره؛ ولذا يحسن بالمربين توجيه المراهق بشكل صحيح مع مرافقته، حتى يخرج من هذه المرحلة بمشاعر إيجابية وسلوك حسن.

- يكتسب الطفل من الكبار العديد من الأفكار، كما يقتدي بسلوكهم وتصرفاتهم، وإنّ هذه الأفكار والتصرفات لها تأثير يمتد حتى على مشاعره، فأبى سلوك لا مبالي وعشوائي، أو عنيف بداخل الأسرة أو خارجها، سيترك بصمته على فكر الطفل، وتنتج عنه مشاعر سلبية قد يطول أمدها في نفسه.

الباب الأول:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنينًا وبعد الولادة، مع ذكر أبرز الارتباطات الشعورية في مرحلة الطفولة.

يتضمن تمهيدًا وأربعة فصول:

- تمهيد: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية للاهتمام بالطفل في جميع مراحل العمرية.
- الفصل الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الجنين، وحديث الولادة.
- الفصل الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل بعد الولادة في أهم حقوقه الفطرية والشرعية.
- الفصل الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في علاقته بأمه.
- الفصل الرابع: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب، والغريزة الجنسية.

تمهيد: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية للاهتمام بالطفل في جميع مراحل العمرية.

قال عزَّ شأنه: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَمِ وَالحَرثِ ذَلكَ مَتاعُ الحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمآبِ ﴾ [آل عمران/14]

في هذه الآية الكريمة يُقرر اللهُ ﷻ أنَّ الأولاد شهوة من شهوات النفس التي زُيِّت للإنسان ومتاع من مُتاع الحياة الدنيا التي ينتفع بها؛ وقد جاء ذكرهم في المرتبة الثانية بعد النساء، فبعد الاستقرار في العلاقة الزوجية يأتي التفكير بالأولاد، ويتطلَّع كل زوجين لأن يكون لهما ذرية صالحة تملأ عليهما حياتهما، فالأولاد بهجة القلوب وقرّة العيون وبهم تزهوا حياة الوالدين وتتجدد.

وقد دعت الشريعة الإسلامية من خلال نصوص الكتاب والسنة إلى الاهتمام بالأولاد وإعطائهم ما يحتاجونه من العناية، وتربيتهم وفق النهج الإسلامي القويم، والاهتمام بجميع الجوانب التربوية التي يجب أن يأخذ الطفل حظَّه منها، كالجانب العقائدي والتعبدي، والخلقي والفكري، والجسمي والنفسي العاطفي؛ ولا ريب في أنَّ الاهتمام بتنشئة الطفل لا تتوقف على مرحلة معينة من طفولته، بل تشمل جميع مراحل العمرية من لحظة ولادته إلى حدِّ بلوغه، وحتى إلى ما بعد البلوغ إذا احتاج الأمر إلى ذلك. وقد وُجد في القرآن الكريم والسنة النبوية عناية فائقة بمراحل الطفولة وبيان شافي وكافي لما تحتاجه كل مرحلة.

الفصل الأول:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الجنين، والطفل حديث الولادة.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيئًا.
- المبحث الثاني: الحياة الشعورية عند الطفل حديث الولادة.

(إنَّ مرحلة ما قبل الميلاد لها أهميتها الكبرى كأحد العوامل التي تؤثر في نمو الفرد مستقبلاً، فقد يتعرض الجنين... للعديد من الظروف والعوامل التي قد تحدد مسار نموه بطريقة مختلفة...، ذلك أنَّ هذه الفترة هي التي يحدث فيها معظم التغيرات النمائية اللازمة...، ويحدث هذا بمعدل من السرعة أعلى من أي فترة أخرى⁽¹⁾. ولذلك لزمّت دراسة مرحلة الجنين كأبرز المراحل في حياة الطفل مع بيان ما تحتاجه من رعاية نفسية، وليست المراحل التي تليها بأقل أهمية وتأثيراً على صحة الطفل النفسية الشعورية، والعناية بها من الضرورة بمكان حتى يتحقق للطفل نمو جيد لصحته النفسية الشعورية والجسمية.

وقد تناولتُ هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيناً.

المبحث الثاني: الحياة الشعورية عند الطفل حديث الولادة.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيناً.

ربّما يتبادر إلى ذهن الكثير من الناس أنَّ مرحلة الجنين مرحلة معزولة عن العالم الخارجي، يستقبل فيها الجنين ما يصله من غذاء عن طريق الحبل السُّري لينمو به جسمه، فيكون على الأم حين ذلك أن تتغذى جيداً وتنام جيداً، وتحمي جنينها من الصدمات... و فقط، وأنَّه ينتظر فترة من الزمن حتى يخرج إلى النور ليحتضنه الجميع، وهذا اعتقاد قديم وقاصر، بل الجنين يحتاج إلى أكثر من ذلك.

ومن أكثر ما يحتاجه الجنين في هذه المرحلة هو أن يُحسن الوالدين التوكل على الله ﷻ في تنشأته وتربيته حتى ينمو بصورة سليمة ويؤلّد بيسر وأمان، ويربى وينشأ في حفظ الله تعالى ورعايته صحيح البدن صحيح النفس، خالي من الأمراض النفسية التي يعاني منها أكثر الناس.

وقد دعا النبي ﷺ إلى ذكر اسم الله تعالى عند إتيان الرجل أهله كوجه من وجوه التوكل على الله تعالى، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَفُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ»⁽²⁾. والشاهد في قوله ﷺ: "لَمْ يَضُرَّهُ"، أي لم يضره كيدُ الشيطان، وهذا مدعاة للراحة والطمأنينة.

⁽¹⁾: محمد عماد الدين إسماعيل: الطفل من الحمل إلى الرشد، ط2، دار القلم، الكويت، 1415هـ- 1995م، 157/1.

⁽²⁾: البخاري: الصحيح، الوضوء، التسمية على كل حال وعند الوقاع، ح(141)، 40/1. مسلم: الصحيح، النكاح، ما يستحب أن يقوله عند الجماع، ح(1434)، 1058/2.

ومما يحفظ الولد وبصونه، ويُعين على تربيته وصلاحه، ليفوز براحة نفسية وسعادة من لحظة كونه حينئذ إلى أن يصير رجلاً، هو الإكثار من الدعاء الصالح له، فإن الدعاء ينفع في تحقيق ما قد تعجز على تحقيقه عشرات الأيدي لو تضافرت، ولهذا مثال في القصة التي يرويها أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: «اشتكى ابنُ لأبي طلحة، قال: فمات، وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً، وحنته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام، قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما»، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت هماً تسعة أولادٍ كلهم قد قرأ القرآن ⁽¹⁾. فالولد الصالح ثمرة من ثمرات الدعاء الصالح وحسن التوكل على الله سبحانه وتسليم الأمر له.

المطلب الأول: مدى تأثير نفسية الأم الحامل على مشاعر الجنين.

أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن الجنين كما يتأثر بحالة أمه البدنية من ضعفٍ ومرضٍ - سواء أكان وراثياً أو غير وراثي-، أو نقص في المعادن والفيتامينات، وغيرها، فإنه يتأثر أيضاً وبشكل كبير وسريع بحالة أمه المزاجية من فرح أو حزن.

فإذا كانت الأم تشعر بالسعادة والطمأنينة فإن الجنين يشعر بذلك أيضاً تبعاً لشعورها، وهذا ما يساعده على النمو السليم، وتكون حركته داخل رحمها مستقرة؛ فهو بهذا يتأثر بحالتها النفسية على الدوام، فسعادة الأم وراحتها جزء كبير من سعادة الجنين وصحته.

وعلى العكس من ذلك: فإن تعرض الحامل للضغوط النفسية والتهيجات الانفعالية كالقلق والخوف الشديد والتوتر الحاد، يؤثر في عمل الغدد ويؤدي إلى إفراز هرمون الكورتيزول ⁽²⁾ (هرمون التوتر)، وبالرغم من أن المشيمة تمنع عبور الكورتيزول من الأم إلى الجنين وتحوله بواسطة جهاز المناعة إلى هرمون غير فعال، فإن 10-20% من هذا الكورتيزول يصل إلى الجنين، وقد يؤدي إلى زيادة في حركة الجنين مما يشكل

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، الجنائز، من لم يظهر حزنه عند المصيبة، ح(1301)، 82/2. مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة، من فضائل أبي طلحة الأنصاري، ح(2144)، 1909/4.

⁽²⁾: هرمون الكورتيزول (Cortisol): (تفرزه قشرة الغدة الكظرية، ولهذا الهرمون علاقة ببعض الحالات النفسية حيث تزيد مستوياته في مرض الاكتئاب الحاد). لطفي الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، ص: 35

أحياناً آلاماً للأم الحامل فيزيد من ضغطها النفسي⁽¹⁾. والذي يزيد من حركة الجنين داخل الرحم، تعرض الأم للوضوء المستمرة والإرهاق، والجلوس غير المريح ولفترات طويلة، وما شابه⁽²⁾، وهذه الحركة المتزايدة والعشوائية تدل على عدم ارتياحه؛ وقد لوحظ أن هذه الحركة سرعان ما تستقر بعد زوال مسببها مباشرة. ومن الأعراض الناجمة عن تأثر الجنين بنفسية أمه أن يكون معرضاً بعد ولادته لأن يصبح طفلاً عصيباً، غير منظم في رضاعته، ينام بصعوبة، ويكي بشدة، كثير الالتصاق بأمه، وقد يصاب بنوبات مغص.

إنَّ المعروف عن مشاعر المرأة أنها رقيقة مُرَهفة، فقد يُسبب لها أمر بسيط في نظر غيرها حزناً عميقاً، وتجدها تتأثر بموقف أو حدث معينة أكثر بكثير من تأثر الرجل به، وذلك أنَّ العواطف من أقوى محركات السلوك للمرأة؛ وهو الأمر الذي تكلم عنه النبي ﷺ في عدد من الأحاديث، وأعطى له اهتماماً بالغاً في زمن لم يكن فيه من التشريعات الوضعية أو النظريات الفكرية من يتكلم عنه أو يلقي له بالأ، فكان الرسول ﷺ أول من دعا إلى مراعاة مشاعر المرأة، من خلال تعامله ﷺ مع النساء من حوله، ومن خلال أحاديثه الشريفة التي ضمت وصاياه وتوجيهاته، كقوله ﷺ: «رُؤَيْدُكَ يَا أَبْجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ»⁽³⁾؛ فقليل في مراده: (إنَّ المراد من القوارير النساء، فإنَّ القوارير، كما تتكسر بأدنى صدمة تصيبها، كذلك النساء تتأثر قلوبهنَّ بأدنى شيء)⁽⁴⁾. وهو تشبيه بالغ في الدقة، فالمرأة سريعة الانكسار شعورياً كزجاج القارورة سريع التحطيم.

وقد ينطبق وصف رسول الله ﷺ لمشاعر الإنسان في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن مشاعر المرأة بوجه خاص، وهو قوله ﷺ: «مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرَّيْشَةِ، تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ بِفَلَاةٍ»⁽⁵⁾.

(1): هل يؤثر الضغط النفسي على الحمل؟، موقع طب تايم، www.tebtime.com. يُنظر أيضاً: ناصر محي الدين ملوحي: علم نفس الجنين ومشروع فتح روضات لتعليم الأجنة، دار الغسق، سوريا، 1434هـ - 2013م، ص: 128.

(2): يُنظر: عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 92.

(3): البخاري: الصحيح، الأدب، المعارض مندوحة عن الكذب، ح(6211)، 47/8.

(4): محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي: فيض الباري على صحيح البخاري، ت: محمد بدر عالم الميرتحي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م، 165/6.

(5): ابن ماجه: السنن، السنَّة، في القدر، ح(88)، 66/1. أخرجه أحمد (27859). قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (صحيح موقوفاً)، وقال الألباني: (صحيح)، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(5833)، 1015/2.

فإذا كان الأمر على هذا النحو تتوجب العناية التامة بالمرأة الحامل حفاظاً عليها وعلى جنينها، خاصة إذا علمنا أن الحمل في حد ذاته يُعدُّ أحد مسببات التوتر والانزعاج لدى المرأة، وبالذات في الأشهر الثلاثة الأولى، ومع اقتراب موعد الوضع.

(ووجدت الدراسات أن الأطفال الذين يولدون لنساء مصابات بالاكتئاب يمكن أن يصابوا بالاكتئاب عندما يكبروا... حيث يمكن أن يكون للطريقة التي تشعر بها خلال فترة الحمل دوراً مهماً في تحديد مواقف ووجهات نظره أثناء نموه).⁽¹⁾

ومما يُؤثر على نفسية الجنين من باب التأثير بمحيط أمه، هو سماعه الأصوات من حولها، فإن حاسة السمع من أوائل الحواس عملاً في جسم الجنين، حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان/02]. فأول ما يسمعه الجنين هو نبضات قلب أمه، ويسمع الأصوات خارج جداره الحامي ويتأثر بها²، كالضوضاء والصخب، وكذا سماعه للأصوات الجميلة كتلاوة القرآن الكريم، وصوت أمه وأبيه؛ فلا بدّ على الأم في هذه المرحلة أن تكون حذرةً، وتجتهد في الحفاظ على نفسيته مستقرة هادئة ومريحة، حتى لا يتأذى ابنها، فلا تُسمع ابنها فلا يسمع من محيطها إلا الأصوات الطيبة.

وإنّ حصول حملٍ مع عدم رغبة الأم فيه يعدُّ أحد مسببات الاضطراب والتوتر لنفسيته، وقد تطول حالتها النفسية الراضية للحمل إلى تمامه واكتمال مدته، فيكون له بالغ الأثر على نفسية الطفل⁽³⁾، حيث يتبعه الأثر السيئ حتى بعد خروجه إلى النور، فيظهر ذلك على سلوكه؛ ومن ذلك أنّ الأطباء الأخصائيين في مجال تقويم النطق (orthophonie) يرجعون الكثير من مشاكل الكلام، كتأخر النطق، واللجاجة، وفرط الحركة وغيرها، إلى تأثر الطفل بحالة أمه النفسية الراضية للحمل، ولذلك عادةً ما يسألون عن حقيقة حالتها النفسية أثناء الحمل في محاولة لتشخيص العلة.

(1): فاطمة خليل: كيف تؤثر الحالة النفسية للحامل على صحة الجنين؟، موقع اليوم السابع، www.youm7.com.

(2): يُنظر: ناصر محي الدين ملوحي: علم نفس الجنين...، ص: 118.

(3): يُنظر: حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو - الطفولة والمراهقة-، دار المعارف، 1986م، ص: 94. عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 93.

والأصل أن المرأة بطبيعتها كما فطرها الله تعالى عليها، لا ترفض الحمل ولا تتذمر منه، بل هي أول من يسعدُ به ويستعدُّ له؛ إلا أن الغزو الفكري للديار الإسلامية، وتغلغله في الحياة الأسرية والاجتماعية، ولَّد لدى بعض النساء أنماطاً سلوكية، تتصادم مع مسألة تكثير الولد التي حضَّ عليها النبي ﷺ في قوله: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»⁽¹⁾. فكان من دواعي رفضها للحمل: هو انتشار فكرة تحديد النسل-خاصةً بين العاملات-، أو الرغبة في تأخير الإنجاب لأسباب قد تكون مادية، أو تعلُّمية كاستكمال الدراسة، أو لغرض تحصيل القدر الكافي من الراحة، والمتعة الزوجية قبل الدخول في معترك التربية ومسؤولياتها؛ وكلها بطبيعة الحال أسباب واهية تجعل المرأة تحيد عن فطرتها السليمة، وشرعها الحنيف. وقد تُمارسُ على المرأة ضغوطات نفسية من طرف الزوج، وربما من أسرة الزوج أيضاً تجعلها ترفض حملها، كنفورها من شخصية زوجها وطباعه، ومعاملته السيئة، ومع تراكم هذه المشاعر السلبية في نفس الأم وتفاقمها تجعلها -لا شعورياً- تنقل مشاعر الكراهية والغضب من زوجها إلى جنينها فتمقُّته وتنفّر منه. ولا يزال في مجتمعاتنا العربية المسلمة، مع كل هذا التقدم العلمي الدقيق، ومع وضوح أحكام الشريعة الإسلامية ودلالاتها الصريحة في فقه الأسرة، من يرفض إنجاب البنات ويلصق عوامل تكوُّهننَّ بالأم؛ وكل هذا يجد وقَّعه السيئ على نفسية الأم، ومن ثمَّ على نفسية الجنين ومشاعره. ومن الباحثين من جعل زواج الفتاة في سنِّ مبكرة، كالسادسة عشرة والثامنة عشرة، أحد أسباب توترها حيث تكون في مرحلة لا تسمح لها بعد بالقيام بدور الأمومة من الناحية النفسية⁽²⁾. وهو ما صرَّحت به منظمة (اليونيسف) في صفحتها الإلكترونية، من أن زواج البنت قبل سنِّ الثامنة عشرة هو انتهاك لحقوقها كطفلة، قد يُعرضها وطفلها لمضاعفات خلال فترة الحمل والولادة، ما يؤثر على سلامتها البدنية والنفسية.⁽³⁾

(1): أبو داود: السنن، النكاح، النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ح(2050)، 2/220. النسائي: السنن، النكاح، كراهية تزويج العقيم، ح(3227)، 6/65. ابن حبان: الصحيح، النكاح، ذكر العلة التي من أجلها نهي عن التبتل، ح(4028)، 9/338. أحمد: المسند، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، ح(12613)، 20/63. الحاكم: المستدرک، النكاح، ح(2685)، 2/176. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة)؛ وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح(3091)، 2/929. قال شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره في التحقيق على سنن أبي داود: (إسناده قوي)، وقال حسين الداراني و عبده الكوشك: (إسناده صحيح)، يُنظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ح(1228)، 4/148.

(2): يُنظر: حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو - الطفولة والمراهقة-، ص: 95.

(3): يُنظر: زواج الأطفال، حماية الطفل، موقع يونيسف لكل طفل، unicef.org، 22-11-2022، 16:23.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذ وبعد الولادة..

غير أن ما تقرّر في الفقه الإسلامي، ووقع عليه إجماع العلماء ومنهم المذاهب الأربعة، هو جواز زواج بنت البكر الصغيرة⁽¹⁾، ما دام في زواجها مصلحة لها خالية من أي مضرة.

ومن الأدلة على هذا، قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ إِرْتَبْتُمْ فَعَدَّتِهِنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ [الطلاق/04]. فقوله عَلَيْكَ: "وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ" يعني الصغيرة، وهو دليل على جواز العقد عليها.

وما زوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنِي بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، ...»⁽²⁾. ولا يقول معارض بأن هذا خاص بالنبي ﷺ، طالما لا يوجد ما يدل على تخصيصه⁽³⁾.

وما يدل على الترغيب في الزواج بالبكر ما جاء في قصة جابر بن عبد الله عندما تزوج ثيبًا، قال له رسول الله ﷺ: «... هَلَا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ..»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ قال الأحناف: (..حاجة الصغيرة إلى النكاح لاستيفاء المصالح بعد البلوغ)، يُنظر: السرخسي: المبسوط، 2/5. وقال المالكية: (..أن الأب له جبرُ ابنته البكر الصغيرة اتفاقاً، ولا خيار لها إذا بلغت..)، يُنظر: محمد بن عبد الله الخرخشي المالكي أبو عبد الله: شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، 176/3. أبو الوليد ابن رشد القرطبي: البيان والتحصيل، 363/4. وقال الشافعية: (فأما صغار الأبيكار فلاآباء إجبارهنَّ على النكاح، فيُزَوَّج الأب ابنته البكر الصغيرة من غير أن يُراعي فيه اختيارها ويكون العقد لازماً لها في صغرها وبعد كبرها. ودليله قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ إِرْتَبْتُمْ فَعَدَّتِهِنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ [الطلاق/4]. يعني: الصغار،...فدلَّ على جواز العقد عليها في الصغر). يُنظر: الماوردي: الحاوي الكبير، 52/9. وجاء في المذهب الحنبلي: (...والتي مثلها يوطأ، قال العلماء: هي التي تم لها تسع سنوات،...الحقيقة أنه لا دليل على هذا، لكنَّ العادة تقتضيه، والنبي ﷺ تزوج عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين وبني بها وهي بنت تسع سنين، لكنَّ هذا لا يقتضي تحديد المدة بالتسع، إلا أنَّ الغالب أنَّ بنت التسع تتحمل الجماع فلهذا علَّقوها بالتسع.)، محمد بن صالح العثيمين: الشرح الممتع على زاد المستقنع، 486/13.

⁽²⁾ مسلم: الصحيح، النكاح، تزويج الأب البكر الصغيرة، ح(1422)، 1038/2.

⁽³⁾ يُنظر في المسألة إلى: محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، 362/28. سها ياسين عطا القيسي: زواج الصغار في ضوء تحديد سن الزواج - رسالة ماجستير في الفقه المقارن-، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ- 2010م، ص: 08.

⁽⁴⁾ البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، استئذان الرجل الإمام، ح(2967)، 51/4. مسلم: الصحيح، الرضاع، استحباب نكاح ذات الدين، ح(715)، 1087/2.

فإذا كان هناك من يتخذ صِغَر البنت سبباً لرفع دعوى تأخير زواجها إلى ما بعد الثامنة عشر، مستنداً في ذلك على احتمال عجزها في تحمل المسؤولية وإنجاب الأولاد وتربيتهم، فإنّ هذا العذر يسقط باكتساب الخبرة والتجربة، فأبداً فتاة لم تجرب بعد هذه المسؤولية ستجد صعوبة في أولها مهما بلغ سنّها، ثم مع التعود يُصبح أمراً هيناً عليها. وهذه المرحلة يمكن تجاوزها بمرافقة والدتها أو جدتها أو خالتها، أو أخواتها ذوات الخبرة والممارسة، فتمكّن أثناءها من التغلب على مشاكل الحمل والولادة والتربية.

المطلب الثاني: مدى تأثير نفسية الأم الحامل على صحة الجنين الجسمية.

قلق الأم وتوترها يؤثر على عمل الغدد الصماء المسؤولة على إفراز الهرمونات التي لها دور كبير في عملية النمو والحركة والتكاثر وغيرها؛ وعليه يكون لتوتر الأم وقلقها امتداد إلى صحة الطفل الجسمية. حيث: (كشفت دراسة لباحثين أمريكيين أنّ قلق النساء وتوترهنّ أثناء الحمل قد يؤدي إلى إنجابهنّ أطفالاً أكثر عرضة للإصابة بالحساسية والربو؛ وقد يؤثر على جهاز المناعة لدى الأجنّة؛ وأشارت نتائج الدراسة التي عُرضت في اجتماع لجمعية أطباء الصدر في تورونتو بكندا إلى أنّ توتر الأم أثناء الحمل قد يكون له آثار دائمة على صحة الجنين.)⁽¹⁾.

كما يُقدّر العلماء أنّ ارتفاع هرمون الكورتيزول الذي يرجع سببه إلى حدوث الضغط النفسي لدى الحامل يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم وتقلص نسبة الأوكسجين في الأنسجة، مما يهدد الجنين بظهور تشوهات خلقية⁽²⁾؛ وإذا كانت الحامل تتعرض وبشكل مستمر للضغط النفسي فمن الممكن أن ينتهي الأمر بولادة مبكرة⁽³⁾.

إنّ كل هذه الآثار السلبية وغيرها تنبئ عن ضرورة العناية بالمرأة الحامل من الجانبين النفسي والجسمي؛ والنفسي بوجه خاص ما دامت مخاطره تمتد إلى الجانب الآخر، على الأم والجنين معاً.

⁽¹⁾: غادة حرفوش: www.facbook.com/Dr.Ghada.OBGYN.clinic. يُنظر أيضاً: تأثير انفعالات الأم الحامل على جنينها، موقع فيدو، feedo.net، 2022-11-29.

⁽²⁾: يُنظر: المرجع نفسه.

⁽³⁾: يُنظر: حامد عبد السلام زهران: المرجع السابق، ص: 88. فاطمة خليل: كيف تؤثر الحالة النفسية للحامل على صحة الجنين؟، موقع اليوم السابع، www.youm7.com.

وقد وجدنا في الشريعة الإسلامية رخصاً كثيرة تتعلق بوضع المرأة وهي حامل أو مُرضع كجواز الإفطار في رمضان للحامل إذا خشيت على نفسها وعلى جنينها، يُلتمس من خلالها مدى تقدير الشريعة الإسلامية لهذه المرحلة، وسعيًا منها إلى تحقيق ما تحتاجه الأم والجنين على السواء في هذه الفترة المهمة. وخلاصة القول: أنَّ نفسية الأم لها امتداد واسع وسريع لنفسية الجنين، وهو يعيش ذات حالتها الشعورية من فرح أو حزن، فيتوجب عليها أن لا تنقل لجنينها إلا ما يُسعدُه ويساعده على الاستقرار والشعور بالأمان، وهي مسؤولة كل المحيطين بالأم الحامل وعلى رأسهم الأب، خاصّة وأنَّ هذا التأثير يطال نفسية الطفل وصحته الجسمية وسلوكه بعد الولادة بالإيجاب أو السلب.

المبحث الثاني: الحياة الشعورية عند الطفل حديث الولادة.

من المتعارف عليه أنَّ الطفل في الأشهر الأولى بعد الولادة ينفرد بطبع وسلوك معين يمكن وصفه مبدئياً بغير الواضح أو غير المنتظم، ثم يسلك منهج الاعتدال رويداً رويداً مع منتصف السنة الأولى إلى نهايتها. والعجيب في الأمر أنَّ سلوكيات وحاجات الأطفال حديثي الولادة في الغالب العام واحدة، ولكن لا يمكن لأيِّ أم أن تفهم سلوك طفل آخر غير أمه الحقيقية، فهي الخبرة الوحيدة به، لأنَّها الأقرب شعورياً منه.

المطلب الأول: النظرة الإسلامية لكيد الشيطان وتأثيره على النفس والبدن.

معلوم أنَّ الشيطان قد توعدَّ ابن آدم بجره إلى النار يوم القيامة، لما وجد في نفسه من الكبر والحسد يوم رفض السجود لأدم عليه السلام وعصى أمر ربه، وهو يعمل جاهداً على إغواء الإنسان وإضلاله حتى يُوقعه في سوء الخاتمة والعاقبة الوخيمة، فيختتم له على كفر، أو يُثقل ميزانه بالمعاصي والسيئات، ويكيد له بكل السبل والحيل والوساوس فلا ينفك يسعى خلفه لإفساده من لحظة ولادته إلى حين مماته.

وقد أثبت الله عز وجل كيد الشيطان وتبعه للإنسان في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَرَّ عَبْدُنَا

أَيُّوْبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص/41]، أي بمشقة وتعَب⁽¹⁾.

(1): عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1425هـ-

وقوله: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف/175]، وأولى خطوات تتبع الشيطان للإنسان هي لحظة ولادته، حين ينزعه الشيطان فيستهلُّ صارخًا، ويُحمل هذا على أنَّ الشيطان يقف على أمه وهي تلده فإذا وقع منها ابتدره بمسه ونزعه⁽¹⁾.

وهذا الذي أخبر به الرسول ﷺ وأكدّه في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرِيْمَ وَابْنِهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران/36]⁽²⁾.

وفي رواية لمسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِيَاخُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»⁽³⁾. فصراخ الصبي أول ما يُولد سببه الألم من مسِّ الشيطان لذلك يستهلُّ بالصراخ. وفي هذا نقل المباركفوري عن القرطبي قوله: (هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط)⁽⁴⁾، أي تسلُّط الشيطان على الإنسان وسعيه لبث الحزن والألم فيه والعذاب.

وعليه فإنَّ المشاعر السلبية من الحزن والألم والكآبة واليأس والخوف وغيرها أحد أسلحة إبليس لتحطيم نفسية المؤمن، وإضعاف بدنه، وقطع علاقته بالله تعالى؛ وهو ما يؤكده قوله عليه السلام: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/175]. وقوله تعالى أيضًا: ﴿إِنَّمَا

⁽¹⁾: قد يكون في هذا الكلام شيء من التعارض - في الظاهر-، مع ما يُقرره الطب الحديث، من أنَّ بكاء الصبي لحظة ولادته نابع عن تنفسه الأكسجين لأول مرة، وهو ما يُسبب له ألمًا شديدًا.

يشرح هذه العملية أحد المختصين في هذا المجال، قائلاً: (تبدأ الحركة التنفسية الأولى بصورة طبيعية خلال ثوان بعد الولادة وتنجم عن تقلص شديد في الحجاب بسبب زيادة في حجم جوف الصدر، مما يدفع الهواء إلى داخل السبيل التنفسي، يلي ذلك عادة صرخة قوية...)، ريتشارد سنل: علم الجنين الطبي لطلبة الطب، ترجمة: طليع بشور، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، 2002، ص: 500.

وإذا كان هذا ما تقرّر في علم الطب، فإنّه لا يتعارض مع ما ثبت في النصوص الشرعية من أنَّ بكاء الصبي ناتج عن نزعة الشيطان، فيجتمع عليه الأمران في آن واحد: تنفسه الهواء بواسطة رئتيه لأول مرة، ونزغ الشيطان له كيدًا وحسدًا.

⁽²⁾: البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنزِّلُ فِي الْكِتَابِ مَرِيْمَ﴾، ح(3431)، 164/4. مسلم: الصحيح، الفضائل، فضائل عيسى عليه السلام، ح(2366)، 1838/4.

⁽³⁾: مسلم: الصحيح، الفضائل، فضائل عيسى عليه السلام، ح(2367)، 1838/4.

⁽⁴⁾: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1422هـ - 2002م، 147/1. يُنظر أيضًا: ابن حجر: فتح الباري، 469/6.

التَّجَوَّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [المجادلة/10].

وإذا كان الشيطان لا يدع طفلاً وليداً حتى ينزعه فيحزنه ويؤيكه، فكيف به عندما يصير إلى مراحل أكبر من ذلك، بعد أن يصبح طفلاً صبيّاً يافعاً وغلاماً مميزاً فإنه لا بدّ يبذل له كل ما يناسبه من وساوس وأذى.

ولهذا أرشد النبي ﷺ إلى ضرورة حماية الأولاد من أذى الشيطان، وقدّم الكثير من الطرق التي تحصنهم وتصونهم، ومن ذلك:

1- ذكر اسم الله ﷻ إذا أتى الرجل أهله: يُعدُّ ذكر اسم الله عند الإقدام على العمل الصالح مطردةً للشيطان ومجلبة للخير، وذكره عند إتيان الرجل أهله يحفظ الولد من ضره وأذاه، ودليله: عن ابن عبّاس، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَفُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ» (1).

2- المحافظة على المعوذات للأطفال وتعليمهم إيّاهـا- قراءةً وتعويذاً-: فإنّ الاستعاذة من أنفع الوسائل لطرده الشيطان والتخلُّص من وساوسه، وعنّها تكلم الله تعالى في كثير من الآيات، فقال:

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ
وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ [مریم/36]. وهذه الاستعاذة من أم مریم كانت وقاية وحصن لمریم وابنها عیسیٰ علیہ السلام من مسّ الشیطان.

كما أرشد الله ﷻ إلى الاستعاذة من الشيطان دفعا لكل ضررٍ يحصل منه، فقال: ﴿ وَإِذَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزِعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿ [الأعراف/200-201]. وقال: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿ [المؤمنون/97].

(1): سبق تخرجه، يُنظر: ص: 49.

ومَّا دَلَّ عَلَى الاستعاذة عند مباشرة العمل الصالح، ومن ذلك قراءة القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل/98]. وفيها أنَّ الاستعاذة تقي من أي ضرر يأتي من الشيطان في أي أمر.

وأما عن تعويد الأطفال من شره وتعليمهم الأذكار والأوراد لأجل التحصين، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُعوِّدُ الحسن والحسين بكلمات من الذكر والدعاء، وفيه تعليم للناس كيفية التعويد، حيث يروي ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّدُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»⁽¹⁾. فعلى الوالدين والمربين أن يلتزموا بذلك مع أولادهم ويُعلموه لهم، فبدل من أن يحرصوا على تلبية طلباتهم المادية الزائدة عن حاجاتهم الأساسية، يكون من باب أولى أن يعلموهم الوِرْدَ الذي يحفظهم من كيد الشيطان. وإنَّ من أولى السور القرآنية التي يحفظها الأطفال عادةً هي "سور الناس" التي فيها الاستعاذة من شر الشيطان، فإذا حفظ الطفل المعوذات ورَدَّها صباح مساء كانت له حصناً من الشيطان يومه ذلك.

3- وما أرشد إليه الرسول ﷺ أيضاً في تحصين الأطفال، هو كُفُّهم عن اللعب في الشارع مساءً لأنَّه وقت تنتشر فيه الشياطين وقد يصيب الولد شيء من آذاهم، ونصُّ الحديث في هذا الأمر واضح يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، فَأَعْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قَرَبَاتِكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَحَمَّرُوا آيَاتِكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ تَعَرَّضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفَأُوا مَصَابِيحَكُمْ»⁽²⁾.

وعليه نستقي من خلال ما تقدّم أن إتباع ما أرشد إليه الله تعالى في القرآن والسنة هو المسلك الوحيد للنجاة من كيد الشيطان والخلاص من وسواسه، فصالح الذرّية واستقامة أحوالهم لا يكون إلا بتعليمهم الأذكار وتعويدهم على الاستعاذة من الشيطان، والتزام قواعد السلامة التي دلَّ عليها رسول الله ﷺ.

(1): البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، باب، ح(3371)، 147/4.

(2): البخاري: الصحيح، الأشربة، تغطية الإناء، ح(5623)، 111/7. مسلم: الصحيح، الأشربة، الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، ح(2012)، 1595/3.

المطلب الثاني: طبيعة المشاعر عند الأطفال حديثي الولادة.

يستطيع الطفل منذ يومه الأول بعد الولادة أن يدرك حاجاته ويُطالب بها، كما يتمكن من إدراك مشاعره ويُعبّر عنها، وإنّ العناية بمشاعره من الضرورة بمكان، ذلك أنّ الصحة النفسية للرضيع تعتبر حجر الأساس في بناء نفسية سليمة للطفل ثم بعد البالغ والراشد.

تُعتبر انفعالات الطفل حديث الولادة تعبيراً منه عن ردود فعل وانعكاسات لحاجات ملحة في نفسه قد تعود لأسباب فسيولوجية وقد تعود لأسباب نفسية، وتتمثل في:

- حاجته للغذاء وهذا يُشعره بالجوع.
- حاجته للإخراج إذا تعرّس عليه ذلك، وحاجته للنظافة ممّا يشعر به من بلل في ثوبه بعد الإخراج، فالرضيع بفطرته يأبي البقاء على تلك الحالة.
- حاجته للنوم، فقد يُعبّر الرضيع حديث الولادة عن رغبته في النوم إذا تعرّس عليه ذلك بمفرده، ومعلوم أنّ الرضيع ينامون مباشرة بعد تناولهم لوجبة مُشبعة من الحليب، ولكن أحياناً يتأثر بالجو المحيط به إذا كان فيه فوضى ولغط في الحديث، كما يتأثر بالمنبهات التي تُشربها الأم في زمن قريب من فترة رضاعته.
- إذا تمّ حمل الرضيع بين الأذرع في ساعاته الأولى بعد الولادة فإنّه يستشعر هذا الوضع ويستلذه، خاصّة إذا مُزجَ بهزات خفيفة ولطيفة، فإنّه يتعوّده ومن ثمّ يُصبح من الصعب الامتناع عن الاستجابة له؛ وقد تظهر على الرضيع انفعالات شديدة يكون من ورائها رغبته الملحة في حمله بين الأذرع.
- يظهر انفعال الفرح على الوليد إذا وجد شعوراً بالامتلاء المعوي والراحة الجسمية، ويصبح بعدها في حالة هدوء وطمأنينة، ويُعبّر أحياناً عن ذلك بابتسامة خفيفة تبدأ تملأ وجهه مع نهاية الشهر الثاني إلى بداية الثالث أو نهايته، ثم تتحول إلى ضحك يتناغم به مع من يداعبه ويلاعبه⁽¹⁾.
- ويكون الطفل حديث الولادة قد اعتاد جلوس أمه بجانبه في فترة النفاس، فإذا استشعر وجودها بقربه ارتاح واطمأن وأخذ يحاول تدوير رأسه ببطء حتى تقع عينه عليها فيزداد اطمئنناً؛ أمّا إذا افتقدتها فإنّ حزنه يبدأ بالتجلي للعيان؛ ويعرف الرضيع حديث الولادة قُرب أمه منه من عَدَمه عن طريق رائحتها وصوتها وتَحسُّس نبضات قلبها، فبإمكانه تمييز كل هذا مهما تغيرت الوضعيات والأجواء.

(1): يُنظر: فؤاد أبو حطب- آمال صادق: نمو الجنين من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، مكتبة الأجلو المصرية، ط4، ص:212. علي السيد- سماح كوثراني: طرق إشباع الحاجات النفسية للطفل، ط1، دار اليوسف-دار الرفيق، بيروت- لبنان، 2007م، ص: 13.

الباب الأول.....مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

- يُظهر الوليد انفعال الحزن، ويُعبّر عنه بالبكاء إذا أحسَّ شيئاً من الألم في جسده لـ: مرض، أو عند أخذ حقنة التلقيح الدوري، أو ملاحظة أحد الكبار أو الأطفال له وإيلايمه في موضع من جسده؛ ونحو ذلك.

- يُعبّر الطفل حديث الولادة عن خوفه إذا استشعر الوحدة أو افتقد أمه بعد استيقاظه من النوم، فالطفل يُحب أن يجد أمه أمامه بعد أن يستيقظ تُلعبه وتُلاطفه وتضمّمه إليه ثمّ تُطعمه، وهذا من شأنه أن يُنمي جانبه الشعوري الايجابي، ويُعزّز ثقته بنفسه، ويُقوي علاقته بأمه والآخريين.⁽¹⁾

وعموماً يُعبّر الطفل عن فرحه وسروره إذا كانت حاجاته الفسيولوجية والنفسية تامة لا ينقصه منها شيء، ويُظهر انزعاجه وحزنه أو غضبه إذا وجد ما يُنغص عليه راحته وهدوءه بآله، أو إذا افتقد أمراً اعتاده. والعامل الوحيد الذي يتخذه الطفل وسيطاً بينه وأمه أو مربيته لتفسر انفعاله وتعي حاجته هو البكاء، فهو المترجم لكل ما يطلبه ويبحث عنه، والأم الوحيدة بعاطفتها ورحمتها له وخبرتها به من تستطيع فك شيفرته النفسية، والتفريق بين خيوط مشاعره المتداخلة؛ فالأم وحدها من تستطيع التمييز بين بكاء رضيعها الذي سببه الألم، والذي سببه الجوع، والذي يُخبر به عن بلل في ثوبه، أو الذي يريد به أن يُحمل ويُلاعب.

- بعض خصائص المشاعر عند حديثي الولادة:

تُميّز انفعالات المشاعر لحديثي الولادة خصائص معينة، هي:

- انفعالات الأطفال الرضع قصيرة، وتنتهي سريعاً بمجرد زوال الدافع إليها، فتتقلب لحال الرضا والفرح⁽²⁾.
- انفعالاتهم حادّة وشديدة، فهو إذا أخذ بالصراخ والبكاء يصرخ بأعلى صوته، ويعمّد إلى التصعيد أكثر إذا تمّ التأخر في تنفيذ حاجته.

- لا يعرف حديث الولادة تأجيلاً لرغباته وصبر إلى حين تحقيقها، بل يرفع شكواه من لحظة انتباهه.

- توجيهات عامّة لنمو جيد لمشاعر الرضيع حديث الولادة:

ولنمو جيد وسليم لمشاعر الرضيع يحتاج الأمر إلى اتباع جملة من القواعد، واثقاء بعض المحاذير التي من الممكن أن تُحوّل مشاعره من مجرد انعكاسات وردود فعل إلى سلوك وطبع دائم.

- بعض الأمهات ربما تتماطل في تلبية حاجات الرضيع الملحّة مما يُكلفه البكاء لوقت طويل، وهذا يُفقدّه الشعور بالارتياح والأمان.

⁽¹⁾: يُنظر: بيرتون ل. وايت: السنوات الأولى للحياة، ترجمة: بدر العمر، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1985م، ص: 15.

⁽²⁾: يُنظر: أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1412هـ-1992م، ص: 116.

- ضرورة التزام نظام معين لتغذية الرضيع حتى لا يكون عشوائياً في سلوكه، وهو أمر من شأنه أن يُرهق الأم ويؤثر على نفسيته التي لها امتداد أكيد إلى نفسية الرضيع.

- يجب على الأم أن تضبط للرضيع ساعات نومه وتوفر له قدرًا كافيًا منه، فحديث الولادة ينام كثيراً ويكون على الأم أن تتدخل لتنظيم عملية نومه بالنهار حتى يستطيع استئناف ليله دون مشاكل.

- إذا أخذ الطفل بالبكاء وكان له سببٌ وداخٍ واضحٌ وحقيقي فالأولى المبادرة إلى إزالته، أمّا إذا كان لغير سبب محسوس فقط لمجرد البحث عن الأُنس والتدليل، فعندئذٍ لا بُدَّ أن يُترك وبكاؤه حتى يملَّ ويأس من جدوى هذه الطريقة⁽¹⁾؛ ولن يكون البكاء ضاراً به بقدر مضرّة هذه العادة على سلوكه مستقبلاً، فالطفل إذا وجد هذه الطريقة ناجحة لتلبية حاجاته فإنّه يستمر في استعمالها، ولا يظن البعض أن الطفل الرضيع يعوزه الذكاء الكافي كي يستعمل هذه الطريقة للوصول إلى مراده.

- إنّ انتقال الرضيع من بيئة الرحم الآمنة الهادئة التي لا يسمع فيها إلا نبضات قلب أمه، إلى العالم الخارجي المليء بالحركة والفوضى قد يُسبب له انزعاجاً واضطراباً، ولذلك يكون من الضروري توفير جو هادئ بعيد عن الأصوات المرتفعة حتى ينمو نمواً نفسياً مريحاً.

- ولا شك في أنّ معاملة الرضيع بكل حب واحترام كشخص واع تزيد في نموه بشكل سليم، وتقوي شخصيته ما يمكن أن يُلحظ في سنواته الأولى، ورسول الله ﷺ خير معلم لهذا المنهج الفريد في التعامل مع الأطفال والذي يمتاز ببعد النظر، حيث جاء في حديث أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟»⁽²⁾، نَعْرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنَسُ وَيُنْضَخُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا⁽³⁾. فرسول الله ﷺ كَتَى الطفل العظيم "أبا عمير" إكباراً له وتفواؤلاً بأن يُصبح رجلاً عاقلاً وأباً ناجحاً، ولاعبه وسأله عن نُعيه.

(1) يُنظر: برتراند رسل: في التربية...، ت: سمير عبده، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 67. مجدى محمد الدسوقي: سيكولوجية النمو من الميلاد إلى المراهقة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2002م، ص: 102.

(2) النُعِيرُ: تصغير " النَعْرَ"، وهو طائر أصغر من العصفور، وقيل هو طائر يشبه العصفور، وقيل هو طير كالعصافير حُمُرُ المناقير، ويجمع على نَعْرَان. يُنظر: بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، 782/2. الأزهرى: تهذيب اللغة، 108/8. أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، 315/1.

(3) البخاري: الصحيح، الأدب، الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ح(6202)، 45/8. مسلم: الصحيح، الآداب، استحباب تحنيك المولود عند ولادته...، ح(2150)، 1692/3.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذ وبعد الولادة..

ويبقى القول أن العناية بالطفل حديث الولادة عملية شاقّة وتحتاج إلى الكثير من الجهد والصبر، والفتنة والحيلة، وإلى التسلح بالمعرفة بأحوال الرضع وحاجاتهم، وليس من السهل أن تكون الأم ناجحة في تنشئته وتربيته في جميع المراحل والأوقات وتتمكن من مراعاة حاجاته الجسمية والنفسية في آن واحد.

المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في البكاء.

يُعدُّ البكاء بمثابة الوسيلة الوحيدة التي يُعبّر بها الوليد عن حاجاته وما يزعجه، وهو سبيله الوحيد للتعبير عن مشاعر الشوق لأمه، غير أنه في المقابل يُسبب التوتر والإرهاق للأمهات.

وهو أول ما يُبادر به لحظة خروجه إلى بيئته الجديدة، فيستهل صارخاً معلناً وجوده في هذه الحياة؛ وربما يرجع سبب ذلك كما قال ابن قيم الجوزية لأمرين: (فإذا انفصل الجنين، بكى ساعة انفصاله لسبب طبيعي، وهو مفارقة إلفه ومكانه الذي كان فيه؛ وسبب منفصل عنه، وهو طعن الشيطان في خاصرته..)⁽¹⁾. وهذا الكلام مصداقاً لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويهِ أبو هريرة رضي الله عنه قال: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمْسُهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِتَاءَهُ، إِلَّا مَرَمَ وَابْنَهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِقَاءِ رَبِّي﴾» [آل عمران/36]⁽²⁾.

ويرى البعض أن البكاء مهما كان مؤلماً للصغير ومزعجاً للكبير، إلا أنه لا بأس أن يُترك الطفل يبكي لمدة تتراوح ما بين 15-20 دقيقة، لما فيه من فوائد صحية، أبرزها أنه يقوي عضلات الصدر والرئتين؛ وهو ما ذكره ابن القيم فقال: (ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه... فإنه ينتفع بذلك البكاء انتفاعاً عظيماً، فإنه يُروض أعضائه، ويوسع أمعائه، ويفسح صدره، ويسخن دماغه، ويحمي مزاجه، ويثير حرارته الغريزية، ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول، ويدفع فضلات الدماغ من المخاط وغيره)⁽³⁾. وجعل للبكاء فصلاً بعنوان: "فصل: ثم تأمل حكمة الله تعالى في كثرة بكاء الأطفال وما لهم فيه"، قال فيه: (من المنفعة فإن الأطباء... شهدوا منفعة ذلك وحكمته وقالوا في أدمغة الأطفال رطوبة لو بقيت

(1): شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ت: فواز أحمد زمرلي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1423هـ-2003م، ص: 232.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 57.

(3): ابن القيم الجوزية: المصدر نفسه، ص: 196.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

في أدمغتهم لأحدثت أحداثاً عظيمة فالبكاء يسيل ذلك ويجدره من أدمغتهم فتقوى أدمغتهم وَتَصِحُّ وأيضاً فإنَّ البكاء والعياط يُوسع عليه مجاري النَّفس ويفتح العُرُوق...⁽¹⁾.

وقيل أيضاً في فوائد البكاء على الأعصاب والنفس: (...البكاء يهدئ الأعصاب المتوترة ويُخلص الجسم والروح من سموم الانفعالات الشديدة... الدموع بصفقتها تعبيراً عن الألم فهي ردّة فعل عضوية لا تستطيع الإرادة ضبطها خاصّة إذا كان الألم جسدياً أو نفسياً حاداً، هذا النوع من الدموع مفيد جداً لأنّه يريح المراكز العصبية بعد التوتر الذي سببه لها الألم...)⁽²⁾.

ومع أنّ العمل بترك الأطفال يكون مدة معينة فيه الكثير من الصحة إلا أنّ المسألة تعودُ إلى معرفة الباعث على البكاء، فإنّ كان لسبب وإهٍ كالرغبة في أن يُحمل بين الأذرع، أو رغبته في مكث أمه بجانبه فلا بأس أن يُترك حتى يبيأس من جدوى البكاء كسلاح يُحقق به رغبته، أمّا إذا عُرف وجود سبب حقيقي باعث عليه فالأولى المبادرة لإزالة الباعث وعلاجه.

وعند النظر والاستقراء في سنّة رسول الله ﷺ فإنّا لا نجد حديثاً يروي واقعة ترك فيها رسول الله ﷺ طفلاً يبكي دون أن يحاول إسكاته أو يدعو من يسكته، فجاء في سنّته ﷺ ما يبحث على ضرورة المسارعة لمعرفة سبب البكاء و إيجاد العلاج له.

رُوي عن سليمان بن يسار، أنّ عروة بن الزبير حدّثه، أنّ رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة، وفي البيت صبي يبكي فذكروا أنّ به العين، فقال عروة، قال رسول الله ﷺ: «ألا تسترقون له من العين؟»⁽³⁾.

(1): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 273/1.

(2): إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة نمو وتربية الطفل، ص: 308.

(3): مالك: الموطأ- رواية أبي مصعب الزهري-، الجامع، الرقية من العين، ح(1975)، 118/2. البزار: المسند، مسند أبي ذر الغفاري، مسند عائشة أم المؤمنين، ح(318)، 266/18. الطبراني: المعجم الأوسط، العين، من اسمه عبد الله، ح(4295)، 312/4. قال الألباني: (وهذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير أبي أويس، وهو عبد الله بن عبد الله بن أويس قال في "التقريب": "صدوق يهم"؛ وأخرج له مسلم في الشواهد.)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ح(1048)، 40/3. وقال عبد القادر الأرنبوط: (مرسل.. وهو حديث صحيح يستند معناه من طرق ثابتة)، وكذا قال أيمن شعبان في تعليقه، يُنظر: جامع الأصول، ح(5704)، 558/7.

ولأحمد رواية عن عائشة بلفظ آخر، قالت: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ صَبِيٍّ يَبْكِي، فَقَالَ: «مَا لِيصَبِيكُمْ هَذَا يَبْكِي، هَلَّا اسْتَرْفَيْتُمْ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ»⁽¹⁾؛ وفي الحديث دلالة على ضرورة البحث عن سبب البكاء حتى وإن كان غير محسوس وملموس كالإصابة بالعين والحسد، وفيه دعوة إلى المبادرة لإيجاد الحلول المناسبة له.

وإلى جانب ما جاء في هذا الحديث فقد تبين أن من سنته ﷺ في التعامل مع بكاء الأطفال، دعوته ﷺ إلى الرفق بهم ورحمتهم، وتقديم حلول لأسباب بكائهم؛ ومن الشواهد الدالة على ذلك:

- الرفق والرحمة بالطفل وأمه في حال البكاء: عن أنس بن مالك، أَنَّ بِلَالًا بَطَّأَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا حَبَسَكَ؟»، فَقَالَ: مَرَزْتُ بِفَاطِمَةَ وَهِيَ تَطْحَنُ، وَالصَّبِيُّ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ شِئْتَ كَفَيْتُكَ الرَّحَا، وَكَفَيْتَنِي الرَّحَا. فَقَالَتْ: أَنَا أَرْفُقُ بِأَبْنِي مِنْكَ، فَذَاكَ حَبَسَنِي، قَالَ: «فَرَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ»⁽²⁾.

- حسن تقديره ﷺ لحاجة الطفل في ضم أمه له: عن قتادة، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»⁽³⁾. فلا بد أن الطفل يزداد بكاءً وهو يرى أن أمه تركع وتسجد دون أن تمد له يداً، ولا بد أن قلبها حين ذلك يزداد به انشغالاً وتعلقاً، وهذه الحالة النفسية للطرفين - الأم والطفل - لا يدركها إلا فقيه بالنفس الإنسانية كالرسول عليه الصلاة والسلام.

- الدفع بالرضيع لنسيان أسباب حزنه وبكائه: ويتجلى هذا في قصة أبي عمير مع النغير، عن أنس، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ»، نُعْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَفُومُ وَيَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»⁽⁴⁾.

(1): أحمد: المسند، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، ح(24442)، 500/40. قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف).

(2): أحمد: المسند، مسند المكتربين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، ح(12524)، 499/19. الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الزهد، في عيش رسول الله ﷺ، ح(18258)، 316/10. وقال: (...ورجاله ثقات إلا أن أبا هاشم صاحب الزعفران لم يسمع من أنس). وقال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف لانقطاعه...).

(3): البخاري: الصحيح، الأذان، من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح(709)، 143/1. مسلم: الصحيح، الصلاة، أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ح(470)، 343/1.

(4): سبق تخريجه، يُنظر، ص: 62.

- أبرز أسباب البكاء عند حديثي الولادة:

تعود غالب أسباب البكاء عند حديثي الولادة وأكثرها شيوعاً، بكائه لأجل تحقيق مطالب جسمانية وأخرى نفسية.

- فالبكاء المتعلق بالمطالب الجسمانية يكون سببه إمّا: الجوع، طلب النوم، الرغبة في تنظيفه من فضلات جسمه؛ إلى جانب ما يمكن أن يقع له من ألم في موضع ما، كالمغص المعوي الذي يكثر كثيراً للأطفال الرضع في أسابيعهم الأولى، وكذا وجود الغازات التي تُسبب آلاماً شديدة للرضيع بالليل والنهار.

- أما المطالب المتعلقة بالجانب النفسي الشعوري، فالمعروف منها هو: حاجة الرضيع للحمل بين الأذرع، أو رغبته في مجاورة أمه والبقاء في حجرها؛ كما تضطرب حالة الرضيع النفسية تأثراً بحالة أمه، والرابط بينهما في هذه الحالة هو الرضاعة الطبيعية التي تنقل المشاعر الإيجابية والسلبية، - كما سيأتي بيانه -⁽¹⁾.

وقد يُعبر الرضيع عن غضبه إزاء ما يزعجه كضيق الملابس التي عليه، أو قلقه من الأصوات المرتفعة؛ وقيل قد يبكي الرضيع بسبب شعوره بالوحدة وإحساسه بالوحشة⁽²⁾.

وإذا حدث أن تأخرت الأم أو بدلتها عن الاستجابة لبكاء الطفل لسبب ما، خاصة إذا طالت المدة عليه، وتكرر الأمر عدّة مرات فإنّ هذا من شأنه أن يقلب الموازين لديه في المنظومة الشعورية ويُثبت فيه مشاعر سلبية، إذ يمكن أن يشعر في هذه الحالة بما يلي:

أولاً- بالضعف الشديد من حيث أن سلاحه الوحيد للتأثير والضغط على أمه قد صار غير مجدي، مما يركن إلى الشعور بالضعف وهذا يزيد من حزنه ومن شدّة بكائه.

ثانياً- زيادة قوة الشعور بالألم كلما طالت المدة أكثر، ومعروف أنّ الرضيع حديث الولادة لا يتوقف عن البكاء إن لم يجد إجابة، بل يُواصل بُكائه مهما طال زمانه وهذا ينعكس سلبيّاً على مشاعره.

(1): يُنظر: ص: 81.

(2): يُنظر: دينا جايسون: سلوك الأطفال، ت: هنادي مزودي، ط1، نوميديا- دار المؤلف، قسنطينة، 1436هـ-2015م، ص: 11. عدنان السبيعي: الصحة النفسية للمولود والرضيع، ط1، دار الفكر، دمشق- سورية، 1418هـ-1997م، ص: 41. عزيز ستمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ط3، دار الفكر، الأردن، 1419هـ-1999م، ص: 107. عبد الباسط محمد السيد: موسوعة تربية الطفل، ط1، دار ألفا، مصر، 1432هـ-2011م، 430/1.

ثالثاً- عدم استجابة الأم عند بكائه وتأخرها عليه يُشككه في حبّها له، وقوة ارتباطها به؛ وعند ضمّ الأم للرضيع بعد طول بكاء يُرى في عينيه الكثير من القراءات والتعبيرات مع رقرقة في عينيه، وكأنّ الطفل يُريد أن يُعبّر لأمه عن كل ما أصابه من ألم بسبب تأخرها عليه وهو في حاجة إليها.

ويبقى أن: الأم التي لا تزال تحتفظ بفطرتها وحسها الديني والأسري، والعاطفي، والأخلاقي التربوي، تُجاهد لأجل تنشئة أفراد صالحين، تستطيع بمشاعرها وفطرتها أن تدرك أسباب البكاء عند رضيعها وتجده الحلول له؛ وتميز بين ما يحتاج لاستجابة فورية، وما يجب أن يترك فيه مع بكائه حتى يهذب سلوكه.⁽¹⁾

ولقد تأكد من خلال النماذج التي تم الوقوف عليها من سنته ﷺ مدى اهتمامه ببكاء الرضيع، وحثّه ﷺ على معرفة أسبابه والعمل على إسكاته بما يناسب من حلول.

ومَّا سَلَفَ فِي هَذَا الْفَصْلِ، يَتَجَلَى لَنَا:

التأثير المباشر لصحة الأم الحامل النفسية على صحة الجنين الشعورية والجسمية؛ فما تعيشه الأم من سعادة وألم ينتقل أثره إلى الجنين فيتألم بألمها ويسعد بسعادتها، وهذا بدوره ينعكس على صحته الجسمية بالإيجاب أو السلب.

وإنّ أول حالة شعورية يعيشها الجنين عند ولادته حزنٌ وألم، ويرجع ذلك إلى نزغة الشيطان التي يكيدها لابن آدم، ولذا دعت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية إلى ضرورة تعليم الأطفال الأذكار والطاعات للتحصين من كيده.

وترتبط مشاعر الطفل حديث الولادة ارتباطاً وثيقاً بحاجاته الجسمية من جوع، أو رغبة في النوم، أو تغيير حفاظه أو غيرها، ويُعبّر عنها جميعاً بالبكاء فهو سلاحه الوحيد في هذه المرحلة للتعبير عن مشاعره.

⁽¹⁾: يُنظر: أيمن محمد: ليتني أفهم طفلي- كيف تغلبين على مشاكل طفلك النفسية-، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2005م، ص: 51.

الفصل الثاني:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل بعد الولادة في أهم حقوقه
الفطرية والشرعية.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: تسمية المولود، والعقيقة والختان، وعلاقتها بمشاعر الطفل.
- المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة والحضانة.

تبدأ حياة الطفل في عالمه الجديد خارج الرحم بعد الولادة، وينطلق في مسيرة حياته كوليده ورضيع يحتاج لكثير من الرعاية والاهتمام، وقد يظهر لعامة الناس أن أهم ما تحتاجه هذه المرحلة بشكل أساسي هو التغذية الجيدة، والوقاية من الأمراض، والنظافة المستمرة، وهذا كل شيء؛ لكن الحقيقة أنها تحتاج لأكثر من ذلك؛ فللطفل في هذه المرحلة حقوق كثيرة فطرية وشرعية، لا بد من مراعاتها وأدائها له على وجه صحيح، وإلا يكون لنقصها أو انعدامها انعكاسات سلبية على تربيته ومشاعره؛ وهاهنا ذكر للحقوق التي نصت عليها الشريعة الإسلامية وحثت عليها من خلال نصوص السنة النبوية، وبيان ارتباطها بمشاعر الطفل؛ وقد جعلت الحديث عنها في مبحثين هما:

المبحث الأول: تسمية المولود، والعقيقة والختان، وعلاقتها بمشاعر الطفل.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة والحضانة.

المبحث الأول: تسمية المولود والعقيقة والختان، وعلاقتها بمشاعر الطفل.

أكدت السنة النبوية على أهمية اختيار الاسم للمولود، وعلى ضرورة القيام بشعيرة العقيقة وسنة الختان، ومالها جميعاً من تعلق كبير بمشاعر الطفل وحالته الصحية النفسية؛ وتفصيلها فيما يلي:

المطلب الأول: تسمية المولود وعلاقتها بمشاعر الطفل.

اقتضت سنة الله ﷺ في خلقه أن جعل لكل كائن من مخلوقاته اسماً يكون له علماً يميزه عن غيره، إلى جانب ما أودعه ﷺ فيها جميعاً من صفات خلقية وخلقية؛ وهو الأمر الذي توارثته البشرية جمعاء جيلاً بعد جيلٍ في إطلاق الأسماء على الأشياء والأغراض والموجودات والمصنوعات، والمبتكرات.

غير أن الكثير من الشعوب في العصور القديمة و قبل مجيء الإسلام انتهجت منهجاً خاطئاً في اختيار الأسماء فكان لها تقاليد مختلفة وغريبة بل وحتى خرافية في تسمية المواليد⁽¹⁾؛ وفي وقتنا الحاضر إتجهت الكثير من المجتمعات والأسر إلى تسمية أبنائهم بأسماء آبائهم وأجدادهم تيمناً بهم وإحياءً لذكورهم، أو تسميتهم باسم نبي من الأنبياء، أو بطل من الأبطال، أو عَلم من الأعلام في مجال ما؛ ولا شك أن لهذا الاختيار التقليدي المتأثر بهوى النفس - في عمومها - ماله من الانعكاسات السلبية على نفس الطفل وسلوكه.

(1): يُنظر: قاضي فريدة: عادات استقبال الطفل بين التقاليد والحداثة: السابع، التسمية، معتقد العين، التقييط - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي -، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر -، 2005-2006، ص: 120.

إنَّ الاسم هو أول ما يدخل به الفرد سجلَّ عائلته ويُسجل به نفسه في الحياة التعليمية والعملية، وهو ما يُنادى به في المجالس والمنتديات والملتقيات، ويكون له وقع كبير على شخصيته ونفسيته وسلوكه، ومهما أُطلق نفس الاسم على عدد كبير من الناس، يبقى له وَقْعُهُ الخاص على نفسية الفرد، وذلك للاختلاف الحاصل بينهم في طبيعة التنشئة والمحيط الاجتماعي، وكذا بحسب الاستعدادات والطباع.

إنَّ الإسلام قد أولى لهذه المهمة والخاصية من العناية والاهتمام ما لم يسبقه إليها أيُّ تشريع من الشرائع الوضعية، وأيُّ فلسفة من الفلسفات، أو نظرية من النظريات في علم النفس أو علم الاجتماع إلى يومنا هذا. بل بعد البحث والنظر لم أجد في كتب علم النفس الغربي التي عنيت بالطفل والكلام عن أحواله النفسية أي ذكرٍ لقضية التسمية وأثرها على نفسية الطفل.

والباحث المتأمل في أسماء الأنبياء والمرسلين مثلاً يجد أن الله تعالى لم يرض أن يحمل اسم أحدهم معنى قبيح، بل رضي لهم أسماء تحفظ مكانتهم بين أقوامهم وتليق بمقامهم؛ وكثيرٌ منها جديد لم يُعرف قبلاً، إنما كانت من عناية الله تعالى وتدييره، وسمى بعض أنبيائه بنفسه عجل، كعيسى عليه السلام، ويحيى عليه السلام، ومحمد عليه السلام.

وهو ما أظهرته السنة النبوية؛ حين اختار النبي عليه السلام أسماء أبنائه وبناته اختياراً، وغير القبيح من أسماء بعض الصحابة إلى ما هو أفضل، وكان يؤتى بالمواليد ليسميهم فيكون ما اختاره لهم أكثر توافقاً للشرع، وينالون بذلك فضله وبركته عليه السلام، وكله يدلُّ على اهتمامه عليه السلام بمسألة التسمية وحرصه على اختيار أحسنها.

وردت في السنة النبوية عدّة أحاديث تشهد على حرص رسول الله عليه السلام على اختيار الاسم الحسن وكرهيته للاسم القبيح، ومن ذلك:

- عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ عليه السلام فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ»، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى (1).

- وعن سهل، قال: أُتِيَ بِالْمُنْدِرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام حِينَ وُلِدَ، فَوَضَعَهُ عَلَيَّ فَحَذِيهِ، وَأَبُو أُسَيْدٍ جَالِسٌ، فَلَهَا النَّبِيُّ عليه السلام بِشِيءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ أَبُو أُسَيْدٍ بِإِنِّهِ، فَاحْتَمَلَ مِنْ فَحْذِ النَّبِيِّ عليه السلام، فَاسْتَفَاقَ النَّبِيُّ عليه السلام.

(1): البخاري: الصحيح، العقيقة، تسمية المولود غداً يولد لمن يعقُّ عنه وتحنيكه، ح (5467)، 83/7. مسلم: الصحيح، الآداب، استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ح (2145)، 1690/3.

فَقَالَ: «أَيْنَ الصَّبِيِّ»، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: قَلْبَانُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا اسْمُهُ» قَالَ: فُلَانٌ، قَالَ: «وَلَكِنْ أَسْمُهُ الْمُنْدَرُ»، فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ الْمُنْدَرُ⁽¹⁾.

قال ابن حجر في شرح حديث سهل: (...فوضعه على فخذه يعني إكراماً له... قوله: ما اسمه، قال: فلان، لم أقف على تعيينه فكأنه كان سمّاه اسماً ليس مستحسنًا فسكت عن تعيينه، أو سمّاه فنيسيه بعض الرواة، قوله ولكن اسمه المنذر، أي ليس هذا الاسم الذي سمّيته به اسمه الذي يليق به بل هو المنذر. قال الداودي: سمّاه المنذر تفاقلاً أن يكون له علمٌ يُنذرُ به...⁽²⁾). وفي قوله: "الذي يليق به"، إشارة إلى ضرورة وجود توافق بين الاسم وشخصية الفرد؛ قال ابن القيم: (وبالجملة فالأحلاق والأعمال القبيحة تستدعي أسماءً تناسبها، كما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف، فهو كذلك في أسماء الأعلام...، ولهذا ترى أكثر السفلة أسماءهم تناسبهم، وأكثر العلية أسماءهم تناسبهم)⁽³⁾.

- وروى عن جابرٍ رضي الله عنه، قال: **وُلِدَ لِرَجُلٍ مِّنَّا غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ، فَقُلْنَا: لَا نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِمِ وَلَا كِرَامَةَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ»**⁽⁴⁾؛ رغم أن ظاهر الحديث ينهى عن التكني بكنية رسول الله ﷺ إلا أن مضمونه ضمّ معنى مهم جداً، كما قال ابن بطال: (...أمر الذي سمى ابنه القاسم أن يسميه عبد الرحمن، إذ كان الصدق الذي لا شك فيه أنه عبد الرحمن فسمّاه بحقيقة معناه، وإن كانت الأسماء العواري⁽⁵⁾ لم توضع على المسميات لصفاتها بل للدلالة على أشخاصها خشية أن يسمع سامع باسم العاصي فيظن أن ذلك له صفة، وأنه إنما سمى بذلك لمعية ربه، فحول ذلك عليه السلام إلى ما إذا دعى به كان صدقاً...⁽⁶⁾)، كما أن اسم عبد الرحمن من أحب الأسماء إلى الله كما ثبت في الصحيح⁽⁷⁾؛ ولو كان

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، الأدب، تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، ح (6191)، 43/8. مسلم: الصحيح، الآداب، استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ح(2149)، 1693/3.

⁽²⁾: ابن حجر: فتح الباري، 575/10.

⁽³⁾: ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: 136.

⁽⁴⁾: البخاري: الصحيح، الأدب، أحب الأسماء إلى الله ﷻ، ح (6186)، 42/8. مسلم: الصحيح، الآداب، النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ح (2132)، 1684/3.

⁽⁵⁾: العواري: من الإعارة، أي: (..كأنهم أرادوا تفرقة بين ما يتردد من ذات نفسه وبين ما يُردّد). مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 164/13.

⁽⁶⁾: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري، ط2، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ-2003م، 347/9.

⁽⁷⁾: رواه مسلم: الصحيح، الآداب، النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، ح(2132)، 1682/3.

الأمر متروك لاختيار الوالدين وحريةهما بإطلاق لما وجّه النبي ﷺ والد الغلام إلى اسم غير الذي سماه، وذلك أنّ الشريعة الإسلامية جعلت (من حق المولود على والديه أن يختاراً له اسماً حسناً في لفظه ومعناه، يفخر به إذا ذُكر به أمام غيره، ذكراً كان أو أنثى).⁽¹⁾ وهذه المسألة واحدة من مفردات التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية الشعورية عند الإنسان.

- أبرز الآثار السلبية للتسمية القبيحة على مشاعر الطفل:

ثبت أنّ الاسم السيئ والقبيح له انعكاسات سلبية على مشاعر الطفل وبناء شخصيته؛ وهنا تظهر لنا بعض الحكم والمقاصد التي دعا من أجلها النبي ﷺ إلى اجتناب الاسم القبيح، ومنها:

1- أنّ الاسم السيئ والقبيح من شأنه أن يُشعر الطفل بالخجل والإحراج⁽²⁾ عند التلفظ به أو مناداة غيره له؛ وخاصّة في القسم، فيثير ذلك سخرية الآخرين؛ وهذا ما يسبب له انعكاسات سلبية أخرى، كـ:
2- أن يدفع الأمر بالطفل إلى الانعزال والانطواء عن العالم المحيط به هروباً من واقعه السّاحر، وتحقيقاً لذاتيته بالكيفية التي يريد.

3- قد يُؤلّد هذا الأمر كراهية الطفل وحقده على والديه أو أحدهما الذي سماه هذا الاسم، لأنه يراه السبب في معاناته، خاصة إذا وجد أنّ لإخوته أسماء مرضية أو جميلة وله وحده الاسم القبيح، مما يولد فيه الغيرة والحسد؛ ويجرّه إلى عصيان والديه والاستياء منهما، ويحدث هذا عادةً مع الطفل الأول، حيث يُلصقُ به اسم الجد أو الجدّة، ومعلوم كما سرت عادة المجتمعات العربية في الوقت الحاضر أن تكون أسماءهم قديمة وغريبة نوعاً ما في أصلها ومعناها، ولا تتماشى مع زمان أحفادهم.

4- أن يدفع به الخجل إلى تحوير اسم آخر لنفسه يُعرف به بين زملائه وأقرانه، من باب التخلص من اسمه القبيح، وقد عاينت من البنات من كان اسمها الحقيقي "قَمِيرٌ" فحوّلتَه بين زميلاتها إلى "قَمَرٌ"، ومن كان اسمها "شريهان" فطلبت أن تُنادى "نورة"؛ ووُجد من تلاميذ المرحلة الثانوية من إذا نُودي بلقبه لا يُمهّل الأستاذ حتى يُكمل ذكر اسمه فيقول "ها أنا ذا"، ومع تكرار الموقف نفسه يتبين أنّ الولد لا يرغب في أن يُذكر اسمه القبيح المُدَوّن في القائمة الاسمية.

⁽¹⁾ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية، 1430هـ- 2009م، 132/4.

⁽²⁾ يُنظر: محمد سلامة الغنيمي: تسمية المولود رؤية تربوية، موقع طريق الإسلام، ar.islamway.net

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

5- إن كثيراً من الآباء الذين أدركوا خطأ اختيارهم لاسم ابنهم ابتكروا له اسم دلح يُنادى به، ولكن كان لهذا الاسم زمن محدد يصلح له، فبعد أن يكبر ويصبح راشداً فإنه يرفض أن يضلَّ صغيراً يُنادى باسم دلح.

6- يمكن للاسم أن يؤثر على أداء الطفل في المدرسة فيمتنع عن المشاركة في النشاطات الصّفية بسبب ما يصيبه من حرج عند ذكر اسمه كلما أراد المشاركة، فيؤدي ذلك إلى تراجع أدائه الدراسي.

7- قد يُؤثر الاسم في سلوك الطفل فيجاري معناه، سواء كان المعنى حسناً أو قبيحاً؛ فلمعنى الاسم وقعه على سلوك الطفل، ومما يُستدل به على ذلك ما رواه سعيد بن المسيّب: (أَنَّ جَدَّهُ حَزَنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « مَا اسْمُكَ »، قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: « بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ »، قَالَ: مَا أَنَا بِمُعَيَّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: « فَمَا زَالَتْ فِيْنَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ »⁽¹⁾). وإن هذا الحديث فيه حِكْمٌ عَدَّةٌ منها:

- سؤال النبي ﷺ للرجل عن اسمه أول ما قَدِمَ عليه، وهذا يُبين اهتمامه ﷺ بالتسمية.

- وأن الاسم هو أول ما يُسأل عنه الفرد حين يُراد التعرف عليه.

- وفيه مسارعة النبي ﷺ لتغيير ما يراه مستقبلاً، وأن التغيير لم يكن إجبارياً بل يترك الأمر على الخيار ليتحمل صاحبه وزره بعد ذلك؛ وهو ما دلَّ عليه سعيد بن المسيّب في قوله: (فما زالت فينا الحزونة بعد).

وقد ذكر العيني في العمدة معنى هذه العبارة، قال: (... قال ابن التّين: معنى قول ابن المسيّب: ما زالت فينا الحزونة، يُريد امتناع التسهيل فيما يرونه، وقال الدّاوديّ: يريد الصعوبة، ويقال: يشير بذلك إلى الشدّة التي بقيت في أخلاقهم، وذكر أهل التّسبب أن في ولده سوء خُلُقٍ معرُوف فيهم لا يكاد يعدم منهم، قوله: (بعد) ويروى: بعده، أي: بعدما قال: لا أعير اسمًا سمانيه أبي).⁽²⁾

8- إن الاسم القبيح أحد الأسباب الملقّنة لانتباه الأطفال سيّئ الخلق، إذ يجدون له سبيلاً لتعديره؛ ويُعرّضه للتئمّر واعتراض طريقه كلما قابله، وهذا يؤثر بشكل واضح على نفسيته وسلوكه، ويجعل اختياراته وعلاقاته يشوبها الكثير من الاضطراب والتردد؛ وقد يدفع به الأمر إلى مجاراتهم فيما يفعلون، فيعيرهم كما يعيرونه، ويعتدي عليهم كما يعتدون، وهذا من شأنه أن يُعَيّر في أخلاقه؛ وقد تفقد الأسرة والأمة الإسلامية طفلاً كان ليكون رجلاً صالحاً نافعاً، لولا ما سبّب له الاسم القبيح؛ وهو ما وجدناه في شرح الدّاوديّ الأنف الذكر لسبب اختيار رسول الله ﷺ اسم المنذر، قال: (تفاوتاً أن يكون له علمٌ يُندِرُ به...).

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، الأدب، تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، ح (6193)، 43/8.

⁽²⁾: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 208/22.

9- شعور الطفل الدائم بالحزن والأسف على نفسه، وحسرتة على اسمه الذي يحمله بين أقرانه، في حين يسمع لهم أسماءً جميلة ذات معاني حسنة تتماشى مع زمانهم، ويرى في عيونهم عزّةً وفخرًا بأسمائهم، يتمنى لو كان قد حَضِيَّي بأحدها لكان أريحَ لنفسه وأقرَّ لعينه.

10- وقد نجد للاسم القبيح على نفسية الطفل ايجابية واحدة فقط، وهي عزمه في المستقبل عندما يصبح أباً أن لا يسمح بتكرار تجربته في أبنائه، فيختار لهم أجود الأسماء وأحسنها.

ورغم ما حاولتُ إجماله في هذه الأسطر من آثار عكسية ومشاعر سلبية ناتجة عن سوء اختيار الاسم للمولود، إلا أنّ حقيقتها تبقى أوسع مما يمكن معايشته أو تخيله. وقد أعجبني ما ذكره عبد السلام الفندي في كتابه "تربية الطفل في الإسلام" من فوائد جليلة لاختيار الاسم الحسن للمولود، منها:

(- لأنّ الاسم مثار إيجاب المعاني الخيرة التي يحملها كلما هتف به هاتف... فيطبع فيه آثار هذه المعاني الطيبة حتى تُصبح له خلقاً حميداً يتخلق به.

- ليكون في هذا الاسم دافع لصاحبه لئلا يتأسى بمن سُمِّي به من الصالحين... فيقتدي بهم في حياته... ويتشبه بمجالهم...)⁽¹⁾؛ إلى جانب راحته النفسية ورضاه بما يملك من مقومات الشخصية المعتدلة السوية.

إنّ ما وضّحه الإسلام في مدى ارتباط الاسم بمشاعر الطفل وسلوكه، ودعوة السنة النبوية لاختيار الاسم الحسن وتجنب الاسم القبيح، وأيضاً ما استنبطه العلماء من أحكام وشروط⁽²⁾ تتعلق باختياره، أمر لم يصل إليه الفكر الغربي جملة وتفصيلاً، بل حادّ عن الصواب في دراساته القليلة عن الموضوع بعيداً.

ومن أحدث دراساته في كيفية اختيار اسم المولود، والأسس التي يُبنى عليها هذا الاختيار ما نشره موقع "للعلم" الإلكتروني، حيث كُتب فيه: (سلسلة من التجارب خرجت بنتيجة مفادها، أنّه لا بدّ من تعزيز العلاقة بين شكل الوجه - دائري أو ذو زوايا حادّة- واسم الشخص من جهة، وانطباق الآخرين وشعورهم تجاهه من جهة أخرى)⁽³⁾.

⁽¹⁾: عبد السلام عطوة الفندي: تربية الطفل في الإسلام-أسس وأساليب-، ط2، دار المسيرة، عمان، 1436هـ- 2015م، ص:94.

⁽²⁾: من أشهر ما كُتب في الشروط والأحكام ما ذكره الإمام الماوردي في كتابه: نصيحة الملوك، الباب السادس، حق الولد على أبيه، ص: 167.

⁽³⁾: مروة صلاح: قبل أن تسمي مولودك... تأكد من ملامحه، موقع للعلم، www.scientificamericn.com

وصرَّح أحد الباحثين في علاقة الاسم بسمات الفرد وأهمية اختياره، صرَّح لهذا الموقع قائلاً: (نأتئجنا تحكي قصة متسقة... إنَّ تسمية الأفراد ليست بالأمر الاعبأاطي أو ما يمكن أخذه بسهولة، فشكل الوجه أمر ينتج عنه توقعات حول الاسم، وانتهاك هذه التوقعات يحمّل آثاراً عاطفية، ويغذي بدوره الأحكام الاجتماعية بشكل أكثر تعقيداً...)⁽¹⁾.

ويمكن الردُّ على ما توصلوا إليه بأمرين:

- قولهم بأنَّ اسم المولود يُستمدُّ من سمة وجهه - دائرياً كان أو ذو زوايا حادّة على حدِّ تعبيرهم -، قول لا يصلح بالمرّة، فإنَّ وجه الوليد يتغيَّر بعد يوم ولادته تغييراً ملحوظاً، فكثير من المواليد يُولدون بوجه مستديرة مرتخية الحدود، ثم سرعان ما تختفي ولا تستقر ملامحه إلا بعد مرور أيام، قد تقارب الأربعين يوماً أو تزيد.

- اهتمام أصحاب هذه النتيجة بالأحكام الاجتماعية وشعور الآخرين عن مدى وجود تناسق بين الاسم وسمة الوجه أو عدم وجوده؛ دون ذكر لمشاعر صاحب الاسم ومدى تأثيره به وتأثيره عليه نفسياً واجتماعياً، بل الذي أهتمُّهم من خلال هذا التصريح هو انطباع الآخرين نحوه.

وفي الختام: يتأكد لنا أنَّ عملية اختيار اسم للطفل ليست أمراً هيئياً متروكاً للعشوائية والهوى، بل أحاطته الشريعة الإسلامية عامة، والسنة النبوية خاصة بعناية بالغة، تجلّت في الضوابط والشروط التي يُراد من ورائها حفظ كرامة الطفل وتعزيز مشاعره الإيجابية، وحمله على التحلي بمعاني الاسم الحسنة؛ بما لم يسبقها إليه أي فكرٍ، وأي نظرية من النظريات، أو علم من العلوم.

المطلب الثاني: سنّة العقيقة والختان وعلاقتها بمشاعر الطفل.

أولاً: سنّة العقيقة وعلاقتها بمشاعر الطفل:

العقيقة أو النسيكة شعيرة من شعائر الإسلام، وسنّة من سنن المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقيل هي من عادات الجاهلية التي أقرّها الإسلام لما فيها من حكم ومصالح جليلة - مالية واجتماعية ونفسية -؛ إلا أنَّ السنة النبوية هذبته بما يوافق الشرع، كتلطّيح المولود بدم النسيكة، استبدلته بالزعفران.

⁽¹⁾: مروة صلاح: قبل أن تسمى مولودك... تأكد من ملامحه، موقع للعلم، www.scientificamericn.com.

وهي سنة للولد والبنت على السواء، يُنسك عن الولد بشاتين وعن البنت بشاة؛ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نَعُقَّ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَيْنِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاءً »⁽¹⁾، وفي هذا مخالفة لليهود الذين حَرَّتْ طريقتهم على أن يَعُقُوا للذكر دون الأنثى.

وقد تكلم النبي ﷺ عن العقيقة في غير ما حديث، وبين ما فيها من أحكام وحكم، ولعلَّ أبرزها حديث محوري، جاءت فيه الإشارة إلى الموضوع، وهو: عن سُمْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: « الْغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ »⁽²⁾. ومدار الأمر على كلمة "مرتهن" أو "رهينة"، هي كلمة مفتاحية، تحمل معاني مرتبطة بالجانب العاطفي والشعوري للطفل، ومن هذه المعاني:

أولها: أنَّ الولد الذي مات ولم يَعُقَّ عنه والداه لم تقبل شفاعته فيهما. وهو قول لعطاء الخرساني وأحمد بن حنبل⁽³⁾؛ وإذا صحَّ المعنى: فإنَّ الولد الذي عقَّ عنه والداه سَيَسْتَعِدُّ لَأَنَّ شَفَاعَتَهُ فِي وَالِدَيْهِ مَقْبُولَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ. **ثانيها:** (...يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ سَلَامَةَ الْمَوْلُودِ وَنُشُوءَهُ عَلَى النَّعْتِ الْمَحْبُوبِ رَهِينَةٌ بِالْعَقِيقَةِ...)⁽⁴⁾. أي أنَّ سنة العقيقة تُعين على حفظ المولود من الشرور والآثام وعلى تحقيق نشأة صالحة له، وهذا موافق لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ بُجَاهَكَ، ... »⁽⁵⁾؛ فحفظ الله للعبد مرهون بطاعته ﷻ، ولا بدَّ أنَّ صاحب النشأة الصالحة يجد في نفسه سعادة وطمأنينة لقوة صلته بالله ﷻ وتوفيقه، على عكس من نشأ منحرفاً بعيداً عن طاعة الله غارقاً في الملذات.

ثالثها: أنَّ العقيقة تخليص للمولود من رهانه من الشيطان الذي حضره مع أول لحظة عند خروجه إلى الحياة الدنيا، وطَعْنُهُ طَعْنَةَ النَّيْلِ مِنْهُ، والسيطرة عليه لإضلاله، ولذلك جاءت العقيقة كأحد السبل لتخليص

⁽¹⁾: ابن ماجه: السنن، الذبائح، العقيقة، ح(3163)، 1056/2. قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، 163/7.

⁽²⁾: أبو داود: السنن، الأضاحي، العقيقة، ح(2837)، 457/4. الترمذي: السنن، أبواب الأضاحي، العقيقة، ح(1522)، 101/4. وقال: (حديث حسن صحيح). النسائي: السنن، الأضاحي، من العقيقة، ح(1522)، 153/3. ابن ماجه: السنن، الذبائح، العقيقة، ح(3165)، 1056/2. الحاكم: المستدرک، الذبائح، ح(7587)، 264/4. الدارمي: السنن، الأضاحي، السنة في العقيقة، ح(2012)، 1251/2. أحمد: المسند، من حديث سمرة بن جندب...، ح(20083)، 271/33. قال عبد القادر الأرناؤوط: (إسناده صحيح)، وقال أيمن صالح شعبان: (صحيح)، يُنظر: جامع الأصول، ح(5607)، 497/7. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح(4153)، 1208/2، إرواء الغليل، ح(1165)، 385/4.

⁽³⁾: ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: 63.

⁽⁴⁾: الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 7 / 2688.

⁽⁵⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 38.

الطفل من حبس الشيطان وحفظاً له من عدوانه، وهذا المعنى يعود بنا إلى سابقه، قال المناوي: (فالأولى أن يُقال: إنَّ العقيقة سببٌ لانفكاكه من الشيطان الذي طعنه حال خروجه فهي تخليص له من حبس الشيطان له في أسره ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته).⁽¹⁾

- آثار أخرى للعقيقة على نفسية الطفل وشعوره، منها:

- التلطف بإشاعة مولده وإثبات نسبه، كمثل الوليمة في الزفاف، حتى لا تكثر عليه أسئلة السائلين عن نَسَبِه بعد أن يُصبح مميّزاً يتجول بين الناس، ممّا قد يسبب له ولأهله الحرج والضيق؛ وفيها أيضاً تشهير به لحفظ حقوقه.

- هي سبيل من السبل الشرعية لحفظ المولود من المصائب والفتن، فقد حفظ الله تعالى إسماعيل عليه السلام من الذبح وفداه بالكبش، ولا شك في أن الحياة بحفظ الله تكون أكثر راحةً وأماناً؛ ويتحقق بها شكر الله سبحانه على النعمة فتحصل له البركة في المال و الولد، وهو موافق لقوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/07]. وذكر الهروي لكلمة "مرهون" معنى يوافق هذا المقصد، حيث قال: (مرهون بعقيقته: يعني أنه محبوس سلامته عن الآفات بها أو إنه كالشئ المرهون لا يتم الاستمتاع به دون أن يُقابل بها لأنه نعمة من الله على والديه).⁽²⁾

- عندما يكبر الولد ويصبح مميّزاً ويُدرك أن ما فعل لأجله من سنة العقيقة، إنما هي إحياء لملة إبراهيم عليه السلام الحنيفة، فإن هذا يزيد حبا لشريعة الله تعالى وتمسكاً بدينه، وسنة نبيه محمد ﷺ.⁽³⁾

- إظهار البهجة والسرور بقدوم هذا المولود وإحياء سنة العقيقة فيه، وهي مشاعرٌ من عامة الحضور تجذ صداها في إحساس المولود وشعوره، خاصةً وهو يتداول على الأذرع بين مُقبِل ومُبتسم له، وداعٍ بالخير والبركة، ترسم في مخيلته موقف جميل يسعدُ بذكره عند الكبر ويكون حافزاً له على ملازمة الاستقامة.

⁽¹⁾: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356، 4/415.

⁽²⁾: علي بن سلطان محمد الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 2687/7.

⁽³⁾: يُنظر: ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: 69. محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1430هـ- 2009م، 1/293. موسى إسماعيل: أحكام الأضحية والعقيقة، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 1427هـ- 2007م، ص: 140.

ثانياً: سنة الختان وعلاقتها بمشاعر الطفل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الْفِطْرَةُ حَمْسٌ: الْحِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفُ الْأَبَاطِ»⁽¹⁾.

الْفِطْرَةُ في الحديث بمعنى السِّنَّةِ، والختان سِنَّةٌ، وقد ثبت أن إبراهيم عليه السلام اختن وهو ابن ثمانين سنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخْتَنَّ إِبرَاهِيمُ عليه السلام وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ»⁽²⁾؛ ولو لم يكن في الختان فضيلة ومكرمة لما جعل من السنن، ولما اختن إبراهيم عليه السلام في هذا العمر؛ وهو سِنَّةٌ منتشرة في العرب، غيَّرَ أنهم كانوا لا يختنون الولد حتى يدرك، أي يبلغ⁽³⁾.

والختان علامة لمن دخل الإسلام، وشعار من شعائر المسلمين، وقد أخذت به الكثير من الشعوب عبر دول العالم بعد أن رأوا فوائده، حيث بيَّنت إحدى الإحصائيات الأخيرة أن نسبة ختان الذكور في الولايات المتحدة تزيد على 71%، وفي كوريا الجنوبية بلغت 77%، والصين بنسبة 14%، وفي إيرلندا بلغت نسبته 39%، أما في روسيا فبلغت 11.8%، وفي استراليا بـ 26%؛ وفي دول جنوب أفريقيا فقد فاقت نسبته هذه الأرقام⁽⁴⁾. في حين لا يزال البعض ممن يدَّعون الدفاع عن حقوق الإنسان يهاجمون سِنَّةَ الختان على أنها عمل إجرامي وتغيير للخليفة، كما يرون أنه انتهاك لحقوق الطفل وحرته في تقرير ما يريد. وأفضل وقت له عندما يكون الولد صغيراً حيث تندمل جروحه بسرعة ويسكت عنه الألم أسرع بكثير ممن اختن وهو كبير، وكلما كان التعجيل فيه كان أفضل وأولى⁽⁵⁾.

- أبرز الآثار الإيجابية للختان على مشاعر الطفل:

1- عندما يُصبح الولد مدركاً ويجد نفسه محتوناً، ويعلم أنه من شعائر المسلمين وسِنَّة حميدة من سنن الفطرة

(1): البخاري: الصحيح، اللباس، تقليم الأظفار، ح(5891)، 160/7.

(2): البخاري: الصحيح، أحاديث الأنبياء، قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَهْدَهُمْ خَالِئاً﴾ [النساء/125]، ح(3356)، 140/4.

(3): في حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي أخرجه: البخاري: الصحيح، الاستئذان، الختان بعد الكبر وشفق الإبطن، ح(6299)، 66/8.

(4): الجزيرة - الصحافة الأمريكية: بينها كوريا الشمالية وأميركا وإيران.. أرقام جديدة عن نسبة الختان في 17 دولة، موقع الجزيرة،

www.ajjazeera.net

(5): يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 68/9. محمد بن صالح بن محمد العثيمين: شرح رياض الصالحين، دار الوطن، الرياض، 1426هـ، 229/5.

التي دعا إليها المصطفى ﷺ فإنَّ ذلك يُشعره بالعرّة ويزداد شعوره بالانتماء والإلتباع لدين الله تعالى قوّةً وارتباطاً، فإنَّ الولد صفحة بيضاء جُبلت على حبِّ الله وطاعته.

2- بالختان يتخلص المرء من الإفرازات الدهنية والسيلان الشحمي المقزز للنفس⁽¹⁾.

3- الختان في سنٍّ مبكرة يُجنب الطفل الإصابة بسلس البول الليلي⁽²⁾ على فراشه، الأمر الذي يسبب له الخجل أمام أهله والآخرين، كما يُوقعه في الحرج والضيق في أمرٍ لا يجد له مخرجاً عند نفسه.

4- (يخفف بالختان خطر استعمال العادة السرية، لأنَّ وجود القلفة ومفرزاتها يثير الأعصاب التناسلية المنبثة حول قاعدة الحشفة، وتدعوا المراهق إلى حكّها والاستزادة من مداعبتها، ومداعبة العضو التناسلي).⁽³⁾.

5- ولا يخفى أنّ الطفل غير المختون في المجتمعات العربية يتعرض للسخرية والاستهزاء من طرف أقرانه، فيوقعه ذلك في الحرج، ويؤدي به إلى مفارقتهم والانعزال عنهم أو مشاجرتهم كلما ذكروا له الأمر فقد صار الموضوع بالنسبة إليه مزعجاً؛ ولا يهنأ له بال إلى أن يتحقق له المطلوب.

هذا ما استطعت إجماله من آثار للعقيقة والختان على مشاعر الطفل، وانعكاساتها الإيجابية على نموه وتكوينه؛ وأختم بما قاله محمد قطب في فوائد العقيقة وغيرها من السنن على نفسية المولود. قال: (المولود - بطبيعة الحال- لا يدرك ولا يعي ما يجري حوله من العقيقة أو غيرها، إلّا أنّه مع مرور الزمن ومشاهدته لهذا الواقع، يُفعل لغيره، تتأصل عنده وترسخ في وجدانه سُنّة ذلك، ويدرك أيضاً مراميها وغاياتها في بركة الفدية، وخلوصها إلى الله تعالى، وإحاطة الوليد بعناية الباري سبحانه).⁽⁴⁾.

(1): يُنظر: محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط4، الدار السعودية، جدّة، 1403هـ - 1983م، ص: 32.

محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ص: 296. موسى إسماعيل: أحكام الأضحية والعقيقة، ص: 195.

(2): الختان أحد العلاجات من التبول الليلي وليس العلاج النهائي، فمن الأطفال المختونين من يتبول ليلاً، ذلك أنّ التبول الليلي له أسباب عدة معروفة، منها: الخوف الشديد، العدوان على الطفل، صغر حجم المثانة، كثرة شرب الماء ليلاً... إلخ. يُنظر: سهام حسن: نفسية طفلك من سنة إلى 18 سنة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1918م، ص: 38. رشا عيتاني: مبروك كيف تعتنين بطفلك، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1433هـ - 2012م، ص: 21.

(3): محمد علي قطب: أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ص: 35.

(4): المرجع نفسه، ص: 34.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة والحضانه.

وفي هذا المبحث كلام عن أهمية الرضاعة الطبيعية وأثرها على مشاعر الطفل في هذه المرحلة وما بعدها، وامتداد ذلك إلى مشاعره وسلوكه، كما يتناول الكلام عن الحضانه ودورها في حياة الطفل، وامتداد تأثيرها إلى عدة جوانب، خاصة الجانب الشعورية العاطفي.

المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة الطبيعية.

الرضاعة الطبيعية عملية فسيولوجية، تتم بالتنسيق بين مجموعة هرمونات (البروجستيرون، الأستروجين، البرولاكتين (هرمون الحليب)، الأوكسيتوسين)، وعن طريق عملية المصّ تُثارُ حلمة الثدي فتحفز هذه الأخيرة الحليب على الخروج، ليُمرَّ عبر القنوات إلى فم الرضيع؛ ولكي يحتفظ الرضيع بامتصاص الحليب وبلعه بشكل جيد ومستمر، مع عدم الإخلال بعملية التنفس، فقد زوده الله ﷻ بقدره كبيرة على البلع تبلغ سرعتها ثلاثة أمثال القدرة عند الراشد⁽¹⁾.

إنّ هذا الجهاز الذي يعمل بدقة متناهية وتنسيق محكم ومتكامل بين الغدد والهرمونات، وحلمة الثدي والجهاز العصبي للأُم، كلّهُ لأجل إدرار الحليب ووصوله إلى جسم الطفل، هو أمرٌ يدل على الأهمية الفائقة التي أعطاها الله ﷻ لهذه العملية، وما أودع فيها من فوائد صحية ونفسية على الأم المرضع والرضيع معاً.

قال الله ﷻ: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضْعَةَ ﴾ [البقرة/233].

وقد أكدّ النبي ﷺ على ضرورة استيفاء الوليد حقه في الرضاعة حولين كاملين، بما ثبت في قصّة الغامدية؛ التي ردها ﷻ وأخرّ تنفيذ حدّ الزنا عليها لأجل أن تتمّ رضاعة طفلها؛ فعن عبد الله بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، أنّ ماعز بن مالك الأسلميّ، أتى رسول الله ﷺ، فقال: (...، فَجَاءَتِ الْعَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ رَزَيْتُ فَطَهَّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُو، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تُرَدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحُبْلَى، قَالَ: «إِنَّمَا لَا فَادُهِي حَتَّى تَلِدِي»، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي حِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: «أَذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطَمِيهِ»، فَلَمَّا فَطَمْتُهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهَلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا

(1) يُنظر: مجدى الدسوقي: سيكولوجية النمو...، ص: 196. عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 107.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

صَاحِبُ مَكْسٍ لَعْفَرَ لَهُ «، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ»⁽¹⁾؛ وفي هذه القصة يتأكد أيضاً أن الذي يُعنى بواجب الإرضاع أولاً وقبل أي أحدٍ- إذا كانت حيّة-، هي الأم؛ ولذلك حَرَّمَ اللهُ ﷻ المراضع على موسى عندما دخل قصر فرعون رضيعاً، ثم هدى أمه إلى مكانه لتكون هي مرضعته، فيهنأ بلبنها وعطفها؛ فكل هذا التدبير الإلهي في رضاعة موسى ﷺ لم يكن مجرد إعادة جمع بين الأم وابنها، بل أيضاً لما تحمله رضاعة الأم الطبيعية من فوائد وحكم كان لا بدّ لموسى أن ينال حظها منها.

وقد تكلمت الكثير من البحوث والدراسات في مختلف المجالات، منها علم فسيولوجيا الإنسان، وعلم نفس النمو، وكتب التربية الإسلامية، عن أهمية الرضاعة الطبيعية وضرورتها في نمو الطفل وتنشئته، وتكلمت معظمها عن فوائدها الصحية على الرضيع وأمه، إلى جانب بعض من منافعها السيكولوجية على كليهما. هذا الجانب الأخير الذي ربما غفلت عنه الكثير من الأمهات في الوقت الحاضر فجعلوا الرضاعة مجرد إشباع لبطن الطفل وتلبية لحاجاته الغذائية، ممّا دفع بالكثيرات إلى اللجوء للحل السريع والسهل والتخلي عن الرضاعة الطبيعية بالرضاعة الصناعية، رغم أن الفرق بينهما كبير وواسع من عدة جهات.

ويجدر الإشارة إلى ما دلّت عليه الأبحاث التي أجريت في السنوات الأخيرة من: (... أن بإمكان لبن الأم أن يُغيّر محتوياته لكي يتناسب مع درجة نضج الطفل).⁽²⁾؛ النضج البدني والحركي، والنضج العقلي، والنفسي.

وعليه فإنّ لبن الأم له تأثير كبير على نفسية الطفل ومشاعره، وبيان ذلك فيما يلي:

- عملية الرضاعة تحمل قدراً كبيراً من مشاعر الحب والحنان والعطف على الرضيع، وهي تعبير صريح من الأم بحبها وتعلقها بابنها؛ وقد دلّ على هذا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ نَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»، قُلْنَا: لَأَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا»⁽³⁾.

(1): مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالزنى، ح(1695)، 1323/3.

(2): عبد الفتاح مصطفى غنيمه: حاجات الطفل للنفس والبدن، ص: 06.

(3): البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح(5999)، 8/8. مسلم، الصحيح، التوبة، في رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح(2754)، 2109/4.

- حين يُسندُ الطفل الرضيع على صدر أمه، تسكن نفسه بسماعه نبضات قلبها التي تعودها واستأنس إليها لما كان في ظلمات الرحم، فيشعر بالحبِّ والحنان، وَيَنعَمُ بالدَّفءِ والرضا، ويظهر عليه مزيدٌ من الامتلاء العاطفي والارتخاء كلما امتدت مدَّة الرِّضعة؛ ويجدُّ في صدر أمه الأمان وهو مترعب في حجرها تحيط به العناية من كل جانب، ويلازمه هذا الشعور حتى بعد أن يُفطم فيلجأ إليه كلما عَرَضَ له تهديدٌ أو خطر.

- الرضاعة الطبيعية (تعتبر تعلقاً مباشراً بين الطفل وأمه يساعد على الإسراع بالنمو الانفعالي والاجتماعي للطفل، لذلك يرى بعض العلماء أنه لو اضطرت الأم إلى الرضاعة الصناعية...فعليها أن تجعل موقف التغذية أقرب ما يكون إلى الرضاعة الطبيعية من حيث الاتصال الجسدي المباشر).⁽¹⁾

- تمتاز الرضاعة الطبيعية بسهولة الحصول عليها كلما طلبها الطفل، وهذه السهولة تضمن له استقراره النفسي والهدوء، فلا يضطره الأمر للبكاء لوقت طويل حتى يُعلن للأم جوعه، ثم يبكي لوقت إضافي إلى أن يُحَضَّرَ ويجهَّز كما هو الحال في الرضاعة الصناعية، ولذلك نجد أن الرضاعة الطبيعية تقي الطفل من مسببات التوتر والانفعال الشديد الذي يجعله فيما بعد طفلاً عدوانياً.

- كما وجد أن الأطفال الذين ينعمون بقدر وافرٍ من الرضاعة الطبيعية يمتازون بالهدوء والتوازن السلوكي، على عكس الذين تخللت رضاعتهم توترات، أو تمَّ وقفها قبل تمام مدتها؛ وربما تعود العادات الفموية السيئة عند بعض الأطفال إلى حرمانهم المبكر من الرضاعة الطبيعية، كمصّ الإبهام، والشفا السفلي، أو قضم الأظافر، ونحوها⁽²⁾.

- وقد ذكر الرسول ﷺ ميزة مهمّة وأساسية في الرضاعة الطبيعية، لم تُشر إليها كتب علم النفس الغربي أو الدراسات العلمية الغربية الحديثة؛ وهو أن الرِّضاع يؤثر في طباع الولد، فيشَبُّ على طباع المرأة التي أرضعته، حميدة كانت أو قبيحة. فقد جاء في قوله ﷺ: «الرِّضَاعُ يُعَيِّرُ الطَّبَاعَ»⁽³⁾.

ورغم أن الحديث ضعيف إلا أن دلالاته حقيقية وملموسة؛ قال المناوي في شرح الحديث: (أي يُعَيِّرُ طبع الصبي عن حُوقه بطبع والديه إلى طبع مرضعته لصغره ولطف مزاجه، ومُراد المصطفى ﷺ حثُّ الوالدين

(1) مجدى محمد الدسوقي: سيكولوجية النمو...، ص: 190.

(2) يُنظر: عدنان السبيعي: الصحة النفسية للمولود والرضيع، ط1، دار الفكر، دمشق، 1418هـ-1997م، ص: 68. حسن أحمد شحاتة ومنى الشرقاوي: تقوية شخصية طفلك، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1439هـ-2018م، ص: 96.

(3) ابن شهاب: المسند، الرضاع يغير الطباع، ح(35)، 56/1. ابن الأعرابي: المعجم، باب ي، ح(219)، 138/1. قال الألباني: (ضعيف)، يُنظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ح(3156)، 463/1.

على توحي مرضعة طاهرة العنصر زكية الأصل، ذات عقل ودين وخلق جميل، والطباع ما تركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزاؤها من خير وشر... قال الدميري: العادة جارية بأن من ارتضع امرأة غلب عليه أخلاقها من خير وشر. (1).

وذكر السخاوي قصة للإمام الجويني، تؤكد واقعية الحديث، قال: (...لما دخل الشيخ أبو محمد الجويني بيته، وجد ابنه الإمام أبا المعالي يرتضع ثدي غير أمه اختطفه منها، ثم نكس رأسه، ومسح بطنه، وأدخل أصبعه في فيه، ولم يزل يفعل ذلك حتى خرج ذاك اللبن، قائلاً: يسهل عليّ موته، ولا تفسد طباعه بشرب لبن غير أمه، ثم لما كبر الإمام كان إذا حصلت له كبوة (2) في المناظرة يقول: هذه من بقايا تلك الرضعة، وقال العز الديري: العادة جارية، أن من ارتضع امرأة، فالغالب عليه أخلاقها، من خير وشر... (3).

ولذلك: (كره العلماء، استرضاع الكافرة، والفاسقة، وسيئة الخلق أو من بها مرض مُعد، لأنه يسرى إلى الولد، واستحبوا أن يختار المرضعة، الحسنة الخلق والخلق، فإن الرضاع يُغير الطباع؛ والأحسن أنه لا يرضعه إلا أمه، لأنه أنفع وأمرى وأحسن عاقبة... (4).

- وتؤثر نفسية الأم على استمرار عملية الرضاعة وعلى نفسية الرضيع معاً، فإذا كانت الأم تشعر بأي من المشاعر السلبية كالاكتئاب والقلق، فإن ذلك يؤثر على كمية اللبن، وينعكس على شبع الطفل وهدوئه النفسي والسلوكي (5).

(1): المناوي: فيض القدير، 55/4.

(2): الكبوة: الوقفة كوقفة العاثر، وفي الحديث: «ما أحد من الناس عرضت عليه الإسلام إلا كانت له عنده كبوة غير أبي بكر فإنه لم يتلثم». يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: الفائق في غريب الحديث والأثر، ت: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان، 242/3.

(3): شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ-1985م، ص: 368.

(4): أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ت: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط10، مكتبة الصحابة - مكتبة التابعين، الإمارات - القاهرة، 1426هـ - 2006م، 625/1.

(5): يُنظر: محمد سيد أرنؤوط: التغذية السليمة لطفلك، ط1، دار الفنون للعلوم والآداب، بومرداس، 1435هـ-2014م، ص: 37.

- مرحلة الفطام وأثرها النفسي على مشاعر الطفل:

ويأتي على الطفل مرحلة حتمية تسمى الفطام، يُفارق فيها لبن أمه إلى الطعام، وهي مرحلة صعبة على الرضيع وأمه على السواء؛ يتعرض فيها الجانب النفسي للرضيع إلى هزّات انفعالية تجعله يشعر بالحرمان؛ خاصّة إذا تمّ الفطام بشكل نهائي ومفاجئ، حيث يُسبب للطفل القلق والاضطراب، والشعور بفقدان الثقة والحرمان؛ ومن أجل أن لا يتفقم الأمر معه، لا بدّ للأم أن تعمل بجملة من التوصيات، أبرزها:

- ضرورة إتمام مدّة الرضاعة حولين كاملين كما ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم، لأنّ في تمامها إشباع لحاجات الطفل العاطفية، وتخفيف من حجم الألام النفسية سيلقاها مع الفطام.
- التدرج المتسلسل في فطام الطفل، بالتقليل من مدّة الرضعة مع التباعد الزمني بين الواحدة والأخرى⁽¹⁾.
- تعويض الطفل بقدر كافي من المداعبات والجلسات والحرجات، التي تحمل حباً وحناناً وأماناً من طرف الأم وغيرها كالأب، حتى يتسنى له نسيان صدر أمه وينشغل بغيره.
- ويحسُّ بالأم إلهاء الطفل بما يجبه ويشتهيهِ من فاكهة وطعام، أو مشروب أو لعبة، كلّمًا طلب الرضاعة وألحَّ عليها بالبكاء؛ والأفضل التنويع بينها في كل مرّة حتى لا يملّ الطفل.
- ومن العادات السيئة في عملية الفطام وضع مادة مرّة المذاق على حلمة الثدي حتى إذا ما وجد الطفل ذلك الطعم نفّر من الرضاعة وكرهها⁽²⁾، وهو أمر غاية في الخطورة على نفسية الطفل، إذ يكفيه سوءاً أنه يزعزع فيه ثقته بأمه وشعوره بالأمان نحوها، وهذا الشعور يُهدّد علاقاته الأسرية وحتى الاجتماعية مستقبلاً.
- إنّ مرحلة الطفولة عبارة عن إسفنجة نظيفة لطيفة مليئة بالحيوية والمشاعر الإيجابية، وإنّ أيّ سلوك خاطئ في فترة ما، قد يُؤلّد فيها شعوراً سيئاً ويورثها طبعاً قبيحاً قد يصعب التخلص منه فيما بعد.

المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحضانة.

شُرعت الحضانة لحفظ الطفل وحفظ مصالحه، لَمّا كان عاجزاً عن النَّظَرِ فيها بنفسه؛ وتُعتبر الحضانة من أهم المراحل تأثيراً على نشأة الطفل، لذلك كانت من أهم قضايا الأسرة في الفقه الإسلامي.

والحضانة في اللغة من الحِضْنِ: يُقال "حَضَنْ" الطَّائِرُ بيضه من باب نصر ودخل إذا ضَمَّهُ إلى نفسه

⁽¹⁾: يُنظر: عبد السلام عطوة الفندي: تربية الطفل في الإسلام، ص: 115. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة نمو وتربية

الطفل، ص: 361. أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 127

⁽²⁾: يُنظر: عبد السلام عطوة الفندي: المرجع نفسه.

تحت جناحه، و"حَضَنْتِ" المرأة ولدها "حَضَانَةً"، و"حَاضِنَةٌ" الصَّبِيَّ التي تقوم عليه في تربيته، و"اِحْتَضَنْ" الشَّيْءَ جعله في حِضْنِهِ⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح الشرعي، الحضانة: (هي حفظ من لا يَسْتَقِلُّ بنفسه وتربيته حتى يَسْتَقِلَّ بنفسه.)⁽²⁾.
وفي تعريف آخر أكثر تفصيلاً، هي: (حفظ الولد في مَبِيْتِهِ ومُؤْنَتِهِ وطعامه ولباسه ومَضْجِعِهِ وتنظيف جسمه.)⁽³⁾؛ وكلها أعمال تحتاج إلى أناة وصبرٍ، ممزوج بالحبِّ والعطف والحنان؛ فقد تأخذ من صاحبها جُلَّ يومه، ولا يقدر عليها إلا من رُزِق قوة عاطفية فطرية اتجاه الصغير.

أولاً: ترتيب الحاضنين وعلاقته بمشاعر الطفل.

الطفل في حضانة والديه مادامت الزَّوجية قائمةً بينهما، يؤدي كلٌّ منهما واجبه حسب فطرته وحسب ما يُجْلِيه الشرع؛ فإذا وَقَعَت الفُرقة بينهما فالأم أحقُّ به؛ لما روي عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن عمرو أن امرأةً قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءً، وَتُدْبِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حَوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْزِعَهُ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي»⁽⁴⁾.
وفي رواية عن أبي هريرة قال: جَاءَتْ أُمُّ وَأَبٌ يَخْتَصِمَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي ابْنٍ لهُمَا، فَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي، إِنَّ زَوْجِي يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِابْنِي، وَقَدْ سَقَانِي مِنْ بَيْتِ أَبِي عِنْبَةً وَنَفَعَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا غُلَامُ،

(1): يُنظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ-1999م، 75/1.

(2): علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالح الحنبلي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط2، دار إحياء التراث العربي، 416/9.

(3): شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرُّعَيْنِي المالكي: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار الفكر، 1412هـ - 1992م، 214/4.

(4): أبو داود: السنن، الطلاق، من أحق بالولد، ح(2276)، 588/3. البيهقي: السنن الصغرى، النفقات، أي الوالدين أحق بالولد، ح(2907)، 194/3. الدارقطني: السنن، النكاح، المهر، ح(3808)، 468/4. أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ح(6707)، 311/11. عبد الرزاق: المصنف، الطلاق، أيُّ الأبوين أحق بالولد، ح(12596)، 153/7. الحاكم: المستدرک، الطلاق بسم الله الرحمن الرحيم، ح(2830)، 225/2. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الهيثمي: (رجاله ثقات)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(7701)، 323/4. وقال الألباني: (قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قلت: وإنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه)، يُنظر: إرواء الغليل، ح(2187)، 244/7. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده حسن). وقال أحمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح).

هَذَا أَبُوكَ، وَهَذِهِ أُمُّكَ، فَخُذْ بِيَدِ أَيْتِمَا شِئْتَ، فَأَخَذَ بِيَدِ أُمِّهِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ»⁽¹⁾.

قال الترمذي مُعلِّماً على الحديث: (وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ قَالُوا: يُخَيَّرُ الْعُلَامُ بَيْنَ أَبِيهِ إِذَا وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا الْمَنَازَعَةُ فِي الْوَلَدِ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَقَالَا: مَا كَانَ الْوَلَدُ صَغِيرًا فَالْأُمُّ أَحَقُّ بِهِ، فَإِذَا بَلَغَ الْعُلَامُ سَبْعَ سِنِينَ خُيِّرَ بَيْنَ أَبِيهِ...). والطفل بفطرته وقلة إدراكه لمصلحه فإنه يختار دائماً الطرف الأكثر حنواً وشفقةً عليه، ودليله في كل أمره "مشاعر قلبه الصغير". واختُلف في ترتيب من يُحَقُّ له حضانة الطفل على أقوال بين المذاهب⁽²⁾، إلا أنَّ المجمع بينهم هو أنَّ الأم في الرتبة الأولى، لا يَنَازَعُها فيها أحد ما لم تتزوج؛ ثم تليها الجدَّة لأم، ويبقى الأب مع الجدَّة لأب والخالة والأخت في المراتب الأولى بعد الأم والجدَّة لأم على اختلاف بينهم في الترتيب بين المذهب⁽³⁾.

(1): أبو داود: السنن، الطلاق، من أحق بالولد، ح(2277)، 588/3. النسائي: السنن، الطلاق، إسلام أحد الزوجين وتخيير الولد، ح(3496)، 185/6. الترمذي: السنن، الأحكام، ما جاء في تخيير الغلام بين أبيه، ح(1357)، 630/3. وقال: (حديث حسن صحيح). الدارمي: السنن، الطلاق، في تخيير الصبي بين أبيه، ح(2339)، 1473/3. البيهقي: السنن الصغرى، النفقات، أي الوالدين أحق بالولد، ح(2902)، 193/3. أحمد: المسند، ابتداء مسند أبي هريرة، ح(7346)، = 168/7. عبد الرزاق: المصنف، الطلاق، أي الأبوين أحق بالولد، ح(12611)، 157/7. الحاكم: المستدرک، الأحكام، ح(7039)، 108/4. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (صحيح)، ينظر: إرواء الغليل، ح(2193)، 251/7. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح). وقال حسين الداراني في تحقيقه على سنن الدارمي: (إسناده صحيح)

(2): يُنظر: في المذهب الحنفي: علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، 1406هـ - 1986م، 41/4. ابن نجيم المصري: البحر الرائق، 181/4. المذهب المالكي: مالك بن أنس: المدونة، 259/2. ابن عبد البر: الكافي في فقه أهل المدينة، 626/2. المذهب الشافعي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، 165/3. الماوردي: الحاوي الكبير، 513/11.

المذهب الحنبلي: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح أبو إسحاق برهان الدين: المبدع في شرح المقنع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1418هـ - 1997م، 184/7. منصور بن يونس البهوتي الحنبلي: كشاف القناع، 497/5. (3): يُنظر: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي: المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م، 210/5. ابن عبد البر: الكافي في فقه أهل المدينة، 625/2. الماوردي: الحاوي الكبير، 514/11. موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ثم الصالح بن شرف الدين أبو النجاة: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 157/4. يُنظر مجموع الأقوال في: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي: مختصر اختلاف العلماء، ت: عبد الله نذير أحمد، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ، 456/2.

وحاصل الأمر كله في الترتيب بين الحاضنين يدور على تنشئة الطفل وإصلاحه، وإمداده بقدر وافرٍ من المودة والعطف والحنان، ودليله قول أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيما رواه عكرمة قال: خَاصَمَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ طَلَّقَهَا فَقَالَ: «هِيَ أَعْطَفُ، وَاللَّطْفُ، وَأَرْحَمُ، وَأَحْنَأُ، وَأَرْأَفُ، وَهِيَ أَحَقُّ بِوَلَدِهَا مَا لَمْ تَزَوِّجْ»⁽¹⁾. فالذي ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه من علة الحكم هو مجموعة مشاعر ايجابية، الطفل أحوج إليها كحاجته للطعام والماء، خاصة في مرحلتَي الرضاعة والطفولة المبكرة؛ والأُم أقدَرُ عليها من غيرها، وهو ما بيّنته بعض كتب الفقه، ومما جاء فيها:

- (... والحاصل أنّ الأمر يدور حول مصلحة الولد وإحسان حضائته وتنشئته...)⁽²⁾.

- (.. قال أبو بكر: هي أعطف وألطف وأرحم وأحنى وهي أحق بولدها ما لم تتزوج فهذه الأوصاف تفيد أن أبا بكر جعل العلة العطف واللفظ والرحمة والحنو، وبعد بلوغ سن الاستقلال يُخَيَّرُ الصبي بين أبيه وأمه)⁽³⁾

- (وأما بيان من له الحضانة فالحضانة تكون للنساء في وقت وتكون للرجال في وقت والأصل فيها النساء؛ لأنهنَّ أشفقُ وأرفقُ وأهدى إلى تربية الصغار ثم تُصرف إلى الرجال؛ لأنهم على الحماية والصيانة وإقامة مصالح الصغار أقدَر)⁽⁴⁾.

- (اعلم بأنّ الصغار لما بهم من العجز عن النَّظر لأنفسهم والقيام بجوائجهم؛ جعل الشَّرْع ولاية ذلك إلى من هو مُشفق عليهم فجعل حقَّ التصرف إلى الآباء لقوَّة رأيهم مع الشَّفقة والتَّصرف يستدعي قوَّة الرأي

⁽¹⁾: عبد الرزاق: المصنف، الطلاق، أيُّ الأبوين أحق بالولد، ح(12600)، 153/7، (واللفظ له). ابن أبي شيبة: المصنف، الطلاق، ما قالوا في الرجل يُطلق امرأته ولها ولد، ح(19114)، 179/4. مالك: الموطأ - برواية الزهري-، الوصايا، جامع = الأفضية، ح(3016)، 517/2؛ بلفظ: (خَلَّ بينها وبينه، فما رَاجَعَهُ عُمَرُ الكلام). البيهقي: السنن الكبرى، النفقات، الأم تتزوج فيسقط حقها من حضانة، ح(15765)، 7/8؛ بنفس اللفظ عند مالك. قال الألباني: (وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين، لكنه مرسل، لأن عكرمة وهو أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس لم يسمع من أبي بكر. قال أبو زرعة: عكرمة عن أبي بكر، وعن علي مرسل...)، ينظر: إرواء الغليل، ح(2188)، 245/7. وقال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده صحيح، لكنه مرسل)، يُنظر: ح(6707)، 311/11.

⁽²⁾: حسين بن عودة العوايشة: الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ط1، المكتبة الإسلامية - دار ابن حزم، عمان - بيروت، من 1423 - 1429 هـ، 420/5.

⁽³⁾: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي: الروضة الندية شرح الدرر البهية، دار المعرفة، 91/2.

⁽⁴⁾: علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع، 41/4.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

وجعل حقَّ الحضانة إلى الأمهات لرفقهنَّ في ذلك مع الشَّفقة.. وفي تفويض ذلك إليها زيادة منفعة للولد⁽¹⁾ وعليه فإنَّ الحضانة مبنية على قوة العلاقة الشعورية بين الحاضن والطفل، وهو ما يُؤكِّد المستوى العالي لاهتمام السنَّة النبوية خاصةً والشريعة الإسلامية عامةً بمشاعر الطفل.

ثانياً: نهاية مرحلة الحضانة وأثرها على مشاعر الطفل:

لا بُدَّ أن يكبر الصغير وينتقل إلى سنِّ يستطيع فيه الاعتماد على نفسه في كثير من الأمور التي تقوم عليها الحضانة، والإسلام لا يُنهي علاقة الطفل بوالديه أو حاضنيه بنهاية الحضانة، ولا يستقلُّ الطفل عنهم استقلالاً، كما هو حاصلٌ في عادات المجتمعات الغربية، الذي أقرَّهم عليه المنظمات الحقوقية للطفل⁽²⁾ وبعض الأفكار من علم الاجتماع وعلم النفس⁽³⁾؛ وإنما نهاية الحضانة تشبه مرحلة الفطام عند الرضيع، بانتهائها ينتقل الطفل إلى استعدادات جسدية ونفسية جديدة، ولذلك كان الكلام عن نهاية مرحلة الحضانة ضرورياً وحتمياً من جهة تحديد السنِّ المناسبة لها، ومدى تأثيرها على عواطف الطفل ومشاعره.

اختلفت المذاهب الفقهية في تحديد العُمر الذي تنقضي فيه حاجة الصغير لحضانة أمه على أقوال:

قال **الحنفية**: (وأما وقت الحضانة التي من قبل النساء فالأم والجدتان أحقُّ بالغلام حتى يستغني عنهنَّ فيأكل وحده ويشرب وحده ويلبس وحده...، وذكر أبو داؤد بن رشيدٍ عن محمدٍ ويتوصلاً وحده يُريدُ به الاستنجاء أي ويستنجي وحده ولم يُقدِّر في ذلك تقديراً وذكر الحَصَّافُ سَبْعَ سنينَ أو ثمان سنين أو نحو ذلك؛ وأما الجارية فهي أحقُّ بما حتى تحيضَ كذا ذكر في ظاهر الرواية وحكى هشامٌ عن محمد حتى تبلغَ أو تشتهي⁽⁴⁾)؛ وعلة هذا التمايز بين الغلام والجارية عند الحنفية أنَّ البنت بعد استغنائها عن الحضانة تحتاج

⁽¹⁾: السرخسي: المبسوط، 207/5.

⁽²⁾: دُكر ذلك في اتفاقية حقوق الطفل في المادة: 12 ونصُّها: (1- تكفل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية للطفل القادر على تكوين آرائه الخاصة حقَّ التعبير عن تلك الآراء بحرية في جميع المسائل التي تمسُّ الطفل وتؤي آراء الطفل الاعتبار الواجب وفقاً لسنِّ الطفل ونُضجه.)، يُنظر: اتفاقية حقوق الطفل، موقع الأمم المتحدة: حقوق الإنسان، www.ohchr.org

وتعني هذه المادة أن: (حق الطفل ليس فقط في التعبير عن رأيه ولكن أيضاً في أن يُؤخذ رأيه في الحسبان فيما يمسه من أمور هو اعتراف بالغ الأهمية بالحاجة إلى إيلاء الأطفال فرصة أكبر للتعبير عن الأمور التي تخص حياتهم.). يُنظر: جامعة منيسوتا،

مكتب حقوق الإنسان: تعريف باتفاقية حقوق الطفل 1989، موقع مكتبة حقوق الإنسان، hrlibrary.umn.edu

⁽³⁾: يشهد على هذا الكلام ما قالته "كلير فهميم" مثلاً في أحد مؤلفاتها: (البلوغ ولادة جديدة، فالولادة الأولى هي انفصال الطفل عن أمه، والولادة الثانية هي انفصاله عن أهله ليكسب شخصية جديدة مستقلة، فالبلوغ إذن هو أزمة الفتى وأهله على السواء.)، يُنظر: كلير فهميم: المشاكل النفسية للمراهق، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1987م، ص: 87.

⁽⁴⁾: علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع، 42/4.

لمعرفة آداب النساء، والمرأة على ذلك أقدّر؛ أمّا العُلام فإنّه بعد البلوغ يحتاج إلى التحصين والحفظ، والأب فيه أقدّر⁽¹⁾.

وقال المالكية: تنتهي حضانة الغلام بالاحتلام ثم يذهب حيث شاء، أما الجارية فحتى تبلغ النكاح وإن بلغت الثلاثين أو الأربعين سنة من عمرها، أو خيف عليها في موضعها الذي تسكنه عند أمها⁽²⁾.
أما الشافعية: فقالوا أنّ الحضانة تكون للأم إلى سبع سنين أو ثمانية تقريباً، ثمّ يُخَيَّر الولد ذكراً كان أم أنثى بين أبويه فأيهما اختار سلّم إليه، وقالوا أنّ (المدار على التمييز سواء حصل قبل السبع أو بعدها ولا بُدّ مع التمييز أن يكون عارفاً بأسباب الاختيار وإلا أُخّر إلى حصول ذلك لأنّ التخيير عنما فُوض إليه لأنّه أعرف بحظّه لأنّه قد يعرف من أبويه ما يدعُو إلى اختياره...)⁽³⁾.

و ذهب الحنابلة إلى القول بسبع سنين كحدّ لانقضاء حضانة الأم عند الغلام والجارية معاً كما عند الشافعية، غير أنهم جعلوا بعدها التخيير للغلام، والجارية تكون عند أبيها وجوباً إلى أن تتزوج، لأنّه أحفظ لها وأحقُّ بولايتها من غيره⁽⁴⁾.

ورغم الاختلاف الحاصل بين الفقهاء في تحديد زمن انقضاء الحضانة إلا أنّ الناظر المتأمل في أقوالهم جميعاً يجد فيها قدرًا كبيراً من المراعاة لارتباطات الطفل الشعورية، واختياراته الخاصّة، وما تقتضيه مصلحته من عدّة جوانب؛ كترك الاختيار للعُلام بين والديه كما قال الشافعية والحنابلة، فقد يكون تعلُّقه بأمه لا يزال قوياً؛ أو إرجاؤه إلى البلوغ كما قال المالكية؛ أمّا الجارية فبقاؤها مع أمها إلى سنّ البلوغ كما ذهب الحنفية، أو تعليقها بالزواج كما ذهب المالكية، فيه نظر إلى حاجة البنت الملحّة لأمها، فالمعروف أنّ البنات أكثر تعلقاً بالأم من الصبيان، مع تقدير حاجتها لفهم الكثير من المسائل المتعلقة بالنساء كأحكام الحيض، وأشغال المنزل، والآداب العامة، والتي لا تجد البنت حرجاً في سؤال أمها عليها.

(1): يُنظر: عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي، 480/1.

(2): يُنظر: مالك بن أنس: المدونة، 258/2.

(3): أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي: كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار، ت: علي عبد الحميد بلطحي ومحمد وهي سليمان، ط1، دار الخير، دمشق، 1994م، 447/1.

(4): يُنظر: عبد القادر بن عمر بن عبد القادر ابن عمر بن أبي تغلب بن سالم التغلبي الشيباني: نيل المآرب بشرح دليل الطالب، ت: محمد سليمان عبد الله الأشقر، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1403هـ - 1983م، 311/2.

ثالثاً: صور حديثة لحضانة الأطفال ومدى تأثيرها على مشاعره.

تَفَشَّتْ في وقتنا الحاضر ظاهرة خروج المرأة من بيتها للعمل، ومزاحمتها للرجل في مختلف التخصصات والميادين، ممَّا أَلَزَمَ الأسرة إلى اللجوء لإحدى صورتين لفكِّ مشكل حضانة الأولاد؛ فكان عليها إمَّا التوجه بهم لإحدى رياض الأطفال، أو إبقاؤهم بالبيت وإحضار مربية لهم؛ ورُغم أنَّ الموضوع قد تناولته الكثير من المقالات والمؤلفات بالدراسة والتحليل، إلَّا أنَّه لا يزال بحاجة لمزيد من البيان والتنبيه لبقاء الظاهرة على حالها دون تحسن؛ ولا يسعني في هذه الأسطر القليلة إلا ذكر أهم تأثيراتهما الإيجابية أو السلبية على مشاعر الطفل وعواطفه.

1- رياض الأطفال: تتَّجه الكثير من الأسر في الدول العربية المسلمة إلى إخراج أطفالهم قبل سنِّ التمدرس إلى رياض الأطفال، إمَّا لغرض تربوي تعليمي ترجُّوه من هذه الروضة، أو لمجرد إيجاد البديل عن الحضانة بالبيت لعجز الوالدين أو الأم خاصَّةً عن القيام بها لسبب ما.

ورغم أنَّ الكثير من الباحثين والمختصين في مجال التربية يُرجِّحون أنَّ للروضة فوائد كثيرة على الطفل ك:

تعديل السلوك وتنمية خبراته الفكرية والإبداعية، وتطوير النطق والكلام، مع نموه الحركي عن طريق اللعب ومختلف الأنشطة المقدَّمة، وبناء الروابط الاجتماعية مع زملائه ومعلمته⁽¹⁾.

ولها آثار إيجابية على نفسية الطفل ومشاعره، ومنها:

- إمتاع الأطفال بممارسة اللعب في جو من الحرية والحركة.
- تنمية القيم والآداب والسلوك المرغوب فيها عند الأطفال.
- تنمية الثقة بالنفس والانتماء لدى الأطفال.
- تدريب الأطفال على تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس.
- تحفيز الأطفال وخلق الدوافع الإيجابية عندهم نحو العمل.
- تعويد الأطفال على حبِّ الجماعة والعمل التعاوني.
- المساهمة في حل كثير من المشكلات التي لدى الأطفال كالخجل والانطواء والعدوان...⁽²⁾

(1): يُنظر: جميل أبو ميزر- محمد عبد الرحيم عدس: المرشد في منهاج رياض الأطفال، دار مجدلاوي، الأردن، 1422هـ- 2001م، ص: 37. حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو...، ص: 202.

(2): يُنظر: محمد كمال يوسف: الخبرات التربوية المتكاملة لرياض الأطفال، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1430هـ- 2009م، ص: 07.

وحتى تُقدّم رياض الأطفال كل هذا لا بُدَّ أن تقوم عليها مُربّيات مُدرّبات تدريباً متخصصاً، لديهنّ علم بخصائص المراحل العمرية لأطفال الروضة، ولديهنّ فهمٌ لأساليب ومناهج التعامل السليمة مع مشكلات الطفولة المختلفة.

ورغم أنّ هذه الشروط غير متحققة في غالب الأمهات لو بقي الأولاد في حضانتهم، إلا أنّ عطف الأمّ وحبها لطفلها وحنوها عليها يهديها إلى الصبر عليه وحسن التعامل معه؛ ولذلك جاءت هذه الضوابط والشروط ليكون جو الروضة أقرب إلى محيط الأمّ في تربيتها وتعليمها لطفلها وحبّها له.

ورغم ذلك يبقى على رياض الأطفال في وقتنا الحاضر الكثير من المؤاخذات، وأهمها:

- شُيوع لجوء الأهالي إلى رياض الأطفال، جعل الكثير من مُحبّي الربح السريع يندفعون إلى افتتاح دور حضانة ورياض أطفال بمواصفات تفتقر إلى المعايير المطلوبة لتحقيق تعلم جيد وراحة نفسية حقيقية للطفل، ودون تقديم أي امتيازات يستفيد منها الطفل، الوضع الذي يجعله في صورة البضاعة التي يُتَكسَّب منها.

- عدم استجلاب مُربّيات متخصصات في ميدان علم نفس الطفل والسلوك، لديهنّ تكوين جيد وخبرة كافية في التعامل مع الأطفال؛ فنجد منهنّ من تتصرف مع الطفل حسب ميولها ومفاهيمها البسيطة عن تربية الطفل، ما يُعرّضه للكثير من السوء الذي ينعكس سلبيًا على سلوكه ومشاعره.

- تعرّض الكثير من الأطفال إلى المعاملات القاسية من طرف المربيات مع الشتم والألفاظ القبيحة، ومحاولة تخويفه بالصراخ والتهديد؛ أو الضرب؛ أو حشره في زاوية من الحجرة إلى أن يأتي وليه؛ وحبسه في خزانة وإغلاقها عليه؛ ومن الأمهات من وجدت ابنها بعد عودتها في حالة ذهول وهلع شديد؛ ومنهم من أخذ يُردد "لن أعود.."; ومنهم من بلّل سرواله من شدّة الخوف والرعب الذي يلقاه، وكثير من الأطفال تعرضوا للتمر من طرف زملائهم، وهذا كله في ذهول المربية وانصرافها لمجالسة رفيقاتها، وغير هذا كثيرة...

إنّ هذه الوقائع تجعل من المستحيل لرياض الأطفال أن تحلّ محلّ الأمّ وتكون رفيقة آمنة للطفل.

2- إحصار مربية أو خادمة للبيت: أصبحت ظاهرة استجلاب المربيات إلى البيت ظاهرة من أبرز المتطلبات الحياتية للأسرة، وقد أخذت بالانتشار، فبعد أن كانت معروفة في دول المشرق العربي وبالذات في دول الخليج، عمّت اليوم دول المغرب العربي و أدخلت الكثير من الأسر الجزائرية إلى بيوتهم مربيات أطفال وخادمت تعمل عملاً مزدوجاً، (وهنا تتمحور المشكلة في المزج بين الاختصاصين وحصره بمن ليس من

الباب الأول.....مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

أهله فاخصاص المربية بعيد كل البعد عن اختصاص الخادمة أو المقيمة، وهذا ما لم يتم تداركه في مجتمعنا وكان له آثار سلبية.⁽¹⁾ ومن هذه السلبيات:

- إنَّ معظم المربيات لا يحملن شهادات أو مؤهلات في مجال التربية، الأمر الذي يُفسر افتقادهنَّ إلى الخبرة في مجال المعاملة مع الطفل خاصَّة في الحالات الطارئة كالحمي أو الإصابات المفاجئة.

- إنَّ المربيَّة أو الخادمة غير مُؤهلة شعورياً لإشباع عاطفة الأمومة عند الطفل ولا تملك القدرة على ذلك مهما حاولت، والأصل أنَّ التعامل مع الطفل بحبٍّ وعطف لا يدخل في وظيفتها؛ والنتيجة بعد هذا أنَّ الطفل ينشأ في جو جافٍ فقيرٍ إلى أهم عناصر الحياة النفسية المرحة التي تتطلبها مرحلته العمرية.

- كما أنَّ (الغياب الطويل للأهل عن الطفل خارج المنزل قد يولد لديه حالة انطوائية وعزلة ونوع من الإحباط والشعور بالذنب، إضافة لفقدان الثقة بالمجتمع نتيجة الحنان المكتسب من الغير والذي قد ينتهي بشكل مفاجئ عند ترك المربية للعمل وعودتها لبلدها)⁽²⁾.

- تَوَلَّدُ حالات من الغضب والعناد لدى الطفل نتيجة سوء المعاملة والعنف من طرف الخادمة التي تراحت عليها الأعمال بين أشغال المنزل وحضانة الأطفال، أو المربية التي تعترتها أحياناً حالات من التعب والإرهاق ترفض فيها سماع صراخ طفل أو عناده؛ وبطبيعة الحال فإنَّ تصرُّف المربية أو الخادمة لا تتملكه مشاعر الحبِّ والحنان والشفقة على الطفل والرفق به في حالات الغضب كما هو الأصل عند الأم.

- تعلق الطفل بالمربية أو الخادمة لكثرة ملازمتها له، وضعف علاقته بوالديه وهما الأصل.

- أوضحت إحدى الدراسات بالأرقام نسب تأثر الأطفال بالحاضنات والخادمت في معتقداتهم وعاداتهم وأخلاقهم وقضاياهم الخاصَّة⁽³⁾. وحتى مظاهر انفعالاتهن السلوكية النفسية.

ويبقى القول: أنَّ مسألة حضانة الصغير ليست بالأمر البسيط الذي يُستهان به، ولولا خطورة الأمر لما قام الخلاف بين الفقهاء في ترتيب من تحقُّ له الحضانة من أقارب الصغير حسب الأولوية، وكذلك لما وضعت تلك الضوابط والشروط على من يحضن الطفل؛ فكيف لها أن تسند إلى غير أقارب المحضون، فلا بُدَّ أنَّ الحضانة عند غير أصحابها تحصد من سلبياتها أكثر من إيجابياتها.

(1): مربية الطفل وأثرها السلبي على شخصيته، موقع: الفرات: مؤسسة الوحدة، alwehda.gov.sy

(2): المرجع نفسه.

(3): سوسن الغافري: أثر المربيات على نشأة الأطفال، موقع مشاريع إبداعية لتطوير عمل الأخصائي الاجتماعي،

sociaworker 2009.ahlamontada.net

ومما تقدّم، في هذا الفصل، نصل إلى:

- مدى اهتمام السنة النبوية بـ " اسم المولود"، وحثّها على حسن اختياره بما يتوافق مع المعاني الجميلة المشروعة. فإنّ الاسم القبيح له من الانعكاسات السلبية على مشاعر الطفل، وسلوكه، وعلاقاته مع الآخرين، بما لا يحمد عقباه. كما أنّ الاسم الحسن له الأثر الطيب على مشاعره وطموحه ومن ثم على سلوكه.

- ومن حقوق الطفل بعد الولادة: " سنة الحتان"، التي حثّ رسول الله ﷺ عليها لما لها من فوائد جليلة على صحة الطفل الجسمية والشعورية. فالمختون يجد من الراحة والطمأنينة والقوة ما لا يجده غير المختون.

- دعوة السنة النبوية إلى ضرورة إعطاء الطفل حقّه الكامل في الرضاعة والحضانة، ويُنبت أنّها من أهم وأبرز حقوقه الشرعية، لما لها من الانعكاسات السلبية والعميقة على مشاعره وسلوكه. وقد ورد في السنة النبوية الكثير من النصوص التي تحثُّ عليهما وتنصُّ على الأحكام المتعلقة بكل منهما.

الفصل الثالث:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في علاقته بأمه.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مشاعر الطفل وعلاقتها القوية بالأم.
- المبحث الثاني: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره، مع ذكر نموذج على ذلك.

نظرًا للعلاقة المتميزة بين الطفل وأمه من حيث قوة العاطفة وشدة الارتباط والتعلق بينهما، فقد كان لابد من تخصيص هذا الفصل للحديث عن هذه العلاقة وبيان قوتها ومدى تأثيرها على مشاعر الطفل وحياته عامةً. وتفصيل هذه المسائل جاء في مبحثين هما:

المبحث الأول: مشاعر الطفل وعلاقتها القوية بالأم.

المبحث الثاني: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره، مع ذكر نموذج على ذلك.

المبحث الأول: مشاعر الطفل وعلاقتها القوية بالأم.

إنّ الكلام عن موضوع الأم والطفل بحرٌ واسع وعميق لا تفي بحقه الكلمات والأسطر، وهو عالم فريد من نوعه مليءٌ بالمودة والرحمة والعطف والحنان، تُسيطر عليه مشاعر قوية؛ عالم لا تُكدر صفوه الأمراض القلبية، الموجودة بين سائر الناس كالحسد والغيرة والحقد وغيرها، والتي نجدها بين المعارف والأصدقاء والإخوة والأخوات، لكن من غير الممكن أن يوجد أحدها بين الأم وابنها إلاّ إذا حادّ أحدهما عن فطرته اتجاه الآخر؛ وفي هذا المبحث محاولة لسط أهم المسائل التي حملتها علاقة الطفل بأمه وعلاقتها بمشاعره.

المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الأمومة وأثرها في حياة الطفل.

الأمومة ليست مجرد عاطفة أو شعور مؤقت تجده الأم في لحظة ما اتجاه طفلها، بل هي غريزة وفطرة، طبع الله وَعَلَىٰ عليها كل امرأة، وهي تتحرك في نفسها بدءاً من أول لحظة تُشعر فيها بوجوده داخل أحشائها، وكأنّ الله تعالى يقذف بشعور الأمومة في نفسها حتى يصير جزءاً منها؛ هذا الشعور الذي سيغيّر نظرتها للحياة، ويقلب عندها الموازين.

والأم أول معلم لمبادئ الحياة ومقاصدها وآدابها، وأول وسيط بين الطفل والمجتمع، وهي الشخص الوحيد الذي يَأْتَمِنُه على أسراره، وأكثر من لديه القابلية للإجابة على أسئلته الكثيرة المتنوعة، والتي قد تحمل في بعض الأحيان مشاعر الخوف والحيرة والقلق فتزيلها الأم من خاطره بأسلوب مرن لطيف ومفهوم.

والأم أكثر شخص يُوجّه مشاعر الطفل، ولذلك تجد طفلاً يبغض أشياءً أو أشخاصاً من داخل العائلة الكبيرة أو خارجها، فقط لأنّه لاحظ بُغْضَ أمه له أو سوء معاملته لها؛ ومنه فإنّ نجاح العملية التربوية تتوقف على مدى قدرة الأم على توجيه مشاعر طفلها توجيهًا إيجابيًا، بعيدًا عن المشاعر السلبية والأمراض القلبية، وعلى قدرتها في تطبيع مهاراته الفكرية والسلوكية، مع بثّ الكثير من الحبّ والاعتزاز به.

وتقديرًا لجهود الأم وما لاقتُّه من عناء ومشقة في تربية ولدها ورعايته، وما حملته له من مشاعر جياشة وقوية، أوصى النبي ﷺ بصحبته على سعيد أول؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمُّكَ» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمُّكَ» (1).

قال ابن بطال: (في هذا الحديث دليل أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاث أميال محبة الأب، لأن النبي ﷺ كرر الأم ثلاث مرات، وذكر الأب في المرة الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم، وتشقى بها دون الأب فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب.) (2)؛ وقيل أيضاً: لكثرة أفضالها على ولدها، وكثرة ما تحملته من المتاعب الجسمية والنفسية أثناء حملها به...، وخدمتها وشفقتها عليه؛ ولذلك كانت الأم أولى الناس بالإحسان والبر، وحسن المعاملة وطيب المعاشرة على سائر الأقارب دون استثناء (3).

وقد تكلم الرسول ﷺ عن قوة ارتباط الطفل بأمه وحاجته لمشاعرها الفياضة في غير ما حديث ومدى تعلق كل منهما بالآخر، وأعطى عليه الصلاة والسلام نماذج رائعة في حسن التعامل مع هذه العاطفة الفريدة، ومن ذلك:

عن قتادة، أن أنس بن مالك، حدّثه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَجْوِزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» (4)، وفي رواية: «فِيخْفُفُ مَخَافَةً أَنْ تُفْتَرَ أُمُّهُ» (5)؛ فهذه الصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه يبادر ﷺ إلى تخفيفها رفقاً بالأم وابنها؛ وقد حمل هذا الحديث رحمته ﷺ ورفعته بالأم من حزنها واشتغال قلبها بابنها، وقد عبّر ﷺ عن شعور الأم الذي تحس به في هذه الوضع بكلمة "وجد"، والوجد: يُطلق على الحزن كما يُطلق على الحب، ويصلح هنا أن يجتمع المعنيان في قلب الأم في آن واحد، فهي من شدة حبّها لطفلها وجدّت حزناً في قلبها عليه وهو يبكي ولا

(1): البخاري: الصحيح، الأدب، من أحق الناس بحسن الناس بحسن الصحبة، ح(5971)، 2/8. مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، بر الوالدين وأنهما أحق به، ح(2548)، 1974/4.

(2): ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 189/9.

(3): يُنظر: حمزة محمد قاسم: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مراجعة: عبد القادر الأرناؤوط، تصحيح: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد، الجمهورية العربية السورية - المملكة العربية السعودية، 1410هـ - 1990م، 241/5.

(4): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 65.

(5): البخاري: الصحيح، الآذان، من اخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح(708)، 143/1.

تقدر أن تدع الصلاة لتضمه إليها فحاء تخفيف رسول الله ﷺ للصلاة تخفيفاً عليها وعلى ابنها؛ وفيه دليل على شفقتة ﷺ ولطفه بأمته، وفيه دليل على الرفق بالمؤمنين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم⁽¹⁾؛ فسبحان الله من ألهم رسول الله ﷺ هذا الإحساس والشعور بالآخر، ومتى تعلم علم النفس وكيف تعلمه، وهو لم يدرس في كبرى الجامعات والمعاهد ولا تتلمذ على يد أكثر الباحثين والمشتغلين بهذا العلم تأليفاً وشهرةً.

وفي حديث آخر أظهر فيه ﷺ مدى عمق رحمة الأم وشفقتها على ابنها خاصة حين تُخبر بين قربه منها ومصلحته، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِابْنٍ إِخْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتَيْهَا: إِمَّا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِمَّا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ النَّبِيِّ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسَّكِينِ قَطُّ إِلَّا يَوْمئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدِيَةَ»⁽²⁾. وتفسير هذا الحكم الغريب من سليمان عليه السلام هو أنه أراد أن يتوصل إلى معرفة أمه الحقيقية بما يتكشف له من مشاعرها وعواطفها، فعواطف الأم نحو ولدها لا يُماثلها فيها أحد وبها تتميز، " فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما "، فأوهمهما أنه يريد قطعه ليعرف من يشق عليها فتكون هي أمه، فأما الكبرى فسكتت، وأما الصغرى فقد تحركت فيها مشاعر الأمومة وآثرت أن تسلمه للكبرى، وأن تضحي بقربه منها إبقاءً على حياته، ولمَّا رأى من عظيم جزعها الدال على وجود عاطفة الأمومة فيها تميزت له أم الصبي وعرفها، فحكم به لها، ولم يكثر بإقرارها لأنه علم أنها آثرت حياته⁽³⁾.

وقد صرح رسول الله ﷺ بقوة عاطفة الأمومة فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: قَدِمَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيًّا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ نَدِيهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلصَقَتْهُ

(1) يُنظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 148/2. النووي: شرح صحيح مسلم، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها، 187/4.

(2) البخاري: الصحيح، الفرائض، إذا ادعت المرأة ابناً، ح(6769)، 156/8. مسلم: الصحيح، الأفضية، بيان اختلاف المجتهدين، ح(1720)، 1344/3.

(3) يُنظر: حمزة محمد قاسم: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، 203/4. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: حاشية السندي على سنن النسائي، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 - 1986 م، 235/8.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

بِطَنِّهَا وَأَرْضَعْنَاهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»، قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِيَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»⁽¹⁾؛ وبوب عليه البخاري بقوله: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته.

وروي في حديث آخر عن أبي أيوب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾. فلا يصح التفريق بين الوالدة وولدها والوالد وولده، والأخ وأخيه لما يجمع بينهم جميعاً من عاطفة فريدة جعلها الله تعالى بينهم، قال ﷺ: «مَنْ -أَيَّنِيهِ- أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ» [الروم/21].

إنَّ هذه الصِّلة الوثيقة والرابطة الوجدانية بين الطفل وأمه خير ضمان لسلامة النفس والبدن، واستمرار النضج العضوي والنمو العقلي والوجداني، وهذه الرابطة الوجدانية هي العامل الحاسم في بناء شخصيته، وحاجة الطفل إليها كحاجة جسمه للمعادن والفيتامينات⁽³⁾.

وتتضح حيرة الأم على أولادها ورغبتها في توفير احتياجاتهم، في حديث رَوته السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَفَسَمَّتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَمَ تَأْكُلُ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»⁽⁴⁾.

فدلَّت عبارة "فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها" على شفقة الأم وإيثار ابنتيها على نفسها، وحرصها على توفير حاجاتهم دون حاجاتها، فما الذي اضطرها للخروج من مسكنها لتطوف بهم البيوت طلباً

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 81.

(2): الترمذي: السنن، البيوع، ما جاء في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع، ح (1283)، 572/3. وقال: (هذا حديث حسن غريب). الدارمي: السنن، السير، في النهي عن التفريق بين الوالدة، ح (2522)، 1611/3. الدارقطني: السنن، البيوع، ح (3047)، 32/4. أحمد: المسند: أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث أبي أيوب الأنصاري، ح (23513)، 496/38. قال حسين سليم الداراني في تعليقه على سنن الدارمي: (إسناده جيد). وقال الألباني: (حسن)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح (3361)، 1003/2.

(3): يُنظر: عبد الفتاح مصطفى غنيمية: حاجات الطفل للنفس والبدن، ص: 10.

(4): البخاري: الصحيح، الزكاة، اتقوا النار ولو بشق تمرة...، ح (1418)، 110/2. مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، فضل الإحسان إلى البنات، ح (2629)، 2027/4.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذ وبعد الولادة..

للطعام غير حاجة ابنتيها له؛ وكل أم تحب أن يكون ولدها في أحسن حال، تحب أن يكون مأوه عذب، ومطعمه طيب، وملبسه لين، وفراشه ناعم ودافئ، في أي حال كان عليه حتى وهو ميت، وفي هذا مثال ظريف رَوته أم قيس، قالت: «تُوِيَّ ابني فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ، فُقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ: لَا تَغْسِلِ ابْنِي بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فَتَقْتُلَهُ، فَأَنْطَلَقَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهَا، فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا قَالَتْ طَالَ عُمْرُهَا»، فَلَا نَعْلَمُ امْرَأَةً عَمِرَتْ مَا عَمِرَتْ»⁽¹⁾.

وختام ما ذكرته من عاطفة الأمومة وقوتها نحو الطفل، فإن الأحاديث النبوية التي أشارت للموضوع، والوقائع التي حكمتها سيرته ﷺ كثيرة لا يمكن حصرها في مبحث بسيط كهذا، ولا يسعها إلا أن تُفرد بالبحث والاستقراء في مجلد خاص يجمع بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن المؤكد أن ما قدمته السنة النبوية من منهج رفيع وفريد في التعامل مع هذه المشاعر لا يمكن أن تُسَطَّرَ أهم النظريات النفسية والاجتماعية التي تكلمت في الموضوع، بفهم سريع وتعبير دقيقة ومعالجة واضحة وموجهة، في تحليل الشعور الموجود في تلك اللحظة.

المطلب الثاني: ارتباط الطفل بأمه شعورياً.

كلمة "أم" هي أعظم ما حوَّاه قاموس الطفل اللفظي، وهي أول ما نطق به، وألطف حروف خفيفة على لسانه الصغير، وهي أعذب نعمة لا يمل من ترديدها عدَّة مرَّات في آن واحد. إنَّ وجود الأمِّ في حياة الطفل ويوميَّاته يعني له الكثير، فالطفل لا يجبُّ غيابها عنه ولو للحظات، فإنَّ غابت عن ناظره ففي فكره وخياله لا تغيب، ويفضحه نبض قلبه الذي أخذ بالتسارع خوفاً من طول غيابها، وتفضحه نظراته هنا وهناك بحثاً عنها في كل ركن وزاوية. إنَّ الأم في حياة الطفل هي الأمان الدائم، وهي الشعور الأكيد بالانتماء لأيِّ محيط يوجد فيه معها؛ وهي القوة التي تُمدُّه بعوامل الإقدام والشجاعة والنجاح، والسعيِّ نحو الأفضل.

⁽¹⁾: النسائي: السنن، الجنائز، غسل الميت بالحميم، ح(1882)، 29/4. أحمد: المسند، مسند النساء، حديث أم قيس بنت محسن...، ح(26999)، 551/44. الطبراني: المعجم الكبير، من يعرف من النساء بالكفى...، أبو الحسن مولى أم قيس...، ح(446)، 182/25. البخاري: الأدب المفرد، من دعا بطول العمر، ح(652)، 342/1. قال الألباني: (ضعيف الإسناد)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ح(1882)، 26/2. وقال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده محتمل التحسين... وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين).

وقد خير رسول الله ﷺ صحبتها على سائر الناس كما سبق بيانه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: «ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» (1).

وشعور الطفل نحو أمه خاص لا يجده مع غيرها، هي عالم بأسره في تقديره يراها ربيعاً مشرقاً دائماً، يراها أفضل أم وأجمل امرأة، يسعد بسعادتها ويكي لبكائها ولو لم يدرك السبب، فمشاعر الطفل سريعة التأثير بمشاعر الأم.

والطفل وثيق الصلة والالتصاق بأمه في كل مكان وحال كانت عليه، وميله إلى أمه أكثر من ميله لأبيه، أيّاً كان جنسه ولدأً أو بنتاً، وأياً كان سنُّه مادام في مرحلة الطفولة، خاصّة في مرحلتَي الرضاعة والطفولة المبكرة؛ وفي قصة رافع بن سنان علامة على ذلك:

روى عبد الحميد ابن جعفر، قال أخبرني أبي عن جدِّي رافع بن سنان: «أنه أسلم، وأبت امرأته أن تُسلم، فأنت النبي ﷺ، فقالت: ابنتي، وهي فطيمٌ أو شبهه، وقال رافع: ابنتي، فقال له النبي ﷺ: "أفعد ناحية"، وقال لها: "أفعدِي نَاحِيَةً" قال: وأفعد الصبيّة بينهما، ثم قال: "ادعواها" فمالت الصبيّة إلى أمها، فقال النبي ﷺ: "اللهم اهدِهَا" فمالت إلى أبيها، فأخذَهَا.» (2).

والملاحظ في هذه الرواية أنّ النبي ﷺ لمَّا خير الصبيّة بين أبيها وأمها اختارت أمها بادئ الأمر دونما تفكير، فمشاعر الطفولة الفطرية تتجه نحو الأم دائماً وهو الأصل، ومعلوم أنّ قضايا الفطرة لا تحتاج إلى تفكير إلا أن يُخالطها ما يشوب طبيعتها السليمة؛ (والنبي ﷺ فعل هذا التخيير للصبيّة من أجل أن ينظر من تلحق به، ولكنه سأل الله عزّ وجلّ أن يهديها فهداها، فدل هذا على أن الابن يتبع المسلم ولا يتبع الكافر؛

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 96.

(2): أبو داود: السنن، الطلاق، إذا أسلم أحد الأبوين مع من يكون الولد؛ ح(2244)، 273/2. البيهقي: السنن الصغرى، النفقات، أي الوالدين أحق بالولد، ح(2903)، 193/3. النسائي: السنن الكبرى، الفرائض، الصبي يسلم أحد أبويه، ح(6352)، 125/6. الحاكم: المستدرک، الطلاق باسم الله الرحمن الرحيم، ح(2828)، 225/2. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي وابن قطان). يُنظر: صحيح أبي داود- الأم-، ح(1941)، 13/7. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حديث صحيح رجاله ثقات).

لأنه لو كان المقصود أنه يكون مع أي منهما لترك الأمر على ما هو عليه؛ لكنه دعا لها بالهداية وهي صبية صغيرة لا تعقل، فوفقها الله ﷻ بأن تلحق بأبيها.(1).

ومثل ما جاء في هذه الرواية ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: جَاءَتْ أُمُّ وَأَبٌ يَخْتَصِمَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي ابْنٍ لَهُمَا، فَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، إِنَّ زَوْجِي يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِابْنِي، وَقَدْ سَقَانِي مِنْ بُرِّ أَبِي عِنْبَةَ وَنَفَعَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « يَا غُلَامُ، هَذَا أَبُوكَ، وَهَذِهِ أُمُّكَ، فَخُذْ بِيَدِ أَيِّهِمَا شِئْتَ، فَأَخَذَ بِيَدِ أُمِّهِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ »(2). فالرواية الأولى جاءت في الصببية، والثانية في الغلام أو الصبي؛ وكلاهما اختار الأم أول الأمر، فيستويان بذلك في تعلقهما وارتباط مشاعرهما بها.

وهذه الشواهد الحية من سنته ﷺ التي تدل على قوة ارتباط الطفل بأمه ولدًا كان أو بنتًا يُرَدُّ بها على من أخطأ عندما من ألقى بمشاعر الطفل الفطرية الطاهرة أفكار خبيثة، فجعل مشاعر الأمومة والطفولة حبيسة غريزة جنسية، يُصوِّرُ أنَّها عرفت نشاطها في نفس الطفل منذ لحظاته الأولى بعد الولادة؛ وأقصد بهذا الكلام ما صرَّح به "سيجموند فرويد" في نظريته الجنسية "الليبيدو".

علَّق "فرويد" كل تصرفات الإنسان بجانب واحد منه وهو الغريزة الجنسية فأرجع كل سلوكياته إليها، وجعلها مدار كل عمل مهما كانت طبيعته، وألغى بذلك دور العقل الذي جعله الله ﷻ سلطاناً على الجوارح، ودم وجود الدين الذي يوجه العقل للحق والخير ويبعده عن الباطل والشر.(3) وأقتصد في الكلام عن الغريزة الجنسية عند الطفل كما يصورها "فرويد"، لأضع إطاراً على أهم مسألة زَعَرَعَتْ الفكرة الحقيقة حول ارتباط الطفل بأمه شعورياً، وهي ما سماه بعقدتي "أوديب" و "إلكترا"(4).

(1): عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: شرح سنن أبي داود، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس: 257، ص: 17.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 85.

(3): يُنظر: سيجموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي - عبد السلام القفاش، مكتبة الأسرة - مهرجان القراءة للجميع -، 2000م، ص: 144.

(4): عقدة أوديب: تُستمد من الأسطورة الإغريقية التي تدور حول أوديب ملك طيبة الذي قتل أباه وهو لا يعرفه وتزوج من أمه، وعندما تكشفت له الحقيقة سمل عينه. - عقدة إلكترا: نسبة إلى إلكترا ابنة أحمون وكلتيمتر التي يقال إنها تأرت هي وأختها لوالدها وقتلتا أمهما. يُنظر: عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ط1، دار راتب، بيروت - لبنان، 2000م - 1420هـ، ص: 177.

فمن عقدة "أوديب" التي رماها على الصبيان يقول: (...بيدي الصبي اهتماماً حقيقياً بأمه وفقاً للنمط التواكلي، فهو يكشف إذ ذاك عن رابطتين مستقلتين من الناحية النفسية، استثمار موضوعي جنسي صريح اتجاه أمه، وتوحد أمثل بوالده... وينشأ عن هذا الالتقاء عقدة أوديب السوية، فالصبي يلحظ أن والده يقف في طريقه إلى أمه...⁽¹⁾؛ ويقول في موضع آخر بتعبير أكثر وضوحاً لفكرته: (...ويبدأ في اللعب بقضيبه، ويأخذ في نفس الوقت يتخيل أنه يقوم مع والدته ببعض الأفعال التي يستخدم فيها قضيبه...⁽²⁾).

وفي المقابل عقدة "إلكترا" التي تنشأ عند البنت من تعلّقها بأبيها وحبّها له ورغبتها في إقصاء أمها⁽³⁾.

إنّ هذه الأفكار الغربية المنحرفة لا تزال تجد قبولاً في مناهج التعليم في جامعاتنا العربية، وكثير من طلبة علم النفس اليوم يستدلون بأفكار "فرويد" في تفسير سلوك الطفل، وقد حدث مرةً أن حاورت إحدى الطالبات المتفوقات بقسم علم النفس حول فكرة العقديتين، فاستدلّت لتدعيم الفكرة بملاحظتها لأختها الصغيرة وهي تحاول الجلوس بين والديها من باب التفريق بينهما كلّما رأتهما معاً يتحدثان؛ وقد فنّدت لها الفكرة بأنّه لو كان لها أخٌ صغير لفعل الشيء نفسه، وسيكون مقعدٌ كل واحد منهما أقرب للأم منه إلى الأب أو ربما يتجه للأم مباشرةً.

وعليه فإنّ كل الأدلة المذكورة في هذا المبحث وغيره تدل على مدى الارتباط الوثيق بين الطفل وأمّه، وتعلّقه بها، وحاجته الشديدة لبقائها قربه، مادام في المراحل الأولى من طفولته والتي يكون فيها احتياجه لها أكبر من غيرها، ولا ينبغي تفسير هذا الارتباط العاطفي الفطري البريء والعفيف، بأفكار غريبة مسمومة تهدف إلى تربية إنسان مُنحلٍ بعيدٍ عن الدّين والقيم والأخلاق.

⁽¹⁾: سيجموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ص: 144.

⁽²⁾: سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ط5، دار الشروق، ص: 59.

⁽³⁾: عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ص: 177.

المبحث الثاني: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره، مع ذكر نموذج في ذلك.

تعتبر الأسرة الملاذ الآمن لكل فرد من هموم الحياة ومتاعبها اليومية، وهي الحضان الدافئ الذي يجد فيه راحته وشعوره بالطمأنينة والاستقرار؛ والأولاد من أكثر أفرادها تعلقًا بها ورغبة في بقائها مجتمعة، يسودها التفاهم والاتفاق بين جميع أفرادها، تغشاهم السكينة والسعادة. غير أن الحياة الأسرية قد يطرأ عليها ما يُكدر صفوها ويُغصُّ عن أفرادها عيشهم الطيب، فيحرم الأولاد من الاجتماع العائلي بوقوع الطلاق، أو بوفاة أحد الوالدين وهنا تعظم المصيبة.

المطلب الأول: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره.

إنَّ فقدان أحد الوالدين بطلاق أو وفاة يؤثر سلباً على نفسية الطفل ويُفقدُه الشعور بالأمان والثقة، ويولدُ فيه الشعور بالخوف والفراغ والألم.

وخسارة الطفل لأمه أكثر مرارة من فقدته لأي شخص آخر؛ فقد يتأثر الطفل بفقد أحبته وأصدقائه في الحي أو المدرسة، ويتأثر بوفاة أحد أقاربه؛ كما يحزن الطفل بشدة ويعيش حرماناً عاطفياً وروحياً ويخسر دعامته في الحياة، عند فقدته لوالده بعد طلاق أمه أو وفاته، خاصةً إذا تعودَ مجالسته ومُحاورته ومُشاورته والتَّنقل معه -ولداً كان أو بنتاً-، فإنه يعسرُ عليه حينها بُعدهُ عنه أو خُلُو حياتِه منه؛ ولكن حرمانه من أمه يختلف في ألامه وأضراره النفسية عن فقد الجميع، ويكمن هذا الألم في نفس الطفل فترة أطول من غيره، وقد يبقى يُعاني شدته إلى أن يصبح شاباً ويكُون لنفسه أُسرة خاصةً، فيجد في رابطة الزوجية وعاطفة الأبوة أو الأمومة تخفيفاً له من آلامه.

ويُعطي رسول الله ﷺ في نفسه مثلاً في الشوق لأمه بعد الفراق، وببكاؤه عليها رحمة بها ورغبة في وصلها وتقديم البر والإحسان لها، فعن أبي هريرة، قال: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ»⁽¹⁾؛ قيل في شرح الحديث: (..) "فَبَكَى" أي على فراقها أو على عذابها.. قيل: زيارته ﷺ

(1): مسلم: الصحيح، الجنائز، استئذان النبي ﷺ به ﷺ في زيارة قبر أمه، ح(976)، 671/2.

أمه مع أنها كافرة تعليم منه للأمة حقوق الوالدين والأقارب، فإنه لم يترك قضاء حقها مع كفرها..(1)؛ وقال القاضي: (بكاءه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به) (2).

وفي حادثة أخرى لأحد أصحابه ﷺ يُظهر فيها حزنه لفقد الأولاد أباهم وشفقته عليهم ورحمته بهم لما أصابهم، تروي أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ دَبَعْتُ أَرْبَعِينَ مَبِيئَةً، وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَعَسَلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَطَقْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ائْتِينِي بِنِي جَعْفَرٍ »، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا يُبْكِيكَ؟ أَبْلَعَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟، قَالَ: « نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ »، قَالَتْ: فَكُنْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: « لَا تُعْفَلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شُعِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ »(3)؛ وحزن رسول الله ﷺ كان ظاهرًا من استدعاء الأطفال وشتمهم وذرف الدموع على مصابهم، وهذا يحمل إحساسه ﷺ بهم ومشاركته لحزنهم.

تُشير الدلائل إلى أَنَّ الأطفال الذين يكبرون في ظروف عائلية سوية، تحت تربية الأم ورعايتها ينشئون أفضل حالاً صحياً ونفسياً من غيرهم الذين يحرمون من عطف الأم ودفء العائلة، من الذين نشئوا في مؤسسات رعاية الأيتام، أو تحت حضانة أحد الأقارب أو كفالته، حيث لا يحظون فيها إلا على القليل من العطف والشفقة بعد أخذهم لحقوقهم العينية؛ وخاصة إذا كان لهذه الأسرة الحاضنة أو الكفيلة أطفال من سنهم أو أقل منهم أو أكثر، يلحظون تنعمهم بقرهم من والديهم وحبهم وعطفهم عليهم، فإن هذا يزيد من ألامهم أضعافاً.

(1): علي بن محمد الملا الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 4/1256.

(2): محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة، 4/60.

(3): أبو داود: السنن، الجناز، صنعة الطعام لأهل الميت، ح(3132)، 5/52. ابن ماجه: السنن، الجناز، ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت، ح(1611)، 1/514. أحمد: المسند، الملحق المستدرک من مسند الأنصار...، حديث أسماء بنت عميس، ح(27086)، 45/25. عبد الرزاق: المصنف، الجناز، الطعام على الميت، ح(6665)، 3/550. الحاكم: المستدرک، الجناز، ح(1377)، 2/32. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). الطبراني: المعجم الكبير، مسند النساء، أم جعفر بن محمد بن أبي طالب، ح(380)، 24/143. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ح(1611)، 4/111. وقال شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف).

(ويختلف مدى تأثير الحرمان من الأمومة على الأطفال بعدة عوامل منها: العمر الذي يفقد فيه الطفل رعاية أمه، وطول فترة الحرمان، ودرجة أو مستوى نقص رعاية الأم...⁽¹⁾).

إذ يُظهر الطفل في مرحلة الرضاعة وما بعدها إلى حدود سن الخامسة من عمره مشاكل في الأكل من عدم الشهية للطعام أو رفض تناوله، واضطرابات في النوم كال بكاء وهو نائم أو الصراخ أو مناداة أمه، ويتقل نشاطه الحركي شيئاً فشيئاً كلما ازداد شوقه وأحسَّ شدة الفراق، وحيث لا يستطيع الطفل في هذه المرحلة التعبير بشكل صحيح عما يجول في خاطره، وهذا يؤثر سلباً على صحة جسمه ويرسُم شحوباً على وجهه. أما المرحلة التي تليها وإلى حدود سن السابعة أو الثامنة تقريباً فإنَّ الطفل يفقده لأحد والديه يشعر بالخوف والقلق من فقدان الآخر، وينشأ فيه الشعور بالمسؤولية على نفسه وإخوته الأقل منه سناً، خاصة إذا كان المفقود هو الأم فتلعب البنت في الأسرة دور الأم الساهرة على مصالح الأب والصغار، وتحمل أعباء نفسية وجسدية أكبر من سنّها، ممَّا يزيد من عمق إحساسها الحزين وحاجتها لوجود أمها معهم.

وقد يظن البعض أنَّ طفل ما قُبل مرحلة البلوغ قد يجد في أصدقائه وزملائه بالمدرسة بعض الأُنس الذي يشعل تفكيره عن شعور الحرمان الذي يراوده، والحق أنَّ هذا الكلام وإن كان صحيحاً فإنَّما يصدق في أوقات قليلة، فإنَّ الطفل في هذه المرحلة يُظهر حزنه وألمه عن طريق نوبات الغضب والقلق والارتباك، ويظهر في تأخر تحصيله الدراسي؛ وأحياناً عن طريق التعبير عن حزنه عند أقرب مُؤنس من داخل العائلة أو خارجها⁽²⁾؛

ونظراً لكل هذه الآثار السيئة حدَّر رسول الله ﷺ من التفريق بين الطفل وأمه في الحياة إمَّا بطلاق أو حرمانه من عطفها وحنانها بإبعاده عنها، قال ﷺ: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁾.

وقد أَحصت العديد من الدراسات الآثار الناتجة عن فقدان الأم، أدكر بعضاً منها:

- شعور الطفل الدائم بالقلق والخوف والحيرة، وعدم الطمأنينة بسبب التناوب المتكرر من البديلات عن الأم عليه، أو تنقله من حاضن لآخر.

⁽¹⁾: عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 74.

⁽²⁾: يُنظر: أثر فقدان أحد الوالدين على الطفل، موقع جريدة عنب بلدي، العدد: 34، www.enabbaladi.net

⁽³⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 98.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

- ترسخ بعض السلوكيات العدوانية لدى الطفل اتجاه المجتمع، مع ظهور بوادر الانحراف الخُلقي نتيجة التذمر من قوانين وآداب المجتمع العامة والبحث عن الاستقلال بشخصيته.

- عدم قدرة الطفل على تمييز من يستحق ثقته ويكون جعبة أسراره الآمنة بعد أمه، وهذا يعرضه لحالتين: إمّا أن يمنع ثقته بأيّ أحد فينغلق على نفسه، وهذا كفيل بأن يُدخله في حالة اكتئاب ويزيد من معدل توتره اليومي، ويصبح حالة نفسية مرضية؛ وإمّا أن يَأتمن كل من يخالطه ويجالسه ولو كانت معرفته به حديثة، فقد لأنه اطمأنّ إلى جانبه فيضفي له بمشاعره، وهذه الحالة وإن كانت أفضل من الأولى، إلا أنّ حديثه عن مشاعره وأحاسيسه لأيّ كان قد يُعرضه للسُّخرية والاستهزاء خاصّة في حال الاختلاف معهم في أمر ما، كما تكون البنت في سنّ المراهقة عرضة لمقتنصي القُرص وصيادي الفرائس الضعيفة لتحقيق شهواتهم، بسبب مشاعرها المهزومة التي تبحث عمّن يُعوضها حنان أمها وعطفها عليها.

- عدم التكيف مع محيطه الاجتماعي من داخل العائلة الكبيرة أو خارجها، وشعوره الدائم بالوحشة والعزلة والافتقار إلى ذلك القلب العطوف الطيب الذي كان وسيطه مع المجتمع⁽¹⁾.

وختامًا: فإنّ أزمة الحرمان من الوالدين أو أحدهما وبخاصّة الأم لها من الآثار السلبية على مشاعر الطفل مالا يمكن التعبير عنها بالدموع مهما انسكبت ولا بالكلمات مهما كانت معبّرة، ولقد وُجد في المجتمع من بقي يبكي فقد أمه أو أبيه حتى بعد رجلاً أو امرأة، ولا يجد عن شوقه وألم فقدته عنه مصرفاً، إلا أنّ يدفع عنه ذلك قوة إيمانه بقدر الله ورضاه بقضائه سبحانه.

وإنّ الإنصات للطفل وهو يحكي مشاعره ويُعبر عن أحاسيسه، من ناصح أمينٍ من أفراد الأسرة قريب منه عاطفياً، يُريحه بشكل كبير ويخفف من آلامه ويساعده على تجاوز الحنة.

المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لعلاقة الطفل بأمه - قصة أم سلمة أنموذجاً-

حملت قصة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ مواقف جليّة وعبر مفيدة تروي علاقة أم بأبنائها وتعلقها بهم وحرصها على قربهم؛ وتبدأ قصتها رضي الله عنها بعد عودتها إلى مكة من هجرة الحبشة ومحاولتها مع زوجها أبو سلمة الهجرة إلى المدينة المنورة بعد نزول الإذن بذلك.

(1) يُنظر: عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 74. أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط7، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م، ص: 501. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم وطرق العلاج، ص: 96.

وقد شهدت الهجرة إلى المدينة المنورة معاناة شديدة لأفراد هذه الأسرة الكريمة؛ حيث تروي السيدة أم سلمة رضي الله عنها، تقول: (لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَلَ لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة (وهم أصهاره) قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، رأيت صاحبتنا هذه علام نترك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة. قالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: فَفَرَّقَ بيني وبين زوجي وبين ابني...). في هذا الجزء من القصة نجد البداية الحزينة التي حُتِمت بحديثين كل منهما أمرٌ من الآخر، وهما:

الأول: التفريق بين الولد ووالديه، تفريقاً جبرياً في مشهد مأساوي يُعارض رغبة الأسرة الصغيرة في بقائها مجتمعة؛ هذا المشهد الذي رآه الطفل سلمة وكان جزءاً فيه؛ ومهما كان سنُّ الطفل هنا ومستوى وعيِّه لما يحصل فإنَّ تأثيره النفسي بالحدث لا بدَّ كائن، ورغم أنَّ الروايات الواردة في القصة لم تذكر عن الطفل غير ما ورد هنا، إلاَّ أنَّ تصوُّر حالته النفسية ومشاعره في ذلك الحين وسط هذا الصراع والتجاذب أمر ممكن ومتوقع، فلا بدَّ وأنها كانت متأججة بالرعب والهلع، والخوف من وقوع المحذور وهو الفرقة أو أن يُصاب أحد والديه بمكروه، ولا شك في أنَّ صوت بكائه كان يُسمع فوق صوت الجميع.

الحدث الثاني: الطفل سلمة الصغير الذي لم يُعرف سنُّه بالضبط في القصة، إلاَّ من قول أمه "في حجري"، فهي تُوحى بأنَّه في مرحلة لا يثبت قاعداً خاصّة فوق الراحلة وهي مرحلة الرضاعة أو التي تليها، فأمه أجلسته أمامها وضمتَّه إليها حتى لا يقع، وألصقته بصدرها حتى عاد كالجالس في حجرها؛ هذا الطفل الصغير الذي تعرَّض لعملية تجاذب خطيرة أودت بخلع يده.

وصفة الخلع في الرواية لم تُذكر ولا حالة الطفل الصحية بعدها، غير أن كتب اللغة ذكرت من معنى الخلع، قولهم: (أصابه في بعض أعضائه خلع، وهو زوال المفاصل من غير بينونة...) (1)، أو (زوال المفصل من اليد أو الرجل من غير بينونة) (2). فإذا كان الأمر على هذا الحال، فإنَّ الطفل حين ذلك قد اجتمعت

(1): محمد بن أحمد الهروي: تهذيب اللغة، 115/1.

(2): ابن منظور: لسان العرب، 78/8.

عليه الألام من كل جانب، فبين الوجع الجسدي الذي مصدره زوال مفاصله وبعدها عن موضعها، وبين الألم النفسي الذي وجده بعد الصدمة، والذي زاد عليه بُعده عن أمه لمدة طالت سنة كاملة، خاصة وهو عليل لا يخفف من ألمه الجسدي إلا وجودها قربه.

وفي الجهة المقابلة تعيش الأم مأساةً عاطفية ووحشة رهيبية سببها بعدها عن زوجها وولدها وحيرتها عليه، تحكي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن هذه اللحظات الصعبة تقول: (...فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أُمسي، سنة أو قريباً منها...) (1).

إنَّ ما لاقتة أم مسلمة رضي الله عنها من معاناة في سبيل تمسكها بدينها - الإسلام - وعزمها على عدم العودة إلى الكفر، يُظهر مدى شجاعتها وبطولتها، وقوة إرادتها في التمسك بالحق؛ غير أنَّ هذه القوة والشجاعة لم تمنعها من إظهار مشاعرها والتعبير عن حزنها بالبكاء يومياً من الصباح إلى المساء.

إنَّ أي شخص بالغ عاقل يبكي هكذا لسنة كاملة قد يدفع بنفسه إلى حدِّ الانهيار نفسياً، أو قد يدخل في حالة اكتئاب عويصة؛ ولكن أم سلمة بقيت ثابتة صابرة محتسبة لله تعالى لا تزيد على ذرف مدامعها شيئاً؛ إلى أن جاء الفرج وشاء الله لها الاجتماع بزوجها وولدها سلمة من جديد، عندما مرَّ بها رجل من بني عمها - أحد بني المغيرة - فرأى ما بها من حال وتوسط لها عند بني المغيرة، الذين أذنوا لها بلحاق زوجها، وكان الأمر مماثل من جهة أهل زوجها الذين ردوا لها ابنها، وجعل الله تعالى معها دليلاً مؤنساً في طريقها لزوجها بالمدينة المنورة - عثمان بن طلحة بن أبي طلحة - حتى وصلت إليه سالمة آمنة.

وفي الجزء الثاني من قصة أم سلمة رضي الله عنها حيث يتوفى زوجها ويتزوجها رسول الله ﷺ وهي أم لأربعة أولاد أصغرهم الرضيعة زينب.

(1): صالح بن طه عبد الواحد: سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ط2، مكتبة الغرباء - الدار الأثرية، 1428هـ، 213/1. يُنظر: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربيعي أبو الفتح فتح الدين: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط1، دار القلم، بيروت، 1414هـ - 1993م، 371/2. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: البداية والنهاية، دار الفكر، 1407هـ - 1986م، (باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة). أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مُنَّه العبدوي: معرفة الصحابة لابن منده، ت: الأستاذ الدكتور - عامر حسن صبري، ط1، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1426 هـ - 2005م، 956/1. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة، ت: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، 1408 هـ - 1988 م، 463/3.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

وقد تزوجها ﷺ (.. جبر لكسرهما، وتعويض لها عن فقد عائلها الذي مات عنها بعد أحد بشهور، وعرفان لتضحياتها وتضحيات زوجها أبي سلمة في سبيل الله والإسلام، فقد هاجراً إلى الحبشة، وكاناً أول مهاجرين).⁽¹⁾

وهنا تظهر رحمته وعطفه ﷺ ومراعاته لمشاعر هذه الأم التي أرهقتها المتاعب مع أولادها، وفي هذا البيان ردُّ على المستشرقين الذين رَمَوْا رسول الله ﷺ بشبهة زواجه بها لأجل جمالها رضي الله عنها. وقيل أن رسول الله ﷺ لما خطبها جعلت أمرها إليه، وقول آخر أنه ﷺ قال لها: مُرِّي ابنك سلمة بن أبي سلمة يزوجك، وكان سلمة حين ذلك غلام؛ وفي هذا الأمر حكمة فإن اختيار رسول الله ﷺ ابنها سلمة رغم أنه غلام لم يبلغ بعد، فيه تطيب لخاطره وخاطر إخوته ونيل رضاهم بتولي زواج أمهم.

وفي جزء آخر من القصة نلّمح مُراعاة رسول الله ﷺ لمشاعر الأم وارتباطها بينها وتعلقهم بها، عندما قالت رضي الله عنها: «...إِنَّ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَنَا امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا أَكْبَرُ مِنْكَ". قَالَتْ: وَأَنَا امْرَأَةٌ غَيُورٌ. قَالَ: "أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُدْهِبْ عَنْكَ غَيْرَتَكَ". قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُصِيبَةٌ. قَالَ: "هُم إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ"..⁽²⁾ فأم المؤمنين أم سلمة لما قالت: "وأنا امرأة مصيبة" أي ذات أولاد، قالتها لأنها تُريد أن تطمئن على مصير أولادها بعد الزواج، رغم أنها تدرك يقيناً أن رسول الله ﷺ لن يُضيّعهم ويُبيدهم عنها، فإنما قالتها تأسياً بقول إبراهيم الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُوْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ [البقرة/260]؛ فأجبتهم ﷺ إلى الله وإلى رسوله حيث لا تخشى عليهم شيئاً بعدها.

(1): محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط8، دار القلم، دمشق، 1427 هـ، 306/2.
(2): أحمد: المسند، مسند النساء، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ، ح(26721)، 312/44. النسائي: السنن الكبرى، عشرة النساء، الحال الذي يختلف فيه حال النساء، ح(8877)، 166/8. ابن حبان: الصحيح، الجنائز، ذكر الأمر بالاسترجاع لمن أصابته مصيبة، ح(2949)، 212/7. البيهقي: السنن الكبرى، القسم والنشوز، الحال الذي يختلف فيها حال النساء، ح(14760)، 491/7. الطبراني: المعجم الكبير، مسند النساء، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث...، ح(585)، 273/23.

عبد الرزاق: المصنف، النكاح، نكاح البكر، ح(10644)، 235/6. أبو عوانة: المستخرج، الحج، بيان السنة في المكث عند المرأة الثيب...، ح(4303)، 88/3. الحاكم: المستدرک، النكاح، أما حديث سالم، ح(2734)، 195/2. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (بعضه صحيح، وإسناده ضعيف...)

وقد كان من رسول الله ﷺ موقف جليل في مراعاته لمشاعر الأم والطفل من هذه القصة، فلمَّا أراد ﷺ البناء بزوجته أم سلمة رضي الله عنها، كان كلمًا أتاها وجدها تُرضع ابنتها زينب، حيث قيل أنه أتاها، فوجدها تُرضع، فأنصرف، ثمَّ أتاها، فوجدها تُرضع، فأنصرف؛ حتى «..بَلَغَ ذَلِكَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَأَتَاهَا، فَقَالَ: حُلَّتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ حَاجَتِهِ، هَلُمَّ الصَّبِيَّةَ، قَالَ: فَأَخَذَهَا، فَاسْتَرْضَعَ لَهَا، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَيْنَ زُنَابُ؟"، يَعْنِي زَيْنَبَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَهَا عَمَّارٌ. فَدَخَلَ بِهَا...»⁽¹⁾؛ وكان هذا التصرف منه ﷺ فيه احترام للعلاقة التي تجمع البنت بأُمها وعدم رغبته في قطعها، فأعطى ﷺ لهذه العلاقة الأولوية على قضاء حاجته؛ وزاد ﷺ عليها بإظهار اهتمامه بالطفلة وسؤاله عنها عندما غابت، وسماها "زنانب" من باب الترخيم والتصغير للاسم، وهو وجه من وجوه التودد وإظهار الحب واللفظ بها. وعليه فإنَّ قصة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها واحدة من القصص والشواهد الحيَّة التي أظهرت عناية رسول الله ﷺ بمشاعر الأمومة، وأظهرت مدى رعايته ﷺ لمشاعر الطفل.

وبناءً على ما سبق في هذا الفصل، يتضح لنا:

احترام الرسول الله ﷺ لمشاعر الحب والعطف التي تجمع الأم بطفلها، وبيان ذلك في مجموع الأحاديث النبوية التي تحدَّث فيها ﷺ عن قوة هذه العاطفة ومدى تأثيرها على نفسية الطفل ومشاعره بشكل إيجابي، وفي سنته العملية ﷺ من خلال عدة مواقف أظهر فيها مدى مراعاته لمشاعر الأمومة. وإنَّ حرمان الطفل من أمه يُسبب له اضطرابات نفسية وسلوكية وخيمة، تُهدد بناء شخصيته بصورة سليمة، ويبقى أثرها السلبي على حياته مستقبلاً. وأشهر مثال على ذلك في السيرة النبوية هي قصة أم سلمة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، التي فُرِّقَ بينها وبين ابنها سلمة، فذاقت وابنها الألام وتجرعت وإياه مرارة ذلك.

⁽¹⁾: تابع للجزء الأول من الحديث.

الفصل الرابع:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب،

وفي الغريزة الجنسية.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب.
- المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الغريزة الجنسية.

تبدأ بعض الغرائز نشاطها في نفس الإنسان من اللحظة الأولى للولادة، وتنمو بالتدرج عبر مراحل طفولته إلى أن يكتمل نموها ويتضح نشاطها بعد البلوغ، وتعتبر غريزة اللعب من أبرز الغرائز نشاطاً وحيوية في مرحلة الطفولة؛ كما تعرف الغريزة الجنسية بعض الحركة والحيوية في هذه المرحلة العمرية؛ وفي هذا الفصل بيان لأهمية اللعب والغريزة الجنسية وأثرهما على مشاعر الطفل، ومدى عناية السنة النبوية بهما. وقد كان الحديث عنهما في مبحثين:

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الغريزة الجنسية.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب.

اللعب غريزة ودافع من الدوافع الفطرية التي تنمو في الإنسان بشكل تلقائي، وتنبعث الحاجة إليه من داخله، وهو نشاط أو مجموعة أنشطة يقوم به الفرد بصورة منفردة أو جماعية، ويُقصد منه دائماً بعث روح المرح والبهجة في النفس؛ ولذلك فهو من مطالب الحياة التي لا يستغني عنها الصغير والكبير؛ ويتوقف نوع اللعب على سنّ الفرد وجنسه وخبراته فيه.

المطلب الأول: أهمية اللعب في حياة الطفل وأثره على مشاعره.

قد لا يزال الكثير من الناس في وقتنا الحاضر على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية يتصورون أنّ اللعب مجرد سلوك يسلكه الأطفال لأجل الترويح على أنفسهم وطلب المتعة؛ ورغم تصور هؤلاء البسيط عن اللعب إلا أنّنا نجدهم يُحدّدون له وقتاً، ويُخصّصون له مقداراً من المال لشراء متطلباته، ويسعون للتوجه إلى ساحات اللعب الخاصّة بالأطفال كالحدايق وأماكن التسلية والترفيه، انطلاقاً من هذا التصور البسيط، دون أن يدركوا الأدوار الحقيقية والإيجابية للعب في حياة الطفل.

أولاً: أثر اللعب على مشاعر الطفل.

تتعدى أهمية اللعب مسألة الترفيه والتسلية ليصل بمنفعه إلى جوانب كثيرة، منها: الجسمية واللغوية، والفكرية والاجتماعية، والشعورية النفسية؛ وأهم ما يمكن ذكره من أثره على مشاعر الطفل، ما يلي:

- (... في حجرة اللعب يستطيع الأطفال أن يعيشوا مشاعرهم وأحاسيسهم وأن يعبروا عنها بصورة كاملة، وبإمكانهم أن يعبروا عن الكراهية، الخوف، الغضب، وأن يكونوا سريعي الامتعاظ، وأن يظهروا اشمئزازاً من

أشياء معينة، وأن يكونوا مرحين، مبتهجين، أو على العكس من ذلك، فيكون في لعبهم بعض الحمق والسخف...⁽¹⁾.

- يُعطي اللعب للطفل فرصة التحرر من تعاليم الواقع والبعد عن أوامره والتزاماته والذهاب بعيداً إلى عالمه الخاص، الذي يحقق فيه ذاته ويعيش مع خياله والأحداث والشخصيات التي يختارها.

- اللعب ينمي فكر الطفل من خلال الأساليب والحلول التي يقدمها الأطفال لبعضهم البعض عند وجود صعوبات أو افتقارهم لأداة لعب معينة، كصنعهم كرة مطاطية من كيس محشو بدلاً من الكرة المصنعة، أو ابتكار وسيلة للتزلج على الأرضية الملساء، وصنع البنات للعرائس من الكتان أو الورق أو الطين مثلاً؛ وتؤكد الكثير من الدراسات والبحوث أنّ اللعب ينمي التفكير المثمر والقدرات العقلية واكتساب المهارات التعلّمية للطفل؛ ولذلك ارتأى البعض أن يسمى عملية التعلم عن طريق اللعب باسم "التعلم المرح" أو "التعليم الترفيهي"، وخُلصت هذه الدراسات إلى أنّ (...الأفراد يتعلمون بصورة أفضل عندما تكون عملية التعلم ممتعة...)⁽²⁾.

- إنّ سلوك الطفل في اللعب يُعطيه فكرة أولية عن مدى ثقته بنفسه، وقدرته عن التعبير بكل حرية عمّا يريد أو يشعر به، فيزداد شعوره بالراحة والطمأنينة والرضا عن ذاته، واللعب بهذا يساعد الطفل على تطوير مهاراته الكلامية وإثراء قاموسه اللغوي عن طريق الاحتكاك بغيره من الأطفال⁽³⁾.

- يساعد اللعب الطفل في التخلص من مشاعره السلبية⁽⁴⁾ اتجاه غيره بسبب موقف ما، أو كلام جارح أو إساءة معينة؛ فقد يدخل الطفل اللعبة وهو مشحون بالتوتر والغضب أو الاشمئزاز من صديق أو شخص ما، ولكن سرعان ما يتلاشى كل ذلك قبل تمام اللعبة، ويعود إلى وضع التوافق النفسي معه من جديد.

وأحياناً يساعده اللعب على مراجعة أخطائه وهفواته مع غيره، والتي قد صدرت منه بسبب حالة غضب أو طيش، فيولّد فيه الشعور باللوم وتأنيب الضمير في حقّ الشخص الذي أساء معاملته، كأحد

⁽¹⁾: كلارك موستاكس: علاج الأطفال باللعب، ترجمة: عبد الرحمن سيد سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م، ص: 47.

⁽²⁾: عثمان حمود الخضر: الألعاب التربوية، شركة الإبداع الفكري، الكويت، ص: المقدمة.

⁽³⁾: يُنظر: ماريا بيرس - جنيفيف لاندو: اللعب ونمو الطفل، إعداد: عبد الرحمن سيد سليمان - شيخة يوسف الدرستي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م، ص: 21. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة نمو وتربية الطفل، ص: 100.

⁽⁴⁾: يُنظر: ماريا بيرس - جنيفيف لاندو: المرجع السابق. عبد الفتاح مصطفى غنيم: حاجات الطفل للنفس والبدن، ص: 05.

والديه أو إخوته أو غيرهم؛ ويُقرر إصلاح الأمر وطلب الصفح، فتَحسُّنُ الحالة المزاجية للطفل لتساعده على طرد الموجود في داخله من المشاعر السلبية.

- اللعب الجماعي التنافسي يساعد الطفل على ضبط نفسه والشعور بالرضا والقبول مهما كانت النتيجة، فيتعلم منه أهم فنون وأساسيات الحياة، وهو "واقعية الريح والخسارة- في أي مجال- وضرورة التكيف معها"؛ ويجد هذا التدريب على ضبط نفسه أثره في تقبل نتائجه المدرسية ونتائج المسابقات الفكرية والرياضية والتربوية التعليمية التي يتقدم لها، فيكون له بذلك أثر بالغ في حياته وتكوين شخصيته تكوينًا سليمًا.

- واللعب يُعلم الطفل تحمل المشاق والصبر فـ (الألعاب تعلم الأولاد والبنات أن يتحملوا الإصابات بغير جلبة ويتعرضوا للتعب الشديد في بَشْر..⁽¹⁾).

- واللعب وسيلة يُدرك من خلالها الوالدين أو المربين رأي الطفل في موقف معين أو شعور ما، فقد يَكْبِتُ الطفل أمام الكبار رأيه ولكن مع اللَّعْب يُظهر ما أخفاه، فَيُحَدِّثُ لعبته بحقيقة شعوره، أو يُقلد ما جَرَى في ألعابه، ويُغيّر وقائع الحدث حسب رأيه، فَيُحاسب من انزعج منه ويُثني على من أشفق عليه؛ وإذا حاول الوالدان ملاحظة الطفل وهو يلعب من غير أن يُشعِره بهما فسيعرفان طبيعة المشاعر والآراء التي تختلج من ذلك الموقف، أو ما يخبئه من مشاعر بشكل واضح ومحسوس؛ ولذلك قيل: (...من أجل هذا كان اللعب طريقة فذة لاستشفاف الحياة النفسية الشعورية واللاشعورية للطفل وأداة فريدة لتشخيص متاعبه وما ينوء به من أعباء نفسية...⁽²⁾).

- للعب مع جماعة أطفال فوائده على سلوك الطفل وشعوره، حيث يتيح له تكوين صداقات جديدة، ويتخلص الطفل الخجول من بعض خجله، كما يُجَبِّرُ الأناي على التخلي عن أنانيته؛ ويتعلم بعض العادات الاجتماعية الحسنة ك: تعلم أصول اللعب ومراعاة أدوار الآخرين، واحترام أفكارهم واختياراتهم، والعطف على الضعيف في الفريق، وتقديم يد العون للمحتاج، ويكتسب الشعور بالانتماء وروح الجماعة⁽³⁾.

- من أبرز أنواع اللعب التي تساعد الطفل على إظهار مشاعره وأحاسيس اللعب الإيهامي أو التخيلي كأن يتظاهر فيه الابن بأنه الأب ويقلده في أكثر السلوكيات التي تأثر بها، وتتظاهر البنت بأنها الأم أو المعلمة

⁽¹⁾: برتراند راسل: في التربية...، ص: 95.

⁽²⁾: أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ص: 89. يُنظر: ماريا بيرس- جنيفيف لاندو: اللعب ونمو الطفل، ص: 49.

⁽³⁾: يُنظر: كلارك موستاكس: علاج الأطفال باللعب، ص: 11. أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 137.

وتأتي بالأفعال والأقوال التي وجدت في نفسها منها، حيث تظهر فيه انفعالاته ويُعبّر فيه عن مشاعره، ويخفف من حدّة توتره ومخاوفه⁽¹⁾.

- ويُعدّ الرسم وجه من وجوه التعبير عن المشاعر عند الطفل، ورغم أنه لا يدخل في اللعب بصورة مباشر ولكنه شكل من أشكال الترويح والترفيه عن النفس، حيث يُعبّر الطفل من خلاله عن أحاسيس، فتجده يرسم على الخزانة الخشبية وعلى الطاولة وعلى الجدران أشكالاً وخطوطاً لا يفهم معناها إلا هو، وقد يرسم على ورقة شخصاً يشترك إليه، أو يرسم والديه وهما يتشاجران وهو منزوي خائف، أو يرسم شيئاً قبيحاً ويُريد به شخصاً يزعجه كزوجة أبيه أو ابن الجيران مثلاً؛ وهكذا يكشف الرسم عن مشاعر الطفل إذا أحسن الناظر إليه التدقيق والربط.

- وقد يلعب الولد ببعض أدوات الكبار وهو يُفصح بذلك عن رغبته في أن يصير مثله، كأن يلعب الولد ببعض أدوات التصليح المنزلي لأبيه، أو تلعب البنت بأواني المطبخ أو ملابس أمها وزينتها الخاصّة.

- ويتميز في سنّ معين لعب البنين على لعب البنات، فيتجه كل واحد إلى اللعب مع أبناء جنسه الذين من سنّه بشكل فطري، ويبدأ تحديداً من مرحلة الطفولة المبكرة بداية من ثلاث سنوات، حيث يتحقق له التوافق السلوكي والفكري والشعوري معهم؛ كما تظهر الاختلافات في أنماط اللعب بين الجنسين فيجد الولد حاجته في اللعب مع البنين ألعاباً معينة، وتجذب البنات ضالتها وحاجتها في اللعب مع بنات جنسها. وقد لخصّ ابن الحاج في كتابه "المدخل" مجموعة فوائد جليّة للعب الطفل، قال: (وينبغي أن يُؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب، فإنّ منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يُميت قلبه ويُطيل فكره وذكائه ويُغضّ إليه ذلك ويُغضّ عيشه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً)⁽²⁾.

هذا فيما تعلّق بأهم الفوائد والآثار النفسية والشعورية التي يحظى بها الطفل من اللعب، ويبقى أنّ الطفل الذي لا يجد مكاناً بين الكبار وزحمة مواضعهم وانشغالهم يجد لنفسه ملاذاً في اللعب بمختلف أشكاله ليصنع منه عالماً يُحاكي فيه رغباته وتصورات، ويشعر فيه بحيويته وسعادته وكيونته، سواء كان في لعبه منفرداً أو مع جماعة رُفقاءه.

⁽¹⁾: يُنظر: نبيلة عباس الشورجبي: المشكلات النفسية للأطفال - أسبابها وعلاجها-، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002م، ص: 91. أحمد عزت راجح: المرجع السابق، ص: 86.

⁽²⁾: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج: المدخل، دار التراث، 298/4.

ثانيًا: قواعد عامة للعب الكبار مع الصغار.

وللعب مع الأطفال قواعد على الوالدين والمربين احترامها، فإن حدث منهم خرق أو تجاوز بشكل عشوائي أو تسلطي أفسدوا على الطفل فرحته، وهدموا له فضاءه، ومن بين أهم هذه القواعد، ما يلي:

القاعدة الأولى: يمكن للوالدين أن يُوجِّهوا لعب الطفل إذا كان لا يُحسنه أو لا يعرف كيف يمارسه كالرضيع والفتيم، وهنا يكون جميلًا من الأم أو الأب لو يلاعب أحدهما الطفل بما يتناسب وقدراته الجسدية والعقلية حتى يتمكن من فهم اللعبة وتقليدها.

القاعدة الثانية: تُقرَّر عدم التَّدخُل في شأن الطفل أثناء لعبه وعبثه، ولا يزيد الوالدين على المراقبة من بعيد إلا التَّدخُل في حال الحاجة والضرورة، كرؤية خطر أو سلوك قبيح يحتاج لتوجيه وتنبيه؛ أو سلوك حسن ينتظر التشجيع والتقدير؛ ويمكن تدخُل الوالدين لتقديم العون للطفل إذا هو احتاجه.

القاعدة الثالثة: تؤكد ضرورة خضوع الوالدين والمربين لزعامة الصغار إذا أرادوا اللعب معهم، فالصغير يعيش مع اللعبة في عالم الخيال الذي يعجز الكبير على فهمه ومحاكاته فيه، والكبار يميلون دائمًا إلى جعل لعبهم أقرب للواقع منه إلى الخيال، لذلك على الكبار أن يسايروا الصغار فيما يرسومونه من فكرة أو خطة للعب⁽¹⁾ كل هذه الضوابط والأهداف المرجوة من اللعب تنصبُّ في السعي لتحقيق نمو أفضل للطفل، وتدريب جيد لوظائفه الحسيَّة والجسمية والشعورية، والعقلية والاجتماعية بشكل عام.

المطلب الثاني: اهتمام السنة النبوية باللعب عند الطفل.

تؤكد الشريعة الإسلامية ولعديد من المرَّات شموليتها لكل مناحي الحياة، فليس من موضوع يُطرق للمعالجة والبحث إلاَّ ومعها نصوص من القرآن الكريم أو السنة النبوية تكلمت عنه وبيَّنت أحكامه وآدابه. ومواضيع الطفل المتعددة والمختلفة من المواضيع التي نظمت أحكامها وبيَّنت آدابها بقدرٍ وافٍ من التفصيل والبيان، لم يوجد مثيله في جُلِّ الدساتير والاتفاقيات والمنظمات التي تصدَّرت الاهتمام بالطفل وما يتعلق به؛ وموضوع اللعب واحد من المواضيع الشاهدة على ذلك.

نصَّت المادة "31" من اتفاقية حقوق الطفل المؤرخة في سبتمبر سنة 1990م على حق الطفل في اللعب، وكانت كالآتي: (تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الراحة ووقت الفراغ، ومزاولة الألعاب

(1): يُنظر: عبد الفتاح مصطفى غنيمه: حاجات الطفل للنفس والبدن، ص: 34.

وأنشطة الاستحمام المناسبة لسنه والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية وفي الفنون⁽¹⁾. هذه الاتفاقية التي لم تُصِف شيئاً على كونها "تعترف" فقط، من دون أنها تدعو أو تحث أو تطالب، أو نحوها من الألفاظ الملحّة على تحقيق المطلب، إلى جانب أنها اختصرت الأمر كله في عبارتين فقط، وهي: "مزاولة الألعاب وأنشطة الاستحمام"، من غير توضيح وبيان لسبل وأساليب ممارسة الطفل له.

وبعد كل هذا التّأخّر في استدراك الحقوق وإصدارها، وهذا الغموض والإبهام في صياغة القوانين، تُعلن هذه الاتفاقيات لنفسها السّبق في الدفاع عن الحقوق⁽²⁾.

وإذا كانت هذه الاتفاقيات والمنظمات الحقوقية تكتب لنفسها السبق في تسطير حقّ الطفل في اللعب وتدعي الدفاع عنه، فإنّ الرّسول الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل قد سبقهم في الحديث عنه، وبيان كونه مطلب فطري شرعي قبلهم بقرون مديدة، ولم تكن تعاليمه ﷺ مجرد حبر على ورق، بل قدّمها صراحةً في صور عملية ملموسة، يأخذها المتعلم بسمعه وبصره فتكون أبليغ بياناً ووضوحاً.

أولاً: في كون اللعب يُنسب للأطفال ابتداءً.

ورد ذكر اللعب وإلحاقه بالأطفال على أنّه من السلوكيات الخاصّة بهم في عدد من الأحاديث، منها: عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك» ثمّ قال: «ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلوة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلوة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: «إنّ عدوّ الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعلهُ في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرّات، ثمّ قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأجر، ثلاث مرّات، ثمّ أردت أخذهُ، والله لولا دعوهُ أخينا سليمان لأصبح مؤثماً يلعب به ولدان أهل المدينة»⁽³⁾، فخصّ اللعب به للولدان.

(1): اتفاقية حقوق الطفل، موقع الأمم المتحدة: حقوق الإنسان، www.ohchr.org

(2): كُتِب في ذلك: (تعُدّ اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989م أول اتفاقية دولية في تاريخ العلاقات الدولية تُعنى بحقوق الطفل وتوضح هذه الحقوق توضيحاً مفصلاً... كما أنها تعُدّ واحدة من أكثر الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان تطوراً وشمولاً، حيث إنّ البعض يعتقد أنه في حال إعمالها الكامل في أي مجتمع فإنه يمكن أن تحدث في مستقبل غير بعيد تطورات أساسية في هيكله وثقافته...)، يُنظر: محمد أبو الخير شكري: الطفولة بين الشريعة الإسلامية والتشريعات الدولية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1432هـ-2011م، ص: 556.

(3): مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة...، ح(542)، 385/1.

وفي قصة يوسف عليه السلام لما أراد إخوته أن يغدروا به وجدوا لقلب والدهم يعقوب عليه السلام حُجَّةً يَعْتَفُ بِهَا على يوسف ويسمح بذهابه معهم، وهو حاجته للعب كطفل ورغبته فيه، قال عليه السلام: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف/12].

وقد تجسَّد منهج رسول ﷺ في التعامل مع لعب الأطفال في سلوكيات كثيرة وبسيطة تحمل معاني جليلة، فعن ثابت، قال: قال أنس: «أتى رسول الله ﷺ: عَلَى غِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»⁽¹⁾. وفي إلقاء السلام على الغلمان وهم يلعبون إقرار منه ﷺ بلعبهم وإعجابه بهم، وفيه أنّ اللعب مفيد لهذه المرحلة العمرية ولو لم يكن كذلك لَصَرَفَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ ﷺ.

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أحاديث كثيرة تقصُّ فيها موقف رسول الله معها وهي لا تزال طفلة حديثة السنّ متعلقة باللعب، وكيف رافقها ﷺ بلطف ولين ورحمة في هذه المرحلة من طفولتها؛ ومن ذلك قولها رضي الله عنها: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، قَالَتْ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَوَعِدْتُ شَهْرًا، فَوَفَّى شِعْرِي جُمَيْمَةً، فَأَتَيْتَنِي أُمُّ رُومَانَ، وَأَنَا عَلَى أَرْجُوْحَةٍ، وَمَعِيَ صَوَاحِبِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، وَمَا أَذْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي، فَأَوْقَفْتَنِي عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: هَذِهِ هَذِهِ، حَتَّى ذَهَبَ نَفْسِي، فَأَدْخَلْتَنِي بَيْتًا، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فُقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَعَسَلَنْ رَأْسِي وَأَصْلَحْتَنِي، فَلَمْ يُرْعِنِي إِلَّا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ»⁽²⁾. فتقول أم المؤمنين أنها في يوم عرسها - الذي لم تكن تعلم عنه شيئاً- كانت تلعب على أرجوحة مع صَوَاحِبِهَا، وهي عروس صغيرة لا يزال حبُّ اللعب عالِقاً في نفسها، تخبئ بعضاً من لعبها لتلهو بها عندما تخلو بنفسها، فقد روى عروة، عن عائشة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَرُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلَعِبُهَا مَعَهَا، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ»⁽³⁾. وفي لعب عائشة بالأرجوحة قبل زواجها

(1): أبو داود: السنن، الأدب، في السلام على الصبيان، ح(5202)، 352/4. النسائي: السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، التسليم على الصبيان والدعاء لهم، ح(10089)، 131/9. أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، مسند أنس بن مالك، ح(12724)، 142/20. قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح). قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(5202)، 2/1. وقال أيمن شعبان: (صحيح)، يُنظر: تحقيقه على جامع الأصول لابن الأثير، ح(4841)، 596/6.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: 54.

(3): مسلم: الصحيح، النكاح، تزويج الأب البكر الصغيرة، ح(1422)، 1039/2.

برسول الله ﷺ وباللعب بعده، إقرار بحاجتها في تلك السن للعب؛ وفي الروايتين بيان لنوع اللعب الذي يستهوي البنات غالباً، وهو الأرجوحة⁽¹⁾، واللعب بالبنات التي هي العرائس.

ثانياً: تقديره ﷺ لحاجة الطفل إلى اللعب، ومراعاة مشاعره فيه.

رُوي عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في هذا الباب، ويمكن القول أنّ جلّ الأحاديث التي نصّت على لعب الأطفال تؤكد على ضرورة مراعاة حاجة الطفل للعب وأنّ رسول الله ﷺ كان مثلاً وقدوة في ذلك، ومنها: عن أنس، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: « يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ؟ »، نُعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا⁽²⁾.

وفي رواية لأبي داود: « وكان له نُعْرٌ يلعبُ به، فمات، فدخلَ عليه النبي ﷺ ذاتَ يومٍ فرآه حزينا، فقال: "ما شأنه؟"، قالوا: مات نُعْرُه، فقال: "يا أبا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ التُّغَيْرُ؟"⁽³⁾. قَوْلُه: (نغر). يَعْنِي النغير مصغر نغر بِضَمِّ التُّونِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ طَيْرٌ صَغِيرٌ كَالعصافير حمر المناقير⁽⁴⁾. وفي قوله ﷺ: " ما فَعَلَ التُّغَيْرُ؟" أي ما جرى له حيث لم أره معك.

وقد استنبط النووي من الحديث فوائد كثيرة، أذكر منها مع مزيد من البيان والتحليل:

1- جواز المزاح فيما ليس إثمًا.

2- ملاطفة الصبيان وتأنيسهم: فالنبي ﷺ مازح الصبي ولاطفه بتلك العبارة وبوجه منبسط للتفيس عنه فيما وجد من الحزن على النغر وتسلية له على فقده بموته، ولا ريب في أنّ كل شخص يجب أن يلقي من

(1): الأُرْجُوحةُ: (حبل يُشَدُّ طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويُجْرَك وهو فيه، سُمِّيَ به لتحركه ومجيئه وذهابه)، يُنظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكرم الشيباني الجزري ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ-1979م، 2/198. وقال النووي: (هي خشبة يلعب عليها الصبيان والجواري الصغار يكون وسطها على مكان مرتفع ويجلسون على طرفيها ويجركونها فيرتفع جانب منها وينزل جانب.)، يُنظر: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، 5/174.

(2): سبق ترجمته، يُنظر: 62.

(3): أبو داود: السنن، الأدب، ما جاء في الرجل يتكئى وليس له ولد، ح(4969)، 7/325. قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(4969)، 2/1. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح).

(4): بدر الدين العيني: عمدة القاري، 22/213.

طرف مَنْ يحترمه ويتودد إليه الأُنس والمواساة أثناء الحزن، خاصَّة إذا كان رسول الله ﷺ حبيب المؤمنين وأنسهم.

3- وفي الحديث جَوَّاز لعب الصَّبي بالعصفور وتمكين الوَلي إيَّاه من ذلك، وفي هذا تقديم رغبة الطفل في اللعب على راحة العصفور دون ضرر؛ وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الخلق والتواضع مع الأطفال⁽¹⁾؛ قال ابن بطال: (كان النبي عليه السلام أحسن الأمة أخلاقاً وأبسطهم وجهًا، وقد وصف الله ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فكان ينبسط إلى النساء والصبيان ويمازحهم ويداعبهم).⁽²⁾

وثبت أنّ رسول الله ﷺ راعى حاجة الطفل للعب حتى في الصلاة وأعطاه نصيبًا من الزمن والفعل الذي يريده من غير أن يُحدِّث في صلاته ما ليس منها؛ عن عبد الله بن شدَّادٍ عن أبيه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَائِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطْلَاهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَائِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطْلَيْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»⁽³⁾. ويكون ﷺ قد كره عجلته حذرًا من بكائه الذي قد يزعج المصلين في المسجد، ولكن الصريح في الحديث أن الولد أراد اللعب بركوب ظهر رسول الله ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام قدَّرت رغبته في ذلك وحققتها له رحمة به.

وموقف آخر لرسول الله ﷺ أَبَانَ على حسن تقديره ﷺ لحاجة الطفل في اللعب، رواه أنس بن مالك رضي الله عنه الغلام خادم رسول الله ﷺ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ،

(1) يُنظر: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، 310/7.

(2) ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 304/9.

(3) النسائي: السنن، التطبيق، هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، ح(1141)، 229/2. أحمد: المسند، مسند المكين، حديث شداد بن الهاد، ح(16033)، 419/25. ابن أبي شيبة: المصنف، الفضائل، ما جاء في الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(32191)، 379/6. الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة، ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ، ح(4775)، 181/3. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). الطبراني: المعجم الكبير، باب الشين، شداد بن الهاد الليثي...، ح(7107)، 270/7. البيهقي: السنن الكبرى، ما يجوز من العمل في الصلاة، الصبي يتوثب على المصلي ويتعلق، ح(3423)، 372/2. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ح(1141)، 285/3. وقال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين).

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِعَقَائِي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟، قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»⁽¹⁾. وفي هذا بيان على أن أنس وهو صغير قد شُغِلَ إِمَّا بالتفرج على لعب الصبيان في السوق أو باللعب معهم، وهذا يُترجم عَفْوِيَّةً وَفِطْرَةً الأطفال في ميلهم إلى اللعب، ولولا أن رسول الله ﷺ لم يقف عنده ويأخذ به لَأَسْتَعْرَقَ في اللعب أو المشاهدة وقتاً أطول؛ ورسول الله ﷺ الذي هو أحسن الخلق وأرفقهم بهم لم يعاتبه أو يُؤدبه على تأخره في قضاء مطلبه، بل داعبه بقوله "يا أنيس" تصغيراً لاسمه من باب الرحمة والشفقة، وأخذَ بقفاؤه وهو يضحك رفقاً به؛ وربما ضحك رسول الله ﷺ لأنه توقع فعل أنس هذا، فكان ما توقعه ﷺ.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسْرِئُهُنَّ إِلَيَّ»⁽²⁾. ويُسرهن بمعنى يُرسلهنَّ إلى عائشة رضي الله عنها واحدة بعد أخرى حتى يلعبن معها، وقد كانت رضي الله عنها صغيرة لم تبلغ حدَّ التكليف بعد؛ ممَّا يدلُّ على حسن عشرة الرسول ﷺ لزوجته الصغيرة التي لا تزال ترغب في اللعب مع صَوَاحِبِهَا، بل وحتى أَنَّهُ ﷺ يُسَاهِمُ فِي تَحْقِيقِ رَغْبَتِهَا بِرِسَالَتِهَا إِلَيْهَا⁽³⁾.

ثالثاً: مشاركته ﷺ في اللعب مع الأطفال.

ثبت أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَأَعَبَ أَطْفَالاً وَدَاعِبَهُمْ، بل وشاركهم لعبهم، وقد رَوَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَغَيْرَهَا فِي هَذَا مَوَاقِفَ جَمِيلَةٍ، مِنْهَا:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟" قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَساً لَهَا جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟" قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: "وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟" قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: "فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟! " قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسَلِيمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنَحَةٌ؟ قَالَتْ

(1): مسلم: الصحيح، الفضائل، كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، ح(2310)، 4/1805.

(2): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة ﷺ، في فضل عائشة رضي الله عنها، ح(2440)، 4/1890.

(3): يُنظر: علي بن محمد الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 5/2119. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصباطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1413هـ-1993م، 6/245.

: فضحك حتى رأيت نواجذَه»⁽¹⁾؛ في الحديث كثير من الفوائد والعبر للمتأمل، منها:

- 1- حمل موقف رسول الله ﷺ مع السيدة عائشة الكثير من اللطف، والرفق، واللين في المعاملة، والرحمة بها وهي الصغيرة الحديثة عهد بزواج.
- 2- فيه أن رسول الله ﷺ لم يترفع عن سؤال عائشة عمًا رأى من لعبها، ولم يتجاوزها كما لو لم يره، بل توقف عنده واهتم بما تهتم به إرضاءً لها وإقرارًا لفعالها، وفي هذا بعثٌ للراحة والطمأنينة في قلبها، فلربما كانت رضي الله عنها قد أخفتها بستر خوفًا من أن يراها رسول الله ﷺ فيغضب منها أو ينزعج.
- 3- وإن أسلوب رسول الله الراقي في المعاملة وحسن تقديره لمشاعر الآخرين كان حافزًا لأم المؤمنين أن تحدثه ﷺ بما في حوزتها وتصفهم له بكل راحة وطمأنينة، دون خوف أو رهبة منه ﷺ.
- 4- وفيه مشاركة رسول الله ﷺ للعب مع عائشة رضي الله عنها، وهو سلوك جميل منه ﷺ يُردُّ به على من يرى الترفع عن اللعب مع الأطفال، وأن فيه سُخفٌ وُحْمٌ وخفة عقل، وتقهر حال.
- 5- وفي الحديث دليل على جواز اتخاذ البنات لعبًا مثل العرائس يلعبن بها⁽²⁾، مراعاة لصغرهنَّ وحُبهنَّ لمثل

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، الأدب، اللعب بالبنات، ح(4932)، 292/7. النسائي: السنن الكبرى، عشرة النساء، إباحة الرجل اللعب لزوجته بالبنات، ح(8901)، 180/8. البيهقي: السنن الكبرى، الشهادات، ما جاء في اللعب بالبنات، ح(20982)، 371/10. قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(4932)، 2/1. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حديث صحيح). وقال أيمن صالح شعبان: (صحيح)، يُنظر تعليقاته على جامع الأصول لابن الأثير، ح(8425)، 753/10.

⁽²⁾: وهاهنا نقل لأقوال المذاهب الأربعة في المسألة: قال أصحاب المذهب الحنفي: (عن أبي يوسف: يجوز بيع اللعبة وأن يلعب بها الصبيان)؛ يُنظر: ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، 650/1. وقال المالكية: (يُستثنى مما له ظل قائم المجمع على حرمة صور لعب البنات فإنه لا تحرم، ويجوز استصناعها وصنعها وبيعها وشراؤها لمنَّ لأنَّ بمنَّ يتدرَّب على حمل الأطفال، فقد كان لعائشة رضي الله عنها حوارٌ يُلاعِبُها بصور البنات المصنوعة من نحو خشب، فإذا رَأى الرسول ﷺ يَسْتَحِينُ منه ويتقَنَّعَ وكان الرسول يشترها لها، وأمَّا فعلها للكبار فحرام)؛ يُنظر: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415هـ- 1995م، 315/2. وقال الشافعية: (يجوز تصوير لعب البنات لأنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تلعب بها عنده ﷺ كما في مسلم وحكمته تدرِبهن أمر التربية). يُنظر: زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الهندي: فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين، ط1، دار بن حزم، 492/1. وقال الحنابلة: (وله الإذن لصغيرة في لعبٍ بلعبٍ غير مُصَوِّرة، وشراؤها بما لها)، يُنظر: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي: الفروع، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1424هـ- 2003م، 15/7. وحكا النووي عن القاضي عياض الإجماع في المسألة، قال النووي: (قال القاضي: فيه جواز اللعب بمنَّ قال وهنَّ مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث ولما فيه من تدريب النساء في صغرهنَّ لأمر أنفسهنَّ وبيوتهنَّ وأولادهنَّ؛ قال: وقد أجاز العلماء بيعهنَّ وشراهنَّ، وروي عن مالك كراهة شرائهنَّ وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها وتنزيه ذوي المروآت عن تويُّ بيع ذلك لا كراهة اللعب، قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بمنَّ؛ وقالت طائفة هو منسوخ بالنهاي عن الصور هذا كلام القاضي.)، يُنظر: صحيح مسلم بشرح النووي، 182/8.

هذا اللَّعِب؛ وفي هذا ذكر القراني فائدة أخرى، قال: (وَجَارَ لَعْبُ الْجَوَارِي بِهذه الصور الناقصة لأنَّ النبي ﷺ كان يعلم بلعب عائشة رضي الله عنها بها وبسيرها إليها فيجوز عملها ويُعْمَلُ لأنَّ في ذلك تَهْدِيب طَبَاعِ النِّسَاءِ مِنْ صِغَرِهِنَّ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ كَمَا أَلْهَمَ كُلَّ نَبِيٍّ فِي صِغَرِهِ رِعَايَةَ الْغَنَمِ لِيَتَعَوَّدَ سِيَاسَةَ النَّاسِ لِأَنَّهُ فِي الْغَنَمِ يَمْنَعُ قَوِيَّهَا عَنْ ضَعِيفِهَا وَيَسِيرُ بِسِيرِ أَدَانِهَا وَيَرْفُقُ بِصِغَارِهَا وَيُلِمُّ شَعْنَهَا فِي سَقِيَّهَا وَمَرَعَاهَا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِأُمَّتِهِ عِنْدَ نُبُوَّتِهِ) (1).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بِنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا عَقَلَ عَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْنَا؛ وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالذَّرْقِ وَالْحِرَابِ، فِيمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِنَّمَا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ»، حَتَّى إِذَا مَلَيْتُ، قَالَ: «حَسْبُكَ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَادْهِي» (2). وفي رواية قَالَتْ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسَامُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةَ عَلَى اللَّهْوِ» (3). وحيث أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَغْبَتِهَا فِي النَّظَرِ إِحْسَاسَ مَسْبِقِ مِنْهُ ﷺ بِرَغْبَتِهَا فِي ذَلِكَ وَهُوَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى مَدَى مَرَاعَاتِهِ ﷺ لِمَشَاعِرِ الْآخَرِينَ وَارْتِبَاطِهِ بِهِمْ.

وفي هذا قال ابن بطال في شرح الحديث: (...فيه: ما كان النبي عليه السلام عليه من الخلق الحسن وما ينبغي للمرء أن يمثله مع أهله من إثارة مسألهم فيما لا حرج عليهم فيه) (4)، وقال النووي: (قولها وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربية حديثه السنِّ، معناه أنها تحبُّ اللُّهُوَّ والتَّفَرُّجَ والنَّظَرَ إِلَى اللَّعْبِ حُبًّا بَلِيغًا وتحرصُ على إِدَامَتِهِ مَا أَمَكْنَهَا وَلَا تَمَلُّ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ مِنْ تَطْوِيلٍ؛ وَقَوْلُهَا فَاقْدُرُوا... وَهُوَ مِنَ التَّقْدِيرِ أَي قَدَّرُوا رَغْبَتَنَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ...) (5).

(1): أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي: الذخيرة، ت: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م، 286/13.

(2): البخاري: الصحيح، أبواب العيدين، الحراب والدرق يوم العيد، ح(949-950)، 16/2. مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه...، ح(892)، 609/2.

(3): البخاري: الصحيح، النكاح، نظر المرأة إلى الحيش وغيرهم من غير ريبة، ح(5236)، 38/7.

(4): ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 548/2.

(5): النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، 364/3.

وعن عائشة أيضاً، قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكَ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكَ»، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بَيْتُكَ»⁽¹⁾.

وفي لعبه ﷺ مع سبطيه الحسن والحسين روى يعلى العامري رحمه الله: أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى طَعَامِ دُعُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا حُسَيْنٌ مَعَ الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُ، فَاسْتَنْتَلَ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ، فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفْرُ هَاهُنَا مَرَّةً، وَهَاهُنَا مَرَّةً وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى تَحْتَ فَفَاهُ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ فَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»⁽²⁾؛ وفي مُدَاعِبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُسَيْنِ وَاللَّعِبِ مَعَهُ أَمَامَ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، تَعْلِيمٌ مِنْهُ ﷺ لِسُنَّةِ اللَّعِبِ مَعَ الْأَطْفَالِ وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الْحَبِّ لَهُمْ.

(1): أبو داود، السنن، الجهاد، في السبق على الرجل، ح(2578)، 29/3. النسائي: السنن الكبرى، عشرة النساء، مسابقة الرجل زوجته، ح(8894)، 178/8. ابن ماجه: السنن، النكاح، حسن معاشره النساء، ح(1979)، 149/3. أحمد: المسند، مسند النساء، مسند الصديقه بنت الصديق...، ح(26277)، 313/43. (واللفظ له). ابن حبان: الصحيح، السير، ذكر إباحتها بالمسابقة بالأقدام...، ح(4691)، 545/10. ابن أبي شيبة: المصنف، السير، السباق على الأقدار، ح(33588)، 531/6. الطبراني: المعجم الكبير، مسند النساء، باب، ح(124)، 47/23. قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين). وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين)، يُنظر: إرواء الغليل، ح(1502)، 328/5.

(2): ابن ماجه: السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، فضائل الحسن والحسين...، ح(144)، 51/1. أحمد: المسند، مسند الشاميين، حديث يعلى بن مرة الثقفي...، ح(17561)، 102/29. ابن حبان: الصحيح، إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر إثبات محبة الله ﷻ لِحُبِّي الْحُسَيْنِ، ح(6971)، 427/15. ابن أبي شيبة: المصنف، الفضائل، ما جاء في الحسن والحسين، ح(32196)، 380/6. الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة ﷺ، أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي، ح(4820)، 194/3. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). البخاري: الأدب المفرد، معانقة الصبي، ح(364)، 190/1. الطبراني: المعجم الكبير، باب الحياء، بقية أخبار الحسن بن علي...، ح(2586)، 32/3. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ح(144)، 216/1. وقال حسين سليم الداراني: (إسناده صحيح)، يُنظر: تحقيقه على موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للهيثمي، ح(2240)، 196/7. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (حديث حسن)، وقال محمد فؤاد عبد الباقي: (إسناده حسن، رجاله ثقات)، يُنظر: تعليقاته على سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، 51/1.

وروى أبو هريرة قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ حَامِلَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، وَلِعَابُهُ يَسِيلُ عَلَيْهِ (1).

رابعاً: ضوابط وآداب في لعب الأطفال.

1- تنظيم وقت اللعب: فلا يترك الطفل للعب طول الوقت بل يراعى في تنظيم وقته حظه من التعلم والأدب والراحة وغيرها، وترك الطفل للعب طول الوقت دليل على إهماله، وفي هذا يقول أبي حامد الغزالي: (... فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً ناماً لحوحاً، ذا فضول وضحك وكيد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين...) (2).

2- كَفُّ الأَطْفَالِ عَنِ اللّٰعِبِ قَبِيلِ المَغْرِبِ: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَبِيَّانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُّغْلَقًا» (3).

3- عدم اللعب بما لا يجوز اللعب به كالميسر وما يدخل في زمرة، ومنع الطفل من إدمان الألعاب الإلكترونية المختلفة التي تكيد بعقله ووقته ومستقبله، كما لا ينبغي أن يترك الأولاد للعب بالكلاب التي لا يجوز اتخاذها لغير الصيد أو الحراسة، وقد صار اكتساب الكلاب في زماننا حرفة لدى كثير من الفتيان يتباهون بها- والله المستعان-؛ عن أبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه، حدثه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلَبَ حَرْثٍ، أَوْ كَلَبَ مَا شِئِيَّةٍ» (4).

(1): ابن ماجه: السنن، أبواب التيمم، الحج في الإناء، ح(658)، 419/1. الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة ﷺ، أول فضائل أبي عبد الله الحسين بن علي، ح(4821)، 195/3؛ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُجرحاه وقد روي بإسناد في الحسن مثله، وكلاهما محفوظان)؛ وقال البوصيري: (هذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيحين)، يُنظر: مصباح الزجاجة، ح(250)، 84/1؛ وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ح(658)، 320/2. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (إسناده صحيح).

(2): أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 64/3.

(3): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 59.

(4): البخاري: الصحيح، بدء الخلق، إذا وقع الذباب في شراب أحدكم...، ح(3324)، 130/4. مسلم: الصحيح، المساقاة، الأمر بقتل الكلاب...، ح(1574)، 1202/3.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في شأن الكلاب وحُرمة اتخاذها لغير ما ذكر في الحديث، قال: أَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»، يُرِيدُ التَّمَاثِيلَ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة في النهي عن اتخاذ الكلاب أيضاً، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ»⁽²⁾.

ولذا يجب على الوالدين والمربين العمل بأحكام الشريعة المتعلقة باللعب وتعليمها لأبنائهم وحثهم على والتزام ضوابطها وآدابها، والابتعاد عن كل قبيح من الألعاب التي فيها عنف وفُحش وإضرار بالآخرين، والإقبال على كل نافع منها مما يحفظ القيم والأخلاق، ولا يُلحق الأذى والضرر بالطفل وغيره.

ويبقى اللعب متعة للطفل لا ينبغي حرمانه منها وهو في مرحلة الفراغ من التكليف الشرعي، وما مدام اللعب يعود عليه بفوائد مهمة يجد آثارها حتى بعد بلوغه، في نفسه وفكره وقوة جسده وقدرته على تكوين علاقات اجتماعية، وغيرها؛ ولهذا كانت نظرة رسول الله ﷺ للعب أبعُد من كونه متعة يتلهى بها الأطفال، فوجدنا في سنته ﷺ أحاديث ومواقف تُقدِّرُ اللعب على أنه من حاجات الطفل الفطرية، وفيها ما روت مشاركته ﷺ للعب مع الطفل، وأنه ﷺ يبادر بمداعبة الطفل واللعب معه كما في قصة الحسين وهو يلعب مع الصبيان وكذا وهو مرتحل على ظهره، ووُجد أنَّ رسول الله ﷺ يخضع في اللعب مع الطفل لشروطه وطريقته فيه، كما كان مع عائشة رضي الله عنها عندما كشف الستر عن بناتها، ومع الحسين عندما ركب على ظهره وهو ساجد ﷺ. ويجمع هذا كله قاعدة أساسية وضعها رسول الله ﷺ في اللعب مع الأطفال، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ فَلْيَتَصَابَ لَهُ»⁽³⁾. أي أن يتصاغر للطفل كما لو أنه طفل مثله، ويلاعبه بلطف ولين.

ومنه: يبقى منهج رسول الله ﷺ فريد في تعامله مع الطفل في أسلوبه وطريقته وبيانه، لا يمكن أن تُصل إلى مستواه أيُّ نظرية أو فلسفة أو اتفاقية مهما فُقيحت في غريزة اللعب عند الطفل.

(1): البخاري: الصحيح، المغازي، باب، ح(4002)، 82/5.

(2): مسلم: الصحيح، اللباس والزينة، كراهة الكلب والجرس في السفر، ح(2113)، 1672/3.

(3): محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ح(1468)، 283/1. وقال: (فيه محمد بن عاصم مجهول، وذكره الذهبي في الضعفاء.) وقال الألباني: (ضعيف)، يُنظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ح(5800)، 836/1.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الغريزة الجنسية.

تعتبر المسائل الجنسية منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام إلى وقتنا الحاضر من أكثر الأمور التي تُحاط بالكتمان والسرية، ويخْفُها الحياء والحجل، وتَضَعُف معها الجرأة على حب المعرفة وطرح الأسئلة؛ لهذا كانت التربية الجنسية للطفل من أصعب أنواع التربية وأعقدها، ونجاحها مرهون بمدى التزام الأسرة بأحكام الشريعة الإسلامية وآدابها العامة والخاصة، ومرهونة أيضاً بدرجة وعي الوالدين لأهمية المسألة وخطورتها في نفس الوقت على نفسية الطفل وسلوكه إن لم تعالج بحكمة.

المطلب الأول: مظاهر النمو الجنسي لدى الطفل.

بدايةً لا بدَّ من التأكيد على أنَّ النمو الجنسي عند الطفل مثله كأبي نمو لجانب آخر، فهو تطور طبيعي يدل على صحة الطفل (النفسية والجسمية)، لذا ينبغي على الوالدين أن لا يفزعوا عند ملاحظة أولى بوادره، لأنَّ الطفل ينمو نمواً سليماً.

أولاً: نمو المشاعر الجنسية عند الطفل.

يُقرر الكثير من المنظرين للغريزة الجنسية أنَّ بداياتها تنطلق من مرحلة الرضاعة وهي التي يُسمَّونها بالمرحلة الفمية؛ وهذه الفكرة سَطَّرت حروفها الأولى مدرسة التحليل النفسي وزعيمها "سيجموند فرويد"، حيث يقول: (لا تبدأ الحياة الجنسية عند البلوغ فقط بل هي تبدأ عقب الولادة مباشرة في شكل واضح)⁽¹⁾، وهذا الشكل الواضح لديه يُبينه في جزء آخر من كلامه، يقول: (والفم أول منطقة شبقية تظهر عقب الولادة مباشرة وتأخذ تُلح على النفس في إشباع مطالبها الليبيدية...، ولا شك أنَّ الوظيفة الأولى لهذه المنطقة هي حفظ الذات بالتغذية، ولكن لا يجب أن نخلط بين الفسيولوجيا وعلم النفس، فإنَّ إصرار الطفل بعناد على الرضاعة ليدل دلالة واضحة في هذه المرحلة المبكرة على وجود حاجة إلى الحصول على اللذة...)⁽²⁾.

وكما يرى "فرويد" تدخل المشاعر الجنسية بعد ذلك في مرحلة أخرى أطلق عليها اسم العقدة - أوديب وإلكترا - كما سبق بيانه⁽³⁾، وطبقاً لمفهومه فإنَّ الطفل يصل إلى هذه الحالة النفسية في سنِّ الرابعة من

(1): سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ص: 56.

(2): المصدر نفسه، ص: 57.

(3): يُنظر، ص: 101.

عمره وتظهر في التصاقه بأحد والديه المخالف لجنسه. ومن ذلك مداعبة الطفل الصغير لأمه وإمساكها من شعرها أو ابتسامه الطفلة الصغيرة مع أبيها، أو تمتع الطفل الذكر بملامسة أمه لجسمها...⁽¹⁾.

وقد ردَّ على هذه الأفكار التي يمكن القول بأنها شاذة أحد محلي علم النفس الغربي "برتراند رسل"⁽²⁾ قائلاً: (.إني لا أعتقد صحة ما يقال من وجود جاذبية خاصة بين الأبناء وأمهاهم وبين البنات وآبائهم، اللهم إلا في أحوال نادرة مرضية، فإذا وجد لأحد الوالدين تأثير مفرط فسيكون لأيهما هو أكثر اتصالاً بالطفل - الأم عادةً- بغض النظر عن الاختلاف الجنسي...)⁽³⁾.

ومن المؤسف أنّ هذه الأفكار الغربية تبناها الكثير من الباحثين والمربين من العرب والمسلمين وبنوا عليها تحليلاتهم ودوّنوها في كتبهم؛ وفي هذا إجحاف كبير بعالم الطفولة وحقيقة مشاعره.

فعملية الرضاعة الطبيعية تبقى رضاعة ولا يمكن إخراجها عن حقيقتها في كونها عملية تغذية طبيعية فطرية يلتزم فيها الرضيع ثدي أمه بصورة تلقائية عفوية، وتؤدي دورها الصحي والنفسي على الأم والطفل معاً؛ ولذلك يمكن القول أنّ كل الدراسات التي تحدثت عن بدايات مبكرة للغريزة الجنسية عند الطفل، كما ذهب "فرويد" وغيره من الذين قالوا أنّ بدايتها تكون مع الشهر السادس عندما يمسك الطفل عضوه التناسلي بيده⁽⁴⁾، كلها أبحاث ودراسات خاطئة ألفت بنفسها في دائرة الشذوذ والوهم.

والحقيقة أنّه لا يمكننا أن نُفسر أيّ سلوك يصدر عن الطفل على أنّه سلوك جنسي إلا إذا:

1- بلغ الطفل السنّ الحقيقي من الناحية الفسيولوجية والنفسية لتحرك غريزته ومشاعره الجنسية.

2- إذا لوحظ على الطفل موقف يُعبّر حقيقةً عن المشاعر الجنسية بشكل واضح لا يحتاج إلى تأويل.

وربما يصحُّ أن نقول إنّ الشعور الجنسي عند الطفل يبدأ في الظهور في حدود سنّ السادسة أو السابعة تقريباً في شكل حركات يُداعب من خلالها عضوه التناسلي، وهذه الحركات تشبه ما يسمى في عالم البالغين

(1): يُنظر: عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ص: 179.

(2): برتراند راسل: ولد عام (1873)، فيلسوف إنجليزي، تولى تربيته جده لأبيه ثم جدته بعد وفاة والديه، عاش طفولة منعزلة، آمن أنّ الرياضيات هي القانون الذي تعمل بموجبه الطبيعة، تكلم عن "الوضعية المنطقية" التي جاءت فرعاً عن "الواقعية الجديدة" ونتيجة متأخرة للتحليلات المنطقية التي قام بها رسل في كتابه "أصول الرياضة" و "أسس الرياضة"، من مؤلفاته: مبادئ الرياضيات، مقالات فلسفية، الديمقراطية الاجتماعية الألمانية. يُنظر: زكي نجيب محفوظ: برتراند رسل، هنداوي، المملكة المتحدة، 2020م، ص: 11-36.

(3): برتراند راسل: في التربية..، ص: 135.

(4): يُنظر: نبيلة عباس الشوربجي: المشكلات النفسية للأطفال أسبابها، علاجها، ص: 161.

بالعادة السريّة، وإن كانت لا تماثلها في الكيفية وحجم الضرر الصحي والنفسي الذي يمكن أن تُسببّه؛ ولا حتى في الهدف الذي يُرجى من خلالها، فالبالغ الراشد يريد بها الاستمناة لإسكات شهوته، أما الطفل فلا يعرف من ذلك شيئاً، غير أنها استجابة لحركة حسيّة جنسية بسيطة، يستشعر منها لذّة نوعية جديدة عليه. ويربط ماكدوجال⁽¹⁾ ظهور الغريزة الجنسية عند الطفل بعلامات الحياء والخجل الجنسي، يقول: (الغريزة لا تظهر إلا حوالي الثامنة حيث تظهر على الولد أو البنت آثار الحياء والخجل الجنسي، حيث يقع من الأطفال أعمال تدل على أنّ هذه الغريزة في حالة يقظة...⁽²⁾). وهو قول فيه وجه من الصحة والصواب.

والحقيقة أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى فترة من عمر الطفل تصبح فيها الغريزة الجنسية يقظة، قال ﷺ:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذِينَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾

[النور/58]، قال البغوي: (والذين لم يبلغوا الحلم منكم، من الأحرار، وليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا...⁽³⁾). ففي الآية إشارة إلى مرحلة تسبق البلوغ يكون للطفل فيها قدر من المعرفة بما يتعلق بالمشاعر الجنسية ولذلك أمره بالاستئذان.

وقال ابن كثير في تفسير قوله ﷺ: ﴿ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يَضَاهُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾

[النور/31]، (يعني: لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهنّ من كلامهنّ الرّحيم، وتعطفهنّ في المشية وحركاتهنّ، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويُفرّق بين الشّوهاء والحسنة، فلا يُمكنّ من الدخول على النساء)⁽⁴⁾؛ فقول ابن كثير "مراهقاً" أي من اثنا عشرة سنة إلى البلوغ، وقوله "أو قريباً منه" تُحمل على مرحلة الطفولة المتأخرة وهي التي تبدأ من ست سنوات إلى بداية المراهقة.

(1) ماكدوجال: وليم (1871-1938)، طبيب سيكولوجي إنجليزي، تأثر بنظرية دارون، ودافع في كتابه "مدخل إلى علم النفس الاجتماعي" عن الفكرة القائلة أنّ كل حياة نفسية اجتماعية ترتكز على الغريزة، كان مهتماً بعلم تحديد النسل، لكنه ابتعد عن الدروينية الجديدة التقليدية في التأكيد على إمكانية وراثته الخصائص المكتسبة؛ من مؤلفاته: كتاب النفس الفسيولوجي، المادية الحديثة والتطور الناشئ، مخطط علم النفس، لغز الحياة. يُنظر: ياسين صلاوي: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 3104/7.

(2) كلير فهيم: المشاكل النفسية للمراهق، ص: 69.

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 428/3.

(4) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، 49/6.

يشير الحديث الذي رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»⁽¹⁾. إلى تحديد أكثر دقة للسنّ الذي تبدأ فيه حركة الغريزة الجنسية.

قال الباجي في شرح الموطأ: (إنّ الصبي لا يعرف معاني الجماع ولا يتشوق إلى شيء منها في أقل من عشرة فلزمت التفرقة بينهما في ذلك وأمّا ابن سبع سنين فلا يأبه لشيء من ذلك في الغالب فلم يُفَرِّقَ بينه وبين غيره)⁽²⁾.

وقال المناوي: (أي فرقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشرة حدراً من غوائل الشهوة وإن كنّ أخواته، قال الطيبي: جمع بين الأمر بالصلاة والتفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً ومحافظة لأمر الله كله وتعليماً لهم والمعايشة بين الخلق وأن لا يقفوا مواقف التهم فيحسبوا المحارم)⁽³⁾. هذا و(أشارت الدراسات إلى أنّ الطفل السليم الثنية والحسن التربية، لا يعرف شهوة جنسية قبل السنة العاشرة من عمره...)⁽⁴⁾.

وبناءً عليه تكون بدايات حركة المشاعر الجنسية عند الطفل محصورة بين مرحلة التمييز التي يعقل فيها الطفل معاني العورة ويؤمر بالاستئذان وهي في حدود ستّ سنوات أو سبع، إلى حدود عشر سنوات التي يؤمر فيها بالصلاة ويُفَرِّقَ بينه وبين غيره من الأطفال في المضجع.

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، الصلاة، متى يؤمر الغلام بالصلاة، ح(495)، 133/1. الدارقطني: السنن، الصلاة، الأمر بتعليم الصلوات والضرب عليها، ح(888)، 431/1. أحمد: المسند، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(6689)، 242/6. البزار: المسند، مسند أبي ذر الغفاري، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ح(9823)، 189/17. ابن أبي شيبة: المصنف، الصلوات، متى يؤمر الصبي بالصلاة، ح(3482)، 304/1. الحاكم: المستدرک، الطهارة، أما حديث الثوري، ح(708)، 311/1. وقال ابن الملقن: (هذا الحديث صحيح)، يُنظر: البدر المنير، ح(32)، 238/3. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: إرواء الغليل، ح(298)، 07/2. وقال أيمن صالح شعبان: (وهو حديث حسن)، يُنظر: تعليقاته على جامع الصول لابن الأثير، ح(3243)، 187/5.

⁽²⁾: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي: المنتقى شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1332هـ، 218/1.

⁽³⁾: المناوي: فيض القدير، 521/5.

⁽⁴⁾: عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص: 320.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

فموعد ظهور أولى علامات النشاط الجنسي عند الطفل يكون بين سبع سنوات إلى عشر⁽¹⁾، ويعود الأمر إلى: - حيوية الطفل الفسيولوجية، - و نمط تنشئته الأسرية، - ما يستمد من محيطه الاجتماعي. وعليه: - لا يمكن الجزم بسنٍّ معينة لظهور المشاعر الجنسية عند جميع الأطفال.

- يتبين من خلال الآيات القرآنية والحديث النبوي أنّ مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة في حلٍّ وبراءة من أي نشاط للمشاعر الجنسية؛ وهي حجة على من قال بقول "فرويد" وتبناه. ثانيًا: مظاهر السلوك الجنسي عند الطفل.

أول ما يجب الكلام عنه في قضية المظاهر هو أنّ الطفل لا يعرف الممارسة الجنسية كما يعرفها الكبار إلاّ إذا مُرست عليه أو أمامه من طرف الكبار الشاذين والمنحرفين، فتعلمها منهم؛ ولذلك لا يُتصور أنّ

⁽¹⁾: في متى يفرق بينهم في المضاجع هل لسبع سنين أو لعشر؟، قولان: بين أن يعود الأمر على أقرب العمرين المذكورين أو على بعدهما؛ وبيان أقوال أصحاب المذاهب الأربعة فيما يلي: جاء في **المذهب الحنفي**: (ويُفرّق بين الصبيان في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين، ويحُول بين ذكور الصبيان والنسوان وبين الصبيان والرجال فإنّ ذلك داعية إلى الفتنة ولو بعد حين... فالمراد التفريق بينهما عند النّوم خوفا من الوقوع في المحذور، فإنّ الولد إذا بلغ عشرًا عقل الجماع، ولا ديانة له ترُدّه فرما وقع على أخته أو أمه، فإنّ النوم وقت راحة مُهيّج للشهوة وترتفع فيه الثياب عن العورة من الفريقين، فيؤدّي إلى المحذور وإلى المضاجعة المحرّمة خصوصًا في أبناء هذا الزمان فإنّهم يعرفون الفسق أكثر من الكبار.)، يُنظر: ابن عابدين: رد المختار على الدر المختار ، 382/6. وفي **المذهب المالكي** قيل: (يُفرّق بينهم في المضاجع هل ذلك إذا أمروا بالصلاة، أو حين يبلغون عشر سنين فقال مالك في العُبيّة إذا أتت أمر بالصلاة وأدب عليها قال ابن القاسم وحينئذ يُفرّق بينهم في المضاجع... وقال ابن حبيب إذا بلغ عشر سنين لم يتجرّد أحد منهم مع أبيه ولا مع إخته، ولا مع غيرهم إلا أن يكون مع كل واحد منهم ثوب وليس هذا بحسن، وأرى أن يُفرّق بينهما جملة وسواء كانوا ذكورا، أو إناثا فإن عمل بذلك لسبع حسن، وإن أُخّر لعشر فواسع)، يُنظر: محمد بن محمد الخطاب: مواهب الجليل، 413/1. وأنّعر الغلام بمعنى: (إذا سَقَطَتْ رَوَاضِعُ الصَّبِيِّ قِيلَ: تُنْعَرُ فَهُوَ مَثْغُورٌ، فَإِذَا نَبَتَتْ أَسْنَانُهُ بَعْدَ السَّقُوطِ قِيلَ: أَنْعَرَ وَأَنْعَرَ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ وَالتَّاءِ؛ وَقَالَ شَمْرٌ: الْإِنْعَارُ يَكُونُ فِي النَّبَاتِ وَالسَّقُوطِ)، يُنظر: الأزهري: تهذيب اللغة، 101/8.

= **وقال الشافعية**: (قوله بين ابن عشر سنين: قال في شرح الروض: فإزع فيه الزركشي وغيره فقالوا: بل المعتبر السبع لخير إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرسهم... وهذا يدل على أن قوله في الخبر المشهور وفرقوا بينهم في المضاجع راجع إلى أبناء سبع وأبناء عشر جميعا.)، يُنظر: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدميّاطي الشافعي: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ط1، دار الفكر، 1418هـ-1997م، 304/3. **وقال الحنابلة**: (وإذا بلغ الإخوة عشر سنين ذكورًا كانوا أو إناثًا، أو إناثا وذكورا فرّق أي: فرّق ولئهم بينهم في المضاجع، لقوله ﷺ: «وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» أي: حيث كانوا ينامون مُتَجَرِّدِينَ كما في "المُسْتَوْعِبِ" و"الرَّعَايَةِ". قال في الآداب: هذا والله أعلم على رواية عن أحمد، واختارها أبو بكر؛ والمنصوص: واختار أكثر أصحابنا وجوب التفريق في ابن سبع فأكثر، وأنّ له عورةً يجب حفظها، أي: عن المباشرة.)، يُنظر: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدًا ثم الدمشقي الحنبلي: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ط2، المكتب الإسلامي، 1415هـ-1994م، 21/5.

مظاهر المشاعر الجنسية من حيث الميول أو من حيث الممارسة ستكون واضحة وصریحة كما هي عند البالغين؛ وفي هذا الموضوع يتحدث برتراند راسل قائلاً: (إنَّ الغريزة ليست مفقودة في سنِّ الطفولة ولكن مظاهرها تختلف عنها في الكبار، كما وإنَّ قوتها أضعف كثيراً ومن المستحيل جسمانياً لأيِّ غلام أن ينهمك فيها على شاكلة الكبار....)(1).

ومن أبرز السلوكيات والمظاهر التي تدل على حيوية المشاعر الجنسية ونشاطها في الطفل، ما يلي:

- مع بداية حركة الشعور الجنسي تصبح أعضاء التناسل عند الأطفال منطقة مؤلدة للذة وهذا يقودهم إلى الوقوع في العادة السرية، وهي تسمى "عادة سرية" إذا ما تعلق الأمر بالطفل، ولا يقال لها "استمناء" كما يُطلق عليها البعض، لأنَّ الطفل إذا أمنى صار بالغاً وخرج من مرحلة الطفولة، كما سبق بيانه في مبحث تعريف الطفل.

وأنسب وقت لممارستها عندما يغفل عنه الكبار فيكون في أمان من الأعين، حيث تُتاح له الفرصة لكل فعل قبيح يكبته في نفسه، وقد عبَّر أبي حامد الغزالي عن هذه الفكرة في قوله: (...وينبغي أن يُمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح.) (2).

ومن أكثر صور العادة السرية شيوعاً عند الطفل إمساكه لعضوه التناسلي بيده، ومحاولة مداعبته بأطراف أصابعه استجاباً لمشاعر اللذة؛ ومما لابدَّ من توضيحه هنا: هو عدم اعتبار كل إمساك للذكر عند الولد من قبيل المشاعر الجنسية، لأنَّه يصنَّف أيضاً من ضمن العادات القبيحة عند الأطفال والتي يجب التخلص منها، كمصِّ الإبهام أو الشفا السفلى، أو قضم الأظافر، والنوم على البطن.

- ظهور الحياء والحجل على وجه الصبي والبنت عند مجرد ملاقاته لولد آخر من غير جنسه يكون من سنِّه أو قريباً منه، وهو علامة على الشعور بالميل الجنسي، رغم أنَّه شعور عابر لا يدوم طويلاً فقط لمجرد تلك الفترة التي جمعتهما، والطفل في هذه الحالة لا يفرق بين الحبِّ والميل الجنسي، ولذلك لا ينبغي أن يسمى شعور الطفل الجنسي بغير مسماه.

والحياء معروف وغالب عند البنات أكثر منه عند الصبيان لما تمتاز به الإناث من مشاعر الرقة واللين على الذكور؛ وفي الحديث الذي تضمَّن تمثيل خلق الحياء عند رسول الله ﷺ بحياء العذراء في حدرها

(1): برتراند راسل: في التربية..، ص: 146.

(2): أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 65/3.

توصيف أيضا لحياء الصبية غير البالغة؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» (1) «(2).

- ويُعرف على الطفل مع نمو غريزته الجنسية شغفه بالاطلاع على الخصائص الجسدية وشكل العضو التناسلي لكلا الجنسين، وربما أكثر الوضعيات التي تلفت انتباهه لذلك هو في حال دخوله الحمام مع إخوته، وربما لا تتخذ الأم إجراءات الستر بينهم، ويحصل أيضا في حال تكشّف الكبار أمام الصغار، فيأخذ الطفل يُحمِلق في المناطق المميزة لكل جنس، وهو ما يُنبئ عن نمو المشاعر الجنسية؛ وهذه المسألة لها علاجها الذي يقي الطفل من الوقوع في هذا العمل، فإنّ الطفل إذا بلغ التميّز ينبغي إدخاله الحمام منفردًا وساترًا حتى يتعلم الستر، وعلى الكبار أن يغلقوا الباب حال تبديلهم لثيابهم، ولا ينبغي عليهم أن يستهتروا بهذه المسألة فينظروا للطفل من زاوية حجمه الصغير وبراءته المعهودة، لأنّه يتعلم ويكتسب ممّا يُشاهده.

- وتعرّف مرحلة المراهقة سلوكيات كثيرة تدل على النشاط الهرموني الجنسي عند المراهق والمراهقة، ومن بينها (..) اهتمام المراهق بالموضوعات الجنسية من خلال القصص أو الرسوم العارية أو إلقاء النكات المرتبطة بموضوع الجنس) (3).

- يظهر على المراهق ميله إلى أفراد من الجنس الآخر والرغبة في محادثتهم ومجالستهم والاطلاع على أخبارهم وميولهم، ويُعلّل كل هذا الميل الجنسي، (وفي هذه المرحلة يلاحظ الحب المتعدد والاهتمام بالجمال والرغبة في جذب انتباه أفراد الجنس الآخر، والمعاكسة، وحب الاستطلاع الجنسي...) (4) ويستمر هذا المظهر عند المراهق فترة أطول من غيرها وربما تتجاوز إلى ما بعد البلوغ عند من لم تردعه تنشئته الدينية والأخلاقية عن إتباع الشهوات، وكان في غفلة من متابعة والديه.

- قد يحدث للطفل شيء من التأخر الدراسي الذي يستدعي انتباه الوالدين، خاصّة في حال ما إذا غرق الطفل في تتبع ميوله الجنسية، فيظهر عليه تهربه من أداء واجباته المدرسية ويضعف اهتمامه بمراجعة

(1): الخِدْرُ: ناحية في البيت يُترك عليها سِتْرٌ فتكونُ فيه الجارية البكر، خُدْرَتٌ فهي مُخَدَّرَةٌ. وجمع الخِدْرُ الخُدُورُ، يُنظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 13/2.

(2): البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبي ﷺ، ح(3562)، 4/190. مسلم: الصحيح، الفضائل، كثرة حياته ﷺ، ح(2320)، 4/1809.

(3): مجدى محمد الدسوقي: سيكولوجية النمو...، ص: 163.

(4): حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، ص: 359.

الباب الأول..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل حينئذٍ وبعد الولادة..

الدروس، ويكثر ادعاؤه للمرض والرغبة في النوم، ونحوها؛ كما يُلاحظ عليه كثرة النسيان والشروذ وعدم القدرة على التركيز، والبحث عن الانفراد والخلوة لوقت طويل لأن أحلام اليقظة بدأت تستولي على عقله. هذا في مجمل ما يمكن ذكره عن مظاهر نمو المشاعر الجنسية عند الطفل، ويبقى على الوالدين وخاصة الأم - باعتبارها الأكثر احتكاك بالأولاد والأقرب لفهم مشاعرهم-، البقاء في حال انتباه ويقظة لسلك للطفل حتى يُحسِنًا توجيهه وتعليمه بما يُحقق له نموًا جنسيًا سليمًا.

المطلب الثاني: ما تحتاجه المشاعر الجنسية من ضوابط وآداب.

وهاهنا ذكر لبعض المشاعر التي تنتاب الطفل نتيجة تهييج عاطفته الجنسية، وما تحتاج إليه في هذه الفترة من ضوابط وآداب تحفظ الطفل من الانحراف.

أولاً: أثر الميل الجنسي على مشاعر الطفل.

تختلج مشاعر الطفل الجنسية الكثير من الصور والتقلبات التي تظهر على فكره وشعوره، وأبرز ما يُلاحظ عليه شعوره بالخجل والحياء عندما يُطرق موضوع له علاقة بالجانب الجنسي كالحديث عن العلاقات الجنسية والارتباط بين الرجل والمرأة، والعلاقات الجنسية المحرمة والحديث عن العفة والحياء، وعند محاولة أحد الوالدين توعية الطفل في إحدى قضايا الجانب الجنسي، ونحوها؛ وهو يحاول في كل مرة إخفاء علامات هذا الشعور عن أعين الآخرين قدر استطاعته، وهذا يوقعه في المشقة والخرج.

ومما يُوقع الصبي في الحرج حدوث التغيرات الجسمية على مستوى الأعضاء الجنسية، وخروج بعض علامات الشعور الجنسي عن سيطرته، ومثل ذلك عملية الانتصاب عند الغلام، ذلك أن (الذكور عادة أكثر استشارة من الإناث، ويرجع ذلك إلى أن الجهاز التناسلي للذكر ذو رد فعل حساس، يتأثر بأقل شيء، كما قد يسبب الانتصاب بعض الحرج للفتى، وأحياناً أخرى يكون مصدر فخر وتباهي كدليل أو علامة أكيدة على الرجولة..⁽¹⁾)؛ وهذه الازدواجية في المشاعر تكون حاضرة في نفس الطفل وخاصة المراهق، حيث يُلاحظ عليه حُبه لشخص ما وتعلقه به ثم سرعان ما تظهر عليه علامات العدائية والبغض الشديد له، (وتظل ثنائية المشاعر أو التناقض الوجداني في هذه المرحلة، وقد يصل الحال بالمراهق إلى أن يشعر بالتمزق بين الإعجاب والكراهية وبين الانجذاب والنفور بالنسبة لنفس الشيء أو الموقف...⁽²⁾).

(1): مجدى محمد الدسوقي: سيكولوجية النمو...، ص: 160.

(2): حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو...، ص: 348.

بعض الحقائق الجنسية التي يتلقاها الطفل من أهله تُسبب له صدمة ولو مؤقتة، قد تُدوم ساعات وقد تدوم أيامًا، ويحدث هذا إذا تمَّ شرحها له بصفاتها الحقيقية دون مراعاة لسنه وقدرته على الفهم، ككون العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي سبب التوالد، وعملية الختان للأطفال الذكور، وأنَّ الغلام بعد بلوغه تنمو له لحية على وجهه، ومجيء الطمث عند البنات، وغيرها.

ولذلك حتى يتحقق نمو سليم للمشاعر الجنسية عند الطفل والتعبير عنها بصورة سليمة لا بدَّ من رعاية جيدة حريصة وحذرة من الوالدين والمربين.

ثانيًا: رعاية المشاعر الجنسية وفق منظومة الآداب والضوابط الشرعية.

ومن جملة المبادئ والآداب الشرعية التي أرشدت إليها السنة النبوية الشريفة في هذا الموضوع، ما يلي:

- أولاً لا بدَّ من تعريف الطفل بجنسه الذي ينتمي إليه فيستشعر كيانه وحقيقة انتمائه، حيث يُعامل الطفل الذكر كذكر والأنثى كأنثى من البداية، من عدَّة جوانب كالتسمية واللعب والملبس، وطريقة المعاملة المناسبة لكل جنس وعدم التشبه بالجنس الآخر؛ كما لا بدَّ من توجيه الطفل إلى الاعتزاز بجنسه الذي ينتمي إليه، وأن يكون نموذجًا صالحًا فيه⁽¹⁾.

- الاهتمام بتربية الوازع الديني في نفس الطفل والمراهق، والحرص على ديمومة صلتهم بالله تعالى من خلال تعويدهم على الأذكار والصلاة وزرع حب الله تعالى في نفوسهم والحرص على إرضائه ﷻ؛ فيكون هذا بمثابة الرقيب الداخلي الذي يمنعهم من الوقوع في الخطأ والزلل؛ ومثال ذلك من سنة المصطفى ﷺ تعليمه للغلام أدب الطعام وربطه بذكر الله تعالى وسنته ﷺ، حيث جاء في الحديث الذي يرويه عمر بن أبي سلمة، يقول: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّخْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ يَمِينًا، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ »، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.⁽²⁾ ففي تذكيره بالتسمية تذكير بالله تعالى واستشعار وجوده في كل أمر، وفي أكله باليمين تذكير بسنته ﷺ وربطه به، وفي أكله من الجانب الذي يليه تعليم له على احترام حقوق الآخرين وعدم النظر إلى ما في جبهتهم وملكهم.

⁽¹⁾ يُنظر: حاتم آدم: الصحة النفسية للطفل، ط10، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1431هـ-2010م، ص: 55. محمد نبيل كاظم:

كيف نتعامل مع مراهقة أبنائنا، ط2، دار السلام، القاهرة، 1428هـ-2007م، ص: 83.

⁽²⁾ سبق تخرجه، يُنظر: ص: 38.

- ملء وقت الطفل بما ينفعه من حفظ القرآن الكريم وتعلم علومه، وحفظ حديث رسول الله ﷺ والمتون العلمية، إلى جانب اللعب التربوي الترفيهي البعيد عن المثيرات الجنسية والاختلاط بين الجنسين خاصة لدى الأطفال الذين بلغوا سنَّ التمييز وأدركوا مواطن العورة، وأيضاً ملء وقته بعمل يدوي يُنمي ميوله، وممارسة الرياضة النافعة، ومشاهدة الأفلام الوثائقية التي تتناسب مع مستواه التعليمي ونضجه الفكري، مع تنظيم النزه العائلية بعيداً عن المنازل والبنائيات.

- عدم ترك الطفل في خلوة لوحده أو مع أطفال آخرين مدة طويلة والغفلة عنه، خاصة إذا كان لعبه هادئ وغير مسموع فإنه يوحى في بعض الأحيان بفعل قبيح يُخفيه؛ وضرورة استعمال الحكمة والرفق لصرفه عنه، يقول أبي حامد الغزالي في هذا الشأن: (و ينبغي أن يُمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يُخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح) (1).

- إبعاد الطفل والمراهق عن المثيرات الجنسية التي يجدها عبر القنوات التلفزيونية في المسلسلات والأفلام الكرتونية، وفي الشبكة العنكبوتية والصور والمجلات الخليعة، وغيرها كثير؛ والتي تُسوّق الرذيلة والانحراف الجنسي وتُصور العلاقات غير الشرعية على أنها حرية شخصية تُوصل إلى السعادة والأمان.

ولذلك جاء الأمر بغض البصر، والنهي عن النظر لمواطن الشهوة ومثيراتها غير الشرعية؛ وهو أمر عام لا يختص بالبالغين فقط، بل وجب على الوالدين تعليم أبنائهم هذا الخلق الحميد الذي يُؤسس للعفة والطهارة والصفاء النفسي، فيتعودوا عليه منذ الصغر ويصبح لهم عادة مألوفة؛ قال ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور/30].

وفي حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: « لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ » (2)؛ وأحكام النظر وعدم الخلوة في الثوب الواحد أحكام عامة لا ترتبط بالكبير دون الصغير، بل إنّ جريانها على الطفل منذ بدء التمييز يعينه على استيعابها واستحسانها والتعود عليها.

(1): أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 64/3.

(2): مسلم: الصحيح، الحيض، تحريم النظر إلى العورات، ح(338)، 266/1.

- الحرص على أن يكون لباس الطفل ساتراً محتشماً يتماشى مع الذوق السليم والأحكام الإسلامية، فإنَّ الطفل إذا تعرّود العُري والتكشّف منذ الصغر تأصّل فيه ولا يقدر أن يخالفه لغيره؛ والثياب المكشوفة اللافتة للنظر مظنة الفتنة لصاحبها وغيره؛ كما يتوجب على الوالدين أن يرتديا ثياباً ساترةً أمام أبنائهم حتى لا يكونوا هم مصدر إثارة لهم، فالآباء قدوة للأبناء؛ وقد أمر النبي ﷺ بستر العورة وارتداء الساتر من الثياب الذي يناسب كل جنس على حدّ، خاصّة إذا صار الإنسان بالغاً، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: « يَا أَسْمَاءُ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يَرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا »، وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ⁽¹⁾.

- إتباع سياسة الصدق والمصارحة في الأمور الجنسية بما يتوافق مع قدرات الطفل وسنّه، وحتى يتعلم الصدق في القول ويكون صريحاً مع والديه عند وقوعه في أيّ زلة شهوانية فيصحح خطأه ويُعلن توبته؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَنْكَبْتَهَا». لَا يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ⁽²⁾.

في قوله: ("لا يَكْنِي"...) من الكناية: أي أنه ذكر هذا اللفظ صريحاً ولم يكن عنه بلفظ آخر كالجماع⁽³⁾، لأنّ الأمر لا يحتمل الكناية في التوصيف بل يستوجب الصراحة والصدق، رغم أنّه من الأمور التي يُستحى من الخوض في تفاصيلها، ولكنّ بيان الحقيقة والتأكد منها ليس محلاً للحياء .

- ضرورة التفريق بين الأبناء في المضاجع إذا بلغوا سنّ العاشرة؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»⁽⁴⁾. والأمر بالتفريق عامٌّ سواء كانوا ذكوراً وإناثاً مختلطين أو ذكوراً فقط أو إناثاً كذلك، فإنّ في التفريق بينهم تحصين للطفل من مثيرات الشهوة الجنسية ودرء المفسد التي يمكن أن تقع

(1): أبو داود: السنن، اللباس، فيما تبدي المرأة من زينتها، ح(4104)، 62/4. البيهقي: السنن الكبرى، الصلاة، عورة المرأة الحرة، ح(3218)، 319/2. وقال: (قال أبو داود: هذا مرسل). وقال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(2944)، 1295/2. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف).

(2): البخاري: الصحيح، الحدود، هل يقول الإمام للمُقرِّ لعلك لمست أو غمزت، ح(6824)، 167/8.

(3): الشوكاني: نيل الأوطار، 119/7.

(4): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 130.

بينهم تحت الغطاء جزاء احتكاك أجسامهم ببعضها، أو رؤيتهم لعورات بعضهم البعض نتيجة التخبط في الفراش، خاصة بين المراهقين والمراهقات مما يثيرهم جنسياً ويفسدهم خلقياً.

ويتبع التفريق بين الجنسين في المضاجع ضرورة التفريق بينهم أيضاً في اللعب والمجالسة ونحوها، فإن مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة مظنة تحرك الميول الجنسية فلا يؤمن الطفل من الوقوع في الفتنة، وإذا تعوّد الاختلاط بالجنس الآخر دون ضوابط، وتعوّد الحرية في السلوك حتى السلوكيات التي تنم عن شهوة جنسية دون زجر ونهي فإن هذا يجعله يستهجن الآداب والتعاليم الإسلامية والقيم الاجتماعية ويزدريها.

- ومما يرتبط بالمضجع من آداب وضوابط: عدم السماح للأطفال بالتوجه لأماكن نومهم قبل أوانه، وقد ظهرت عليهم علامات الإعياء والتعب، لأن بقاء الطفل تحت الفراش الدافئ لوقت معين قد يسبب له احتكاكاً بأعضائه التناسلية ويرفع مستوى اللذة لديه؛ ومما يساعده على النوم المباشر والسريع إشغاله بالأعمال التي فيها نشاط فكري وبدني حتى يأتي الليل وهو مُنهك القوى، ومعلوم أن مرحلتين نمو المشاعر الجنسية - مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة المراهقة - تمتاز بقوة النشاط البدني وميل الطفل للمشاركة في مختلف الأعمال؛ وقد سبقت حياة المجتمعات العربية والإسلامية كل الدراسات الحديثة في هذا، حيث كانوا يستخدمون الولد والبنات في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة للحري في حاجات الكبار.

- تعليم الأطفال أدب الاستئذان قبل الدخول، فهو إلى جانب كونه خلق رقيق وسلوك حضاري، فإنه يقي الطفل من الوقوف على ما لا يصلح أن يراه من عالم الكبار وخصوصياتهم؛ قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور/58].

وهذه الأوقات الثلاث هي التي يضع فيها الإنسان ثيابه عن نفسه وربما يخلوا فيها بأهله فلا يصح الدخول عليه دون استئذان، وهي: قبل الفجر، ووقت الظهر، ومن بعد صلاة العشاء.

وقد صرح رسول الله ﷺ أن الأمر بالاستئذان إنما يجعل لأجل صون البصر من رؤية ما لا يحل رؤيته من عورات الآخرين، فعن سهل بن سعد، قال: اطلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مدرى يحك به رأسه، فقال: «لو أعلم أنك تنظر، لقطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»⁽¹⁾

(1): البخاري: الصحيح، الاستئذان، الاستئذان من أجل البصر، ح(6241)، 54/8. مسلم: الصحيح، الآداب، تحريم النظر في بيت غيره، ح(2156)، 1698/3.

وفي حديث آخر يُفصح رسول الله ﷺ عن العلة والمقصد من حكم الاستئذان وهو أخذ الحيطة من رؤية الآخرين في حالة تكشف وعُري، عن عطاء بن يسار: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُزْبَانَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»⁽¹⁾.

- اختيار الرفيق الصالح ذو الأخلاق الحميدة، وتحذيره من صحبة السوء التي تدعوا إلى الانحلال والفجور.
- مساعدة الطفل على وضع خطط وأهداف جيدة تلازمه في مسيرة حياته، للوصول به إلى مستقبل ناجح بتوفيق من الله ﷻ، وجعلها نصب عينيه ليكون شغله الشاغل الذي يُلهمه عن كل فتنة وميل جنسي.
هذا فيما يمكن ذكره من أساليب وضوابط تساعد على تخفيف الميل الجنسي لدى الطفل، حتى لا يقع في غوائل الشهوة وينجرَّ خلفها.

وفي خلاصة الكلام عن المشاعر الجنسية، أقول: إنَّ الميل الجنسي لدى الطفل يبدأ في حدود ست سنوات إلى سبع ويتأكد في بداية العاشرة من عمره حيث تظهر عليه بعض الحركات والتعبيرات التي توحى ببداية النشاط الغريزي الجنسي، وهنا يتعين على الوالدين والمربين أن يركزوا اهتمامهم على سلوكياته لأجل بيان خطورها وتصحيحها، ولا بدَّ من الإجابة على أسئلة الطفل لأنها مفتاحه للمعرفة، ويُفترض أن تكون صحيحة واضحة تتوافق وقدرته على الفهم والإدراك.

وحتى يصل الوالدين إلى تحقيق تربية جنسية سليمة يجب عليهم أن يلتزموا جملة الآداب الأخلاقية والشرعية التي تتعلق بموضوع المشاعر الجنسية في تربية الطفل من بداية نشوئه وتكوينه.

ومما سلف ذكره في هذا الفصل، نصل إلى:

- أنَّ السنة النبوية أظهرت مدى مراعاة رسول الله ﷺ لمشاعر الطفل في تعلُّقه باللعب وحُبِّه وشغفه به، إذ يُعتبر من أبرز حاجات الطفل الفطرية - النفسية والجسمية-، ويتجلى لنا ذلك إظهار اهتمامه به، ومشاركته ﷺ لهم في اللعب، إلى جانب وضعه لجملة من الضوابط التي تُنظمه.

⁽¹⁾: مالك: الموطأ، الجامع، الاستئذان، ح(2028)، 141/2. (واللفظ له). البيهقي: السنن الكبرى، النكاح، استئذان المملوك والطفل في العورات، ح(13558)، 157/7. ابن أبي شيبة: المصنف، النكاح، ما قالوا في الرجل يستأذن على أمه، ح(17600)، 72/4. ذكره أبو داود في المراسيل، باب: ما جاء في بر الوالدين، 336/1. وقال الهيثمي: (فيه عبید بن الصباح ضعّفه أبو حاتم ووثقه البزار، وبقيّة رجاله ثقات)، يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح(7690)، 320/4.

- تبدأ الغريزة الجنسية نموها وظهورها في حياة الطفل تدريجيًا مع بداية مرحلة المراهقة، حيث تظهر عليه بعض السلوكيات التي تُترجم نشاطها في نفسه، وهي من أخطر الغرائز الإنسانية على أخلاقه ومشاعره وسلوكه إن لم يحسن الوالدين والمربين التعامل معها. وإنَّ رسول الله ﷺ قد أعطى القواعد التي تقي الطفل من الوقوع في زلاتها، من خلال الأحاديث التي نصَّت عليها، وكيفية تعامله ﷺ مع هذه الغريزة عند الأطفال.

وبناءً على ما تقدّم في هذا الباب:

يظهر جليًا كيف أنَّ رسول الله ﷺ اهتم بمشاعر الطفل بدءًا بمرحلة تكوُّن الجنين، من خلال الدعوة إلى العناية بالأم الحامل نفسيًا وجسميًا، إلى ما بعد مرحلة الولادة، ورسم الضوابط لأهم حقوقه الفطرية والشرعية، كاختيار الاسم الحسن، العقيقة، الختان، وكذا الرضاعة والحضانة.

كما راعى ﷺ مشاعر الطفل في أبرز غرائزه الفطرية، والمتمثلة في اللعب والغريزة الجنسية.

وأبرزت السنة النبوية اهتمامها بمشاعر الطفل في علاقته الوطيدة والطيبة بأمه التي تغمره حبًا وحنانًا وعطفًا، من خلال بيان كُنْهها وحقيقتها مع مراعاته ﷺ لها في جملة الأحكام الشرعية.

الباب الثاني:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على الأحكام الشرعية، وفي الحياة الأسرية والاجتماعية.

تمهيد: ضرورة إتباع أحكام الشريعة الإسلامية للوصول إلى تربية ناجحة.

الفصل الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة وأحكام العبادات.

الفصل الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحياة الأسرية وما تعلق بها من أحكام.

الفصل الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحياة الاجتماعية.

تمهيد: ضرورة إتباع أحكام الشريعة الإسلامية للوصول إلى تربية ناجحة.

عن ابن عباس، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ بَجِدِّهِ بُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَحُفَّتِ الصُّحُفُ »⁽¹⁾.

هذا الحديث اشتمل على وصايا عظيمة جليلة، وقواعد كليّة من أهمّ أمور الدين؛ ويعدُّ نموذجًا تربويًا حيًّا للأسس والأصول التي ينبغي أن يُربى عليها الولد، فهذا ابن عباس الغلام الذي لم يناهز الاحتلام يُعلمه رسول الله ﷺ أصول الإيمان، ويرشده إلى وسائل الحفظ و سُبُل الفوز بمعيّة الله ﷻ.

ومن هنا تبدأ التربية الناجحة للطفل، عندما يُلقن أصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالقضاء والقدر، وحسن التوكل على الله والاستعانة به، والتعلُّق بالجنة ومعرفة ما يُقرب إليها من قول وعمل، فيتعلم ما يحتاج لتعلمه من أمور دينه من أحكام العبادات والعبادات، وعلى رأسها تعلم الصلاة والمحافظة عليها لأنها من أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله ﷻ؛ وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية: (...فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه...)⁽²⁾.

ولابدُّ أن يُربيه على محاسن الآداب ومكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام، كأدب الطعام والمجلس والتحية والاستئذان، والإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم، وأدب التواضع والحلم والأناة، والشجاعة والكرم والصدق، وغيرها، قال ﷺ: « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدًا مِنْ نَحْلِ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »⁽³⁾؛ فالتربية الصالحة وفق

(1): سبق تخرجه، يُنظر: ص: 62.

(2): ابن قيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود، ص: 193.

(3): الترمذي: السنن، البر والصلة، ما جاء في أدب الولد، ح(1952)، 4/338. وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز.. وهذا عندي حديث مرسل). البيهقي: السنن الكبرى، الصلاة، وجوب تعلم ما تجزئ به الصلاة، ح(2273)، 2/28. أحمد: المسند، المكين، حديث جد إسماعيل بن أمية، ح(15403)، 24/128. الطبراني: المعجم الكبير، العين، سالم عن ابن عمر، ح(13234)، 12/320. الحاكم: المستدرک، الأدب، ح(7679)، 4/292. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (ضعيف)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ح(1952)، 4/452 قال عبد القادر الأرئوط: (في سنده مجهول وضعيف). وقال أيمن شعبان: (إسناده ضعيف)، يُنظر: تحقيق وتعليق على جامع الأصول، ح(218)،

المنهج النبوي حق للأبناء واجب على الآباء.

قال الإمام مالك بن أنس: (لا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَّحَ بِهِ أَوْلَاهَا)⁽¹⁾، وأول هذه الأمة من جيل الصحابة صلحوا بالتمسك بالتوحيد والقيام بأمر الله وإتباع أوامره واجتناب نواهيه، وآخر هذه الأمة لا يصلحها إلا هذا؛ فمن أحبَّ لأولاده الصلاح والفلاح فعليه بإتباع شرع الله وإتباع سنة رسول الله ﷺ في تربيته وتعليمهم، ولا بدَّ أن تكون الأسرة التي ينشؤون فيها تحترم هذا الأساس وتقوم عليه.

⁽¹⁾: يُنظر: ابن عبد البر: التمهيد، 10/23.

الفصل الأول:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة وأحكام العبادات.

يتضمن مبحثين:

- المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة.
- المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على أحكام العبادات

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على الأحكام الشرعية.

إنَّ التربية الإسلامية تَسْتَمُدُّ من ميدان العقيدة منطلقاً أساسياً في تنشئة الفرد الصالح، فهي القاعدة الأولى التي يجب أن تُؤَسَّسَ بشكل جيد ومتين في شخصيته منذ الطفولة؛ وتستمد من أحكام الشريعة وتعاليمها ما تضبط به السلوك فتمنعه عن كل قبيح وترشده إلى كل حسن، وتربيته على ما يحتاج لتعلمه من أحكام العبادات الواجبة كصفة الطهارة والصلاة وأحكامها، وهكذا.

وفي هذا الفصل بيان لدور السنة النبوية في تربية الطفل المسلم على هذه الأصول والقواعد، وبيان أثرها جميعاً على مشاعره وسلوكه؛ جعلته مقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على أحكام العبادات.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة.

تُعتبر العقيدة الإسلامية حجر الأساس لصالح كل عمل وقبوله، وبحسب تحققها في نفس المؤمن تكون سعادته في الدنيا وفلاحه في الآخرة، ومن دونها يكون الإنسان منافقاً أو كافراً، ويُردُّ عنه عمله ولا يلقى إلا خزيًا يوم القيامة؛ ولذلك وَجِبَتْ رعاية هذا الجانب من حياة الطفل.

المطلب الأول: ضرورة ربط الطفل بالعقيدة الإسلامية شعورياً.

حملَ موضوع التربية العقائدية للطفل خصوصية وأهمية فريدة، باعتبارها هي التي تُعنى بإعداد الإنسان الصالح المتوازن في مختلف الجوانب الروحية والنفسية⁽¹⁾ والعقلية والجسدية، وقد دَلَّتْ نصوص كثيرة من السنة النبوية على اهتمام رسول الله ﷺ بتعليم الطفل أصول العقيدة وأركان الإيمان، وبيان مفاهيمها ومدلولاتها؛ ليتحقق ربط الطفل بالعقيدة الإسلامية وتعويدته العمل بمقتضاها، وتهديب غرائزه وتوجيه مشاعره وسلوكه وفقاً لما يلائمها ويوافقها.

وحدث ابن عباس رضي الله عنهما سالف الذكر يُعَدُّ من أكبر الشواهد على هذا، حيث ضَمَّنَهُ ﷺ مجموعة أمور من كبرى قضايا العقيدة الإسلامية، ولم يمنعهُ ﷺ صِغَرُ العُلامِ من أن يُعلمه هذه القضايا ويرشده إلى حسن العمل بها بل قصد ذكرها مادام في العُلامِ قدرة على فهمها واستيعابها بصورة صحيحة؛

(1): بيَّنت بعض الأبحاث والاكتشافات مدى تأثير العقيدة والإيمان على نفسية الفرد، فهو يعمل عمل المهدئ والمطمئن، من خلال تأثيره على كيمياء المخ. يُنظر: أحمد عكاشة- طارق عكاشة: علم النفس الفسيولوجي، ط12، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص: 347.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

فدله إلى سبيل حفظ الله له، وإلى وجوب تعلق قلبه بالله تعالى ليكون منه سؤاله وَعَلَيْكُمْ والاستعانة به وحده، ورجاء معيته وَعَلَيْكُمْ وحسن التوكل عليه، والخوف منه والرجاء، وأن التسليم بالقدر يزيد المؤمن ثباتاً وقوة. ورغم ثقل هذه المفاهيم العقائدية وعمقها إلا أن الخطاب النبوي يمتلك ميزة التأثير على المتلقي مع الاستيعاب التام لكل المفاهيم المطروحة.

وقد اهتم رسول الله ﷺ حتى بتصحيح عقيدة طفل يهودي وسعى لأن يكون آخر عهد له بالدنيا هو النطق بكلمة التوحيد، عن أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ عَلَامًا يَهُودِيًّا يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطَعَّ أَبَا الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

وروي عن عبد الحميد بن جعفر، أخبرني أبي عن جدِّي رافع بن سنان: أَنَّهُ أَسْلَمَ، وَأَبَتْ امْرَأَتُهُ أَنْ تُسَلِّمَ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: ابْنَتِي، وَهِيَ فَطِيمٌ أَوْ شَبَهَهُ، وَقَالَ رَافِعٌ: ابْنَتِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَقْعُدُ نَاحِيَةً»، وَقَالَ لَهَا: «إِنِّي أَقْعُدُ نَاحِيَةً»، قَالَ: وَأَقْعُدُ الصَّبِيَّةَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوَاهَا» فَمَالَتِ الصَّبِيَّةُ إِلَى أُمِّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِهَا» فَمَالَتْ إِلَى أَبِيهَا، فَأَخَذَهَا⁽²⁾.

والحديث دلٌّ على حرص رسول الله ﷺ على دين الطفل وأن يتربى على يد مسلمة، فبعد أن رأى الصبيَّة مالت لأُمِّها وهي كافرة أحبَّ لها أن تميل لأبيها لأنه مسلم ولذلك دعا الله تعالى أن يهديها فمالت إليه. وفي الحديث دليل على إمكان تخير الطفل بين والديه في مسألة الحضانة رغم أنها للأُم باتفاق قبل سن التمييز، ولكن دخول عامل الدين ورجاء ثبات الصبيَّة على فطرة التوحيد كان أهم في ميزان النبي ﷺ من حضانة الأُم، فكان المسلم أحق بها من الكافر⁽³⁾.

ورواية أخرى بيَّنت منهج رسول الله ﷺ في التعليم والتربية، وأكدت على ضرورة ربط الطفل بالعقيدة قبل كل شيء؛ عن جندب بن عبد الله، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ⁽⁴⁾، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ

(1) البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات...، ح(1356)، 94/2.

(2) سبق تخريجه، يُنظر: ص: 100.

(3) يُنظر: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، 238/6.

(4) حَزَاوِرَةَ: جمع حَزْوَرٍ وَحَزْوَرٍ، وهو الذي قارب البلوغ، وغلمان حَزَاوِرَةَ: قاربوا البلوغ. يُنظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة(حزا)، 380/1. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة(حزر)، 9/11.

أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازِدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»⁽¹⁾. وقد اشتمل هذا الأثر على معاني جليلة، منها:

- في قول الصحابي "كنا مع النبي ﷺ" بيان صحبة الأطفال للرسول ﷺ وملازمتهم له.
- قوله "فتعلمنا الإيمان" وهم فتیان حزاورة، أي تعلموا كل ما يتعلق بالإيمان من أركان وشعب ومعاني وأحكام؛ فإذا ما تعلموا القرآن ازدادوا به إيماناً، وكأنّ قوة الإيمان هي محور كل عمل.

وقد وجد منهج رسول الله ﷺ في غرس العقيدة في قلوب الأطفال وتربيتهم عليها أثر عميق في استقامة سلوكهم وارتباطهم شعورياً بها بالامتثال والتعلق والرضا، وحسن الانقياد والعمل، وحيث أنّ الارتباط الوثيق بالعقيدة الإسلامية يزرع في نفس الطفل مشاعر إيجابية مهمة، أبرزها:

- 1- تعزيز شعور الطفل بالانتماء إلى دين الله ﷻ وأمة محمد ﷺ.
- 2- تحصيل الراحة النفسية والفكرية، وطرده القلق والتوتر والارتباب، والتخلص من الفراغ الروحي بالإذعان لله رب السماوات والأرض. ومن الشواهد على ذلك:

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ عَبَّاسٍ وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ جَعْفَرٍ ﷺ وَهُمْ صِبَاغٌ لَمْ يَبْلُغُوا»، قَالَ: «وَمَ يَبَايِعُ صَغِيرًا إِلَّا مَنَّا»⁽²⁾؛ وإنّ جرأة هؤلاء الأطفال وعزمهم على مبايعة رسول الله ﷺ دليل المستوى العالي لإيمانهم، ووعيمهم الكبير لمعنى هذا الفعل ومقاصده، ثم رغبتهم الجاحمة في فعل ذلك لم يمهلهم حتى يبلغوا فيبايعوه ﷺ.

- عن ابن عباس قال: «كَانَ قُدُومُنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِجْرَةَ، خَرَجْنَا مُتَوَصِّلِينَ بِقُرَيْشٍ عَامَ الْأَحْزَابِ، وَأَنَا مَعَ أَخِي الْفَضْلِ، وَمَعَنَا غُلَامُنَا: أَبُو رَافِعٍ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْعَرَجِ فَعَدَلْنَا فِي طَرِيقِ رُكُوبِهِ، وَأَخَذْنَا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ عَلَى الْجُنْحَانَةِ⁽³⁾، حَتَّى خَرَجْنَا عَلَى بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ،

(1): ابن ماجه: السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، في الإيمان، ح(61)، 23/1. الطبراني: المعجم الكبير، الجيم، أبو عمران الجوني عن جندب، ح(1678)، 165/2. قال البوصيري: (هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ)، يُنظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ح(22)، 12/1. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ح(61)، 133/1.

(2): الطبراني: المعجم الكبير، الحاء، الحسين بن علي بن أبي طالب..، ح(2843)، 115/3. قال الهيثمي: (وهو مرسل ورجاله ثقات)، يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح(9875)، 40/6.

(3): الجُنْحَانَةُ: (بفتح الجيم، وسكون الثاء، بعدها جيم وطاء مثلهما: قرية على ستة عشر ميلا من المدينة. قال الزبير: وبها منازل آل حمزة وعباد وثابت، بنى عبد الله بن الزبير). يُنظر: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، 367/2.

فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْخُنْدَقِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَأَخِي ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً»⁽¹⁾. وهاهنا عزم طفلين على الهجرة إيماناً بالله ﷻ و برسوله وحباً في جواره ﷺ؛ وإنها لخطوة جبارة يُقدم طفلين على فعلها بتخطيط محكم وبكل شجاعة وإقدام دون خوف، لو لم تكن قوة الإيمان هي الدافع القوي المحرك لهم.

- وعن مصعب الأسلمي قال: انطلق غُلامٌ مِنَّا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ سُؤَالَ، قَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ: أَسَأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ تَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: «مَنْ أَمَرَكَ بِهَا - أَوْ مَنْ عَلَّمَكَ بِهَذَا؟ - أَوْ مَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا -؟» قَالَ: مَا أَمَرَنِي بِهَذَا أَحَدٌ إِلَّا نَفْسِي، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَدَهَبَ الْغُلامُ جَدْلَان⁽²⁾ لِيُخْبِرَ أَهْلَهُ، فَلَمَّا وُلَّى قَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلامَ»، فَرَدُّوهُ كَثِيْبًا مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ فِيهِ شَيْءٌ، قَالَ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»⁽³⁾.

- (و) مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَفَرَّ الصَّبِيَّانُ وَوَقَفَ هُوَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ لَمْ تَقْرَ مَعَهُمْ؟ فَقَالَ: لَمْ أُجْرِمُ فَأَخَافُكَ، وَلَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقَةً فَأُوسِّعُ لَكَ⁽⁴⁾. وهذا الحدث يُبين أَنَّ الخوف من الله أولى من أي خوف وأن رقابة الله أقوى من رقابة العبد، وأن الطفل إذا تربى على استشعار رقابة الله كانت له حصن من الوقوع في الآثام.

ومما تقدّم ذكره تتضح لنا بعض معالم المنهج النبوي في ربط الطفل بالعقيدة، وبلورة مشاعره وفق جوهر الإيمان وأصول الاعتقاد، ومنها:

⁽¹⁾ الطبراني: المعجم الأوسط، السين، من اسمه سعيد، ح(3624)، 65/4. وقال: (لم يرو هذا الحديث عن داود بن الحصين إلا ابنه سليمان، تفرد به عبد الله بن محمد بن عمارة). وقال الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط من طريق عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري عن سليمان بن داود بن الحصين، وكلاهما لم يُوثق ولم يُضعف، وبقية رجاله ثقات)، يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح(9927)، 64/6.

⁽²⁾ جدلان: (الجدل بالتحريك: الفرخ. وقد جدل بالكسر يجدل فهو جدلان. وأجدله غيره، أي أفرحه. واجتدل، أي ابتهج). الفارابي: الصحاح، 1654/4. يُنظر أيضاً: مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 198/28.

⁽³⁾ الطبراني: المعجم الكبير، الميم، مصعب الأسلمي، ح(851)، 365/20. قال الهيثمي: (رجال رجال الصحيح)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(18492)، 369/10.

⁽⁴⁾ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م، 408/3. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر: تاريخ دمشق، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ-1995م، 28/165. مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط1، الفاروق الحديثة، 1422هـ-2001م، 350/7.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- 1- مراعاة الاستعدادات الفكرية والشعورية للطفل في التلقي عند تلقينه المعارف والمعلومات العقائدية فيعلم على قدر فهمه واستيعابه، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « يا غلام، احفظ الله...»، حيث اختاره رسول الله ﷺ من بين الغلمان لتعليم هذه الأصول لِمَا وجد فيه من قدرة كافية على فهمها.
- 2- تقديم العقائد ممزوجة بعواطف الحب والشوق والامتنان، مع إظهار الحرص على إصلاح الطفل، ونجد هذا ظاهراً في حديث عبد الحميد بن جعفر، وحديث مصعب الأسلمي وقصة الغلام الذي طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ، والذي يُظهر تعلُّقه بها وأمله في الفوز للخلاص والنجاة يوم القيامة.
- 3- تقديم التربية العقائدية للناشئة بطريقة متوازنة تجمع بين مقامي: "الخوف والرجاء"⁽¹⁾، كما في القصة التي رواها حديث مصعب الأسلمي.

وعلى هذا الأساس فإنّ التربية العقائدية تبدأ من تلقين الطفل الشهادتين أول ما يبدأ في النطق، وصولاً إلى تعليمه كبرى اليقينيات العقائدية؛ وهذه العملية مرحلة أساسية في تكوين الطفل المسلم، وإنّ تَسطير هذا الجانب ضمن مناهج مؤسسات التعليم هو من الضرورة بمكان، إذ لا بُدَّ أن تُفرض في مناهج التعليم، ولا بُدَّ أن تتنوع مواضيعها فتجمع بين بيان أصول الإيمان وشعبه، وإثارة إحساس الطفل بوجود الخالق، وحثّه على التأمل في الآيات القرآنية والكونية، وبيان فضل الله ﷻ على عباده وأنها تستوجب الحمد والشكر

المطلب الثاني: الإيمان الفطري وأثره على مشاعر الطفل وسلوكه عقائدياً.

بيّن النبي ﷺ في حديث أن كل إنسان يولد وهو مفطور على الإيمان بالله ﷻ؛ ونصّ الحديث كما في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةِ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَيْنِ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا ﴾ [الروم/30]⁽²⁾.

(1): نورة إدريس محمد الجارري: المنهج الإسلامي للتنشئة العقديّة للطفل المسلم، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع: 74، ص: 157.

(2): البخاري: الصحيح، الجنائز، إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه..، ح(1358)، 94/2. مسلم: الصحيح، القدر، معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح(23)، 2048/4.

أولاً: معنى الفطرة: كلمة الفطرة في كلام العرب تعني الخَلْقَةُ والطبيعة والغريزة، وجَبَلَهُ اللهُ على كذا... فَطَرَهُ عليه⁽¹⁾.

وعرفها الجرجاني بقوله: (الجِبِلَةُ المتهيئة لقبول الدين)⁽²⁾؛ فتكون الفطرة في الحديث هي الحالة التي خُلِقُوا عليها من الإيمان والمعرفة والإقرار بالربوبية، وتهيئ الناس لقبول الدين في أصل الجِبِلَةِ، وهذا المعنى يُصَدِّقُه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف/172]. فالعهد الذي أُخِذَ عليهم وهم في صلب آدم هو الفطرة، فأقروا بربوبيته لما عَرَفَهُمْ نفسه وَعَجَّلَ.

وقوله ﷺ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنصِّرَانِهِ»، فالمعنى أن أبويه هما اللذان يَصْرِفَانِهِ عن الفطرة إلى اليهودية أو إلى النصرانية أو المجوسية؛ وهذا الكلام يقتضي بالدرجة الأولى تحميل الوالدين المسؤولية الكاملة في الحفاظ على فطرة الطفل والعناية بدينه على الوجه المطلوب شرعاً؛ وصرفهما له عن الفطرة يحتمل أن يكون بطرق ووجوه: - فيحتمل أن يكون بطريق العقل والتعليم.

- ويُحتمل أنهما يُرغبانه في اليهودية أو النصرانية حتى يُحِبَّانَهَا إليه ويُدخلانه فيها.

- وقد يكون بالتبعية لهما في الدين، فَيَسْتَنُّ بِسُنَّتَيْهِمَا ويحكم له بحكمهما.

وقد مثل النبي ﷺ المولود بالبهيمة التي تُؤلد مجتمعة الخَلْقَةُ كاملة الأعضاء سليمة، فيقع بها النقص بعد الولادة؛ والمولود يُؤلد على الفطرة ولكن يُغَيَّرُ إلى اليهودية أو النصرانية⁽³⁾. والفطرة في الحديث على القول الراجح هي الإسلام⁽⁴⁾.

(1): يُنظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح في اللغة تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1404هـ-1984م، مادة "فطر"، 781/2. الفيومي: المصباح المنير، 90/1.

(2): الجرجاني: التعريفات، ص: 149.

(3): يُنظر: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي: المنتقى شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، جوار محافظة مصر، 1332هـ، 33/2. أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي: طرح التثريب في شرح التقریب، الطبعة المصرية القديمة، 225/7.

(4): يُنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، 247/3. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 245/4. الملا الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 3367/8.

فيكون المولود حين يخرج من بطن أمه على علم بهذا الدين ويريده ويؤمن به، وفطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، تستلزم الإقرار بالله ﷻ وإخلاص الدين له، وأن كل واحد لو ترك لما يؤدّيه إليه نظره السليم لأدّاه إلى الدين الحق. (1)

ثانيًا: أثر الإيمان الفطري على مشاعر الطفل وسلوكه:

يعتبر الإيمان الفطري أرضية قوية وصلبة تسمح للطفل بتلقي التعاليم الإسلامية المختلفة من أحكام للعقيدة والعبادات والآداب بكل ارتياح وطمأنينة، وإن له أثر كبير وعميق على نفسيته وشعوره وسلوكه، وأيضًا على علاقته بالآخرين؛ وتوضيحه فيما يلي:

- إنَّ الطفل الذي ينشأ في مجتمع مسلم يرى فيه طاعة الله ﷻ والعناية بأمر الدين، ويستشعر حرمة شعائر الإسلام وقداستها، يتولّد في قلبه حُبها والارتباط بها، ويشعر بقوة الانتماء للمجتمع المسلم، فيأبى أن يكون مع غيره، وإذا علم أنّه يوم القيامة يكون من أهل الجنة مع من أحب وألّف في الدنيا، مع والديه ومشايخه وأحبته، فإنّه يزداد لدين الإسلام ارتياحًا وحبًا وتعلّقًا وإتباعًا.

- عدم تناقض واقع الطفل وفطرته التي خلّق عليها يُشعره بالراحة والاستقرار الفكري، ومعروف أنّ الطفل إذا وجد أمامه ما يستنكره فإنّه يُكثر الأسئلة عليه، خاصّة فيما تعلق بأمور الكون والحياة، ويضلُّ يُردّد سؤاله لا ينفك عن ترديده حتى يسمع ما يُريحه؛ ويظهر هذا جليًا عند المقارنة بين الطفل في المجتمع المسلم والطفل في المجتمع الكافر، فإنّ الكثير من الإجابات عن الأسئلة الدينية في الشرائع الأخرى لا تمدُّ للحقيقة الإلهية والكونية بصلة، فيبقى الجواب غير مقنع مهما تغيّر وبقى الطفل مرتاب غير مرتاح؛ أمّا الطفل في المجتمع المسلم فإنّه لا يسمع عن أسئلته إلا أجوبة تُقنع فكره وتريح نفسه، خاصّة إذا كان والديه ومُربيه على قدر كافي من العلم بأصول العقيدة وأحكام الشريعة.

- إنّ الطفل في جوهره يحمل براءة وصفاءً ليس مثله شيء، خالية من كل حقد وغل، وإنّه ينظر لسائر الأطفال في العالم على أنهم كتلة واحدة، يسعد برؤيتهم سعداء ويجزن لبؤسهم وألمهم، ولذلك فإنّ أي طفل

(1): يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: درء تعارض العقل والنقل، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ-1991م، 361/8.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

مسلم إذا قيل له أنّ غيره من الأطفال سيكون في النار سيحزن لذلك، ولو علم أنّ مصيرهم إذا ماتوا قبل البلوغ إلى رحمة الله يرحمهم إنّ شاء ويدخلهم الجنة فإنّ هذا يُسعدّه ويُطمئنّه.⁽¹⁾

وكذلك الطفل من والدين كافرين لو يهديه الله للإسلام فيُسلم، ثم يعلم أنّه لو مات قبل بلوغه لكان من أهل النار على حدّ من قال بذلك⁽²⁾ فإنّه على قدر ما سيحمد الله تعالى الذي نجاه من العذاب، فإنّه سيحزن على حكم كهذا لو قبض قبل أن يُسلم؛ أمّا إن وصل إلى علمه الأقوال الأخرى التي تحكي أنّ أطفال المشركين في الجنة أو إلى مشيئة الله ﷻ فإنّه يزداد ارتياحاً ويطمئن لدين الإسلام والعدل القائم فيه.

- الحديث يبرز مدى ارتباط الطفل بوالديه وتأثره بهما، في قوله ﷺ: « فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ »، فإنّ كان إتباعه لهم في أمر الدين والعقيدة واقع كما بيّن الحديث، فإنّ إتباعه لهم في أمور أخرى وتأثره بهما في سائر الأمور الأخرى ممكن أكثر ولذلك يجب على الوالدين أن يحترزوا من هذا الأمر ولا يظهروا للطفل إلا كل سلوك حسن من طاعة الله تعالى وحسن عمل وأدب.

هذا ما يمكن استخلاصه من مشاعر تضمّنها الحديث، وهي جميعاً مهمة ومؤثرة في شخصية الطفل وتوجهه العقائدي فلا بدّ من مراعاتها.

المطلب الثالث: تربية مشاعر الطفل على حب الله ﷻ.

تحصل محبة العبد لله تعالى بتمام معرفته واستشعار القرب منه ﷻ، ولا يصل العبد إلى حقيقة محبته تعالى إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفكير في خلقه وما فيها من إتقان وجمال وحكم عديدة، وبالتدبر في آياته القرآنية ومعرفة أحكامها وحكمها؛ واستشعار رحمته ﷻ وفضله ومطالعة نعمه على عباده، وملازمة عبادته؛ فإنّ هذا وغيره يدرّ كلّه على الله تعالى ويجعل العبد وثيق الصلّة بربه ويجعل حضوره ﷻ في القلب دائم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ »⁽³⁾.

(1): يُنظر: أبو الوليد الباجي: المنتقى شرح الموطأ، 33/2. النووي: شرح صحيح مسلم، 378/8.

(2): يُنظر: الشوكاني: نيل الأوطار، 237/7.

(3): البخاري: الصحيح، الإيمان، حلاوة الإيمان، ح(16)، 12/1. مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان خصال من اتصف بهن وجد

حلاوة الإيمان، ح(43)، 66/1.

هذا الحديث حمل أصلاً من أصول الإيمان وهو محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ ومحبة دينه، فحلاوة الإيمان لا تتأتى لمؤمن إلاً بحصول المحبة في قلبه، ويكون بتلذذ الطاعات وتحمل المشقات فيما يرضى الله تعالى، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا رغبة في نعيم الآخرة، ويكون أيضاً بفعل ما فيه طاعته سبحانه وتعالى وترك مخالفته؛ وعلامة تحقق هذا الحب في أن يجد المؤمن نفسه لا يجب إلا ما يحبه الله ورسوله، ويبغض ما يبغضه الله ورسوله، فإن وجد في عمله ما يخالف ذلك مع قدرته على تجنبه دلّ هذا على ضعف محبته وضعف إيمانه⁽¹⁾.

وحتى يحمل الطفل في نفسه هذه المشاعر الإيمانية وتكون منهج حياة له، لا بُدَّ أن ينشأ عليها منذ بداية إدراكه، فيتعلم أولاً النطق بـ "لا إله إلا الله محمداً رسول الله" ويفهم معناها، ثم تُغرس في قلبه محبة الله تعالى ومحبة نبيه محمد ﷺ ومحبة دينه الكريم، ويتعلم الالتزام بأحكامه وإتباع أوامره واجتناب نواهيه.

عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ يُحْيِي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»⁽²⁾. وفي الحديث فوائد عظيمة أذكر منها:

- كمال نصح الرسول ﷺ هشيم وشفقته على أمته، وإرشادهم إلى ما فيه فوزهم وسعادتهم.
- دلّ الحديث على عظم شأن محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ والصالحين من عباده.
- أن الاستعداد للآخرة والعمل لما بعد الموت هو الأمر المهم الذي يجب أن تنصرف إليه العقول وتُبدل لأجله الهمم⁽³⁾.

(1): يُنظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَّلَامِي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1417هـ-1996م، 51/1. النووي: شرح صحيح مسلم، 227/1. زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، ط1، دار البيان العربي، القاهرة، 1421هـ-2002م، ص: 407.

(2): البخاري: الصحيح، أصحاب النبي ﷺ، مناقب عمر بن الخطاب...، ح(3688)، 12/5. مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، المرء مع من أحب، ح(2639)، 2032/4.

(3): يُنظر: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر: عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة أسانيداً وشرح متونها، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1409هـ، 101/1.

- كان أنس بن مالك خادماً رسول الله ﷺ يومئذ غلام لم يصل حدَّ البلوغ، وقد أدرك حقيقة محبة الله ومحبته رسوله وحقيقة الثواب المترتب عليها، ورجي أن يكون من الفائزين بمعية رسول الله ﷺ وصاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الجنة، وهذا من ثمار تربية رسول الله ﷺ للأولاد على العقيدة.

وعناية رسول الله ﷺ بربط مشاعر الطفل بالله تعالى وزرع محبته ﷺ في قلبه تدل عليها أحاديث كثيرة، من أبرزها حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ...»⁽¹⁾، فالحديث ضمَّ مجموعة وصايا عقائدية مرتبطة بجانب السلوك، علّم من خلالها رسول الله ﷺ ابن عباس الغلام كيف يستشعر وجود الله معه في كل آن، وكيف يجعل رضا الرحمن غايته الأولى في كل أمر فيرجع أمره كله له سبحانه.

ويشهد لتحقيق المنهج النبوي ووصوله إلى تربية عقائدية صحيحة قائمة على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ما كان من جيل الصحابة رضي الله عنهم وتأثرهم بالأسلوب النبوي في العناية بهذا الأصل العظيم من أصول العقيدة الإسلامية؛ روي عن زيد بن أسلم، قال: « مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ، فَقَالَ: يَا رَاعِي الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ قَالَ الرَّاعِي: مَا لَيْسَ هَاهُنَا رُبُّهَا. قَالَ: تَقُولُ أَكَلَهَا الذُّبُّ، فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيَّنَ اللَّهُ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيَّنَ اللَّهُ. فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي، وَاشْتَرَى الْغَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ »⁽²⁾.

ومثله حديث آخر رواه معاوية بن الحكم السلمي، قال: «... وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أُخْدِ وَالْجَوَائِزِ⁽³⁾، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟، قَالَ: « ائْتِنِي بِهَا » فَاتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: « أَيَّنَ اللَّهُ؟ »، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: « مَنْ أَنَا؟ »، قَالَتْ: أَنْتَ

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 38.

(2): الطبراني: المعجم الكبير، العين، ذكر سنه ووفاته، ح(13054)، 263/12. الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المناقب، ما جاء في عبد الله بن عمر...، ح(15866)، 347/9. وقال: (رجال رجال الصحيح غير عبد الله بن الحارث الحاطي، وهو ثقة). قال الألباني: (وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات...)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، رقم(3161)، 470/7.

(3): الجَوَائِزُ: بفتح الجيم وتشديد الواو وبعد الألف نون مكسورة، من قرى المدينة، من جهة الفرع شمالي المدينة. يُنظر: عياض بن موسى اليحصبي: مشارق الأنوار، 169/1. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 388/34. عبد اللطيف عاشور: موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، القاهرة، 313/1.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَفَهَا، فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ»⁽¹⁾. وكلمة آسف بمعنى أحزن وأغضب، وصككتها أي ضربتها ولطمتها.

ومنه فإنَّ تربية الطفل على حب الله ﷻ وإتباع شرعه وحفظ حدوده، أمر من الأهمية بمكان حتى ينشأ الطفل مستقيماً صالحاً يملك شخصية مشبعة بالعقيدة الإسلامية، ويحصل له الفوز في الدارين.

المطلب الرابع: تربية مشاعر الطفل على حب رسول الله ﷺ وإتباع سنته.

إنَّ محبة رسول الله ﷺ تابعة لمحبة الله ﷻ وأصل من أصول الإيمان، ولا يكتمل إيمان المؤمن إلا بمحبته ﷺ محبة صحيحة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»⁽²⁾. والمعنى أنه لا يبلغ حقيقة الإيمان وأعلى درجاته إلا بتمام المحبة لرسول الله ﷺ⁽³⁾، فتصبح محبته ﷺ مقدّمة على محبة الفرد نفسه والناس أجمعين، ولذلك أوجب الله ﷻ تقاسم محبته ومحبة رسوله الكريم ﷺ على محبة الأهل والأموال، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة/24]. وفي الآية قرّن الله تعالى محبته ﷻ بمحبة رسوله محمد ﷺ فصارت محبته ﷻ واجبة وذلك أنّ الله تعالى توعد المخالفين بعقاب، وفي هذا كلّ بيان لفضله ﷺ وحقّه على المؤمنين لأنّه كان السبب في هدايتهم وإخراجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان.

وعن عبد الله بن هشام، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «

(1): مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، تحريم الكلام في الصلاة..، ح(537)، 381/1.

(2): البخاري: الصحيح، الإيمان، حب الرسول ﷺ من الإيمان، ح(14)، 12/1. مسلم: الصحيح، الإيمان، وجوب محبة رسول الله ﷺ...، ح(44)، 67/1.

(3): يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 96/6.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على الأحكام الشرعية.

الآن يا عُمَرُ»⁽¹⁾. قال ابن حجر: (...قوله: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك أي

لا يكفي ذلك لبلوغ الرتبة العليا حتى يُضاف إليه ما ذكر...)⁽²⁾

ومحبة رسول الله ﷺ تقتضي المتابعة والموافقة لسنته في كل أمر، فلا يكون هواه مخالفاً للأحكام والآداب

التي حضَّ عليها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران/31].

ولمَّا كانت محبة رسول الله ﷺ بهذا القدر والتعظيم وجب تربية كل طفل مسلم عليها وزرعها في قلبه

حتى يشبَّ وحبُّ النبي ﷺ كائن في قلبه وحتى يكون اقتداؤه بسنته ﷺ مُتَحَقِّقاً في حياته.

وإذا رجعنا إلى زمانه ﷺ نجد أن محبته ﷺ كان لها مكان كبير وأثر عميق في قلوب الأطفال الذين عاينوه

وتربوا على منهجه وسنته، وعاشوا أحداث سيرته العطرة ورأوا أخلاقه الحسنة.

ومن أبرز الأحداث التي تشهد على هذا ما روي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

أَتَى بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟»،

فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُؤْتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ⁽³⁾.

فالغلام لم يدع فرصة الظفر بفضل الشرب بعد النبي ﷺ من شدة حبه له، ولمَّا أُعْجِبَ رسول الله ﷺ

بقوله فتله في يده أي دفعه إليه⁽⁴⁾، وتشجيعاً له على مشاعره الإيجابية وهمته العالية وشجاعته في التعبير.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،

فَحَمَلَتْ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَآخَرَ خَلْفَهُ»⁽⁵⁾؛ واستقبال الأغيلمة لرسول الله ﷺ تعبير منهم عن حُبِّهم وشوقهم

له ﷺ، وهو يُشبه استقبال الأولاد المشتاقين لوالدهم بعد طول غياب، وقد سُرَّ رسول الله ﷺ بهم وبادلهم

مشاعر المحبة والشوق، وحملهم معه على دابته هو من أحبَّ المشاهد عند الأطفال.

(1): البخاري: الصحيح، الأيمان والندور، كيف كانت يمينا النبي ﷺ...، ح(6632)، 8/129.

(2): ابن حجر: فتح الباري، 11/528.

(3): البخاري: الصحيح، المظالم والغصب، إذا إذن له أو أحله ولم يبين كم هو، ح(2451)، 3/130. مسلم: الصحيح،

الأشربة، استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ح(2030)، 3/1604.

(4): يُنظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغدوي الشافعي: شرح السنة، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير

الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، 1403هـ - 1983م، 11/387.

(5): البخاري: الصحيح، العمرة، استقبال الحاج القادمين والثلاثة، ح(1798)، 3/7.

وقد كَرَسَ النبي ﷺ في كثير من المواقف تواضعه للأطفال وحسن تعامله معهم بما يُنمُّ عن حسنه الرفيع وارتباطه الوثيق بهم في حاجاتهم ومشاعرهم وما يلزم تعلُّمه في هذه المرحلة من أمور الدين والدنيا.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَنَحَّ حَتَّى أُرِيكَ» فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ، ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى لِلنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.⁽¹⁾ في هذا الحديث فوائد وعبر، أذكر منها:

- 1- تعلَّم الغلام لطريقة الذبح والسلخ أمر يوحى بالمستوى العملي العالي الذي كان عليه الأطفال زمن رسول الله ﷺ فيما تعلق بأحكام الشريعة الإسلامية؛ هذا بالنظر لشباب عصرنا الذين لا يزال الكثير منهم يتكل على والده الضعيف في ذبح أضحية العيد وغيرها.
 - 2- يتجلى في الحديث الأسلوب النبوي المرن في التعليم، فلم يكن رسول الله ﷺ بحاجة لتقديم درس نظري ثم تطبيقي حتى يُعلم الطفل كيفية السلخ بطريقة سهلة وسريعة بل ما كان منه ﷺ إلا أن قال للطفل: "تنح" ثم علَّل أمره حتى يفهم الطفل ما يريد ﷺ منه ولا يفزع، فقال: "حتى أريك"، فكان للغلام أن أخذ طريقة السلخ من خير معلم.
 - 3- وفيه تجسيد من رسول الله ﷺ لخلق الإحسان ومدِّ يد العون لمن يحتاج إليها، ومعلوم أن الإنسان مفطور على حب من يُحسن إليه خاصَّة في وقت الحرج والضيق.
 - 4- هذا الموقف من رسول الله ﷺ له وقع كبير على مشاعر الطفل، فالرسول ﷺ القدوة يُعلم الطفل عملية السلخ ثم ينصرف من عنده إلى الصلاة مباشرة والطفل يَلحظ كل هذا؛ فيه تقوية لمشاعر الحب والإعجاب بشخصه ﷺ، وفيه صورة المؤمن الذي يقوم بسائر أعماله دون تضييع للصلاة التي هي عماد الدين.
- وقد دلَّت الشواهد على وجود ازدواجية في منهج رسول الله ﷺ تجمع بين التربية والتعليم وبين بثِّ مشاعر المحبة والمودة في قلوب الناشئة مع الحث على الإتيان والاقتران بأسلوب بنائي متكامل.

⁽¹⁾ أبو داود: السنن، الطهارة، الوضوء من مس اللحم النيئ وغسله، ح(185)، 1/133. ابن ماجه: السنن، الذبائح، السلخ، ح(3179)، 4/347. ابن حبان، صحيح، نواقض الوضوء، ذكر البيان بأن مسح المرء اللحم النيئ...، ح(1163)، 3/438. البيهقي: السنن الكبرى، الطهارة، طهارة جلد ما يؤكل لحمه إذا كان ذكياً، ح(73)، 1/34. قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(185)، 1/2. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده قوي). وقال عبد القادر الأرنؤوط: (إسناده حسن)، يُنظر تحقيقه على جامع الأصول، ح(5079)، 7/105.

عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع العلمان، قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطلت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحذين بسر رسول الله ﷺ أحدًا قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحذتكم يا ثابث. ⁽¹⁾ وهذا الامتثال لأمر رسول الله ﷺ وحفظ سره دليل محبته وطاعته.

وقصة زيد بن حارثة عندما اختار البقاء بجوار رسول الله ﷺ على أن يرجع مع أهله؛ روى جبهه بن حارثة، أخو زيد قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ابعت معي أخي زيدًا قال: «هو ذا، فإن انطلق معك لم أمنعه». قال زيد: يا رسول الله، والله لا اختار عليك أحدًا، قال: فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي. ⁽²⁾ أي في اختياره البقاء مع رسول الله ﷺ خير من عودته لأهله.

وعن عبد الرحمن بن عوف، أنه قال: بينا أنا واقف في الصّف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثي أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال: مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يؤول في الناس، فقلت: ألا ترين؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدرته فضربته بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟»، فقال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالوا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاد بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء. ⁽³⁾

⁽¹⁾ مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة رضي الله عنهم، من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ح (2482)، 1929/4.

⁽²⁾ الترمذي: السنن، المناقب، مناقب زيد بن حارثة، ح (3815)، 676/5. وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن الرومي عن علي بن مسهر). الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة، ذكر مناقب زيد الحب بن حارثة...، ح (4948)، 237/3. وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه...). الطبراني: المعجم الكبير، الجيم، جبهة بن الحارث الكلبي...، ح (2192)، 286/2. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ح (3815)، 315/8.

⁽³⁾ البخاري: الصحيح، فرض الخمس، من لم يخمس الأسلاب...، ح (3141)، 91/4. مسلم: الصحيح، الجهاد والسير، استحقاق القاتل سلب القتيل، ح (1752)، 1372/3.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

وفي هذا المشهد فإنَّ محبة الغلامين لرسول الله ﷺ دفعتهما إلى اقتحام ساحة الحرب رغم المخاطر المحتملة للبحث عمن كان يئسُّ رسول الله ﷺ والنيل منه، وقد كانت عزيمتهما قوية لا يُثنِيها شيء لقوة حبهما لرسول الله ﷺ وغيرتهما عليه.

وكما كان رسول الله ﷺ يلمسُ حبَّ الأطفال له في كلامهم وسلوكهم واقتدائهم به فقد كان يعبرُّ لهم عن حبه أيضاً، وقد تمتع ابني فاطمة رضي الله عنها الحسن والحسين بتصريح الرسول ﷺ عن حبه لهم أيما متعة، فأعطى ﷺ النموذج الذي يجب إتباعه في التعامل مع الطفل وتربيته بالحب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انصَرَفَ، حَتَّى أَتَى خِباءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أُمَّم لُكْعُ؟ أُمَّم لُكْعُ؟» «يَعْنِي حَسَنًا فَظَنْنَا أَنَّهُ إِمَّا تَحْسِبُهُ أُمُّهُ لِأَنُّ نُعَسَلَهُ وَتُلْبَسُهُ سِخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحِبْ مَنْ يُحِبُّهُ»⁽¹⁾.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ»⁽²⁾؛ قال ابن حجر: (في الحديث بيان ما كان الصحابة عليه من توقير النبي ﷺ والمشى معه، وما كان عليه من التواضع من الدخول في السُّوق والجلوس بفناء الدار، ورحمة الصغير والمزاح معه ومعانقته وتقبيله ومنقبته للحسن بن علي)⁽³⁾؛ وقال النووي في نفس السياق: (فيه استحباب مُلاطفة الصبي ومداعبته رحمة له ولطفًا، واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم)⁽⁴⁾.

وفي ختام هذا المقال نخلص إلى ما ينبغي العمل به من وسائل وطرق صحيحة كي ينشأ الأطفال في هذا العصر على محبة الله ﷻ ومحبة رسوله الكريم ﷺ ومحبة الإسلام والارتباط بتعاليمه، في جملة نقاط هي:

- تبدأ العملية التربوية من الأسرة ولذلك هي المسؤول الأول على زرع محبة الله سبحانه ومحبة الرسول ﷺ في وجدان الطفل وشعوره، من خلال ربط كل نعمة تُصيبها الأسرة بالله ﷻ، مع توحيده وذكره وإقامة شعائره

(1): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة ﷺ، فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(2421)، 1882/4.

(2): البخاري: الصحيح، أصحاب النبي ﷺ، مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(3749)، 26/5. مسلم: الصحيح،

فضائل الصحابة ﷺ، مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(2422)، 1883/4.

(3): ابن حجر: فتح الباري، 342/4.

(4): النووي: شرح صحيح مسلم، 169/8.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على الأحكام الشرعية.

وحثهم على التأمل في مخلوقاته؛ وأيضًا إقامة سنته ﷺ وغرسها في سلوك الطفل، وتعليم سيرته ﷺ وترغيبهم في نيل شفاعته يوم القيامة.

- ضرورة العودة بمناهج التعليم إلى سالف عهدها كما كانت عليه في زمن التابعين ومن بعدهم، حيث كان التركيز الأكبر في تعليم الطفل على ربطه بالعقيدة الصحيحة وحفظ كتاب الله تعالى وتدبر آياته وحفظ حديث رسول الله ﷺ، فلا بُدَّ أن تضم الوحدات التعليمية في المناهج الحديثة مواضيع وأنشطة من هذا النوع بقدر مناسب لسن الطفل تثير إحساسه بعظمة الله خالق الكون وما ينبغي أن يعلمه من هذا الباب المهم من أبواب العقيدة والدين.

- ما نلاحظه في أطفال الأمة الإسلامية في زماننا هو انصرافهم عن رسول الله ﷺ في سيرته وسنته وتعلقهم بشخصه، فجُلُّهم لا يعرف عنه إلا يوم مولده، ولذلك يجب على كل مربي أن يجتهد في ربط مشاعر الطفل برسول الله ﷺ وسمات شخصيته ليكون هو قدوتهم ومثلهم الأعلى في الحياة، بدل المشاهير في مجالات الفسق والانحلال الخلقي.

المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تربيته على أحكام العبادات.

تعتبر التربية التعبدية من أهم مجالات التربية فهي تُساهم بشكل مباشر في تكوين الفرد الصالح، وتعتبر البناء المكمل للبناء العقائدي في النفس، ومن دونها يذبل غرس العقيدة ويضمحل؛ وتقع مسؤولية القيام عليها بالدرجة الأولى على عاتق الوالدين، وهي تحتاج إلى عناية حقيقية ومتابعة تامة وجهد وصبر حتى يتعلمها الطفل ويتعودها تمامًا كالصلاة والصوم والذكر؛ وأول ما ينبغي تعليمه للطفل هو تعريفه بحقيقة العبادة، ووجوهها وأشكالها المتعددة، وتوعيته بوجوب الإخلاص فيها لله ﷻ فلا يصح أن تُصرف لغيره سبحانه، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأَنْعَام/162-163]؛ وأعظم وجوه العبادة هي أركان الإسلام الخمسة التي بين الرسول ﷺ ضرورة الأخذ بها والحفاظ عليها في حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَرِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا.⁽¹⁾

(1): مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان الإيمان الذي يدخل الجنة، ح(15)، 44/1.

وعليه لابد من الحرص على تربية الطفل على القيام بما افترضه الله تعالى على عباده وجعل مشاعر الحب والتعلق بها وتعظيم شعائر الله ﷻ تنمو في قلبه ووجدانه حتى يستعذب حلاوته ويلامس آثارها الإيجابية على حياته بعد بلوغه.

المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الطهارة.

إنَّ الكلام عن النظافة والطهارة في التشريع الإسلامي أوسع من أن يُحصر في مطلب أو مبحث، فإنَّ النصوص الشرعية التي تكلمت عنها أكثر من أن تحصر في مجلد أو اثنين، كما أنَّ العلماء أفردوا لها أبوابًا خاصَّة تتحدث عن أحكامها وآدابها، وهو أمر امتاز به الإسلام عن غيره من الشرائع وتفرد به المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات.

وطهارة الطفل المسلم واحد من المواضيع التي شملتها النصوص والأحكام الشرعية، ففي السنة النبوية الكثير من التعاليم والأحكام التي تحث على طهارة الطفل المسلم وترشد إلى فضائلها وآدابها، ومنها يُستخلص مدى ارتباطها برفع معنوياته وتحفيز مشاعره الإيجابية؛ ومما يُستدل به في هذا الصدد:

1- النصوص الشرعية العامَّة التي تحثُّ على الطهارة، هي موجهة للعامة والخاصة وللكبير مع الصغير، وهي للطفل من باب التعليم، ومنها قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/222]،

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [التوبة/108].

وروى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ.»⁽¹⁾. وقال ﷺ أيضًا: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيَتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْحَمْسَ، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا»⁽²⁾. وفي رواية أخرى لمسلم يقول فيها رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ - أَوْ فَيَسْبُغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»⁽³⁾. فقوله ﷺ: "ما من مسلم"، و"ما من أحد"، هو خطاب عام غير مقيد إذ يدخل فيه الكبير والصغير على السواء؛ وفي كل الأحاديث التي يحثُّ فيها الرسول ﷺ على

(1) مسلم: الصحيح، الطهارة، فضل الوضوء، ح(223)، 203/1.

(2) مسلم: الصحيح، الطهارة، فضل الوضوء والصلاة عقبه، ح(231)، 207/1.

(3) مسلم: الصحيح، الطهارة، الذكر المستحب عقب الوضوء، ح(234)، 209/1.

الطهارة والنظافة ويبين فضائلها فإنَّ الولد يسمع ويحفظ، ويقتدي بفعله ﷺ وفعل الصحابة من حوله.

2- يدخل في أمر رسول الله ﷺ بتعليم الأطفال الصلاة قبل البلوغ تعليمهم للوضوء والطهارة ابتداءً، فإذا وجب عليه تعلُّم الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة تبعاً لها. وفي الوضوء مع كل صلاة إحساس بالراحة والانتعاش يدخل النشاط والحيوية على جسم الطفل وقلبه.

ومنه عند اصطحابه للصلاة في المسجد فإنَّه يتجهز لها بتطهيره وتنظيفه وتزيينه، ولبسه أفضل ما عنده من ثياب، وهذا كله مما يُدخل السرور والبهجة على الطفل وهو بصحبة والده أو وليه، ويشعره بأنَّه في يوم عيد يعيش فرحته مع جماعة المسلمين.

3- ومن التعاليم التي تكلمت عنها السنة النبوية في نظافة الأطفال هي تنظيف الطفل وتطهيره استعداداً لزيارة زائر أو عودة مسافر، ومن ذلك ما رواه أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، قال: **خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، فَجَلَسَ بِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «أَتَمَّ لُكْعُ، أَتَمَّ لُكْعُ» فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سَخَابًا⁽¹⁾، أَوْ تُعَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ، وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ».**⁽²⁾ وهنا قد نظفته وغسلته وألبسته جميلاً ثم أرسلته؛ وأيُّ طفل يسعد بنفسه وهو يستقبل من يجب في أئبه حلة.

4- وسنَّة الحتان واحدة من طرق الطهارة التي سنَّها النبي ﷺ، وبها يتخلص الطفل من كثير من مسببات الأمراض المتجمعة في ذلك الجزء من العضو؛ وقد سبق الحديث عن فوائد الحتان الصحية يمكن العودة إليها

5- إلى جانب الكثير من السنن الحميدة التي علَّمها رسول الله ﷺ لأُمَّته في باب الطهارة، ومنها تقليم الأظافر للتخلص من الأوساخ المتجمعة تحت الظفر، والطفل يتعلم تقليم أظفاره والعناية بهم بنفسه منذ بداية إدراكه وقدرته على تحمل بعض أعبائه بنفسه، وكذلك يتعلم في سنٍّ مبكرة بعد استقلاله عن أمه في تناوله الطعام وشرب الماء بنفسه أن يطهر نفسه بنفسه من الغائط والبول بعد قضاء حاجته، وهكذا يتعلم الطفل الاعتناء بنفسه في أمور النظافة والطهارة ويتعلم كيف يعطي لهذه الأمور قدرها من الأهمية.

⁽¹⁾: السخاب: جمعه سخب، وهو قلادة من قرنفل ومسك ومحلب لا جوهر فيها يلبسها الصبيان والحواري، يُنظر: عياض بن موسى اليحصبي: مشارق الأنوار، 209/2. الزمخشري: أساس البلاغة، 443/1.

⁽²⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 159.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبيه على الأحكام الشرعية.

ولاشكَّ في أنّ الطفل يسعد أيمًا سعادة وهو يرى نفسه قادر على إنجاز أعماله لوحده وقد استقل عن أمه في بعض شؤونه، خاصة مع وجود التحفيز وعبارات الإعجاب فإنه يزداد تعلقًا بهذه الأعمال. ونجد الكثير من الأولاد ينزعجون من الاستحمام ويكفون منه، ولكن بعد خروجهم منه فإنهم يسعدون بطهارتهم ونقاوتهم ونظارة أجسامهم، ويعجبون بأنفسهم حتى نراهم يحرصون على الحفاظ عليها ويكرهون أن يلطمهم أحد بشيء من الوسخ.

هذا ما يمكن إجماله وذكره في هذا الموضوع وهو من باب الاستشهاد والتمثيل لا من باب الحصر والاستيعاب، ويبقى أن الإسلام قد رسَّخ في المجتمع المسلم أحكام وطبائع وعادات حميدة في باب الطهارة يعمل بها كل بيت مسلم كالاغتسال يوم الجمعة وتقليم الأظافر دوريًا وتطهير البيوت والأفنية استعدادًا لاستقبال العيدين وغيرها، وكل هذه الأعمال تُدخل البهجة والسرور على قلب الطفل وتزيده حبًا وتمسكًا بها، حتى يرثها من والديه ويورثها لمن بعده.

المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبيه على الصلاة واصطحابه للمسجد.

أولاً: في تدريبيه على الصلاة.

قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»⁽¹⁾.

هذا الحديث عظيم في بابه، نصَّ فيه الرسول ﷺ على ضرورة تعليم الصلاة للأطفال وهم دون البلوغ بدأ من السابعة ترغيبًا ثم العاشرة تأديبًا، وهي الأمر الوحيد الذي سنَّ قبل البلوغ حتى يتعوَّدها الطفل وتصير جزءًا من سلوكه اليومي بعد البلوغ.

ومن الكلام الجامع الذي قيل في هذا الشأن: (..وقد وصى ﷺ بتربية النشء في البداية وقبل البلوغ عليها، فقال ﷺ: "مرو أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر"، فيعوِّد الصبي على الصلاة من السابعة إلى العاشرة ثلاث سنوات، بالترغيب وبالترهيب، وإعطائه الحلوى والهدايا، وصحبته إلى المسجد، ثلاث سنوات، فإذا بلغ العاشرة، فإن كان خيرًا طيبًا نقيًا كان ذلك كافيًا له في أن يرتاد المسجد وحده، وإلا ضُرب ضَرْبَ تأديب لا ضَرْبَ تشفي، فإذا رَوَّض من السابعة إلى العاشرة، ثم ألزم وضُرب من العاشرة

⁽¹⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 130.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

إلى الخامسة عشرة، فلا يجري القلم عليه إلا وقد أصبحت الصلاة جزءاً من دمه ولحمه، وما جنى إنسان على ولده أكثر من ترك تعليمه الصلاة، فعلى العبد أن يفعل ما في وسعه، والتوفيق والهداية من الله سبحانه وتعالى (1).

ومن مجموع ما اشتمله الحديث من أحكام وفوائد ما يعود على عواطف الطفل ومشاعره بالنفع، ومنها:
- الصلاة في هذه المرحلة تُعلمه الخوف من الله سبحانه، وتولد فيه الشعور بمراقبة الله، وإذا ربط الطفل صلاته بالمسجد فإن هذا يُشعره بقوة الصلة بالله، كما تظهر عليه علامات الرضا والبهجة والحيوية.
- وقوة الصلة بالله ﷻ مع استشعار مراقبته له كفيلة بمنع الطفل من الوقوع في السلوكيات الأخلاقية كعصيان الوالدين، وتقليد الآخرين فيما لا يجوز شرعاً، والعنف اللفظي والفعلي، وغيره.
- والصلاة تُعرّف الطفل محبة الله ﷻ وتعلمه حقيقة الحبّ والبغض فيه سبحانه، فيُحبّ الحلال ويبغض الحرام إرضاءً لله ﷻ.

- وحتى يحبّ الطفل الصلاة ولا ينفر منها لا بُدَّ أن يتمَّ تعليمه لها بالرفق واللين، كما هو المشهور عن منهج رسول الله ﷺ في التربية والتعليم؛ ولأنَّ الأمر لو يؤتى بالقوة فإنه يُولد في الطفل بُغضاً ونفوراً منها ويوهن المحبة والمودة التي يُكفنها لوالديه.

- وأما الضرب المذكور في الحديث فهو الضرب غير المبرح الذي ينفع ولا يضر، فلا يكسر عظاماً ولا يجرح عضواً، ولم يُؤثر عنه ﷺ أنه ضرب ضرباً مبرحاً إلا في حدٍّ من حدود الله تعالى، وعند القياس فإنَّ الطفل يأخذ حكم المرأة في الضرب فكلاهما ضعيف أمام الرجل، ورسول الله ﷺ قال في تأديب النساء بالضرب، «... وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً...» (2).

(1): عطية بن محمد سالم: شرح الأربعين النووية، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية) www.islamweb.net، 8/49.

(2): الترمذي: السنن، الرضاع، ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح (1163)، 459/3. وقال: (هذا حديث حسن صحيح). ابن ماجه: السنن، النكاح، حق المرأة على زوجها، ح (1851)، 594/1. النسائي: السنن الكبرى، عشرة النساء، كيف الضرب، ح (9124)، 264/8. أحمد: المسند، مسند البصريين، حديث عم أبي حرة الرقاشي، ح (20695)، 299/34. ابن أبي شيبة: المصنف، حديث عمرو بن الأحوص، ح (562)، 56/2. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: إرواء الغليل، ح (2030)، 96/7. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن). وقال أئمن صالح شعبان في تعليقه على جامع الأصول لابن الأثير: (صحيح). وقال عبد القادر الأرنؤوط: (صحيح)، يُنظر: تحقيقه على جامع الأصول لابن الأثير، ح (4718)، 504/6.

وبالنظر إلى مجموع الأحاديث النبوية التي حوت الموضوع نجد أنّ لرسول الله ﷺ عدّة أساليب تربط الطفل بالصلاة روحياً وشعورياً وعملياً، وتمثل منهجاً نبوياً واضحاً يظهر فيها أسلوب الترغيب بطريقة سلسة وليّنة تجعل الطفل يتّجه إلى المقصد المراد دون شرح أو عناء؛ ومما استطعت استنتاجه منها ما يلي:

1- صلاة الطفل مع رسول الله ﷺ، وأنسه ﷺ له حتى يثبت عليها.

عن كُرَيْب، مولى عبد الله بن عباس، أنّ عبد الله بن عباس أخبره: « أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهِيَ خَالَتُهُ - قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طَوْلِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ - أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ - ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَمْسُحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍْ مُعَلِّفَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فُقِئْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي بِيَدِهِ الْيُمْنَى يَفْتَلِّهَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمُؤَدُّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ »⁽¹⁾. وقد ضمَّ الحديث فوائد تتعلق بالموضوع منها:

- أنّ ابن عباس قصّد المبيت في بيت خالته ميمونة بنية رؤية رسول الله ﷺ كيف يفعل ليلته تلك من العبادة، وهذا ينبىء عن درجة عالية من الإيمان، وحب للنبي ﷺ وحرص على الإقتداء به، كما يُفسر إقبال ابن عباس ﷺ وهو في هذه السنّ الصغيرة على الصلاة التي هي العبادة الغالبة ليلاً.

- تصحيح رسول الله ﷺ لبعض أخطاء الطفل في الصلاة من باب تعليمه لأحكامها، ويظهر هذا في تحويل رسول الله ﷺ لبني عباس إلى يمينه بعد أن وقف على يساره، وهو يبين اهتمام رسول الله ﷺ بتعليم هذه الفئة أحكام الصلاة ممّا يُولد فيهم مزيداً من الحب والتعلق بها.

وهذا الأمر الذي ينبغي أن يفعله كل مربّي، فالطفل يتأثر دائماً بالشخص الذي يُكنُّ له الكثير من الحب والاحترام، ولأنّ الوالدين والمعلمين هم أكثر من يفتدي بهم الطفل قبل سنّ البلوغ ولذلك وجب عليهم استثمار هذه المحبة لتعليم الطفل الصلاة وسائر الفرائض، وزرع محبة الخير والعمل الصالح في نفسه.

(1): البخاري: الصحيح، تفسير القرآن، ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ﴾، ح(4571)، 41/6. مسلم: الصحيح،

صلاة المسافرين وقصرها، الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح(763)، 526/1.

- في قول ابن عباس رضي الله عنه: « وَأَخَذَ بِأُذُنِي بِيَدِهِ الْيُمْنَى يَفْتُلُهَا »، قال الباجي: (يَحْتَمِلُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ تَأْنِيْسًا لَهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَفْعَلَهُ إِيقَظًا لَهُ) (1)، وهو يدخل في حسن الملاطفة والمسايرة للطفل حتى يكمل الصلاة ويثبت عليها.

2- تشجيع الطفل الحافظ للقرآن والعارف بهيئة الصلاة وأحكامها على الإمامة بالمصلين (2).

أن ينتقل الطفل من إتقانه للصلاة وتعوده عليها والتزامه بها وهو لا يزال تحت سنّ البلوغ، إلى الإمامة بجماعة المصلين في المسجد ويكون هو أجدرهم بالإمامة فإنه لأمر فريد يستحق كل تقدير.

وقد وجد مثل هذا النموذج في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن أبي قلابة، عن عمرو بن سلمة، قال: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: أَلَا تَلْفَاهُ فَتَسْأَلُهُ؟ قَالَ فَلَقِيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِمَاءٍ مَمَّرَ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانَ فَتَسْأَلُهُمْ: مَا لِلنَّاسِ، مَا لِلنَّاسِ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ، أَوْ: أَوْحَى اللَّهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يَقْرَأُ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلُومُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرَكُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللَّهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَقًّا، فَقَالَ: « صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا ». فَتَنظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ، كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصْتُ عَنِّي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْحَيِّ: أَلَا تُعْطُوا عَنَّا اسْتِ قَارِئِكُمْ؟ فَاشْتَرَوْا فَفَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرِحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ. (3)

(1): أبو الوليد الباجي: المنتقى شرح الموطأ، 219/1.

(2): في المسألة تفصيل طويل، وجملة الأقوال فيها، ما يلي: (ذهب إلى جواز إمامة الصبي الحسن وإسحاق والشافعي والإمام يحيى... وكرهها الشعبي والأوزاعي والثوري ومالك، واختلقت الرواية عن أحمد وأبي حنيفة قال في الفتح: المشهور عنهما الإجزاء في النوافل دون الفرائض. وقد قيل: إن حديث عمرو المذكور كان في نافلة لا فريضة. ورد بأن قوله: « صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا » يدل على أن ذلك كان في فريضة. وأيضا قوله: « فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ » لا يحتمل غير الفريضة؛ لأنَّ النَّافِلَةَ لَا يُشْرَعُ لَهَا الْأَذَانُ)، يُنظر: الشوكاني: نيل الأوطار، 197/3. المباركفوري: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 65/4.

(3): البخاري: الصحيح، المغازي: باب، ح(4302)، 150/5.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

وقد بوب أبو داود في كتابه "السنن" على هذا الحديث بقوله: "من أحق بالإمامة؟"، والبيهقي بقوله: "إمامة الصبي الذي لم يبلغ"، وابن خزيمة ب: "إمامة غير المدرك البالغين"؛ وكل هذه التبويبات تركز على أمر واحد في الحديث وهي جواز إمامة غير البالغ للمصلين، وجُلُّ شُرَّاح هذا الحديث إنما ركزوا على المسائل الفقهية دون إشارة لما حواه الحديث من فوائد تربوية وتعليمية ونفسية جليلة، منها:

- حضور عمرو بن سلمة رضي الله عنه مع قومه للاستماع للوفود، وحفظه لكلام الله صلى الله عليه وسلم هو نوع من التهيئة الربانية لأن يكون في وقت لاحق إمام قومه في الصلاة، ويظهر في قوله: "فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي"؛ وهذا يولد فيه الشعور بالفخر والاعتزاز بنفسه والسعادة بما وصل إليه بعد أن كان مجرد طفل في نظر غيره يلهو ويلعب، كما يدفعه إلى مزيد من الاجتهاد ومحبة العمل الصالح.

- إعطاء حظ للطفل في إمامة المسلمين إذا كان من الحفاظ، وهذا الأمر من أعظم الطرق المساعدة على ثبات الطفل على الصلاة والطاعة والاستقامة، وتكوين فرد مسلم صالح؛ وهو أحد الشواهد الدالة على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اختيار الأصلاح، فهذه الصلاة التي هي الركن الثاني بعد الشهادتين وأعظم وجوه العبادة يختار لها رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا حافظًا ليكون إمام قومه فيها فما بالك بسائر الأحكام والقضايا من أمور الدين والدنيا؛ ولذلك ينبغي أن يُؤخذ بيد الصغير تقلد زمام الأمور في أي مجال وعمل يكون لديه قدر كافي من العلم والمعرفة به.

- مشاعر الفرح التي صرَّح بها عمرو بن سلمة عند تلقّيه للقميص الجديد وهو موقف معروف وغالب عند الأطفال عند تسلمهم لأي شيء جديد، وفي هذا قال المباركفوري: (إمّا لأجل حصول التستر وعدم تكلف الضبط وخوف الكشف، وإما فرح به كما هو عادة الصغار بالثوب الجديد) ⁽¹⁾.

3- مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشاعر الطفل في حبه اللعب على ظهر المصلي.

عن عبد الله بن شدّاد، عن أبيه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطْلَاهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً

(1): المباركفوري: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 65/4.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

أَطْلَتْهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ حَتَّى يَفْضِي حَاجَتَهُ» (1).

وقد سبق الكلام عن هذا الحديث وبيان أن رسول الله ﷺ راعى حاجة الطفل في اللعب، فلم يُعجله حتى ينزل من تلقاء نفسه من على ظهر رسول الله ﷺ.

وهذه فائدة شعورية وتربوية مهمة ينبغي الأخذ بها في مجال التربية والتعليم، فإنَّ جُلَّ المتعاملين مع الطفل من داخل الأسرة أو المدرسة أو رياض الأطفال أو غيرها يركزون على الأهداف التعليمية والتربوية في إطار إنجاز المهام والوصول إلى النتائج الرقمية والسلوكية الملموسة دون منح الطفل فرصة الإفصاح عن رغباته والتعبير عن مشاعره وتحقيق مراداته وميوله؛ وهذا التسارع في الزمن مع تشاغل الكبار عن الصغار بكثرة الأعباء جعل الكثير منهم يرون الطفل في حاجاته وتساؤلاته أحد العوائق التي تقف أمام إتمام نشاطاتهم في وقتها المحدد، ولذلك لجأ الكثير منهم إلى إسكات صوت الطفل بالأجهزة الذكية الطفل ما يُسكته ويُسكن حركت ليكمل المربي القيام بأشغاله وكأنها الهدف الأسمى، فلو كان رجل آخر مكان رسول الله ﷺ لأنزل الغلام وأتم صلاته ولا تصرف من الصلاة وهو يشعر أنه قام بكل شيء على أحسن حال، وهذا خطأ.

4- الرحمة واللطف بالطفل حال الصلاة من شيمه وسنته ﷺ: ما يدلُّ على هذا الأمر آثار كثيرة، أبرزها:

- عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأُرِيدُ إِطْلَاتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَجْحُزُ بِمَا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» (2)؛ وظاهر الحديث دال دلالة واضحة عن مدى مراعاة النبي ﷺ لمشاعر الطفل وأمه حال الصلاة، فكان من سنته ﷺ التجوز في الصلاة إذا سمع بكاء الصبي على أمه من باب الرحمة واللطف بهما.

- ومن الشواهد أيضاً، ما رواه أبي قتادة الأنصاري، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتُ زَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا» (3).

(1): سبق تخريجه، يُنظر: 120.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 65.

(3): البخاري: الصحيح، الصلاة، إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، ح(516)، 109/1. مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، جواز حمل الصبيان في الصلاة، ح(543)، 385/1.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

(كل هذا رحمة بها وعطف وإلا فقد كان من الممكن أن يقول لعائشة أو غيرها من نساءه "خذي البنت" لكنها رحمة ربما إنها تعلقت بجدها ﷺ فأراد أن يطيب نفسها)⁽¹⁾؛ وقد ترجم لهذا الحديث الإمام مسلم بـ: "باب: جواز حمل الصبيان في الصلاة"، فكان مراعاة مشاعر الطفل وعواطفه من الأهمية ما أمكنها من نيل حظاً من الصلاة التي هي عبادة يفتتحها المصلي بالتكبير ثم يربط على قلبه بالخشوع إلى أن يُسلم، وما هذا التجوز في حمل الصبيان في الصلاة وإطالة السجود عند ركوب الطفل على ظهر المصلي إلا دليلاً قوياً على أهمية مشاعر الطفل وضرورة مراعاتها.

- وعن عبد الله بن بُريدة، قال: سمعت أبي بُريدة، يقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمَشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ ﷻ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴿٢﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمَشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا. (3)

وقد استنبط العراقي من هذا الحديث عشر فوائد كان منها فائدة في بيان رحمته ﷺ للعيال وشفقته عليهم ورفقه بهم، قال فيها: (وفيه بيان رحمته ﷺ للعيال وشفقته عليهم ورفقه بهم والظاهر أن مُبادرتَهُ ﷺ إلى أخذهما لإعيائهما بالمشي وحصول المشقة لهما بالعثار فرجع تلك المشقة عنهما بحملهما)⁽⁴⁾.

(1): محمد بن صالح بن محمد العثيمين: شرح رياض الصالحين، 4/457.

(2): [التغابن/15].

(3): أبو داود: السنن، أبواب الجمعة، الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، ح(1109)، 1/290. الترمذي: السنن، المناقب، مناقب أبي محمد الحسن بن علي...، ح(3774)، 6/122. وقال: (هذا حديث حسن غريب). النسائي: السنن، صلاة العيدين، نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، ح(1585)، 3/192. أحمد: المسند، تنمة مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي، ح(22995)، 38/99. ابن أبي شيبة: المصنف، الفضائل، ما جاء في الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(32189)، 6/379. البيهقي: السنن الكبرى، الجمعة، كلام الإمام في الخطبة، ح(5819)، 3/309. ابن حبان: الصحيح، الفرائض، ذكر السبب الذي من أجله فعل المصطفى ﷺ، ح(6039)، 13/403. ابن خزيمة: الصحيح، الصلاة، الرخصة للخاطب في قطع الخطبة للحاجة، ح(1456)، 2/355. قال محمد مصطفى الأعظمي في تحقيقه على صحيح ابن خزيمة: (إسناده صحيح). وقال حسين سليم الداراني وعبد علي كوشك: (إسناده جيد)، يُنظر: موارد الظمان للهيتمي، ح(2230)، 7/184. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ح(3774)، 8/274. وقال شعيب الأرناؤوط في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده قوي).

(4): زين الدين العراقي: طرح التثريب في شرح التقریب، 3/205.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

ومن خلال هذه الأدلة والشواهد تبين أنّ مراعاة مشاعر الطفل والعناية بها أمر لا ينحصر في جلسات الملاطفة والملاعبة المؤقتة، بل يصلح أن تكون مع أيّ نشاط وعمل يقوم به البالغ، يُعطي للطفل خلاله نصيبه وحاجته من العاطفة دون إخلال بعمله أو تعطيل له، فحتى الصلاة يصلح معها أن يُترك الطفل ليلعب على ظهر المصلي وأن يُرفق به ويُرحم، كما جاء واضحاً في هديّه ﷺ.

ثانياً: في اصطحابه للمسجد، وما ينشأ عنه من مشاعر التعلق وحبّ الانتماء.

بدأ ارتباط الطفل بالمسجد من زمن رسول الله ﷺ وهو يصلي معه ﷺ الصلوات الخمس ويحضر الجمعة ويشهد مختلف الدروس والمواعظ، وازداد ارتباطه قوةً بعد أن أخذ بتلقي مختلف العلوم الشرعية فيه، أولها حفظ كتاب الله الكريم وحفظ حديث رسول الله ﷺ، ليكون المسجد بذلك هو الصّرح العامر بالأطفال تربيةً وتعليماً.

ومعلوم أنّ الأطفال بفطرتهم لهم حب وشغف خاصّ بالمسجد، يجدون فيه الراحة والسكينة الممزوجة بمظاهر البهجة والحيوية والانطلاق؛ ويزداد الطفل إقبالاً على المسجد كلما وجد دفعاً قوياً من داخل الأسرة والمسجد معاً، ولا يجنح الطفل عن المسجد إلا إذا وجد مُلهيات تصرفه عنه كرفاق السوء والألعاب الإلكترونية، أو وجد من داخله من يُؤذيه ويُعنفه كمعلم شديد القسوة أو زميل يتنمّر عليه.

أظهرت بعض الأحاديث والآثار مدى ارتباط الأطفال بالمسجد في زمن رسول الله ﷺ، كما بيّنت هديّه ﷺ في ضرورة وضع اعتبار للأطفال أثناء إقامة الصلاة وإلقاء الخطبة.

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « لَيْلِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثَلَاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ »⁽¹⁾.

في الحديث تقدّم للبالغين العقلاء في الصفّ ثم يليهم من هو دونهم في المرتبة، فكان معنى قوله ﷺ: ("ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ": كالمراهقين، أو الذين يُقربون الأولين في النهي والحلم، "ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ": كالصبيان المميزين، أو الذين هم أنزل مرتبة من المتقدمين حِلماً وعقلاً)⁽²⁾، ولذلك كان آخر من يلي رسول الله ﷺ في الصفّ هم أقل المصلين سنّاً وعقلاً وهم الأطفال.

(1): مسلم: الصحيح، الصلاة، تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها...، ح(432)، 323/1.

(2): علي الملا الهروي: مرقاة المفاتيح...، 850/3.

وقد جعل مكانهم في مؤخرة الصفوف ليتحقق لهم الإقتداء بمن قبلهم، ولأن الأطفال مظنة اللهو واللعب العفوي فرمما جعلهم رسول الله ﷺ في آخر الصفوف حتى لا يشغل فعلهم المصلين.

وإن لم يُحب الإمام مالك إحضار الأطفال الصغار الذين لا يدركون من أمر العبادة شيء ويعبثون في المسجد، فقد سُئل عن الرجل يأتي بالصبي إلى المسجد، أيستحب ذلك؟، قال: (إن كان قد بلغ موضع الأدب وعرف ذلك ولا يعبث في المسجد فلا أرى بأسًا، وإن كان صغيرًا لا يقر فيه ويعبث فلا أحب ذلك...) (1). إلا أن ما ثبت من سيرته ﷺ هو الترحيب بهم داخله، ويشهد له أحاديث كثيرة منها: حديث بكاء الصبي على أمه أثناء الصلاة في المسجد، وأيضًا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيِّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيِّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْعَرَ وَوَلِيدَ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرِ. (2) وفي رواية: "ثُمَّ يَدْعُو أَصْعَرَ وَوَلِيدَ يَرَاهُ فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرِ" (3)، ولا شك في أن الأمر كان في المسجد الذي احتضن مختلف الأعمال، والأطفال فيه لا يحتاجون لأكثر من التعليم والتوجيه.

وإذا كان رسول الله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قد نظم صفوف المصلين حسب مراتبهم، فإنه في حديث آخر دعا إلى الرفق والتخفيف في الصلاة لأجل الضعاف منهم:

(1): أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ت: د محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1408هـ-1988م، 283/1.

(2): مسلم: الصحيح، الحج، فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ، ح(1373)، 1000/2.

(3): الترمذي: السنن، أبواب الدعوات، ما يقول إذا رأى الباكورة، ح(3454)، 506/5. وقال: (هذا حديث حسن صحيح). النسائي: السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا دعى بأول الثمر فأخذه، ح(10061)، 120/9. مالك: الموطأ (برواية الزهري)، الجامع، ما جاء في المدينة، ح(1846)، 53/2. ابن حبان: الصحيح، فضل المدينة، ذكر دعاء المصطفى ﷺ، ح(3747)، 62/9. قال البغوي: (هذا حديث صحيح...)، يُنظر: شرح السنة، ح(2013)، 316/7. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

- عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان، مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس إن منكم مُتقِرِينَ، فأئكمم أمم الناس، فليؤجز فإن من وراءه الكبير، والضعيف وذو الحاجة»⁽¹⁾.

فقوله ﷺ: "الضعيف" يدخل في معناه الطاعن في السن الذي لا يقوى على القيام، والصغير الذي لا يتحمل الإطالة في الصلاة ولا يصبر عليها؛ فغضب رسول الله ﷺ لأجل ألا تنفر من صلاة الجماعة هذه الشرائح الثلاثة، ومن بينهم الصغير⁽²⁾. وقد كان من سنته ﷺ أيضًا أن حَفَفَ من الصلاة بعد سماعه بكاء الصبي.

- وعن جابر بن سمرة، قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ، فَجَعَلَ يَمْسُحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ.⁽³⁾ وسلوك رسول الله ﷺ معهم في مسحه على خدودهم واحدًا تلو الآخر دليل رحمته وعطفه وتواضعه معهم ﷺ، ثم إن جابر بن سمرة قد خرج من المسجد بعد تمام الصلاة مع رسول الله ﷺ؛ والمتأمل في القصة يصل إلى العلاقة التكاملية بين الصلاة وحسن المعاملة التي أراد رسول الله ﷺ أن يُعلمها للنساء، ويُبهِمهم للأثر الطيب الذي تُحدثه الصلاة في النفس من الهدوء والسكينة والسعادة والتي تمتد أثرها إلى الروابط الاجتماعية مع الآخرين.

- حديث عبد الله بن بُرَيْدَةَ الذي سبق ذكره، ونصُّه: قال: سمعت أبي بُرَيْدَةَ، يقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا.⁽⁴⁾ فكما يدل الحديث على رحمته ﷺ بالأطفال وعطفه عليهم فإنه يدل أيضًا على ترحيبه ﷺ بالأطفال داخل المسجد واحتضانه لهم.

وقد وُجد للمسجد تأثير إيجابي على نفسية الطفل ومشاعره، من ذلك:

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، الأحكام، هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ح(7159)، 65/9. مسلم: الصحيح، الصلاة،

أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ح(466)، 340/1. (واللفظ له)

⁽²⁾: يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، 199/2.

⁽³⁾: مسلم: الصحيح، الفضائل، طيب رائحة النبي ﷺ، ح(2329)، 1814/4.

⁽⁴⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 169.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- حضور الطفل للمسجد وشهوده الصلوات الخمس يُعدُّ تغذية إيمانية وشحنًا روحيًا يُقوي إيمانه بالله تعالى وارتباطه بدينه ويُغذي نفسه بالراحة والطمأنينة أكثر من خمس مرات في اليوم.
- حصول الطفل على شخصية ناضجة واعية قد تحققت فيها جوانب الشخصية المتكاملة: من الجانب العقائدي، والتعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والعاطفي.
- وجود الطفل بشكل متواصل في المسجد يجعله يألف تجمعات المسلمين ويشعر بقوة الرابطة والصلة بهم، وتنمو في داخله مشاعر تجعله يشاركهم أفراحهم وأحزانهم.
- تأثر الطفل بسماعه الخطب والدروس نفسيًا وسلوكيًا، وتعوده على سماعها منذ الصغر يجعل قلبه لين واستحضاره لله ﷻ في نفسه دائم؛ كما أن في إنصاته للآذان تعظيم لشعائر الدين⁽¹⁾.

المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الصيام.

عن الرُّبَيْع بنت مُعَوِّذ، قَالَتْ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطَرًا، فَلَيْسَ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ»، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدَ، وَنُصُومُ صَبِيَانَنَا، وَنُجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعَهْنِ⁽²⁾، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ.⁽³⁾ وفي لفظ لمسلم: «فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ، أَعْطَيْنَاهُمُ اللَّعْبَةَ تُلْهِيهِمْ حَتَّى يُسْمُوا صَوْمَهُمْ»⁽⁴⁾.

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال لِنَشْوَانَ⁽⁵⁾ في رمضان: «وَيْلَكَ، وَصَبِيَانَنَا صِيَامًا، فَضَرَبْتُهُ»⁽⁶⁾.

وبوب عليه البخاري قوله: "باب: صوم الصبيان"، قال ابن حجر معلقًا على صنيع البخاري في هذا الباب: (..ولا عمل يُستندُ إليه أقوى من العمل في عهد عمر مع شِدَّةِ تَحْرِيهِ وَوُفُورِ الصَّحَابَةِ فِي زَمَانِهِ وَقَدْ قَالَ

(1): يُنظر: محمد نور سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 627/2.

(2): الْعَهْنُ: (هو) المصبوغ ألواناً من الصُّوف، ويقال: كل صوف عهنٌّ. قال عَرَّام: لا يقال إلا للمصبوغ، والقطعة عهنَّة والجمع عُهُونٌ)، يُنظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة "عهن"، 108/1.

(3): البخاري: الصحيح، الصوم، صوم الصبيان، ح(1960)، 37/3. مسلم: الصحيح، الصيام، من أكل في عاشوراء فليكيف بقية يومه، ح(1136)، 798/2.

(4): مسلم: الصحيح، الصيام، من أكل في عاشوراء فليكيف بقية يومه، ح(1136)، 799/2.

(5): رجلٌ "نَشْوَانٌ" أي سكران بيُّ "النَّشْوَةِ"، الاثْتِشَاءُ: أول السكر ومقدماته، وقيل: هو السكر نفسه. يُنظر: أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، 311/1. ابن منظور: لسان العرب، 325/15.

(6): البخاري: الصحيح، الصوم، صوم الصبيان، ح(دون رقم)، 37/3.

لَلَّذِي أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ مُوَجَّحًا لَهُ كَيْفَ تُفْطَرُ وَصَبِيَانَنَا صِيَامًا...»⁽¹⁾

وقد دلَّ كل من الحديث والأثر على أنَّ تدريب الصِّبيان على الصيام كان في زمن رسول الله ﷺ وما بعده إلى عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؛ ورغم أنَّ الصيام لم يرد فيه نصٌّ يأمر بتعويدهم عليه قبل البلوغ كما هو الأمر مع الصلاة، إلاَّ أنَّ حديث الرُّبيع وقول عمر رضي الله عنه بيَّنَّا أنَّ الصيام أيضًا يحتاج إلى تدريب مُسبق؛ فمرحلة الطفولة ليست مرحلة تكليف، بل هي مرحلة إعداد وتدريب.

يؤثر الصيام على نفسية الطفل تأثيرًا إيجابيًا يمكن أن يُرى على معنوياته العالية وسلوكه الطيب خاصَّة وهو صائم، ومن الآثار التي يحسن ذكرها بعد النظر في الأدلة الماثورة المذكورة آنفًا، وما وصل إليه الاجتهاد العقلي والنظر في حال الطفل مع الصيام، ما يلي:

- الأصل أنَّ العبادات جميعًا لا تلزم الطفل إلا عند البلوغ، لحديث: «أَمَا عَلِمْتَ: أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيْقَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يُدْرِكَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»⁽²⁾، إلاَّ أنَّ كثيرًا من أهل العلم استحبوا أن يُدرَّب الأطفال على العبادات المفروضة ومنها الصيام حتى يعتادوها ولا تصعب عليهم إذا لزمتهم؛ فمتى أطاق الطفل الصيام وقدر عليه بدأ فيه⁽³⁾.

- وفيه: (أنَّ الصحابي إذا قال فعلنا كذا في عهد النبي ﷺ، كان حكمه الرفع لأن سكوته ﷺ عن ذلك يدل على تقريرهم عليه، إذ لو لم يكن راضيًا بذلك لأنكر عليهم)⁽⁴⁾.

- استعمال وسيلة مشروعة لجعل الطفل ينسى مسألة الجوع وينشغل عن الإحساس به عن طريق اللعبة، ففيه توجيه مشاعره من الإحساس بالجوع والرغبة فيه إلى ما يُحب اللعب به، ومعلوم أنَّ الأطفال في طبيعتهم وعاداتهم إذا انشغلوا باللعب فإنهم ينسون كل شيء، ويغيب عن أذهانهم تذكر أيِّ شيء آخر حتى أنهم في خضم اللعب وحلاوته لا يشعرون بمرور الوقت؛ وقد كان هذا مع أنس بن مالك رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ في حاجته، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَانٍ وَهُمْ

⁽¹⁾: ابن حجر: فتح الباري، 4/201.

⁽²⁾: البخاري: الصحيح، الحدود، لا يرحم المجنون والمجنونة، ح(دون رقم)، 8/164.

⁽³⁾: يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 4/107. الشوكاني: نيل الأوطار...، 4/235. النووي: شرح صحيح مسلم، ح(1136)، 4/234.

⁽⁴⁾: بدر الدين العيني: عمدة القاري...، 11/70.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبيه على الأحكام الشرعية.

يَلْعُبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ بِعَقَائِي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُتَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟، قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»⁽¹⁾. وهذا العمل نوع من الحيلة المشروعة تنبه لها النساء تُوحى بشيء من الفقه بأحوال الأطفال وحاجاتهم النفسية.

- (عبادة الصوم روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله تعالى، ومراقبته له في السر، وتترى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع، والبعد عن الماء رغم العطش؛ كما يقوى على كبح جماح رغباته ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد.)⁽²⁾

ومما يمكن أن يلاحظ على الطفل من آثار إيجابية أيضاً ما يلي:

- صيام الطفل ليوم واحد على الأقل مع أسرته في شهر رمضان يُعزز فيه مشاعر الفرحة والبهجة، ويزيد من ثقته بنفسه ويقوي إرادته ومعنوياته لتحصيل المزيد.

- تسليم مهمّة تنظيم مائدة الإفطار وتزيينها يُشعر الطفل بلذّة اللحظات الأخيرة قبل الأذان، وتحفزه على الصيام يوماً آخر تشوقاً وشوقاً لأن يعيش تلك اللحظة مع أسرته وهم ينظرون إليه بنظرة الإعجاب والرضا.

- إنَّ إحساس الطفل بالجوع في يوم الصوم يُنمي فيه الإحساس بآلام الفقراء والمحتاجين، ويشعره بالعطف والرحمة اتجاههم.

- إحساس الطفل بالانحزام والهوان أمام أفراد أسرته إذا تكاسل عن الصيام ولديه قدرة عليه، هذه المشاعر السلبية التي لا يجد خلاصاً منها إلا بالشروع في الصيام.

وعليه فمتى كان للطفل قدرة على الصيام من الناحية الجسدية مكّنه والداد من الصيام، والأولى أن يُدرَّب عليه تدريجياً دون تعنيف أو إرغام، بل باللين والترغيب والتحفيز حتى لا ينفر منه؛ وحتى يتحقق له المقصود وهو انعقاد قلبه على حبِّ الله وطاعته سبحانه، وفي هذا راحة وسعادة للنفس.

المطلب الرابع: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبيه على الحج.

معلوم أنّ الطفولة ليست مرحلة تكليف إنما هي مرحلة إعداد وتدريب، إعداد إيماني وتدريب عبادي يُهيئ الطفل لقبول التكليف بعد البلوغ، ويعتاد العبادة ويألفها، ويرتبط قلبه بالله تعالى؛ ومن وجوه العبادة التي ثبت في السنة النبوية تدريب الصغار عليها: فريضة الحج وسنة العمرة.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 120.

(2): محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، 638/2.

- من السنة التقريرية ما رواه السائب بن يزيد، قال: «حجج بي مع رسول الله ﷺ وأنا ابن سبع سنين»⁽¹⁾.

وصرح النبي ﷺ في حديث آخر على جواز الخروج بالصبي للحج، وأن لوليه الأجر والثواب على فعله.

- روي عن ابن عباس، عن النبي ﷺ لقي ركباً بالروحاء، فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون، فقالوا:

من أنت؟ قال: «رسول الله»، فرفعت إليه امرأة صبيًا، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر»⁽²⁾.

ولكن هل يجزيه حجه في الصغر عن حجة الإسلام؟.

(... هذا مما قد أجمع الناس عليه ولم يختلفوا فيه أن للصبي حجًا وليس ذلك عليه بفريضة من جهة

القياس كما له صلاة وليست عليه الصلاة بفريضة فكذلك أيضًا قد يجوز أن يكون له حج وليس الحج

عليه بفريضة...)⁽³⁾.

وبمثل هذا الكلام قال النووي في شرحه للحديث: (... فيه حجة للشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء

أن حج الصبي مُنعقد صحيح يُثاب عليه وإن كان لا يُجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعًا وهذا الحديث

صريح فيه... قال القاضي لا خلاف بين العلماء في جواز الحج بالصبيان وإنما منعه طائفة من أهل البدع

ولا يلتفت إلى قولهم بل هو مردود بفعل النبي ﷺ وأصحابه، وإجماع الأمة..)⁽⁴⁾.

إن كل من الرواية الأولى والثانية تُظهر مدى اهتمام الصحابة ﷺ على تربية أبنائهم على عبادة الله ﷻ

وتنشئتهم على طاعته، كما تُظهر تشجيع رسول الله ﷺ لهم على هذا الفعل؛ كل هذا ليربط الطفل بالله ﷻ

وتقوية مشاعره الإيمانية بربطه بوجوه العبادة جميعاً على رأسها أركان الإسلام؛ وإن تدريب الطفل على

العبادة يندرج ضمن قوله ﷺ: «سبعة يُظلمهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ

في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد...»⁽⁵⁾، والنشأة تبدأ من الصغر فلزم منها التدريب على العبادة.

(1): البخاري: الصحيح، جزاء الصيد، حج الصبيان، ح(1858)، 18/3.

(2): مسلم: الصحيح، الحج، صحة حج الصبي وأجر من حج به، ح(1336)، 974/2.

(3): أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت:

مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، 106/1.

(4): النووي: شرح صحيح مسلم، 84/5.

(5): البخاري: الصحيح، الآذان، من جلس في المسجد ينتظر الصلاة...، ح(660)، 133/1. مسلم: الصحيح، الزكاة، فضل

إخفاء الصدقة، ح(1031)، 715/2.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- إنَّ في الحجِّ بالصغير مشقَّةً على وِلْيِّه الذي حجَّ به، ولذلك أناطها الشارع بالأجر تشجيعًا له، وهكذا في سائر العبادات التي تحتاج لتدريب وتعويد مثل الصلاة؛ وبهذا ينشأ الطفل على تربية شرعية أساسها تقوية صلته بالله تعالى فيكون له الفوز بالسعادة والرضا في الدارين.

- وإنَّ الحجَّ أو الاعتمار بالصغير يُحقِّق في نفس الطفل ما تحقِّقه سائر العبادات الأخرى من مشاعر إيجابية رفيعة، إلا أنَّ الحجَّ أو العمرة باعتباره عبادة قليلة أو نادرة الحدوث تترك في نفس الطفل أضعاف ما تتركه باقي العبادات الأخرى من العزَّة والفخر والسعادة والرضا عن النفس، والتحفيز على التقدم أكثر نحو العبادة، وإنَّ وعي الطفل على نفسه وهو يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقف بعرفة وغيرها يكفي لوحده كي يكون حافزًا على الثبات على دين الله ﷻ، ولذلك كان الإذن من رسول الله ﷺ في الحج بالصبيان، وبادر الصحابة ﷺ إلى اصطحاب أبنائهم للحج والعمرة.

وعليه يلزم على الوالدين إرفاق أبنائهم معهم إلى الحج أو العمرة اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ متى سمحت الفرصة لذلك، خاصةً في زماننا الذي تعسرت فيه سبل السير إلى بيت الله مع ارتفاع التكاليف وربط الأمر بالقرعة في الحج.

من خلال ما سبق في هذا الفصل، يتجلى لنا:

- أنَّ منهج رسول الله ﷺ في تعليم الطفل أصول العقيدة الإسلامية متوازن، يجمع بين ضرورة تعليم الطفل أصول العقيدة، ومراعاة استعداداته الفكرية والشعورية؛ كل ذلك بأسلوب تعليمي تربوي يُعزِّز في الطفل مشاعر الحب والامتنان لله تبارك وتعالى، وحبَّ رسوله ﷺ. وبلا شك قوة الإيمان في نفس الطفل تُشعره بالطمأنينة والأمان، والاعتزاز بالانتماء للمجتمع المسلم.

- دعت السنة النبوية إلى ضرورة ربط الطفل بأحكام العبادات، كالطهارة والصلاة والصوم والحج، وتدريبه عليها قبل سنِّ البلوغ حتى تلازم سلوكه اليومي الذي فلا يقدر أن يستغني عنه، ومن فوائد هذا النهج التربوي تقوية مشاعر الطفل الإيمانية وتوطيد صلته بالمولي ﷻ. وفي هذا الميدان بيَّنت السنة العملية كيفية تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال في معرض تعليمهم أحكام العبادات باستعمال أسلوب الرفق واللين، وهذا من باب مراعاة مشاعرهم وقدرتهم على التَّعلم.

الفصل الثاني:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أحكام الأسرة.

يتضمن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل قبل وبعد بناء الأسرة.
- المبحث الثاني: اضطراب الحياة الأسرية وتأثيره على مشاعر الطفل.
- المبحث الثالث: اهتمام السنة النبوية بمشاعر البنت.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

يستمد الطفل من محيطه الأسري والاجتماعي الكثير من الخبرات العاطفية، التي تُكوّن فيما بعد المرتكز الأساسي في تكوين شخصيته، وإنّ أبسط المواقف التي يعيشها الطفل داخل أسرته، وفي محيطه الاجتماعي - المدرسي بشكل خاص-، يكون لها الأثر البالغ على مشاعره وتفكيره واختياراته بالإيجاب أو السلب.

وفي هذا الفصل نحاول الوقوف على أبرز السلوكيات والأحداث الأسرية، ومدى تأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه، وموقف الشريعة الإسلامية منها عامّة والسنة النبوية خاصّة.
وقسّمته على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل قبل وبعد بناء الأسرة.

المبحث الثاني: اضطراب الحياة الأسرية وتأثيره على مشاعر الطفل.

المبحث الثالث: اهتمام السنة النبوية بمشاعر البنات.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل عند بناء الأسرة، والعدل بين الأولاد.

(إنّ سلوك الطفل يتأثر بخبرات طفولته المبكرة في بيته وأسرته... فالوضع العاطفي عامل أساسي وفاعل في البناء الوجداني لشخصيات الأبناء القادرة على مواجهة المواقف المختلفة مستقبلاً.. وهنا يكون للتجاوب العاطفي بين الوالدين والطفل أثر كبير على صحته النفسية، الحالية والمستقبلية...⁽¹⁾).

المطلب الأول: حسن اختيار الزوجين لبعضهما سبيل لاستقرار الأسرة ونفسية الطفل.

ترتكز الحياة الأسرية السعيدة على المعاشرة الطيبة بين الزوجين، القائمة على أساس الاحترام المتبادل والحوار والتفاهم، مع قدر عالي من تحمل المسؤولية، وعلى المودة والرحمة النابضة في قلوب أفرادها.
وإنّ المرتكز الأساسي الذي تُبنى عليه الأسرة هو الانطلاقة الأولى لتكوينها، وهو حسن اختيار الزوجين لبعضهما وفق الشروط والمعايير التي يريدها كل طرف؛ فما هو المعيار الأفضل للاختيار؟.

تكلّمت الكثير من الكتب في مجال الفقه الإسلامي والتربية وعلم اجتماع الأسرة عن موضوع الكفاءة في الزواج، وما يحمله من خصال مُعتبر عند الاختيار، وإنّ أبرزها عند الطلب: الكفاءة في الدين، الكفاءة في النسب والحسب، الكفاءة في المال، في الصنعة والحرفة، السلامة من العيوب الجسدية، الكفاءة في

(1): عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، ص: 68.

المستوى التعليمي.⁽¹⁾ ويختلف العمل بها من أسرة لأخرى ومن بلد لآخر حسب العرف وطبيعة الثقافات السائدة في المجتمع، وحسب التزام الأسرة بأحكام الدين وتعاليمه، فمن الناس من يركز على الغنى في المال وطبيعة الوظيفة التي يتقلدها الخاطب، ومنهم من يريد المستوى العلمي؛ ويبقى الجمال الخَلقي مطلب لا غنى عنه عند أكثر الفتيان والفتيات في هذا الزمان.

وقد بيّن الرسول ﷺ الضابط الأفضل لاختيار كل من الزوجين للآخر، فجاء في حديثين بارزين ما نصّه:
- بالنسبة لاختيار الزوجة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَأَطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ»⁽²⁾.

- وبالنسبة لاختيار الزوج: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُؤُوحُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»⁽³⁾.

والناظر في كلا الحديثين يجد أنّ الرسول ﷺ قد فضّل الكفاءة في الدين كعامل وحيد وأصل أصيل لا بدّ منه لتكوين أسرة مسلمة صالحة وناجحة؛ حيث أنّ كل وجوه الاختيار الأخرى قد تفضي إلى تفكك الأسرة وانحيارها كما قال رسول الله ﷺ: "تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ"، ومنه تنتج أسرة ممزّقة تعيسة وأولاد مشرّدون، يشربون من كأس المشاكل أنواعاً من الآلام والأحزان.

وفي هذا قال ابن قيم الجوزية: (فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدّين في الكفاءة أصلاً وكماًلاً، فلا تُرُوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك، فإنّه حرّم على

⁽¹⁾: يُنظر: عمر سليمان الأشقر: أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، ط4، دار النفائس، الأردن، 1428هـ-2008م، ص: 221. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني: الأسرة أحكام وأدلة، ط10، دار الشعب، ليبيا، 2013م، ص: 22. سعيد بن عبد القادر بن سالم باشنفر: الكفاءة في النكاح بين العرف والشرع، ط1، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1428هـ-2007م، ص: 8. أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 73.

⁽²⁾: البخاري: الصحيح، النكاح، الأكفاء في الدين، ح(5090)، 7/7. مسلم: الصحيح، الرضاع، استحباب نكاح ذات الدين، ح(1466)، 1086/2.

⁽³⁾: الترمذي: السنن، النكاح، ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، ح(1084)، 386/3. وقال: (حديث أبي هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث ورواه الليث بن سعد، عن ابن عجلان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مرسلًا). ابن ماجه: السنن، النكاح، الأكفاء، ح(1967)، 632/1. البيهقي: السنن الصغير، النكاح، الترغيب في النكاح، ح(2352)، 10/3. قال الألباني: (حسن)، ينظر: مشكاة المصابيح، ح(3090)، 929/2. قال عبد القادر الأرنبوط: (حديث حسن)، يُنظر: تحقيقه على جامع الأصول لابن الأثير، ح(9016)، 465/11.

المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسباً ولا صناعةً ولا غنىً ولا حريةً، فجوّز للعبد القرن نكاح الحرّة النسبية الغنية، إذا كان عفيفاً مسلماً،... وللفقراء نكاح الموسرات (1).

وقد نُقل عن مالك بن أنس أنه اعتبر الكفاءة في النكاح مختصة بالدين وحده (2)، وأيضاً (.. نُقل عن عمر وابن مسعود، ومن التابعين عن محمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز (3). وهذا الاختيار تُقويه نصوص أخرى كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور/26].

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْبَأَكُمْ﴾ [الحجرات/13].

- وقوله سبحانه: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور/03].

- وأيضاً: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة/18].

- وقوله ﷺ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور/32].

- وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (4)

(1): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، 1415هـ-1994م، 145/5.

(2): يُنظر: محمد بن يوسف المواق المالكي: التاج والإكليل لمختصر خليل، 106/5. محمد بن عبد الهادي التتوي أبو الحسن نور الدين السندي: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، 607/1. علي الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 2047/5

(3): محمد بن علي الشوكاني: نيل الأوطار، 154/6

(4): مسلم: الصحيح، الرضاع، خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ح(1467)، 1090/2.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

واستأذن أحد الصحابة رسول الله ﷺ في الزواج بامرأة ذات جمال غير أنها عقيم، ولأنَّ إنجاب الأولاد أحد المقاصد الشرعية للزواج كان من رسول الله ﷺ أن ردَّ طلبه، ونصَّه ما رواه معقل بن يسار: قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ وجمالٍ، وأنها لا تَلِدُ، أفأتزوجُها؟ قال: « لا » ثم أتاه الثانيةَ فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: « تزوجوا الوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مَكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمِ »⁽¹⁾.

وعليه فيكون صلاح الأسرة مرهون بصلاح الوالدين وصلاحهما مُتعلِّق بمدى التزامهما بشريعة الإسلام وتخلُّقهما بأخلاقه؛ فالدين إلى جانب الأخلاق يأمر بأداء الحقوق والقيام بالواجبات؛ كتحمّل المسؤولية، والمعاشرة بالمعروف، والطاعة للزوج، والرفق بالزوجة، والإحسان للوالدين، والعطف على الصغير، والعدل بين الأبناء، وتربيتهم على التعاليم الدينية والقيم والأخلاق؛ وغيرها.

وهذه أحكام وآداب لا يأمر بها المال ولا الجمال، أو الحسب والمستوى التعليمي، فالدين مع الخُلُق الحسن هو من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد وُجد أنَّ كثيراً من الأسر التي بُنيت على واحد من هذه المقاييس لوحده أو مُتَّحد مع غيره قد آلت إلى الانحيار ولم يمنعها من ذلك المعيار الذي قامت عليه، على عكس ما إذا كان الزوجين مؤمنين تقيين فإنهما يتجنبان معصية الله ﷻ بترك واجب أو إقرار منكر، وهنا يتحقق التكامل والتعاون لإنجاح الأسرة والوصول إلى سعادتها، ويتوفر الجو المناسب لتربية الأولاد بطريقة صحيحة وسليمة خالية من الضغوطات النفسية والإرهاق الفكري الناجم عن المشكلات الأسرية.

المطلب الثاني: تأثير الحياة العاطفية للأسرة على مشاعر الطفل.

حبَّ الله تعالى الأسرة بعدد من المشاعر الايجابية التي تؤدي دوراً فعالاً في تماسكها واستقرارها، وعنها يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ - اٰيٰتِهٖۤ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْۙ اَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوْا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةًۙ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ﴾ [الروم/21].

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، النكاح، النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ح(2050)، 2/220. النسائي: السنن، النكاح، كراهية تزويج العقيم، ح(3227)، 6/65. ابن حبان: الصحيح، النكاح، ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء...، ح(4056)، 9/363. عبد الرزاق: المصنف، النكاح، نكاح الأبكار والمرأة العقيم، ح(10344)، 6/160. الحاكم: المستدرک، النكاح، ح(2685)، 2/176. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة). وقال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيحين عدا حفص بن عمر). وقال الألباني: (حسن صحيح)، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(1921)، 2/193. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده قوي). وقال حسين سليم الداراني وعبده علي الكوشك: (إسناده صحيح)، يُنظر: تحقيقه على موارد الظمان للهيثمي، ح(1228)، 4/148.

فمشاعر الرحمة والرأفة والعطف التي أودعها الله في قلب الوالدين نحو أولادهم كفيلة بأن تسوقهما سوقًا فطريًا نحو حمايتهم والعناية بهم وتربيتهم تربية صالحة، وإحاطتهم بمشاعر المودة والحب والحنان؛ ولا يُظهر هذه المشاعر إلا من كَسَا قلبه بِرِداء الفضاضة والغلظة والقسوة والجفاء العاطفي، وقد حَكَت السنة النبوية عن نموذج من هؤلاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نُقْبَلُهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْأَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»⁽¹⁾.

ومن خلال هذا الحديث يؤسس الرسول ﷺ لأهمية المشاعر والعواطف الإيجابية في الحياة الأسرية، ويدعو إلى ضرورة التعبير عنها للأطفال ومشاركتهم مشاعر الحب والود، فالطفل بحاجة لتعبير عاطفية رقيقة من الوالدين كالتقبيل والضم واللعب معهم، ومبادلتهم نظرات الرحمة والحنان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَبْتَئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس عبّر الرسول ﷺ عن تعلق الوالدين بالولد ورغبتهم في سلامته وقربه منهما، وقد صوّر هذا في حال فقدهما له بالموت، وحجم الحزن والأسى الذي يصيبهما لأجله؛ جاء في حديث عن أبي موسى الأشعري: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»⁽³⁾.

(1): البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ح(5998)، 7/8.

(2): البخاري: الصحيح، الرقاق، الرجاء من الخوف، ح(6469)، 99/8. مسلم: الصحيح، التوبة، في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح(2752)، 2108/4.

(3): الترمذي: السنن، الجنائز، فضل المصيبة إذا احتسب، ح(1021)، 3/332. وقال: (هذا حديث حسن غريب). أحمد: المسند، أول مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري، ح(19725)، 500/32. ابن حبان: الصحيح، الجنائز، ذكر بناء الله جل وعلا بيت الحمد...، ح(2948)، 210/7. البيهقي: السنن الكبرى، الجنائز، ما يرجى في المصيبة بالأولاد...، ح(7146)، 113/4. قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(795)، 1/199. وقال حسين سليم الداراني و عبده علي الكوشك: (إسناده ضعيف)، يُنظر: تحقيقه على موارد الظمان للهيثمي، ح(726)، 2/470. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: (إسناده ضعيف).

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

(أكدت الأبحاث أنّ الطفل المحروم من الحنان والحب الأسري هو أكثر الأطفال تعرضًا للمعاناة النفسية، وقد يفقد الطفل الحنان بغياب أحد الوالدين- بالموت أو الطلاق- أو كثرة الخلافات بينهما أو قسوة أحدهما دون مبرر أو حرمانه من اللعب ومن اللعبة...⁽¹⁾).

وقد وُجد أنّ الأطفال الذين يَحْيُونَ في جو أسري تغمره مشاعر الحب والدفء العاطفي والتَّقبُّل يحضون بنمو فكري ونفسي وحتى جسدي سليم خالي من الاضطرابات، كما أنهم ينجحون وبكل ثقة في أداء واجباتهم والتفاعل مع محيطهم، وتكون لديهم الجرأة للسؤال وطلب المعرفة، والتعبير عن أفكارهم وما يشعرون به من فرح أو حزن؛ هذا ويتعلمون من والديهم القدرة على التعبير عن عواطفهم نحو الآخرين.

في حين أنّ الأطفال الذين يُحرمون من الحب الأسري تظهر عليهم مشاعر مضطربة يسودها التوتر والخوف وعدم الثقة، وتتكون لدى الطفل من هذه الفئة النظرة التشاؤمية للحياة فلا يجد للأحاسيس المرهفة والمشاعر الطيبة طعمًا، بل يراها ضربًا من الحمق والسخافة التي تحمل الكثير من التكلف والمحاباة؛ وقد تظهر عليه ملامح الكراهية والسلوك العدواني ضد من حوله خاصّة نحو الشخص الذي يراه سببًا في تعاسته، وفي أوقات أخرى يُرى وهو مشتاق لِلْمَسَةِ حنان وكلمة تحمل معاني الحب والعطف، وتظهر عليه ملامح الحسد والغيرة من الأطفال الذين ينعمون بالحب داخل أسرهم.⁽²⁾

وقد ينقل الطفل هذه المشاعر الجافة التي تربي عليها إلى أسرته الجديدة التي يُكونها لنفسه بعد أن يكبر فيعامل أبناءه بنفس الجفاء، وكأنّ هذا النمط في التعامل هو الأسلوب الأنجع في تربية الأبناء؛ وهنا يجب أن يُدرك الوالدين أن ليس كل موروث فكري وسلوكي يتلقاه الفرد من قبله يعني جودته وفعالته الدائمة وإنما لابدّ من استبدالها بالتعاليم الشرعية التي قدّمت بيانات واضحة في مسائل التربية تغنيه عن الاحتكام لغيرها. ومن أبرز الإجراءات التي تساعد الوالدين على تكوين الانفعالات السارة ورسم المشاعر الإيجابية في نفس الطفل، ما يلي:

⁽¹⁾ عادل صادق: الطب النفسي، ط1، الدار السعودية، جدة، 1408هـ-1988م، ص: 188.

⁽²⁾ يُنظر: عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، ص: 69. هدى محمود الناشف: الأسرة وتربية الطفل، ط2، دار المسيرة، عمان، 1432هـ-2011م، ص: 79. محمد سلامة غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم وطرق العلاج، ص: 37.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

1- تَقْبَلُ الطفل كما هو، بصفاته الجسمانية والنفسية وقدراته العقلية والسلوكية مع محاولة تغيير ما يلزم تغييره بالرفق واللين وتجنب استعمال العنف اللفظي والعقاب البدني، والكلمات الدالة على بتر العلاقة الوَدِيَّة معه ك: لن أحبك بعد، أو "فلان" أفضل منك، أنت سيء، وأكرهك لأنك تفعل كذا... وهكذا.

2- جعل الأجواء العاطفية داخل الأسرة أكثر حيوية ونشاطاً بتبادل عبارات الودِّ والاحترام والعطف بين الوالدين والأبناء، وإشعارهم بالأمان والسعادة والرضا.

3- عدم المبالغة في التعبير عن العواطف والمشاعر حيث لا بدَّ أن يَرى الطفل من والديه صوراً من الحزم التي تساعد في تأديبه وتعليمه، وتشجيعه على تحمل المسؤولية فيما يختص به من أمور حتى لا يتعوّد التذليل والاتكال على غيره، وتدعيم ثقته بنفسه حتى تكون له القدرة على مواجهة الصعاب بكثير من العزم والشجاعة دون الإحساس بالفشل والجنون والانحزام.⁽¹⁾

ويبقى أنّ الولد لا يملك أسرة أخرى غير أسرته ولا والدين آخرين غير والديه الحقيقيين، وإن لم ينعم بالحب والحنان من عندهما فلن يُعوضه أحد إلا في النادر من الحالات؛ وبناءً على أهمية التغذية العاطفية من الناحية النفسية والتربوية يجب على الوالدين أن يعتنيا بهذا الجانب على قدر وافر وكافي لتحمي الطفل من الوقوع في المشكلات النفسية والسلوكية، وتُغنيه البحث عن الدفء العاطفي عند الشخص الخطأ.

المطلب الثالث: العدل بين الأولاد وأثره على مشاعرهم.

التفريق بين الأبناء من قبل الوالدين ظاهرة وُجدت في العديد من الأسر، ومست مختلف التعاملات بينهم، غير أنّ الأكثر شيوعاً منها هو التفرقة في الأمور المادية؛ والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه القضية هو: لماذا يقع الوالدين في مشكل التفريق بين أبنائهم وقد استقبلاً أطفالهما جميعاً بسعادة وفرح، وقد وُجد في كل واحد منهما غريزة تدفعه إلى حب أبنائه والعناية بهم؟.

يُرجع البعض أسباب هذه المشكلة إلى الأطفال أنفسهم، حيث أنها لا تظهر في الغالب إلا بعد نضحهم ووعيمهم وهنا يتميزون في برّهم لوالديهم، فبين بارّ وعاص يكون التمييز في المعاملة.⁽²⁾

(1): يُنظر: عبد الستار إبراهيم وآخرون: العلاج السلوكي للطفل - أساليبه ونماذج من حالاته-، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ع:180، ديسمبر 1993م، ص: 121. نبيلة عباس الشوربجي: المشكلات النفسية للأطفال: أسبابها وعلاجها، ص: 179. أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 208. عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، 155.

(2): يُنظر: عبد الباسط محمد السيد: موسوعة تربية الطفل، 898 / 2.

وقد يحظى بعض الأطفال المرضى بمعاملة خاصة بصورة تلقائية لا إرادية؛ وفي بعض الحالات تكون التفرقة من جهة الوالدين دون مبرر قد تعود لأسباب نفسية خفية كالمكبوتات أو أوجاع قديمة تكوّنت من المعاملة القاسية التي تلقاها في الصغر يضئبها في أحد أبنائه دون شعور.

والشريعة الإسلامية ضبطت هذا الأمر وحددت أحكامه، وبيّنت العلة المتوخات من وقوعه. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (1) نصّ حديث رسول الله ﷺ عن مسؤولية الفرد نحو الجماعة التي استرعاه الله عليها، كمثل مسؤولية الوالدين نحو الأبناء، وإنّ من تمام هذه المسؤولية الحكم بينهم بالعدل والتسوية في القسمة.

وقد أسس رسول الله ﷺ لهذه المسألة من خلال حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ونصّه: عن عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وهو على المنبر يقول: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةٌ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. (2) فدلل الحديث على استحباب التسوية بين الأولاد جميعاً في العطية والهبة فلا يُفضّل أحدهم على الآخر (3)، وقوله ﷺ: "أولادكم" يشمل الذكور والإناث معاً، فلا يكون التمييز بين الذكور والإناث في المعاملة العاطفية ولا في العطايا والهبات.

قد يظن البعض أنّ العدل بين الأبناء في الأمور المادية إنّما يختص بالممتلكات ذات القيمة الباهضة كالأراضي والبنائيات والأموال الضخمة، ولا يتعلق بما كان ثمنه زهيد كتمرّة تُشطر بين بنتين تحقيقاً للعدل والمساواة بينهما؛ روت السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ يَجِدْ

(1): البخاري: الصحيح، النكاح، المرأة راعية في بيت زوجها، ح(5200)، 31/7. مسلم: الصحيح، الإمارة، فضيلة الإمام العادل...، ح(1829)، 1459/3.

(2): البخاري: الصحيح، الهبة وفضلها والتحريض عليها، الإسهاد في الهبة، ح(2587)، 158/3. مسلم: الصحيح، الهبات، كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ح(1623)، 1242/3.

(3): يُنظر: علي بن محمد الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 2009/5.

عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ مَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَفَسَمَتَهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» (1).

أ- المفاصد المترتبة على التفريق بين الأبناء: ما كان توبيخ رسول الله ﷺ لبشير رضي الله عنه عن عدم عدله بين أولاده إلا لما ينطوي عليه هذا الفعل من مفاصد خطيرة تعود بسوء العلاقة بين أفراد الأسرة؛ وعلى رأسها:

- أنه يُولد روح الحقد والحسد والبُغض في نفوس الأبناء، وقتل مشاعر المودة والرحمة بينهم.

- يُسبب عقوق الوالدين والفرقة والقطيعة بين الأبناء التي يمكن أن تُنقل لأبنائهم، وقد يُولد في نفس الطفل الذي تم إقصاؤه حب الانتقام من أخيه المفضل عليه لأنه يرى أنه سلبه حقوقه.

- يُشعر الطفل المحروم بالنقص والضعف وقد يُسبب له الشعور الدائم بالفشل وعدم التَّقبل (2).

وفي المجال التعليمي داخل المؤسسات التعليمية نجد جُلَّ المعلمين اليوم، يستعملون لفظ "أبنائي" ويريدون به التلاميذ، وهم معنيون بالعدل والمساواة بينهم ذكورًا وإناثًا، سواء كانوا متفوقين في دراستهم أم ضعاف، وعلى أيِّ مستوى تعليمي وأخلاقي كانوا عليه فالعدل بينهم واجب، في التقييم والتأديب وفي إظهار الرضا والإعجاب لكل محسن؛ فإنَّ عدم العدل أدى إلى مساوئ كثيرة على نفسياتهم وسلوكهم.

ب- العدل بين الأبناء في التعبير عن المشاعر.

لكن كان حديث النعمان رضي الله عنه يتكلم عن العدل في الأمور المادية مثل الهدية والعطية فإنَّ رسول الله ﷺ حثَّ في غير ما حديث على ضرورة العدل أيضًا في الأمور المعنوية التي فيها تعبير عن الحب والرحمة.

- عن عبد الله بن جعفر، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلَّقَى بِصَبِيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسَقِ بِإِيَّاهُ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَخِي فَاطَمَهُ، فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةَ عَشْرَ دَائِمَةً» (3).

- وعن إياس، عن أبيه، قال: «لَقَدْ قُدْتُ بِبَنِي اللَّهِ ﷺ وَالْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ، بَعَلَّتْهُ الشَّهْبَاءُ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا قُدَامَهُ وَهَذَا خَلْفَهُ» (4).

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 98.

(2): يُنظر: عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، ص: 152. سهيلة زين العابدين حمَّاد: بناء الأسرة المسلمة، الدار السعودية، ص: 116.

(3): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة، فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، ح(2428)، 4/1885.

(4): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، ح(2423)، 4/1883.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- عن عائشة، أنَّ رسول الله ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فِيهَا قِلَادَةٌ مِنْ جَزَعٍ، فَقَالَ: «لَأَدْفَعَنَّهَا إِلَى أَحَبِّ أَهْلِي إِلَيَّ»، فَقَالَتِ النَّسَاءُ: ذَهَبَتْ بِهَا ابْنَةُ أَبِي قُحَافَةَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ، فَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهَا.⁽¹⁾
وفي هذه الرواية بيان أن ما وقع من فعل رسول الله ﷺ غير ما كانت النساء تتوقعه وهو دفع القلادة لأمامة الصغيرة دون عائشة رضي الله عنها، ففيه أن حب رسول الله ﷺ يعُمُّ أهل بيته ولا يختص بواحدة منهن، فكان من نصيب أمامة بنت زينب حصولها على القلادة منه ﷺ تعبيراً عن محبته لها.

هذه النماذج وغيرها تدل دلالة قاطعة على ضرورة العدل بين الأولاد في التعبير عن العطف والمحبة، وربما هي من السلوكيات التي لا يلتفت إليها الكثير من الآباء والمربين بل قد يعمد أحدهم إلى تقبيل طفل أمام أخيه أو زميله في الدراسة بقصد إغاضته وإثارة غيرته وهذا من الخطأ مهما كان الدافع من وراءه.

ج- أهمية المساواة بين الأبناء في التعبير عن المشاعر:

إنَّ تمييز الوالدين لأحد أبنائهما عن الآخرين أو تحيزهما له دونهم يعدُّ من الجور والظلم الذي يخالف الفطرة الإنسانية الداعية إلى محبة الولد واحتضانه، ويخالف الأحكام الشرعية الآمرة بالعدل والمساواة، وهي تدخل ضمن المسؤولية الملقاة على الوالدين، التي يحاسبان عليها يوم القيامة؛ والعدل بينهم في احتضانهم والتعبير عن محبتهم والعطف عليهم والرفق بهم من المسؤولية.

وإظهار المحبة لولد دون آخر يُشعر الولد المحروم بالإقصاء وبمرارة الظلم والحرمان، ويُسيء في داخله الشعور بالغيرة والحقد نحو أخيه، كما يُسبب له الإحساس بالكراهية والبغض لوالديه، ويُكوِّن في داخله عقداً نفسية قد تُعرضه للانحراف، وقد يُولد في الطفل المفضل الشعور بالأناية والأحقية في الفوز برضا والديه وحبهما له دون إخوته؛ وإنَّ في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته لآية وعبرة حيث آل الأمر بهم لأن رموه في البئر ليتخلصوا منه ويستأثروا بحب أبيهم، حينما لاحظوا شدة عناية والدهم به وإبقائه إلى جانبه.

وقد كان السلف الصالح عليه السلام إذا قبَّل أحدهم واحداً من أولاده قبَّل الثاني من حرصهم على العدل والمساواة، ويكون العدل حتى في تبادل النظرات فإذا نظر لأحدهم نظرة إعجاب ورحمة يرمق الآخرين بنفس

⁽¹⁾: أحمد: المسند، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ح(24704)، 232/41. قال البوصيري: (رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بسند ضعيف لضعف علي بن زيد بن جُدعان)، يُنظر: إتخاف الخيرة المهرة..، ح(6796)، 253/7. قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف).

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

النظرة، إلا أن يكون أحدهم على خطأ فيعاقبه بالحرمان مدة معينة⁽¹⁾؛ والطفل لديه ذكاء عاطفي يلحظ به كل سلوك يصدر من والديه فإذا قبل الأب أو الأم أحد أبائهما تجد الآخر في حالة من التيه وقد ذبلت نظرتة وارتخت جوارحه وتعلق قلبه، ينتظر أن يُنادي عليه هو الآخر فيقبل ويُلاعب كما الأول.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»⁽²⁾. فالأمر كله منبعه الرحمة التي فطر الله ﷻ عليها قلوب الوالدين.

ونحن في زمن يتكلم فيه المربون وعلماء النفس عن عدد القبل اللازمة للطفل في اليوم الواحد حتى يأخذ حظه الكافي من العطف والحب، نجد الكثير من الأولياء لا يُلقي لهذا الأمر أهمية، ويشتاق أبنائه لجلسة ودّيّة معه يستشفون منها اهتمامه بهم وقربه منهم.

المبحث الثاني: اضطراب الحياة الأسرية ومدى تأثيره على مشاعر الطفل.

ونقصد بالاضطرابات الأسرية ما يقع فيها من خلافات بين الزوجين، وما يمكن أن تؤدي إليه من تصدع في الحياة الأسرية بالطلاق أو غيره، تؤثر تأثيراً سلبياً على استقرار نفسية الطفل، وتفصيله كالتالي:

المطلب الأول: الخلافات الزوجية وأثرها على مشاعر الطفل.

تعتبر الخلافات الزوجية من أكثر ما يُهدد أمن الطفل واستقراره النفسي، وهي تدفع به إلى الوقوع في مشكلات نفسية وسلوكية كبيرة؛ وتزداد خطورتها عليه إذا كانت:

- حول أساليب التربية والأهداف المراد تحقيقها، فخلاف الزوجين حول هذه النقطة المهمة وأمام الطفل من أكبر الأسباب التي تتركه مُحْتَارًا في السبيل الذي ينبغي أن يسلكه، وهذا ما يُورثه التوتر وكثرة الاضطراب السلوكي والقلق، فيرى وهو يأتي بما يُرضي والده تارة وبما يرضي والدته تارة أخرى.
- إذا كانت متكررة وتقع أمام الطفل، مع وجود الشتائم والتهديد بالانفصال من كلا الطرفين.

⁽¹⁾: يُنظر: عبد الله بن عبد الرحمن البسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، 542/1. محمد بن صالح بن محمد العثيمين: شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ، 537/6.

⁽²⁾: البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، ح(5997)، 7/8. مسلم: الصحيح، الفضائل، رحمته ﷺ الصبيان والعيال، ...، ح(2318)، 1808/4.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- إذا أدرك الأطفال عجز والديهم عن حل المشكلة والتعامل معها، خاصة إذا تبادر إلى أذهانهم أنهم العائق الذي يقف أمام فضّ النزاع الحاصل، فيتصور لهم أنهم المسؤولون عنه مما يُوقعهم في الحيرة والكآبة، ويُعطيهم مفهومًا سلبيًا عن ذواتهم في أنهم مشكلة في حدّ ذاتها، مما يُكون في داخلهم عقدة نفسية ويُهدد لظهور بعض أشكال السلوكيات غير السوية.⁽¹⁾

- إذا تمّ تشويه كل طرف لصورة الآخر عند الطفل بغرض كسب رضاه عنه وميله إلى جانبه، وهذا يُزعزع ثقة الطفل بوالديه ويجعل مشاعره نحوها أكثر اضطرابًا.

- والطفل يخاف من الإضرار بعلاقاته الخارجية- مع أصدقائه بالحي- فإنّه يكره أن يعلو صوت والديه أثناء الشجار حتى يُسمع في الخارج، وهذا يصيبه بالحياء والحجل ويدفعه لاستضعاف نفسه عند ملاقاتهم.

أثبتت العديد من الدراسات الميدانية التي أُجريت على عدد من العينات حول مدى تأثير الخلافات الزوجية على نفسية الأطفال وتأثير ذلك على سلوكياتهم⁽²⁾، وقد كشفت النتائج على الأثر العميق والسلبي الذي تحدثه الخلافات الزوجية على مشاعر الطفل واستقراره النفسي، بدأً من عدم شعوره بالأمان وزيادة حجم مخاوفه، إلى خسارته الشعور بالرعاية والحب والدفء العائلي.

وقد بينت إحدى الدراسات التي أُجريت سنة (1980م) على "420 فردًا" تراوحت أعمارهم بين 7 و19 سنة أنّ العنف الأسري ينتقل من جيل لآخر، وأنّ الآثار السلبية للعنف على الأبناء تستمر إلى ما بعد البلوغ.⁽³⁾

(... إنّ اتجاهات ومشاعر وأفكار كل طفل وسلوكه تعكس الجو العاطفي الذي يسود أسرته فإن أيّ اختلاف أو صدام يقع بين الأبوين يدركه الطفل ويشعر به حتى وإن وقع هذا الخلاف في غيبة الطفل).⁽⁴⁾

⁽¹⁾: يُنظر: هدى محمود الناشف: الأسرة وتربية الطفل، ص:24. كلثوم بلميهوب، وأخريات: أثر اضطراب العلاقة الزوجية على الصحة النفسية للأبناء، مجلة: شبكة العلوم النفسية العربية، ع: 21-22، شتاء وريبع 2009، ص: 08.

⁽²⁾: يُنظر: كلثوم بلميهوب، وأخريات: المرجع السابق. نويات قدور: العلاقة الزوجية المتكدرة وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، ع: 8، جوان 2012م، ص: 229

⁽³⁾: يُنظر: نويات قدور، المرجع السابق، ص:230.

⁽⁴⁾: إجلال إسماعيل حلمي: علم اجتماع الزواج والأسرة- رؤية نقدية للواقع والمستقبل-، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2013م، ص: 179.

ومما لا شك فيه أنّ تسيير الزوجين لشؤون الأسرة بعيداً عن الشجار والصراع، بكثير من الحكمة والتنازل والتشاور، مع محاولة إخفاء الخلافات بينهما عن الأطفال قدر الإمكان والإبقاء على رموز التفاهم والاتفاق ظاهرة على علاقتهما أمامهم؛ وفي هذا يقول ﷺ: ﴿وَاللَّيْ نَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاحِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء/ 34]. فالهجر المأمور به في الآية هو الهجر في المضجع فقط، لا خارجه، ولا بعد مغادرته؛ وكأنّ الله تعالى يأمر الزوجين بجعل الخلاف الحاصل بينهما حبيس غرفة النوم فقط.

وحدث مرّة أنّ نساء النبي ﷺ اشتكين من حُبّه ﷺ المُعلن لعائشة رضي الله عنها، فاستعنّ بابنته فاطمة رضي الله عنها حتى تنقل شكواهنّ إليه، فما كان منه ﷺ إلا أن أجابها بما يُرضيه ويُرضيها، وهو نموذج رائع في استعمال الحوار لحل المشكلة إذا وصلت إلى الأولاد؛ والقصة فيما روت عائشة، زوج النبي ﷺ، قالت: أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَّكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي فُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَيُّ بِنِيَّةٍ أَلَسْتَ تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَأَجِبِي هَذِهِ» قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرْتَهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَعْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَّكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي فُحَافَةَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا،...»⁽¹⁾.

ثم إن رسول الله ﷺ لم يعرف عنه أنّه رفع صوتاً في خلاف له مع إحدى نساءه أو امتدّ أبعد من حدّه، بل الثابت أنّه ﷺ كان يستعمل الحكمة والتريث وعدم التعصب، والشاهد على هذا الكلام في قصة حادثة الإفك، حيث انتظر رسول الله ﷺ نزول الوحي ليفصل الأمر، وكذلك عندما اعتزل بعض نساءه- وهي عائشة وحفصة رضي الله عنهما- فقد اختار ﷺ اعتزالهنّ وهجرهنّ كسبيل لتأديبهنّ ثم جاء الأمر بتخييرهنّ بين البقاء مع رسول الله ﷺ أو يُطلقهنّ؛ والشاهد أيضاً في قصة الحديث الذي حمل هذا الموضوع من رواية ابن عباس، قال: «كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَعْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، وَجَدْنَا قَوْمًا تَعْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، قَالَ: وَكَانَ مَنْرِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي، فَتَعَصَّبْتُ يَوْمًا عَلَى

(1): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة رضي الله عنهم، في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، ح(2442)، 1891/4.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَرْوَاحَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعُنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَاَنْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، وَخَسِرَ...»⁽¹⁾. فالشاهد في الحديث هو أنَّ رسول الله ﷺ كانت تُراجعه زوجاته وتهجره الواحد منهنَّ اليوم إلى الليل ولا يسمع بذلك أحد، ويبقى الخلاف حبيس صدور الزوجين فقط.

وهذه إحدى الوسائل والطرق التي يتم بها القضاء على نتائج الخلافات الزوجية التي تُلقى بحملها على الأطفال وتترك آثارها السلبية على نفسياتهم، حتى وإن كان موضوعها الطفل في حد ذاته؛ فإن احتاج الأمر إلى مشورته في المسألة وكانت له القدرة على إبداء رأيه فلا بأس من فتح النقاش معه بأسلوب لين، دون أن يشعر بوجود خلاف وشجار بينهما.

(وكلما عمل كل من الزوجين على الدخول في عالم الآخر، وتعلّمًا لإيجاد الحلول المناسبة للقضايا والمشكلات التي تصادفهما قلّت مرّات الخلاف وحدّتها، وإن كان الأمر لا ينحصر في طريقة الخلاف أو في عدد مرّاته، وإمّا الأهم هو حدّة هذا الخلاف أو ذلك، ومدى تأثيره على العلاقة الأساسية بين الزوجين، ومن ثمّ انعكاساته التربوية على الأبناء.)⁽²⁾

المطلب الثاني: فك الرابطة الزوجية، وأثره على مشاعر الطفل.

فك الرابطة الزوجية بـ(الطلاق - التطلق - الخلع)⁽³⁾ هو أحد النتائج الوخيمة التي تتصدع عن الخلاف الحادّ بين الزوجين، ورغم أن نتيجته قد تكون إيجابية على أحد الزوجين أو كلاهما، ولكنها سلبية تمامًا على الأطفال؛ وإن كان هناك من يرجح أفضلية الطلاق بالنسبة للأبناء وأنه خير من البقاء في جو مليء بالكراهية والشقاق ويكون سببًا في انحرافهم.⁽⁴⁾

ولكن نقول أنّ أكبر ما يقود إلى انحراف الطفل هو تشتت الأسرة وِفراق الوالدين، فيصبح بلا رقيب ولا حسيب.

(1): مسلم: الصحيح، الطلاق، في الإيلاء واعتزال النساء...، ح(1479)، 1111/2.

(2): عيسى الشماس: موسوعة التربية الأسرية، ص: 362. ينظر أيضًا: أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ص: 523.

(3): يأتي في هذا المطلب ذكر للطلاق دون غيره من الصور الأخرى لفك العصمة الزوجية لاعتباره الصورة الغالبة في المجتمع.

(4): يُنظر: سهيلة زين العابدين حمّاد: بناء الأسرة المسلمة، ص: 33.

ويبقى البحث عن مصلحة الطفل في ظل الخلافات الزوجية التي يمكن أن تنتهي بالطلاق هي أول ما يجب الاهتمام به، وأكثر ما ينبغي التفكير فيه فإن مصير الطفل بعده قد يصبح مجهولاً أو تُراوده الكثير من الاضطرابات، وقد روي عن القاسم بن محمد، قال: كَانَتْ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَلَدَتْ لَهُ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ، ثُمَّ إِنَّهُ فَارَقَهَا، فَجَاءَ عُمَرُ قُبَاءً، فَوَجَدَ ابْنَهُ عَاصِمًا يَلْعَبُ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بَعْضِدِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الدَّابَّةِ، فَأَذْرَكَتُهُ جَدَّةُ الْغُلَامِ، فَنَارَعَتْهُ إِيَّاهُ، حَتَّى أَتَيْتِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ فَقَالَ عُمَرُ: ابْنِي، وَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: ابْنِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. قَالَ: فَمَا رَاجَعَهُ عُمَرُ الْكَلَامَ. (1)

فحكّم به لجدته لأمه كما يقتضيه ترتيب الحاضنين في الشريعة الإسلامية والذي بُني على أساس عاطفي، فمن كان أكثر عطفًا وحنوًا على الطفل كان له السبق في حضانتها، وفي هذا نجد اهتمام الشريعة الإسلامية وعنايتها بحال الطفل ومشاعره بعد الطلاق.

ومثله ما كان في زمن رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمرو، أنّ امرأة قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ، وَتُدْبِي لَهُ سِقَاءً، وَحَجْرِي لَهُ حِوَاءٌ، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي» (2).

يُعتبر سوء اختيار الشريك في مرحلة بناء الأسرة أحد أهم الأسباب المؤدية للطلاق كما أوضحت ذلك العديد من الدراسات الميدانية (3)، وهذا يعيدنا إلى الكلام عن أهمية هذه الخطوة للحصول على الأمن العاطفي الأسري؛ كما بينت دراسة أخرى أنّ أول انفصال يقع بين الزوجين هو الانفصال الفكري (4)، فإنّ انعدام الحوار داخل الأسرة أو شبه انعدامه - وأقصد الحوار الجاد والموضوعي - يُعدُّ السبب الأكثر بروزًا وحضورًا في أغلب المشكلات الأسرية.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 87.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 85.

(3): يُنظر: فاكّر محمد الغرايه - حمود سالم عليّات: التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال - دراسة على عينة من الأطفال في دار الضيافة في اتحاد المرأة الأردنية -، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، رجب 1433هـ - 2012م، مج: 09، ع: 02، ص: 99.

(4): يُنظر: شريفة جنان - سميرة علايقة: واقع الطلاق وأثره في ظهور الجنوح لدى المراهق في المجتمع الجزائري، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة المسيلة، مارس 2017، ع: 04، ص: 102.

ويترتب على الطلاق الكثير من التأثيرات النفسية والعاطفية وحتى الفكرية والاجتماعية، وقد ثبت أنَّ الأطفال الذين ينتمون لأسر مُفكَّكة أكثر عرضة من غيرهم للمعاناة والأمراض النفسية وحمل المشاعر السلبية في داخلهم، ثم إنَّ الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع لم تحدد أي نوع من المشاعر السلبية يمكن أن تصيب الطفل بعد فراق والديه، لأنَّ كل شيء محتمل..⁽¹⁾؛ وأكثر ما تم رصده وتحديدته، هو:

- الطلاق يضع الطفل في جو مليء بمشاعر القلق والتوتر والحزن، والذي يعبر عنه بكثرة البكاء والعزوف عن الطعام، ثم الدخول في حالة اكتئاب حيث يختار العزلة والانطواء والبعد عن التفاعل الاجتماعي نتيجة الإحساس بالوحدة والضعف والهوان.

وقد يظهر عليه سلوك مناقض لذلك، فيلاحظ عليه الزيادة في نشاطه الحركي مع مؤشرات السلوك العدواني والعنف، مع نوبات الغضب غير المبررة، واللامبالاة بأوامر الآخرين خاصةً والديه اللذين صارًا مذنبين في حقه، فتهتئز ثقته بهما ويشعر بالغضب والكراهية والحقد نحوهما.

- ويفقد الطفل حنان أمه وعطفها إذا بقي مع والده، ويفقد رعايته إذا ذهب مع أمه، وأكثر ما يعاني منه في هذه المرحلة هو تشتت مشاعره بين الولاء لأمه أو أبيه لإرضائهما.

- قد تصبح أسرته المحطمة مرآته نحو المجتمع، فيأخذ انطباعًا سيئًا عن الأسرة بشكل عام، وقد يتولد فيه الخوف من فكرة الزواج مستقبلاً.

- ضعف الانتباه والتركيز نتيجة كثرة الشرود، وبالتالي تراجع تحصيله الدراسي مما يزيد حالته النفسية سوءًا.

- الطلاق يجعل الطفل بعيد عن التمسك بالقيم الإيجابية كالصدق والتعاون وحب الخير للغير... وقريب من الصفات القبيحة كالأنانية والتشاؤم والسلبية؛ والأمر الذي يزيد من سوء حاله في ظل غياب المرابي الناصح والمراقبة والمتابعة الدائمة هو اختلاطه برفاق السوء ليكونوا بؤابته نحو الانحراف⁽²⁾.

وبالنظر لكل هذه النتائج السلبية للطلاق، يبقى أن نقول:

(1): فاكر محمد الغرايبة- حمود سالم عليومات: التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال، ص: 100.

(2): يُنظر: المرجع نفسه، ص: 102، 108. بن عمارة محمد- موساوي سمية: أثر ظاهر الطلاق على جنوح الأحداث، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، مارس 2017، ع: 04، ص: 277. أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 217. حاتم آدم: الصحة النفسية للطفل، ص: 242.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

رغم أنّ الطلاق هو حل شرعي لأزمة الخلافات الزوجية الحادّة، يجدر بالوالدين عندما يتخذان القرار أن لا يغيب عن فكرهما ما يمكن أن يتعرض له أطفالهما من حالات نفسية صعبة ومعاناة، وتشتت بين بيوت الأعمام والأخوال أو ضياع وتشرد في الطرقات؛ ولذلك يكون من الأفضل أن يفتح الأب لنفسه أسرة ثانية ينعم فيها بالراحة والسكينة، ويُقي على أسرته الأولى في عصمته وتحت رعايته فيكون قريباً من أولاده يجالسهم ويُفس عنهم ويتابع أحداثهم.

ومن الإجراءات الوقائية الواجب اتخاذها لتفادي ظاهرة الطلاق التي استفحل خطرهما على الأسر خاصّة في السنوات الأخيرة، ضرورة توعية الشباب المقبلين على الزواج بأهمية وقداسة هذه العلاقة التي سماها الله ﷻ في القرآن الكريم "بالميثاق العليظ"، وتعليمهم مختلف المهارات والمعارف التي تساعدهم على تخطي المشكلات دون الوصول إلى حدّ الانفصال؛ ويتم هذا إمّا من خلال الدورات التدريبية والملتقيات، أو إدراج مادة خاصة بالإرشاد الأسري تفرض على مختلف التخصصات في المرحلة الجامعية.

المطلب الثالث: عمل المرأة خارج البيت وانعكاساته على مشاعر الطفل.

يُعتبر وجود الأم داخل البيت ركيزة أساسية في استقرار الأسرة وشعور أفرادها بالأمان والراحة والسعادة، وإنّ غيابها يُسبب حالة من الكآبة والضيق في نفوسهم، فالأم بمثابة المصباح الذي يضيء زوايا البيت ومنع البهجة والطمأنينة في قلوبهم.

إلا أنّ الحاجة لقضاء الكثير من الأعمال تُلزم الأم على مغادرة البيت مدة زمنية تختلف باختلاف مقصدها، ومهما كانت مدة غيابها فإنّ لها تأثيرها على شعور الطفل تدفعه للإحساس بالضيق والحزن والملل، كما يشعر أنّ غيابها طويل جدّاً حتى وإن كانت مدته قصيرة من شدّة ارتباطه العاطفي بها.

وتخرج المرأة من بيتها لأسباب عديدة، منها: العلاج، زيارة الأقارب، التسوق، التّعلم، العمل...، وإنّ أكثر الأسباب التي تأخذ من المرأة وقتاً أطول قد تستغرق يوماً كاملاً، وتكون متكررة يومياً تقريباً هو خروجها للعمل في الوظائف الحكومية وغير الحكومية⁽¹⁾.

وفي عصرنا الحالي أصبح خروج المرأة للعمل ظاهرة عمّت الدول الإسلامية، وغدت الحاجة إليه ملحة في ظل الظروف المعيشية والمتغيرات الاجتماعية؛ وربما انتقل الأمر إلى أن أصبح عند الكثيرات مجرد هواية

(1): يُنظر في الموضوع: نور الدين عتر: عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع، ط1، دار البحوث للدراسات، دبي،

تُكتسب أو مكان للترويح عن النفس، وقد تتخذها البعض منهن ذريعة للخروج من المنزل والهروب من مسؤوليتها، وكله من باب التقليد والمحاكاة للآخرين لا لأجل الحاجة أو الضرورة.

والطفل مهما كان سنُّه لا يُدرك من الأمر شيئاً غير أن أمه ليست في البيت، فبالنسبة إليه هو خاوي على عروشه، وهذا يعني المزيد من مشاعر الوحشة والضجر والضييق والملل؛ ويتكرر هذا الشعور كلما تكرر الغياب، وتكراره لا يعني انتفائه، أي لا يمكن للطفل أن يتعوّد على الوضع مهما كبر وازداد إدراكه للواقع.

وتلجأ الأمهات العاملات إلى الحصول على بديلة للأم أثناء غيابها عن البيت فقد تستدعي إحدى القربيات أو تتركهم في رعاية الخادمة، وربما تأخذهم إلى دور الحضانة ورياض الأطفال، أو تخرج بهم إلى بيت الجيران أو بيت الجد مثلاً؛ وكل هذا ينعكس على استقرار الطفل وشعوره بالراحة والأمان، كما يولد فيه الخوف من المجهول وهو المكان الذي سيتوجه إليه، وقد يستقر فيه هذا الخوف إلى ما بعد الرشد.

إنّ تأثر الطفل بغياب أمه عن البيت لم يبق محصوراً في الجانب النفسي والشعوري فحسب بل تعدى إلى تحصيله العلمي، حيث أظهرت إحدى الدراسات العلمية أن أطفال النساء العاملات في دوام كامل يعانون من ضعف التحصيل الدراسي⁽¹⁾.

فالمرأة في طبيعة تكوينها العاطفي سريعة التأثر والانفعال بالأحداث المحيطة بها، وفي كثير من المرات تعود إلى البيت وقد حملت معها همّ المشاكل التي وجدتها في عملها، وقد أخذت فكرها ووجدانها؛ وهذا يؤثر بشكل مباشرة على تعاملها الطيب مع أولادها، ويؤهن فطرتها التي تقضي بإظهار المودة والمحبة لهم؛ فيرى عليها القلق والتوتر وسرعة الهيجان، وعدم رغبتها في الحديث - في غالب الأحيان -، كما يرى عليها الإعياء التام الذي يمنعها من القيام بوظائفها داخل المنزل، والأهم من هذا هو ضعف استعدادها على مساعدة أبنائها في مراجعة دروسهم، وإنصاتها لأخبارهم اليومية والتعليق عليها بشيء من التوجيه والتعليم الذي يقيهم الوقوع في الشرور، ويرفع من معنوياتهم النفسية ويكسبهم الشعور بالقوة والتفاؤل، وغير ذلك.

ولا يمكن إنكار حقيقة قطعية، هي أن الأم التي تُربي عددًا من الأطفال لا يمكنها تحقيق التوازن المنشودة دون وجود أيّ خلل أو نقص بين وظيفتها خارج البيت وعملها داخله، كقيامها على شؤون زوجها وتربية أطفالها مع ما يحتاجه البيت من أشغال كثيرة، وإنّ أسوأها جميعاً تقصيرها الفاحش في حق

(1): يُنظر: بن زيان مليكة: عمل الزوجة وانعكاساته على العلاقات الأسرية - دراسة ميدانية بجامعة منتوري قسنطينة - مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس - تخصص علوم التربية -، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004م، ص: 80.

زوجها وإهمالها لحقوق أبنائها ومتابعة شؤونهم؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (1).

وفي هذا الشأن يقول محمد سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - (... إنَّ نهوض الزوجة الأم بمسؤولية رعاية زوجها وتربية أولادها والعمل على تنشئتهم النشأة الصالحة، يرقى إلى مستوى الضروريات من مصالح المجتمع، ذلك لأنَّ صلاح الأسرة هو الأساس الأول لصلاح المجتمع... فإذا لم تتمكن الزوجة من الجمع بين النهوض بمهام الأسرة، والأنشطة الثقافية والاجتماعية الأخرى، فإنَّ عليها - فيما يقضي به إتياع سلم الأولويات - أن توفر وقتها للنهوض بالضروري الذي هو السهر على رعاية الأسرة... (2).

ويُكْمَلُ قائلاً: (...عندما تجد الزوجة نفسها مندفعة إلى الوظيفة أو العمل، مجرد طمع في وجهة اجتماعية، أو مجرد رغبة في التمتع بمزيد من المال..إنها في هذه الحالة تغامر بدون شك بحياتها الزوجية أو بالسعادة التي ينبغي أن تشيع بينها وبين زوجها، كما تغامر بما قد يكون أهم من ذلك، ألا وهو رعاية الأولاد والتفرغ لحسن تربيتهم، في سبيل هوى من الأهواء العابرة، وابتغاء متعة سرعان ما تتحول إلى أعباء ثقيلة.) (3).

فالمسألة منوطة بترتيب الأولويات بين الواجب والمباح، وحيث أنَّ المرأة بعد أن تتزوج خاصَّة بعد أن تنجب الأطفال يصبح من أولوياتها القيام بواجبها في رعاية أسرتها وتربية أولادها، فلا يمكنها تركه لأجل مباح قد تكون هي وأسرته جميعاً في غنى عنه.

أمَّا إذا كانت المرأة في حاجة للعمل لإعانة زوجها مادياً، خاصَّة إذا كان فاقداً للعمل كما هو حاصل في كثير من الأسر اليوم، أو لرفع بعض العُبن والخرج عن أسرتها وتلبية بعض حاجات أولادها التي يعجز الزوج بمستطاعه المادي أن يُلبِّيها - وما أكثرها في هذا الوقت -، أو ربما خرجت لحاجة المجتمع المسلم إليها فيما تحمله من شهادة علمية، أو تُتقنه من صنعة ونحو ذلك؛ فيكون لها (انطلاقاً من ظرف خاص أو تلبية

(1): سبق تخريجه، ينظر: ص: 186.

(2): محمد سعيد رمضان البوطي: المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، ط14، دار الفكر، دمشق، 1435هـ -

2014م، ص: 64.

(3): المرجع نفسه.

لمصلحة عامة أن تخرج لممارسة بعض الوظائف التي تمكنها أو تمكن المجتمع من التغلب على مثل هذه الطوارئ، على أن تعود لواجباتها الأساسية بمجرد انجلاء هذا الظرف الخاص أو الضرورة الاجتماعية⁽¹⁾. وقد كانت الصحابييات في زمن رسول الله ﷺ يقمن بأعمال كثيرة خارج بيوتهن ينتفعن بها وينفعن، ومن ذلك: نظافة المسجد⁽²⁾، التمريض ومداواة الجرحى في المعارك⁽³⁾، خروج المرأة لمساعدة زوجها في خدمة أرضه⁽⁴⁾، توليد النساء؛ فكل هذه الأعمال وغيرها كانت بخروج المرأة الأم من بيتها وزهاها إلى مكان عملها، ولكن لم يحدث أن روي عن واحدة من النساء تفریطها في حق أسرتها لأجل هذه المهنة⁽⁵⁾. ورغم أن خروج المرأة زمن النبي ﷺ لعمل معينة كان محدودًا ولم يأخذ صفة الدوام اليومي الذي لا تنفك عنه إلى حين وصولها سنّ التقاعد القانوني، وهو بهذا يستنزف منها أجود سنوات عمرها وأكثرها عطاءً؛ إلا أن هذه النماذج من الصحابييات أعطين القدوة في حسن توفيق المرأة بين نشاطها داخل البيت وخارجه.

(1): عز الدين عبد الدائم: حكم النفقة الشرعية للزوجة العاملة (أصله رسالة ماجستير)، ط1، دار كردادة، بوسعادة- الجزائر، 2011م، ص: 95.

(2): وهي أم محجن رضي الله عنها كانت مولعة بالتقاط القذى من المسجد، عن أبي هريرة: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَغْتُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ ذُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ - أَوْ قَالَ قَبْرِهَا - فَأَتَيْتُ قَبْرَهَا فَصَلَّيْتُ عَلَيْهَا»؛ رواه: البخاري: الصحيح، الصلاة، كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى، ح(458)، 99/1.

(3): عن الرُّبَيْع بنت مُعَوَّذ، قالت: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الْجُرْحَى، وَنُرْدُ الْفُتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ»، رواه: البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، مداواة النساء الجرحى في الغزو، ح(2882)، 34/4. مسلم: الصحيح، الجهاد والسير، غزو النساء مع الرجال، ح(1810)، 1443/3.

(4): عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرِ نَاضِحٍ وَغَيْرِ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِجُ عَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِرُ، وَكَانَ يَخْبِرُ جَارَاتِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنْتُ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مَعِي عَلَى ثَلَاثِي فَرَسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَقْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرَّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَعْيَرَ النَّاسَ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقَيْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَقْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاحَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمَلُكَ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَمَّا أَغْتَنِّي. رواه: البخاري: الصحيح، النكاح، الغيرة، ح(5224)، 35/7. مسلم: صحيح، السلام، جواز إرداف المرأة الأجنبية، ح(2182)، 1716/4.

(5): ينظر: عز الدين عبد الدائم: المرجع السابق، ص: 81.

وختماً: فإنّ الأمر يعود لمدى قدرة الأم على تحقيق التوازن بين عملها داخل البيت وعملها خارجه ولو بقدر كافي ومُرضي للجميع، وهي مسألة تتباين فيها قدرات النساء ومهارتهن في تسيير الأمور على وجه حسن، وأيضاً تعود إلى قوة حسها الوجداني وارتباطها العاطفي بأسرتها، فتكون أكثر وفاءً لأسرتها كلما كانت أكثر عاطفية وإحساساً بمشاعرهم وانتباها لحاجاتهم.

المطلب الرابع: دور الحوار الأسري مع الطفل في تنمية مشاعره الايجابية وتكوين شخصيته.

يأتي الحوار في اللغة بمعنى: (المُحَاوَرَةُ: المُجَاوَبَةُ. والتَّحَاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وتقول: كَلَّمْتَهُ فما أْحَارَ إِلَيَّ جواباً وما رَجَعَ إِلَيَّ خَوِيْرًا ولا خَوِيْرَةً ولا مَحْوَرَةً ولا جَوَارًا.. أي ما ردَّ جوابًا. واستَحَارُهُ أي استَنْطَقَهُ ... وهم يَتَحَاوَرُونَ أي يَتَرَاوَعُونَ الكلام. والمُحَاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ المنطق والكلام في المُخَاطَبَةِ...⁽¹⁾)

وفي الاصطلاح هو: تجاذب أطراف الحديث في موضوع ما، بغية الوصول إلى فكرة صحيحة يحصل الاتفاق بين جميع الأطراف، مع مراعاة آداب الحوار.

وعرّفهُ عبد الرحمن النحلاوي بقوله: (الحوار: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة).⁽²⁾ والحوار بهذا المعنى يصلح أن يتم مع جميع الشرائح الاجتماعية: بين الزوج وزوجته، والأب وابنه، والأخ وأخيه، والجد مع حفيده وهكذا، إذ لا يقتصر على المثقفين والمتعلمين كما قد يتصور البعض.

وقد وُجد أنّ انعدام الحوار بين الزوجين أو قلته كان سبباً بارزاً في تفكك الكثير من الأسر، وفي كثير من المرات يتحول إلى جدال عقيم ينتهي بالصراخ والشجار والخصومة، مما يزيد الأمر سوءاً؛ وليس فقط مع الأسرة بل إنّ الحوار الهادف والبناء دعامة أساسية لاستمرار كل العلاقات الاجتماعية ونجاحها، ومن دونه تنهار وتفكك؛ ومن أهم هذه العلاقات علاقة الطفل بوالديه.

وقد اهتم النبي ﷺ بإشراك الطفل في الحوارات الأسرية والاجتماعية؛ وأخذ رأيه ومشورته، والسماح له بالحضور في المجالس للسمع والتعلم، تأكيداً منه ﷺ على أهمية الحوار في تعزيز مشاعر الطفل وتقوية شخصيته، ومن الشواهد على ذلك:

⁽¹⁾: ابن منظور: لسان العرب، 4/218.

⁽²⁾: عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها- في البيت والمدرسة والمجتمع-، ط1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ-2007م، ص: 185.

- استئذان رسول الله ﷺ لـغلام كان جالسًا على يمينه حتى يسقيا الأشياخ عن يساره: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِشِرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟»، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُؤْتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ⁽¹⁾ وفي هذا تحقيق لسنته رضي الله عنه في التيامن، وإكبارًا بالـغلام في المجلس الذي يعُمه الأشياخ، ومراعاةً لمشاعره حيث أنه ظفر بالجلوس على يمين رسول الله ﷺ حتى ينال من بركة مجلسه وفضله وليس من العدل والبر أن يتم تحاشيه بعد ذلك والالتفات إلى الكبير سنًا وقدرًا.

- السماح للطفل بالمشاركة في الحوارات الجماعية والنشاطات الثقافية: عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْفُطُ وَرَفْهًا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا»⁽²⁾.

- مشورة الطفل في أمر رعايته وحضانتها: وهو من أهم القضايا الأسرية وأكثر المسائل أهمية عند الطفل ووالديه معًا؛ وجاء هذا في حديث طويل عن أسامة بن زيد، قال: ...فَقَدِمَ حَارِثَةُ بِنْتُ شَرَّاحِيلَ إِلَى مَكَّةَ فِي إِخْوَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي فَنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى زَيْدٍ عَرَفُوهُ وَعَرَفَهُمْ وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِمْ إِجْلَالًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ: يَا زَيْدُ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا زَيْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، وَهَذَا أَخِي، وَهَؤُلَاءِ عَشِيرَتِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قُمْ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ يَا زَيْدُ» فَقَامَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا لَهُ: امْضِ مَعَنَا يَا زَيْدُ، فَقَالَ: مَا أُرِيدُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدَلًا وَلَا غَيْرِهِ أَحَدًا، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا مُعْطُوكَ هَذَا الْغُلَامَ دِيَاتٍ، فَسَمَّ مَا شِئْتَ فَإِنَّا حَامِلُوهُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي خَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَرْسَلُهُ مَعَكُمْ» فَتَابُوا وَتَلَكَثُوا وَتَلَجَلَجُوا، فَقَالُوا: تَقْبَلُ مِنَّا مَا عَرَضْنَا عَلَيْكَ مِنَ الدَّنَائِيرِ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَا هُنَا خَصْلَةٌ غَيْرُ هَذِهِ قَدْ جَعَلْتُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، فَإِنْ شَاءَ فَلْيَقُمْ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَدْخُلْ» قَالُوا: مَا بَقِيَ شَيْءٌ؟ قَالُوا: يَا زَيْدُ، قَدْ أَذِنَ لَكَ

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 156.

(2): البخاري: الصحيح، العلم، الحياء في العلم، ح(131)، 38/1. مسلم: الصحيح، صفة القيامة والجنة والنار، مثل المؤمن مثل النخلة، ح(2811)، 2164/4.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

الآن مُحَمَّدٌ فَانْطَلِقْ مَعَنَا، قَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا أُرِيدُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدَلًا وَلَا أُؤْتِرُ عَلَيْهِ وَالِدًا وَلَا وَلَدًا، فَأَدَارُوهُ وَالْأَصْوَهُ وَاسْتَعَطْفُوهُ وَأَخْبَرُوهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مِنْ وَجْدِهِمْ، فَأَبَى وَحَلَفَ أَنْ لَا يَلْحَقَهُمْ، قَالَ حَارِثَةُ: أَمَا أَنَا فَأُوَاسِيكَ بِنَفْسِي أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَبَى الْبَاقُونَ. (1) وهاهنا شاهد على الأمر عندما قال له رسول الله ﷺ: " قَدْ جَعَلْتُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ "، فيه إشراك الطفل في حل ما تعلق به من مشكلات، وفيه أيضًا تدعيم لشخصيته وتقوية لإرادته، وفرصة للتعبير عن مشاعره ورغباته.

- وقد أسلم من أسلم في بداية الدعوة المحمدية بالحوار والحجة والبيان والإقناع الفكري، منهم الرجل والمرأة والكبير والصغير، فإذا كان رسول الله ﷺ قد اعتمد أسلوب الحوار في أعظم مهمة في حياة الإنسان وهي مسألة الدين والدعوة إلى الله ﷻ، فكيف لا تكون في ما دونها من أمور ومسائل كقضايا الأسرة والطفل. وقد وُجد للحوار الأسري مع الطفل إيجابيات كثيرة، تعود عليه صحته النفسية والشعورية، وحيويته ونشاطه واستعداداته بكثير من الخير والنفعة، ومنها:

- 1- يعتمد الحوار الخطابي العاطفي على إثارة عواطف إنسانية أو انفعالات وجدانية، تترك أثرًا فعالاً في نفسية الطفل تدفعه للانقياد مع السلوك الطيب والفكر النافع.
- 2- الحوار طريقة جيدة وفعالة للوصول إلى أفكار الطفل ومشاعره، وفهم سلوكه.
- 3- عند محاورة الطفل في أمر ما سواء كان خاصًا به أو بأخذ قرار ما داخل الأسرة فإنه يشعر بأهميته ومكانته فيها، كما يشعره بالاحترام والتقدير.
- 4- تعزيز قدرات الطفل على حل المشكلات الصغيرة والكبيرة، وتعليمه منهجية صحيحة في التفكير.
- 5- يعتبر الحوار وسيلة وقائية وعلاجية للمشكلات السلوكية التي تنجم عن بعض المشاعر السلبية عند الأطفال كحالات الغضب التي تُولد فيه العناد والعدوان، والصدمات النفسية التي تُسبب الاكتئاب والحزن والإحباط والانطواء ونحوها.
- 6- في حين أنه يعزز المشاعر الإيجابية كالشعور بالأمن داخل الأسرة، والإحساس بالانتماء الكلي لها.

(1): الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة، ذکر مناقب زيد الحَب بن حارثة بن شراحيل، ح(4946)، 235/3. (لم يذكر تعليقًا على الحديث).

7- الحوار الأسري يُوفر للطفل الأمن الفكري، حيث يُصحح الوالدين عن طريق الحوار كل الأفكار الخاطئة التي يتلقفها من المحيط الخارجي، ويحميه من الوقوع في الانحراف الفكري.⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس فإنَّ ترحيب الوالدين بالحوار مع الطفل في أيِّ موضوع يحتاج لفهمه، أو يتطلَّب وجوده ومشاركته فيه، من الضرورة بمكان لبناء شخصيته على نحو صحيح، وهذا يُلغي النمط السائد في التعامل مع الطفل، والقائم على نظام الأمر والنهي وأخذ القرارات نيابة عنه، وهو ما يُحمّله القيام بما لا رغبة له فيه، فينعكس سلباً على مشاعره، وبناء شخصيته، وتغيير سلوكه مع والديه والمجتمع مستقبلاً.

عبد القادر للعوم الإسلامية

⁽¹⁾: يُنظر: عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص: 185. صالح عبد الكريم: فن تربية الأبناء كيف نربي أبنائنا تربية نفسية سليمة؟، الراية- مكتبة عراس، مصر، 2011م، ص: 113

المبحث الثالث: اهتمام السنة النبوية بمشاعر البنت.

وردت الكثير من النصوص الشرعية التي تدعو إلى إكرام المرأة والإحسان إليها- صغيرة أو كبيرة- حتى تحضاً بالإنصاف وتستردّ مكانتها التي تستحق في الأسرة والمجتمع؛ ولأنّ المرأة عامّة والطفلة خاصّة تحتاج إلى قدر كبير من الرعاية العاطفية، ومراعاة ضعفها الذي قدّر لها؛ لذلك وُجدت الكثير من الأحاديث النبوية التي تحثُّ على الاهتمام بهذا الجانب من البنات ورعايته.

المطلب الأول: حثُّ السنة على العناية بالبنات وإكرامها والإحسان إليها.

أولت السنة النبوية مشاعر البنت أهمية كبرى، وأشارت في غير ما حديث إلى ضرورة العناية بها واستثمارها بشكل حسن، لتُسهّم في تكوين فتاة صالحة وأماً ناجحة، يكون لها دور فعال في تربية أبنائها. ومن الأحاديث التي دعت إلى العناية بالبنات والاهتمام بمشاعرها، أذكر:

- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال ثلاث بناتٍ، فأدبهن، وزوّجهن، وأحسن إليهن، فله الجنة»⁽¹⁾؛ وهذا الحديث فيه حثُّ على إعالة البنات والقيام بشؤونهنّ والإحسان إليهنّ، دون الضجر والملل منهنّ، فإنّ ذلك ستر له عن النار، وكفى بها مزية للبنات؛ و... هذا أشرف الأنبياء محمد ﷺ له أربع بنات وله ثلاثة أولاد والذين بلغوا منهم الحلم هم البنات وأما الأولاد البنون فماتوا صغار... وأما البنات الأربع فثلاث منهنّ متن في حياته ﷺ وهنّ زينب ورقية وأم كلثوم والرابعة فاطمة ماتت بعده بأشهر، فالحاصل أنّ البنات إذا منّ الله على الإنسان بهنّ وكفلهنّ وأحسن إليهنّ كنّ له حجاباً من النار⁽²⁾.

- ويشهد لهذا الحديث حديث آخر عن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلْنِي، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَحَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»⁽³⁾.

(1): أبو داود: السنن، أول كتاب الأدب، في فضل من عال يتيماً، ح(5147)، 459/7. الترمذي: السنن، البر والصلة، ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، ح(1912)، 318/4. وقال: (وقد زادوا في هذا الإسناد رجلاً). أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، ح(11924)، 413/18. قال زين الدين العراقي: (رجاله ثقات وفي سنده اختلاف)، يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ح(06)، 468/1. قال الألباني: (ضعيف)، ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(5147)، 2/1. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حديث صحيح لغيره).

(2): محمد بن صالح العثيمين: شرح رياض الصالحين، 554/6.

(3): سبق تخريجه، ينظر: ص: 98.

وقوله ﷺ: "فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ" فيه معاني عديدة، لخصها صاحب طرح الشريب في قوله: (المراد بالإحسان إليهنَّ صيانتهم، والقيام بما يصلحهنَّ من نفقة وكسوة وغيرها، والنظر في أصلح الأحوال لهنَّ، وتعليمهنَّ ما يجب تعليمه، وتأديبهنَّ وزجرهنَّ عمَّا لا يليق بهنَّ فكل ذلك من الإحسان، وإن كان بنهرٍ أو ضربٍ عند الاحتياج لذلك) (1).

- وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»، وَصَمَّ أَصَابِعُهُ (2).

كما دلَّت السنة العملية على عناية الرسول ﷺ بحاجات البنت المادية والمعنوية، ومن ذلك:

1- من عنايته ﷺ بحاجات البنت المادية: ما زوي عن أنس بن مالك قال: أَهْدَى الْأَكْبَدِرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَرَّةً مِنْ مَنٍّ، فَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ، مَرَّ عَلَى الْقَوْمِ فَجَعَلَ يُعْطِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِطْعَةً، فَأَعْطَى جَابِرًا قِطْعَةً، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهِ فَأَعْطَاهُ قِطْعَةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَنِي مَرَّةً، قَالَ: «هَذَا لِبَنَاتِ عَبْدِ اللَّهِ» (3). والشاهد هنا هو أن النبي ﷺ تذكَّر بنات عبد الله المتوفى، وأخوهم جابر رضي الله عنه هو القيم عليهنَّ، ورسول الله ﷺ يعلم أن لديهنَّ حاجات ربما يعجز أخوهم أن يلبِّيها، فكانت من رسول الله ﷺ هذه اللَّفْتَةُ الطَّيِّبَةُ التي تدل على تذكُّره ﷺ لبنات عبد الله وتتبعه لالحسن، وهذا يُعَوِّضُ عليهنَّ فقدهنَّ لوالدهنَّ، ويُعَزِّزُ شعورهنَّ بالأمان والرعاية، ويُدْخِلُ عليهنَّ السرور والبهجة خاصَّةً أنهما من رسول الله ﷺ.

ومثله ما روته أم خالد بنت خالد، قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا حَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: «اِثْنُونِي بِأُمَّ خَالِدٍ» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلٌ، فَأَخَذَ الْحَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي»، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَحْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاءٌ»، وَسَنَاءٌ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ. (4) فله درُّ رسول الله ﷺ كيف تذكَّر الطفلة أم خالد ليُنَادِي بها ويعطيها الثوب.

(1): زين الدين العراقي: طرح الشريب في شرح التقريب، 67/7.

(2): مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، فضل الإحسان إلى البنات، ح(2631)، 2027/4.

(3): أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح(12224)، 255/19. قال الهيثمي: (فيه علي بن زيد، وهو ضعيف، وقد وثق)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(6756)، 153/4. وقال البوصيري: (هذا إسناد ضعيف، لضعف علي بن زيد بن جدعان)، يُنظر: إتحاف الخيرة المهرة، ح(2975)، 399/3. قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في تحقيقه على مسند أحمد: (حديث صحيح).

(4): البخاري: الصحيح، اللباس، الحميصة السوداء، ح(5823)، 148/7.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

ومثل ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَلِيَّةً مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مُعْرَضًا عَنْهُ - أَوْ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ - ثُمَّ دَعَا أَمَامَةَ ابْنَةَ أَبِي الْعَاصِ، ابْنَةَ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ، فَقَالَ: «تَحَلِّي بِهَذَا يَا بِنْتِي» (1).

2- أما عنايته ﷺ بحاجات البنت المعنوية: كالعواطف والمشاعر فالأحاديث الدالة عليها كثيرة، وسأذكر هاهنا مثلاً واحداً لأترك الباقي لما يأتي من فقرات في هذا المبحث.

روت عائشة رضي الله عنها، قالت: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ»، فَأَقْدَرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ، الْحَرِيصَةَ عَلَى اللَّهِو. (2)

فأشارت السيدة عائشة إلى حداثة سنّها وحرصها على اللعب واللهو، وأنّ رسول الله ﷺ راعا فيها هذه الرغبة ولم يُهمّلها، فكان منه ﷺ أن ساهم في حصول رغبتها والتفرّج على لعب الحبشة، كما سخر نفسه الكريمة ﷺ جداراً يسترها حتى تسأم.

المطلب الثاني: عاطفة المرأة ومدى تأثيرها في الحكم والاختيار.

عُرِفَت النساء منذ زمن بعيد بأنهنّ عاطفيات أكثر من الرجال، وأنهنّ ذوات مشاعر مرهفة حساسة. يَغْلِبُ عليهنّ التفكير العاطفي عند الحكم على الأحداث والاختيارات، أما نظيرهنّ الرجل فإنه يُفكر بعقله أكثر من قلبه، لذلك تكون قراراته أكثر حكمة وقوة.

فهل يعود هذا الأمر إلى التركيبية البيولوجية التي خُلِقَ عليها كل واحد منهما؛ أم أنّ للفطرة الإنسانية دخل في الأمر؛ أم يعود إلى عامل آخر؟.

ومن الأدلة التي تثبت رجحان عقل الرجال على النساء في الغالب، ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أنّ

(1): أبو داود: السنن، الخاتم، ما جاء في الذهب للنساء، ح(4235)، 4/92. ابن ماجه: السنن، اللباس، النهي عن خاتم الذهب، ح(3644)، 2/1202. أحمد: المسند، الملحق المستدرک من مسند الأنصار، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ح(24880)، 41/373. ابن أبي شيبة: المصنف، اللباس والزينة، من كره خاتم الذهب، ح(25140)، 5/194. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(4235)، 1/2. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده حسن).

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 123.

المرأة لا يمكنها تولي الإمارة والقضاء وأنها من اختصاص الرجال⁽¹⁾، حيث أنّ التدبير في مثل هذه المناصب يحتاج إلى كمال الرأي الذي تعدمه النساء؛ ودليله ما روي عن أبي بكره، قال: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الْجَمَلِ، لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فَارِسًا مَلَكَوا ابْنَةَ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»⁽²⁾. وهذا الأمر له ارتباط كبير بطبيعتها التكوينية التي خلقت عليها، ويفسره قوله ﷺ الذي روي عن أبي موسى الأشعري، قال: «كَمَلْ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَمَنْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَاطِمَةُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»⁽³⁾؛ وكمال الرجل من كمال عقله.

قال الملا الهروي: (لا تصلح المرأة أن تكون إمامًا، ولا قاضيًا، لأنهما محتاجان إلى الخروج للقيام بأمر المسلمين، والمرأة عورة لا تصلح لذلك ولأن المرأة ناقصة، والقضاء من كمال الولايات، فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال).⁽⁴⁾

وقال الشوكاني: (...وأما القضاء فهو يحتاج إلى اجتهاد أصحاب الرأي وكمال الإدراك والتبصر في الأمور والتفهم لحقائقها وليست المرأة في ورد ولا صدر من ذلك).⁽⁵⁾

(1):..عند المالكية والشافعية والحنابلة، فلا تولى امرأة القضاء؛ لأن القضاء ولاية، والله تعالى يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء/34]، وهو يحتاج إلى تكوين رأي سديد ناضج، والمرأة قد يفوتها شيء من الوقائع والأدلة بسبب نسيانها، فيكون حكمها جوراً، وهي لا تصلح للولاية العامة لقوله ﷺ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ». وقال الحنفية: يجوز قضاء المرأة في الأموال، أي المنازعات المدنية؛ لأنه تجوز شهادتها فيها. وأما في الحدود والقصاص، أي في القضاء الجنائي، فلا تعين قاضياً؛ لأنه لا شهادة لها في الجنايات، وأهلية القضاء تلازم أهلية الشهادة). يُنظر: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، 6238/8. ابن عابدين: رد المختار على الدر المختار، 440/5. محمد بن أحمد بن محمد عليش أبو عبد الله المالكي: منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/1989م، 259/8. أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي: البيان في مذهب الإمام الشافعي، ت: قاسم محمد النوري، ط1، دار المنهاج، جدة، 1421هـ-2000م، 20/13. إبراهيم ابن مفلح: المبدع في شرح المقنع، 153/8.

(2): البخاري: الصحيح، الفتن، الفتنة التي تموج كموج البحر، ح(7099)، 55/9.

(3): البخاري: الصحيح، الأطعمة، الثريد، ح(5418)، 75/7. مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة، فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ح(2431)، 1886/4.

(4): نور الدين الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 2406/6.

(5): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط1، دار ابن حزم، 817/1.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

ولهذه الأمر علاقة وثيقة بنقصان العقل عند المرأة كما ثبت في الصحيح؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمِصْلَى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » فَقُلْنَ: « وَمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ » قَالَ: « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ »، قُلْنَ: « وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ » قَالَ: « أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ »، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ » قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا »⁽¹⁾.

وحيث أن رسول الله ﷺ وَضَحَ الأمر من خلال الشهادة، فقد أعطى الله سبحانه في القرآن الكريم بياناً شافياً وكافياً، في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة/ 282].

وهو ما توصلت إليه الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة؛ وتبيّن أن: ردة فعل الدماغ لدى الرجل حال تذكره الأشياء أسرع بأربع مرات منها عند المرأة، وأنّ ترجمة الأوامر في دماغ الرجل أسرع بكثير منها عند المرأة ولذلك تكون ردة فعله واستجابته أسرع.

وقد عزى معهد العلوم بلندن هذا الاختلاف في سرعة التذكر إلى العوامل النفسية التي تمر بها المرأة أثناء الحيض والحمل والنفاس، والتي تؤثر تأثيراً واضحاً على استقرار نفسيّتها وقوة نشاطها وحيويتها وقدرتها على التفكير والتبصر في الأشياء؛ كما بيّنت دراسة نشرتها جامعة "standand" الأمريكية مفادها: أنّ دماغ المرأة أكثر تنظيمًا وإحساسًا بالعواطف من الرجل وأنّ العاطفة تغلب على تصرفاتها، ولهذا فإنها قادرة أكثر على استرجاع الذكريات العاطفية من الرجل.

كما بيّنت الأبحاث أن الرجل إذا أراد العمل على شيء معين فإنّه يركّز فكره فيه ولا يمكنه التفكير في غيره، على عكس المرأة التي يمكنها التفكير وأداء أكثر من مهمة في وقت واحد.⁽²⁾ وربما يعود هذا إلى مرونة الخلايا الدماغية عند المرأة وصلابتها عند الرجل.

(1): البخاري: الصحيح، الحيض، ترك الحائض الصوم، ح(304)، 68/1. مسلم: الصحيح، الإيمان، بيان نقصان الإيمان بنقص

الطاعات...، ح(79)، 86/1.

(2): يُنظر: علوم القرآن، قوة التذكر عند المرأة والرجل، موقع البيان، www.albayan.ae. ألاء: الفرق بين عقل الرجل وعقل

المرأة، موقع المرسل، www.almsal.com

وقد أشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أنَّ من النساء ناقصات العقل من لها قدرة على سلب عقل الرجل الحازم بذكائها وحيلتها وتأثيرها العاطفي، وهذه نقطة ضعف في الرجل؛ حيث جاء في معنى قوله ﷺ: «أَذْهَبَ لِبُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» (أي لا أحد أقدر على سلب عقول الرجال من المرأة لقوة تأثيرها العاطفي وسحر جمالها ودلالها وإغرائها، ولهذا قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»⁽¹⁾.

وهنا يقول الشاعر: إِنَّ الْعَيْوْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتَلَانَا
يَصْرَعُنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهِنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا⁽²⁾ (3).

فتبين من خلال ما تقدّم أن المرأة لها عاطفة قوية تُعوّض الضعف الجسمي الذي خلقت عليه وتُعوّض النقص الذي جُبل عقلها عليه، وهذا راجع لقدرة الفائقة في التعبير عن مشاعرها مقارنة بالرجل، فالمرأة تُعبّر عن سعادتها وحزنها وإحباطها ونشاطها وخوفها وغيره بشكل أوضح من الرجل؛ وهذه المشاعر القوية هي التي يجد معها الرجل راحته وسكينته، حيث قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ - أَيْنَتِهِ - أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم/21]؛ فهذه المودة والرحمة هي الطاقة الحيوية لنجاح الأسرة، والمرأة هي المولّد الأول لها.

والمرأة غالبًا ما تنسى آلامها عند رؤية خصومها في حالة استضعاف فتعود للرفقة والرحمة بهم من جديد، وهو حالها مع الزوج بعد نشوب مشكلة بينهما؛ ولا يمكنها إخفاء مشاعرها فسرعان ما تفضحها نظراتها أو ابتسامتها أو دموعها إن كان الأمر محزنًا، وهو الأمر الذي تكلم عنه الله تعالى في قصة موسى ﷺ بعد أن ألقته أمه في اليمِّ، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص/10].

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، النكاح، ما يتقى من شؤم المرأة، ح(5096)، 8/7. مسلم: الصحيح، الرقاق، أكثر أهل الجنة الفقراء...، ح(2741)، 2098/4.

⁽²⁾: البيت لجرير بن عطية الخطفي. يُنظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: ديوان المعاني، دار الجليل، بيروت، 32/1.

⁽³⁾: حمزة محمد قاسم: منار القاري، 329/1.

جاء في تفسير الآية: (أي طار عقلها من فرط الجزع والغم حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ﴿﴾ إن

كَادَتْ لِنُبْدِ بِهٖ ﴿﴾ أي إنها كادت أن تشف أمره وتظهر أنه ابنها من شدة الوجد والحزن... وذلك

حين سمعت بوقوعه في يد فرعون... لولا أن ثبتناها وألهمناها الصبر (1).

وروي عن عائشة رضي الله عنها ما يدل على رقة مشاعر المرأة وسرعة تعبيرها عنها، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَرْفٍ (2) وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: « مَا لِكَ أَنْفَسْتِ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: « هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى

بَنَاتِ آدَمَ، أَفْضِي مَا يَفْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ »، وَضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقْرِ. (3)

وقد يُرجع البعض هذا التمايز بين الرجل والمرأة في التعبير العاطفي إلى ما بعد مرحلة الطفولة المبكرة،

التي يتوافق فيها الأطفال جميعًا ذكورًا وإناثًا في تعبيرهم عن مشاعرهم (4)، إلى أن تتدخل التنشئة الاجتماعية

في تعديل سلوك كل جنس وتوجيهه، إلا أن هذا الكلام يبقى نسبيًا ففي حالات كثيرة ترى البنت الصغيرة

وهي أقدر على التعبير عن أحاسيسها وعواطفها من الصبي.

وعليه: فإن القول بنقصان عقل المرأة ليس من قبيل الانتقاص والتقليل من شأنها كما يستدل كثير من

سفهاء العقول، إنما هو تقرير لحقيقتها وبيان لطبيعتها التي جُبلت عليها، وإن الأدلة السابقة الذكر لتدلُّ

دلالة قاطعة على غلبة الجانب العاطفي عند المرأة وقوة تأثيره عليها في الحكم والاختيار؛ وإن العاطفة تعدُّ

أكثر العوامل الطبيعية التي تغذي نفسية المرأة ووجدانها، ولذلك دعا النبي ﷺ إلى العناية به ورعايته.

المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر البنت في تشريع بعض الأحكام.

ألقت السنة النبوية ظلالها على موضوع المشاعر عند البنت في عدد من الأحاديث التي نصت على

أحكام فقهية، وتبين من خلال النظر فيها أن مراعاة مشاعرها كان مقصدًا أساسيًا في بناء الحكم؛ ما يؤكد

على العناية الفائقة التي أولتها السنة النبوية لهذا الأمر.

(1): محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني، القاهرة، 1417هـ-1997م، 391/2.

(2): السرف: (بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو ما بين مكة والمدينة بقرب مكة على أميال منها قيل ستة وقيل سبعة وقيل

تسعة وقيل عشرة وقيل اثنا عشر ميلا.)، يُنظر: النووي: شرح صحيح مسلم، 350/4.

(3): البخاري: الصحيح، الأضاحي، من ذبح ضحية وغيره، ح(5559)، 101/7. مسلم: الصحيح، الحج، بيان وجوه

الإحرام...، ح(1211)، 873/2.

(4): يُنظر: النوع الاجتماعي والتعبير العاطفي، موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org

أولاً: الوأد وأثره على مشاعر البنت.

الوَأد في اللغة: مصدر وأد الرجل ابنته، إذا دفنها وهي حية، وهي الموءودة⁽¹⁾. فالوَأد هو قتلٌ بالدفن مع رمي المدفونة في الحفرة حيًّا؛ وهو من أبشع الصور والأفعال التي توارثها الناس في الجاهلية، حيث حمل سلوكًا إجراميًا في حقِّ نفسٍ بريئة.

وعندما جاء الإسلام حرَّم وأد البنات بنصوص القرآن والسنة المطهرة، فجاء صريحًا في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير/8-9]. ويدخل الوأد في تحريم قتل النفس بغير حق مطلقًا بمختلف صورته، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام/151].

وقد حكا القرآن الكريم أنَّ الرجل كان يكره أن يُشتر بمولود أنثى في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل/58]. وقد بيَّن الله تعالى صفة استقبال الرجل لخبر ولادة البنت، فذكر تعابير وجهه التي تنبئ عن شعور الصدمة والكرهية والغضب، ثم بيان حاله بعد ذلك مع الناس حيث أنه يصبح فارًّا من أعينهم خجلًا مما بشر به، ما يدفعه إلى التفكير للتخلص منها بالوَأد.

قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا وُلدت له بنت فأراد لها البقاء حيَّةً ألبسها جُبَّةً من صوف أو شعر وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار فيقول لأمها طيبها وزينتها حتى أذهب بها إلى أقاربها، ويكون قد جهَّز لها حفرة فإذا بلغ بها مكانها قال لها انظري فيها ثمَّ يدفعها من خلفها ويُهيل عليها التراب.

(1): يُنظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: مجمل اللغة لابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ- 1986م، 1/913. ابن منظور: لسان العرب، 3/442.

وكانت المرأة الحامل إذا قرّبت ولادتها حَفَرَتْ حُفْرَةً فَتَمَخَّصَتْ عَلَى رَأْسِ الحُفْرَةِ فإذا ولدت بنتًا رَمَتْها فِي الحفرة، وإذا ولدت ابنًا أَمَسَكْتَهُ وَعَادَتْ بِهِ.⁽¹⁾

والمستغرب في الأمر هو كيف للأُم التي ملئ قلبها حبًا وحنانًا على كل ولد تَرَعَرَع في رحمها، وتنتظره تسعة أشهر أن تدفنَ ابنتها بيدها!. وما يفسره أمر واحد وهو: شدّة الخوف من زوجها والأهل والقبيلة، وخوفها على مصيرها ومصير وليدتها إن لم تُنقذ أمرهم، وفيه أيضًا نوع من الخضوع للعادة القبيحة.

وسواء كان الباعث الحقيقي وراء دفن البنات في الجاهلية هو خوف لحاق العار، أو خشية الإملاق أو غيره، يبقى أنّ هذا الفعل الشنيع كان يهدد حياة المواليد البنات، كما كان له الأثر العميق والسيئ على نفسية ومشاعر الأمهات والبنات اللاتي يُعفى عنهنّ أو اللاتي يُؤجل دفنهنّ إلى حين؛ كيف ذلك؟:

- عندما يُلبس الأب ابنته المعفى عنها جُبّة من صوف أو شعر فكأنّه يُخفيها في ثوب الصبي، أو يريد أن يقول إني أَمَسَكْتَهَا لأستخدامها في مصالحِي وليس إكرامًا لها؛ والله أعلم.

- أي فتاة صغيرة عاشت إلى سنّ ست سنوات أو قريبًا منه فإنّها تلحظ بعض العيون وهي ترمقها بحزن وكآبة إيدانًا بمصيرها المحتوم الذي ينتظرها، وربما تسمع من الكلام الذي يُوحى بدفنها، أو يُحكى أمامها عن بنات تمّ وأدهنّ؛ وهذا من شأنه أن يُلقى في نفسها الكثير من التساؤل الممزوج بالخوف والتوتر والرعب؛ وهذه الحالة الشعورية قد تتردد عليها من حين لآخر إلى أن يأتي يومها المنتظر.

- الخداع الكبير الذي تقوم عليه هذه العملية وتكون ضحيته البنت وأمها معًا، حيث تُؤخذ البنت على أنّها ستزور أقاربها وتتعرّف عليهم فيتم تزيينها وتعطيها وكأنها ستذهب لحفل، - لتودّع في أبة حلة -.

- والأسوأ من هذا كله لحظة دفعها إلى الحفرة فتسقط وتتعرّج بالتراب والحجارة، ثم تُحوّل نظرها جهة أيها، تقول في نفسها لعلي عثرت بنفسي ووقعت، وأبي سيمد يده ليُخرجني؛ يا لها من صدمة عظيمة بعد أن ترى والدها وقد أخذ يُلقى التراب عليها تباغًا، إنّها لحظات قاسية على طفلة لم يبلغ سنّها التمييز بعد، تموت هلعًا ورُعبًا قبل أن تموت جسدًا.

(1): يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 66/31. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 216/5. أحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ - 1946م، 55/30.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- وماذا عن أمها التي لاشك في أنها تبقى كئيبة مدّة طويلة بعد فراقها، ولا بدّ أنّ خوفًا شديدًا يلازمها من معاودة الحمل بأنثى؛ وهكذا تُصاب الأم باكتئاب ما بعد الحمل، والقلق والفرع ومن كثير من الأمراض النفسية والمشاعر السلبية التي لم تجد من يُسجل نسبها بين النساء آنذاك؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد نَهت نصوص السنة النبوية عن هذا الفعل القبيح الذي كان سائدًا في الجاهلية؛ تأكيدًا لما ذكره القرآن الكريم؛ روى المغيرة بن شعبة، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»⁽¹⁾. وهذا الحديث ذكر فيه أمورًا عظامًا، كان ثانيها ذكرًا هو واد البنات بيانًا لعظيم هذا الفعل وقبحه عند الله ﷻ ورسوله ﷺ.

وفي المقابل دعا رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث إلى نبذ كراهية البنت، وحثّ على إكرامها وإعطائها كافة حقوقها الفطرية والشرعية؛ وقد أعطى نموذجًا رائعًا في محبته لبناته رضوان الله عليهنّ، وخاصة فاطمة الصغرى؛ فعن المسور بن مخرمة، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»⁽²⁾، وفي رواية لمسلم: «يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا»⁽³⁾.

وهذه حفيدته أمّامة بنت زينب، تلقى منه ﷺ محبةً وعطفًا أمام المصلين، ليضرب لهم بنفسه مثالاً في إكرام البنت؛ روى أبو قتادة الأنصاري ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَأَيُّ الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا»⁽⁴⁾.

ذكر ابن حجر وغيره في شرح هذا الحديث كلام للفاكهاني يربط بين فعل الرسول ﷺ وبين نبذه للفعل الجاهلي في التعامل مع البنات، قال: (قال الفاكهاني: وكانّ السرّ في حمله أمّامة في الصلاة دفعًا لما كانت العرب تألّفه من كراهة البنات وحملهنّ فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول... وفيه تواضعه ﷺ وشفقته على الأطفال وإكرامه لهم جبرًا لهم ولوالديهم.)⁽⁵⁾.

وربما يقول البعض أن هذا الفعل انقضى واندرج مع الجاهلية، فما الفائدة من دراسة آثاره؟.

(1): البخاري: الصحيح، في الاستقراض وأداء الديون...، ما ينهى عن إضاعة المال، ح(2408)، 120/3. مسلم: الصحيح، الأفضية، النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة...، ح(593)، 1341/3.

(2): البخاري: الصحيح، أصحاب النبي ﷺ، مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ح(3714)، 21/5.

(3): مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة ﷺ، فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، ح(2449)، 1903/4.

(4): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 168.

(5): ابن حجر: فتح الباري، 592/1.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

أقول: إنّ كثيراً من السلوكيات الجاهلية عادت بصورتها السابقة أو بصور أخرى، ومنها الكثير من المعتقدات الشركية والعادات القبيحة التي وجدت مع الجهل والبعد عن الدين أرضية خصبة لإحيائها؛ ومنها الرغبة الكامنة في إنجاب الصبيان وكراهية إنجاب البنات لا تزال مهيمنة على عقلية الكثيرين.

جاء في أحد التقارير المعاصرة: (إنجاب الذكور وكراهية إنجاب الإناث لم يُفرق بين غني وفقير، ولا بين أمي وملتزم، فالكثير يفرح بإنجاب الولد ويحزن لإنجاب البنت، لدرجة أنّ هناك مئات من حالات الطلاق تقع في البلاد العربية الإسلامية بسبب إنجاب الإناث، وكذلك هناك زوجات كثيرات تعرضن للاضطهاد والظلم من الزواج للسبب نفسه).⁽¹⁾

وجاء في تقرير آخر أُجري على بعض العينات من الأشخاص داخل بلد الجزائر، يقول: (ورغم تطور مستوى الوعي لدى الجزائريين، وتأكيد الإسلام أنّها عادة جاهلية.. إلا أنّها مازال الكثير منهم يرون في الابن الذكر رمزاً من رموز التفاخر والاعتزاز... وعادةً ما يسبب العجز عن تحقيق هذا الحلم الذعر والخوف لدى الزوجات..). وهنا أذكر عيّنة من الذين سجّلت تجربتهم مع هذا الأمر؛ وهي السيدة مريم 36 سنة - أم لثلاث بنات - تقول: (إنها تعيش حالة من الأرق كلما كانت تنتظر مولوداً، خوفاً من ورقة الطلاق، خاصة مع تهديدات زوجها المتواصلة، و.. نظرة أهل زوجها الذين يستقبلون الأنثى بجزن كبير..).⁽²⁾

وما وأد البنات في الجاهلية والذي يحدث اليوم من تطليق النساء وتعنيفهنّ لأجل إنجاب الإناث إلاّ تعبيراً عن الأنانية الصارخة في قلوبهم، الذين أثّرت فيهم الدعايات الكاذبة التي تمدح إنجاب الذكور وتمتدّ الإناث؛ وتناسوا أنّ من أنبياء الله من كانوا آباء بنات، منهم: محمد ﷺ، وشعيب، ولوط عليهما السلام.

وإنّ آثار هذا الفعل اليوم على مشاعر البنات تكاد تكون مماثلة لما وجدته البنت قديماً من إحساس بالظلم والاضطهاد والشعور بالفرقة والتمييز، خاصّة مع وجود بعض التصرفات الخاطئة التي يقع فيها كثير من الآباء جرّاء تفضيلهم للابن على البنت، ما يُولد فيها الشعور بالحقد والغيرة للجنس الذكري، ثم بذل الجهد لمنافسته والتميّز عليه في مختلف الميادين قصد إثبات ذاتها ونيل رضا الجميع بدلاً منه.

إنّ الولد في الأسرة يحظى بحسن الخطاب، وله الحق الكامل بالمشاركة في الحوار الأسري، أما البنت فليس لها ذلك، ومشاركتها في المواضيع الفكرية محدود، وقد لا يجد رأيها قبولاً في الغالب العام.

(1): كراهية إنجاب الإناث اعتراض على حكم الخالق، ملحق الدين للحياة، موقع الخليج، www.alkhaleej.ae

(2): حب إنجاب الطفل الذكر.. هاجس الرجال وصداع النساء، موقع الشروق العربي، www.echoroukonline.com

ناهيك عن كثير من الدعاوى الجاهلية التي تحرم المرأة حقها في بعض الحقوق والحريات التي منحها الشرع الحكيم، منها حق اختيار الزوج، حرمانها من الميراث، حق المشاركة بالرأي والفكر .. هذه السلوكيات التي لا تزال موجودة في أغلب المجتمعات الإسلامية، هي واقع استغله دعاة تحرير المرأة وألصقوها بالإسلام وأخذوا يرددونها عبر الجمعيات النسوية والمنظمات الحقوقية، والإسلام بريء منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، يريدون بذلك إبعادها عن الضوابط الشرعية التي تضمن لها حياة آمنة مريحة؛ والخروج بها إلى الانحلال الأخلاقي والبعد عن الفطرة، متغافلين بذلك عن الدور المحوري الذي لعبه الإسلام في تخلص المرأة من بوتقة التهميش والاستنكار إلى منصة التكريم والتشريف والمناصفة العادلة مع الرجل.

ثانياً: في خروج البنت لصلاة العيدين.

رُوي عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية، أنها قالت: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ⁽¹⁾، وَالْحَيْضَ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ⁽²⁾، فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قَالَ: «لِتُلْبِسْنَهَا أُخْتَهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»⁽³⁾.

دلّ الحديث على جواز خروج الحيض لصلاة العيدين ليشهدن وبركة المشهد الكريم الذي يُعبر عن طاعة الله، ووحدة المسلمين، وتكثير سوادهم بحضورهنّ ويكننّ ممن يدعو ويؤمن مع جماعة المسلمين⁽⁴⁾. ومعلوم أن البنت عندما تحيض تصبح بالغاً وتخرج من مرحلة الطفولة، ولأنها في هذه الفترة القريبة من الطفولة لا تزال تحتفظ بالكثير من الخصائص النفسية للبنت الصغيرة، لذلك ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث ضمن العواتق وذوات الخدور وهنّ في الغالب بين البلوغ أو عدمه.

(1): (العواتق: الجارية التي قد أدركت وبلغت فخذرت في بيت أهلها ولم تنزوج، سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبيها ولم يملكها زوج بعد... والجمع في ذلك كله عواتق)، يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، 10/235. وقيل: (العواتق: أي من قارئ البلوغ. والأصل أهن بنات مُعْتَمَة عن خدمة والديهنّ، ولعله كان في عرفهم أنهم لم يكونوا يستخدمونهن). يُنظر: محمد أنور الكشميري: فيض الباري على صحيح البخاري، 1/503.

(2): ذوات الخدور: سبق تقدم معناه، يُنظر: ص: 133.

(3): البخاري: الصحيح، الحيض، شهود الحائض العيدين...، ح(324)، 1/72. مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، ذكر إباحة خروج النساء في العيدين...، ح(890)، 2/606. (واللفظ له)

(4): يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 1/450. ابن حجر: فتح الباري، 2/471.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- فالنبي ﷺ أمر بإخراج الحيض والعواتق وذوات الخدور حتى لا يفوتن هذا الموقف الكريم الذي يُبْتَهَنُّ على طاعة الله ويُعزز انتمائهنَّ لأمة الإسلام.

- وكثير من البنات قد يتكرر معهنَّ نزول الحيض في هذه المناسبة كل سنة فتمتنع من شهود هذا الموقف، وهذا يولد في نفسها حزنًا وكآبة، وقد يجرها إلى التذمر من أمرٍ كتبه الله على بنات آدم؛ وكذلك البنت العاملة في بيت أهلها فقد يمنعها الشغل يوم العيد من حضور الصلاة، وكثير من البنات تعلق قلبها بهذا اليوم وهنَّ ينتظرنه بشغف وسعادة، ولذلك جاء الأمر بإخراجهنَّ مراعاة لهذا الشعور.

- وفي قوله ﷺ: «لِتُلْبِسْنَهَا أُحْتَهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»، في حال لم يكن لإحداهن جلاباب تخرج به، وفي هذا مزيد من التأكيد والحرص منه ﷺ على حضورهن الصلاة، فلا تحزن لعدم امتلاكها جلابابًا فالإعارة تحلُّ الأمر.

ثالثًا: إباحة الغناء واللعب للبنات يوم العيد من غير معصية.

عن عائشة، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُعْنِيَانِ بِغِنَاءٍ بُعَاثٌ⁽¹⁾، فَاضْطَجَعَ عَلَيَّ الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَنْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا عَفَلَّ عَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا⁽²⁾. وفي رواية أخرى: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا»⁽³⁾.

وقد دلَّ الحديث على جواز غناء الجاريتين يوم العيد، والجارية كما سبق بيانه هي البنت الصغيرة التي لم تبلغ، ولذلك كان لرسول الله ﷺ أن يسمع غنائهما وأباح لعائشة رضي الله عنها أن تستمتع به. ولكن ما صفة هذا الغناء الذي جاءت به الجاريتين؟؛ ذُكِرَ في شرح هذه المسألة من الحديث، مايلي:

أولاً: أن الجاريتين ليستا ممن عادتهما الغناء أو عرفتا به.

ثانياً: أن غناءهما لم يكن فيه ما يحرك النفوس من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش وتكسير الحروف والنعلمات، بل كل ما فيه هو ترم بالبيت والبيتين وتطريب للصوت، ممَّا ليس فيه فُحش أو ذكر محظور.

(1) بُعَاثٌ: هو (يوم مشهور من أيام العرب، كانت فيه مَقْتَلَةٌ عظيمة للأوس على الخزرج، وبقيت الحرب بينهما مائة وعشرين سنة إلى أن قام الإسلام). ينظر: البغوي: شرح السنة، 4/322.

(2) البخاري: الصحيح، العيدين، الحراب والدرق يوم العيد، ح(949)، 2/16. مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، الرخصة في اللعب الذي لا معصية، ح(892)، 2/609.

(3) البخاري: الصحيح، العيدين، سنة العيدين لأهل الإسلام، ح(952)، 2/17. مسلم: الصحيح، صلاة العيدين، الرخصة في اللعب الذي لا معصية، ح(892)، 2/607.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

وحاشاه ﷺ أن يَجْرِيَّ شيء من المحظورات بوجوده ﷺ، فَيَسْكُتُ عن إنكاره؛ قال ابن عبد البر: (..وقد رُوِيَ الرخصة في الألمان التي تعرفها العرب ورفع العقيرة بها دون ألمان الأعاجم المكروهة عن جماعة من علماء السلف) (1)

ثالثًا: الحديث دليل على أن أيام العيد أيام فرح وسرور وإظهار البهجة، وموضوع للراحة وبسط النفوس، والأكل والشرب واللعب المشروع (2).

وقد تقدّم حديث عائشة رضي الله عنها حيث جاء الحبشة يلعبون وأحبّت هي التفرج عليهم فسترها النبي ﷺ لتمكينها من المشاهدة، وكذلك حبها للعب بالعرائس وهي جارية عروس عند رسول الله ﷺ؛ وكلها رخصة لا منكر فيه أبحاثها الشريعة الإسلامية مراعاةً للمشاعر.

والملاحظ في الحديث أن أبا بكر الصديق ﷺ لما دخل على عائشة ووجد الجاريتين تغنيان انتهرهما مباشرة، ورسول الله ﷺ ردّ عليه بكل رفق ولين؛ كما أنه ﷺ آثر رغبة عائشة رضي الله عنها في الاستمتاع بغنائهما المباح، عن حاجته للنوم والراحة، وهذا من كمال رفقته بالناس ومراعاته لحاجاتهم ومشاعرهم.

رابعًا: الارتكاز على شعور الحياء لمعرفة رضا البكر بالخاطب من عدمه.

عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «الأيّم أحقّ بنفسها من وليّها، والبكر تُستأذنُ في نفسها، وإذنها صمّائها»؟، قال: نعم. (3) وفي رواية أخرى لمسلم قال: «وَرُبَّمَا قَالَ: «وَصَمَّتْهَا إِقْرَارُهَا» (4).

وعن دكوان، مولى عائشة، قال: سمعت عائشة تقول: سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها، أَسْتَأْمَرُ أم لا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، تُسْتَأْمَرُ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا: فَإِنَّهَا تَسْتَحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَلِكَ إِذْنُهَا، إِذَا هِيَ سَكَتَتْ» (5).

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «البكر تُسْتَأْذَنُ» قُلْتُ: إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحِي؟ قَالَ: «إِذْنُهَا صُمَاتُهَا» (6).

(1) ابن عبد البر: التمهيد، 199/22. يُنظر: النووي: شرح صحيح مسلم، 362/3.

(2) يُنظر: بدر الدين العيني: عمدة القاري، 274/6. البغوي: شرح السنة، 322/4.

(3) مسلم: الصحيح، النكاح، استئذان الثيب في النكاح، ح(1421)، 1037/2.

(4) مسلم: الصحيح، النكاح، استئذان الثيب في النكاح، ح(1421)، 1037/2.

(5) مسلم: الصحيح، النكاح، استئذان الثيب في النكاح، ح(1420)،

(6) البخاري: الصحيح، الحيل، في النكاح، ح(6971)، 26/9.

والذي يظهر من خلال هذه الروايات أنّ البنت البكر إذا استأذنها وليها في تزويجها وسكتت كان ذلك علامة على رضاها؛ ولكن لماذا اعتبر السكوت علامة الرضا؟.

أورد الكاساني في بدائع الصنائع جواباً عن هذا السؤال فقال: (لأنّ البكر تستحي عن التّطرق بالإذن في النكاح لما فيه من إظهار رغبتها في الرجال فتنسب إلى الوقاحة فلو لم يُجعل سكوتها إذناً ورضاً بالنكاح دلالة وشُرط استنطاقها ولأنّها لا تنطق عادةً لفاتت عليها مصالح النكاح مع حاجتها إلى ذلك ولأنّها لو لم تكن راضيةً لرَدَّت؛ لأنّها إن كانت تستحي عن الإذن فلا تستحي عن الرّدّ...)(1).

فالبكر يعلّب على طبعها الحياء في مثل هذه الأمور فلا يُتوقّع منها الجرأة والشجاعة لتجيب: بنعم. بل تسكت وتستحي، وهو ما ذكرته رواية عائشة رضي الله عنها سألته الذكر في قولها: فَإِنَّهَا تَسْتَحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَدَلِكِ إِذْنُهَا، إِذَا هِيَ سَكَتَتْ».

وأضاف البعض قرائن قد تُصاحب سكوت البكر فتؤكد رضاها أو تنفيه، فإذا صاحبه تبسّم أو دمع بارد مثلاً دلّ على قبولها، وإن صاحبه دمع حارّ أو صياح أو غادرت مكانها بشيء من النفور عُرف من ذلك كراهتها له.(2)

وفُرق بعضهم بين البكر الكبيرة والصغيرة التي لم تبلغ الحيض، فقالوا أنّ الحديث يخصّ البكر الكبيرة أما الصغيرة فلا تُنكح ولا تُستأذن، والصحيح الذي عليه الجمهور استعمال الحديث في جميع الأبقار(3)؛ ثم إنّ البكر كلما كانت صغيرة - بدأً من سنّ المراهقة الذي تبدأ فيه غريزتها بالتحرك - كانت أشدّ حياءً من الرجال ومن مسائل الزواج.

وممّا سلف في هذا الفصل، يتضح لنا:

- تُعتبر الحياة الأسرية هي المنبع الأول الذي يستمد منه الطفل التعاليم الأولية في مجالات متعددة: الدينية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية، وهي في نفس الوقت الحضان الدافئ الذي يشعر في رحابه بالارتياح والسكينة؛ ولذلك أحاطها الإسلام بأحكام وضوابط تضمن للطفل استقرار نفسيته ونمو مشاعره بشكل إيجابي، ومن ذلك: حسن اختيار الزوجين لبعضهما، ووجوب العدل بين الأبناء في الأمور المادية والعاطفية،

(1): علاء الدين الكاساني: بدائع الصنائع، 2/242. يُنظر: ابن عبد البر: التمهيد، 19/79.

(2): يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، 9/192. أبو الوليد الباجي: المنتقى شرح الموطأ، 3/267.

(3): يُنظر: ابن حجر: المصدر نفسه، 9/192، أبو الوليد الباجي: المصدر نفسه، 3/266.

وضرورة تجنب الخلافات الزوجية أمام الطفل، وما قد ينجّر عنها من فك العصمة الزوجية، مع الإشارة إلى دور وأهمية قرار المرأة في بيتها وعدم خروجها للعمل، حتى تتفرغ لرعاية أولادها وتقف على حاجاتهم وتحل مشكلاتهم، وتمدهم بعطفها وحنانها ما يقوي شخصيتهم ويُقوِّم سلوكهم. فكل ذلك سيؤدي حتمًا إلى حدوث اضطرابات نفسية وقلق دائم لدى الطفل، ولذا دعت السنة النبوية إلى تجنبه.

- وأولت السنة النبوية اهتمامها بمشاعر البنت، وحثت على العناية بها وإكرامها والإحسان إليها، مع التركيز على الجانب العاطفي لديها لما له من التأثير الكبير والبارز على اختياراتها وقراراتها؛ ولذلك وُجد في السنة النبوية مظاهر عديدة تبرز مدى مراعاة رسول الله ﷺ لمشاعر البنت في تشريع بعض الأحكام، ومن ذلك: تحريم وأد البنات، وجواز خروج البنت لصلاة العيدين، وإباحة الغناء لها يوم العيد، وأيضًا الارتكاز على مشاعرها عند الأخذ بقرارها في الخطاب.

الفصل الثالث:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحياة الاجتماعية.

يتضمن توطئة وثلاثة مباحث:

- توطئة: أثر التنشئة الاجتماعية في توجيه مشاعر الطفل.
- المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل اليتيم.
- المبحث الثاني: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط وولد الزنا ومراعاتها لمشاعره.
- المبحث الثالث: التبني، وأثره على مشاعر الطفل.

الباب الثاني.....مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

في الحقيقة إنَّ مصطلح الحياة الاجتماعية واسع يضمُّ جوانب كثيرة من حياة الإنسان، ولكنَّ الذي يُراد دراسته هو جانب معين يتعلق ببعض الفئات التي تُعاني ضعفاً وتهميشاً في المجتمع؛ كالطفل اليتيم، والمشرَّد، واللقيط، وولد الزنا؛ مع محاولة الإجابة على سؤال مهم ومُحوري في الموضوع، وهو: هل وجدت هذه الحالات عنايةً وإلماماً كافياً من السنة النبوية بحاجاتهم، وهل كان للمشاعر نصيب من هذه العناية؟.

والإجابة على هذا التساؤل جاءت في ثلاثة مباحث، هي:

توطئة: أثر التنشئة الاجتماعية في توجيه مشاعر الطفل.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل اليتيم.

المبحث الثاني: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط وولد الزنا ومراعاتها لمشاعره.

المبحث الثالث: التبني، وأثره على مشاعر الطفل.

توطئة: أثر التنشئة الاجتماعية في توجيه مشاعر الطفل.

يتجسد دور التنشئة الاجتماعية للفرد بصفة عامة والطفل بصفة خاصَّة، في تكوين الشخصية الإنسانية التي تستطيع تحقيق أهدافها ورغباتها في أطر شرعية وقانونية من جهة، وتحقيق التوافق والتآلف مع الآخرين مع القيام بأدوارها الاجتماعية بصورة مُرضية، والتفاعل معهم بالحوار وتبادل المنافع وتبادل العواطف والتعبير عنها من جهة أخرى.

وعليه فإنَّ التنشئة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في تكوين الفرد، غير أنَّ هذا الدور لا يتم بصورة إيجابية إلا إذا كان المحيط الاجتماعي صالحاً، فإن لم يكن كذلك فإن انعكاساته على الطفل تكون سلبية وسيئة. بيَّنت نظرية التعلم الاجتماعي أنَّ ملاحظة الطفل للآخرين تكسبه الكثير من السلوكيات والانفعالات التي قد تكون إيجابية أو سلبية، حيث يمكن للطفل أن يكتسب السلوك العدواني ويرى مظاهر التوتر والخوف فيكتسبه؛ كما يمكنه في الوقت نفسه أن يستفيد من ملاحظة أشخاص يتفاعلون بطمأنينة وجرأة وانبساط وفرح، ومواجهة للأزمات الانفعالية والضغوط النفسية والاجتماعية بحكمة وثبات.⁽¹⁾

(1) يُنظر: أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص: 156. عبد الستار إبراهيم، وآخرون: العلاج السلوكي للطفل: أساليبه ونماذج من حالاته، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ديسمبر 1993م، ع: 180، ص: 89.

والجدير بالذكر أنّ أول الأمور التي ينبغي للطفل أن يتعلمها من محيطه الاجتماعي هو القدرة على التعبير الملائم بما يشعر به تعبيراً حرّاً واضحاً حسب ما يحمله المشهد من مواقف، كالتعبير على القلق والغضب، أو الحزن والاستياء، أو الفرح والبهجة، أو الرضا والإعجاب.

وتساهم في هذا البناء الحيوي لأساليب التعبير والمشاركة العاطفية لدى الطفل بعض المؤسسات التي تحظى بالمساهمة المباشرة في رعاية الطفل وتربيته، كالأُسرة بدرجة أولى ثم رياض الأطفال والمدرسة بدرجات متفاوتة بينها حسب استعدادات الطفل من حيث قدراته الفكرية ونشاطه العاطفي، وانفتاحه على المحيط. وقد سبق الكلام عن دور الأسرة وتأثيرها الكبير في توجيه مشاعر الطفل وتنميتها في مبحث منفصل.

أمّا رياض الأطفال التي احتلت في كثير من البلاد الإسلامية مكاناً بديلاً عن الأسرة وحضانة الأم، لعبت دوراً مؤثراً جداً على سلوك الطفل ومواقفه وتعبيراته العاطفية، حيث تستطيع معلمة الروضة أن تُخرج الطفل من دائرة الاهتمام بحاجاته ومشاعره الخاصّة، إلى مشاركة زملائه مختلف نشاطاتهم الفكرية والبدنية كاللعب، ومجالستهم ومحاورتهم وتبادل الأفكار معهم، والإحساس بآلامهم وأفراحهم⁽¹⁾.

ويبقى أنّ مستوى النضج عند الطفل واستعداداته هي التي تحدد مدى تفاعله مع الآخرين للتأثر بهم، فثرى عليه علامات التغيّر في التعبير عن مشاعره، حيث يترك الأسلوب الفطري النمطي الذي عرف عنه في سنواته الأولى، كالبكاء، ورمي الأشياء عند رفضها، إلى اكتساب وجوه وأساليب جديدة في التعبير عن المشاعر تمتاز بالرونة والنضج، والقدرة على ضبط انفعالاته وتوجيهها.

(1): ينظر: هدى محمود الناشف: الأسرة وتربية الطفل، ص: 170.

المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل اليتيم.

أولت السنة النبوية اليتيم عناية خاصّة، فحثت على إكرامه ورعايته، ودعت إلى الرفق به والعطف عليه، كما نصّت على الأحكام المتعلقة به ككفالاته وحضائنه وحفظ ماله، وهنا نتطرق إلى بعض منها.

المطلب الأول: الحث على رعاية اليتيم وإكرامه في السنة النبوية.

أولاً: من هو اليتيم؟:

1- اليتيم في اللغة: من الإنفراد، والمباينة عن الشيء، وكل شيء انفرد فقد تيم، فهو يتيّم ويّتيمة، كما يُقال هذه الدّرة يتيمة لإنفرادها عن أشكالها ونظائرها؛ والجمع يتامى وأيتام.

واليتيم هو الذي مات أبوه فهو يتيّم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم؛ والمرأة تُدعى يتيمة ما لم تنزوّج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتم؛ وأيّمت المرأة فهي موتم وموتمة أي ذات يتامى.

وقيل: اليتم في بني آدم يكون من جهة الأب، وفي البهائم من جهة الأم؛ ومدار الأمر على الحاجة، فنفقة بني آدم على الأب لا على الأم، أما البهائم فلأنّ اللبن والأطعمة منها؛ وهذا يفسر إثبات اليتم في الغلام إلى البلوغ، والجارية إلى الثّيوبة لبقاء حاجتها بعد البلوغ.

وأصل اليتم: الغفلة لأنّه يُتغافل عن برّه، أو الإبطاء لأنّ البرّ يُبطئ عنه⁽¹⁾. إذا فكلمة اليتيم تدور على الانفراد والضعف والحاجة، وفي مجملها صفات معروفة عن اليتيم في الغالب.

2- واليتيم في الشرع: هو الذي لا أب له - أي فقد أبوه-، ولم يبلغ الحلم، لقوله ﷺ: «لَا يَتِيمٌ بَعْدَ احْتِلَامٍ...»⁽²⁾؛ وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا

(1): يُنظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، 241/14. ابن منظور: لسان العرب، 645/12. الزبيدي: تاج العروس، 134/34.

الجرجاني: التعريفات، 258/1. ابن قتيبة: غريب الحديث، 231/1. الزحشرى: الفائق في غريب الحديث والأثر، 125/4.

(2): أبو داود: السنن، الوصايا، ما جاء متى ينقطع اليتيم، ح(2873)، 115/3. البيهقي: السنن الكبرى، الحجر، البلوغ بالاحتلام، ح(11309)، 94/6. البزار: المسند، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ح(6243)، 350/12. الطبراني: المعجم الكبير، الحاء، حنظلة بن حذم بن جمعة المالكي، ح(3502)، 14/4. قال ابن حجر: (حديث: "لا يتم بعد احتلام"، أبو داود عن علي في حديث وقد أعلّه العقيلي وعبد الحقّ وابن القطان والمنذري وغيرهم وحسنه النووي مُتمسكاً بشكوت أبي داود عليه ورواه الطبراني في الصغير بسند آخر عن علي..وفي الباب حديث حنظلة بن حنيفة عن جدّه وإسناده لا بأس به وهو في الطبراني وغيره، وعن جابر رواه ابن عديّ في ترجمة حزام بن عثمان، وهو متروك وعن أنس)، يُنظر: التلخيص الحبير، 220/3. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(2873)، 2/1. وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حسن لغيره). وقال عبد القادر الأرناؤوط: (الحديث حسن بشواهد)، يُنظر: تحقيقه على جامع الأصول للهيتمي، ح(9264)، 642/11.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

إِلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ [النساء/6]. في قوله تعالى: "إِذَا بَلَغُوا النَّكَاحَ"، يعني الاحتلام لأنه بالاحتلام يتوجه إليه التكليف ويزول عنه اليتيم.

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما جوابه عندما سئل عن وقت انقطاع اليتيم، قال: (إنَّ الرجلَ لَتَنَبُّثُ لحيتهُ وإنَّه لضعيفُ الأخذِ لنفسه ضعيفُ الإِيعَاءِ منها، فإذا أخذَ لنفسه من صالح ما يأخذُ الناسُ فقد انقطع عنه اليتيم).⁽¹⁾ ومنه: فإنَّ معنى اليتيم مرتبط بالضعف والانكسار الذي يدخل على قلبه بفقد أبيه. وهذا المعنى طرح سؤالاً مهمًّا، وهو: هل يدخل في اليتيم من كان صغيراً غنياً لا أب له؟، في المسألة وجهان: أولهما: يدخل فيه، لأنَّه يتيم بفقدته لأبيه.

ثانيهما: لا يدخل في اليتيم، لأنَّ اسم اليتيم يطلق في العادة على الفقير الصغير الذي لا أب له. والقول الأول أقرب للصواب، وهو موافق لقول ابن عباس رضي الله عنهما السابق، إذ أنَّ الغنى لا يرفع الضعف عن اليتيم وهو صغير لا يدرك كيف يتصرف بالمال، وبجاجة لمن يشدُّ أزره ويؤنس وحدته. وأكَّد الفقهاء ما أثبتته علماء اللغة من أنَّ اليتيم في بني آدم من الأب، وفي البهائم بالعكس، وإن كان لفظ اليتيم يطلق تجاوزاً على كل من فقد أحد والديه أو كليهما؛ فإنَّ فاقد الأم يقال له "منقطع".

ويدخل في اليتيم كل حالة لم يتحقق من ثبوت فقدتها للأب، كابن الزنا، واللقيط، والمشرّد، وغيرهم.⁽²⁾

ثانياً: الحثُّ على إكرام اليتيم والإحسان إليه:

حضَّ الإسلام على رعاية اليتيم وكفالاته لصغر سنِّه وعجزه عن القيام بمصالحه، وخُلوه من ولي يقوم عليه، ولأنَّ المسلمين جسد واحد كما وصفهم رسول الله ﷺ في حديث، لا يصح ترك فرد منه يتخبَّط لوحده في مشكلات الحياة وصعوباتها، خاصَّةً وأنَّه صغير، وضعيف جسدياً ومعدوم مادياً وغير كامل عقلياً، روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»⁽³⁾.

(1): مالك بن أنس: المدونة، 1/499.

(2): يُنظر: ابن نجيم المصري: البحر الرائق، 8/513. القرافي: الذخيرة، 6/266. الماوردي: الحاوي الكبير، 6/339. علاء الدين المرادوي: الإنصاف، 7/95. إبراهيم بن مفلح: المبدع في شرح المقنع، 3/330. أبو الحسين العمري اليمني: البيان في مذهب الإمام الشافعي، 8/229. البكري الدمياطي: إعانة الطالبين، 2/233.

(3): البخاري: الصحيح، الأدب، رحمة الناس والبهائم، ح(6011)، 8/10. مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، تراجم المؤمنين وتعاطفهم، ح(2586)، 4/1999.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

وقد أوصى القرآن الكريم بالإحسان إلى اليتيم في غير ما موضع، واعتبره واحد من ضمن ثمانية أصناف حثَّ على الإحسان إليها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء/36]. جاء ذكر اليتيم في المرتبة الثالثة بعد الوالدين وذوي القربى، وهذا الترتيب لم يكن اعتباطيًا بل له دلالاته، وهو يحدد الفئات الأكثر حاجة للإحسان؛ فاليتامى من أولى الناس بالعطف.

كتب محمد رشيد رضا في الوصية باليتيم كلامًا جمع أبرز المفاصل التي يُرجى توحيها برعايته: (فإن الله تعالى يُوصي باليتامى في مثل هذا المقام؛ لأنَّ اليتيم يُهمل أمره يفقده الناصر القوي العيور وهو الأب، أو تكون تربيته ناقصة بالجهل الذي هو جناية على العقل، أو فساد الأخلاق الذي هو جناية على النفس، وهو بجهله وفساد أخلاقه يكون شرًّا على أولاد النَّاس يُعاشروهم فيسري إليهم فسادهم، وقلَّما تستطيع الأم أن تُربي الولد تربية كاملة مهما اتَّسعت معارفها) (1).

وجعل الله تعالى الامتناع عن إكرام اليتيم سببًا للابتلاء، في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنُلُهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ، كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر/17]. أي لا تحسنون إليه ولا تعطونه حقه، والآية حملت الأمر بإكرام اليتيم متضمنًا في أسلوب التوبيخ والتفريع على تركهم لإكرامه وأكلهم لماله، وكان هذا الفعل سببًا في ابتلائهم (2).

وأكد الرسول ﷺ على الوصية بإكرام اليتيم والعناية به في عدد من الأحاديث، منها:

(1): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 74/5.

(2): يُنظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 398/8. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، ط1، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، 1414هـ، 534/5. المراغي: تفسير المراغي، 149/30.

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أُحْرَجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفِينَ وَالْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»⁽¹⁾؛ والخرج في الحديث بمعنى الإثم، ومعنى قوله ﷺ: "إني أخرج"، أي ألحق الإثم بمن ضيعهما فأحذرهما من ذلك تحذيرًا بليغًا وأزجره زجرًا أكيدًا؛ وقيل معناه: أضيئُ حقهما وأحرمه على من ظلمهما.

وقد خصَّ النبي ﷺ في هذا الحديث هذين الصنفين بالوصية لأنَّ ما تُضمَره النفس غالبًا من التكبر تُظهره فيهم لكونهم تحت قهرها.⁽²⁾ وفي المقابل مدح رسول الله ﷺ البيت الذي يضمُّ يتيمًا إلى أبنائه ليرعاه ويُحسن إليه، وعدَّه خير بيت في المسلمين، جاء هذا في حديث رواه أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»⁽³⁾؛ والمعنى الذي حمله الحديث فيه شقين أو وجهين:

1- الحث على إكرام اليتيم والإحسان إليه بالقول أو الفعل أو بهما فمدح هذا البيت لأنه حوى الرحمة والشفقة والنيابة عن الله في الإيواء والشفقة وإكرامه تعهد أموره والرفق به..

2- التحذير من إهانتهم وإذلالهم، فكان شر بيت في المسلمين من ضم يتيمًا ليرعاه فأهانته وأساء إليه.⁽⁴⁾ وزاد رسول الله ﷺ في ذكر فضل التكفل باليتيم وإكرامه أنه ينال جوار رسول الله ﷺ وقربه من منزلته في

⁽¹⁾: ابن ماجه: السنن، الأدب، حق اليتيم، ح(3578)، 1213/2. النسائي: السنن الكبرى، عشرة النساء، حق المرأة على زوجها، ح(9104)، 254/8. أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ح(9666)، 416/15. ابن حبان: الصحيح، الحظر والإباحة، ذكر الزجر عن أكل مال اليتيم، ح(5565)، 376/12. الحاكم: المستدرک، الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، ح(211)، 131/1. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه). البيهقي: السنن الصغير، آداب القاضي، ما على القاضي في الخصوم والشهود، ح(3258)، 133/4. قال البوصيري: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات). وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (إسناده قوي). وقال محمد فؤاد عبد الباقي: (إسناده صحيح رجاله ثقات)، يُنظر: تعليقه على سنن ابن ماجه، طبعة دار إحياء الكتب العربية، 1213/2. وقال الألباني: (حسن)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ح(1015)، 12/3.

⁽²⁾: يُنظر: المناوي: فتح القدير، 128/1، 20/3.

⁽³⁾: ابن ماجه: السنن، الأدب، حق اليتيم، ح(3679)، 641/4. البخاري: الأدب المفرد، خير بيت بيت فيه يتيم يحسن إليه، ح(137)، 73/1. الطبراني: المعجم الكبير، العين، محمد بن طلحة عن ابن عمر، ح(13434)، 388/12. قال العراقي: (ضعيف)، يُنظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، باب: الأخبار الواردة في حقوق المسلم، 670/1. وقال البوصيري: (هذا إسناد ضعيف)، ينظر: مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، باب: حق اليتيم، 103/4. وقال الألباني: (ضعيف)، ح(1637)، 142/4. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (إسناده ضعيف). وقال مصطفى العدوي: (ضعيف)، يُنظر: تحقيقه على المنتخب من مسند عبد بن حميد: لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسبي، ح(1465)، 355/2.

⁽⁴⁾: يُنظر: المناوي: المصدر السابق، 174/1، 484/3.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

الجنة، فعن سهل بن سعد، قال: قال: رسول الله ﷺ: « وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. (1) وكفى به عملاً صالحاً ينال به تلك المرتبة العُليا في الجنة.

قال ابن بطال: (حَقُّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَرِغِبَ فِي الْعَمَلِ بِهِ لِيَكُونَ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِجَمَاعَةِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَلَا مَنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ مِرَافِقَةِ الْأَنْبِيَاءِ) (2). وقال ابن حجر: (ويكفي في إثبات قُرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسَّبَابَةِ إصْبَعٌ أُخْرَى) (3).

وقد جعل رسول الله ﷺ رعاية الأيتام وكفالتهم دواءً لقسوة القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: « أَنَّ رَجُلًا شَكَأَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: « امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ » (4).

وشهدت السنة مواقف أظهر فيها رسول الله ﷺ رحمته باليتيم وحرصه على إصلاحه، فعن عبد الله بن جعفر: « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْمَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: « لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَحْيَى بَعْدَ الْيَوْمِ »، ثُمَّ قَالَ: « ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي » فَجِيءَ بِنَاكَأْنَا أَفْرَجُ، فَقَالَ: « ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ » فَأَمَرَهُ، فَحَلَّقَ رُؤُوسَنَا (5).

ثالثًا: فضائل التكفل باليتيم ورعايته:

إنَّ كِفَالَةَ الْيَتِيمِ تَعُودُ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ عَلَى الْيَتِيمِ مِنْ عِدَّةِ جَوَانِبٍ: عَلَى تَرْبِيَتِهِ الْعُقَائِدِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَقَدْ أَظْهَرَتِ الْبَحُوثُ وَالدراسات الفرق الكبير بين الأطفال اليتامى الذين تمَّ التكفل

(1): البخاري: الصحيح، فضل من يعول يتيماً، ح(6005)، 9/8.

(2): ابن حجر: فتح الباري، 436/10.

(3): ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 217/9.

(4): أحمد: المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح(9018)، 558/14. البيهقي: السنن الكبرى، الجنائز، ما يستحب من مسح رأس اليتيم وإكرامه، ح(7094)، 100/4. قال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(13508)، 160/8. قال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف). وقال الألباني: (وهذا إسناده رجاله ثقات رجال مسلم غير الرجل الذي لم يسم، وقد أسقطه بعضهم)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ح(854)، 507/2.

(5): أبو داود: السنن، الترجل، في حلق الرأس، ح(4192)، 259/6. النسائي: السنن، الزينة، حلق رؤوس الصبيان، ح(5227)، 182/8. أحمد: المسند، مسند أهل البيت، حديث عبد الله بن جعفر..، ح(1750)، 367/2. ابن أبي شيبة: المصنف، المغازي، ما حفظت في غزوة مؤتة، ح(36974)، 414/7. قال الألباني: (صحيح)، ينظر: مشكاة المصابيح، ح(4463)، 1267/2. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح). وقال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه على جامع الأصول لابن الأثير: (إسناده حسن).

من قبل الأسر والأطفال الذين نشئوا في دور الأيتام أو الذي وجدوا الشارع ملجأ لهم.

- أظهرت الدراسات الميدانية تفاقم نسبة السلوك العدواني لدى الأطفال اليتامى غير المتكفل بهم والذي أخذوا من الشارع بيئة تربية لهم، حيث خلصت دراسة أشرف عليها الباحث أحمد حويطي من جامعة الجزائر2، أنّ 80% من الأطفال يمارسون العنف وينتهجون سلوكاً عدوانياً؛ وبيّنت بعض الأرقام التي سجلتها مصالح الشرطة القضائية أنّ ما يُعادل 24821 جريمة تسبب فيها أطفال أقل من 12 سنة أغلبهم ينحدرون من الشارع هروباً من المنزل⁽¹⁾.

هذا وإنّ ما يعادل نسبة 10% من فئة الأيتام الذين يغادرون الملاجئ بعد بلوغهم السنّ القانوني للحضانة وتوجيههم للشارع يُقدمون على الانتحار، وأزيد من 60% من البنات تتجه إلى ممارسة البغاء لتحقيق العيش، بينما ينضم أزيد من 70% منهم خاصة الذكور إلى عالم الجريمة⁽²⁾.

- إنّ كفالة اليتيم في بيت مسلم تُعظّم فيه شعائر الله تعالى يحمي عقيدته من الانحراف والضلال، ويُربي في نفسه حبّ الله وحبّ رسوله والانقياد للإسلام؛ وقد ظهر هذا في سلوك صحابة رسول الله ﷺ، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْنِهَا فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ: « قَوْمُوا فَلِأَصْلِي بِكُمْ »، فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَبِثَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْيَتِيمُ مَعِي وَالْعَجُوزُ مِنْ وِرَائِنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ.⁽³⁾

- وقاية الطفل من الكثير من المشكلات التي سُجلت في دور الأيتام، ومن ذلك: عدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية جيدة، وتأخر في النمو اللغوي والجسمي والحركي وحتى في النمو العقلي، مع ظهور السلوك العدواني لديهم نتيجة المعاملة القاسية والحرمان من الحنان والعطف، وظهور مؤشرات الانحراف كالسرقة والكذب والعناد⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: عليوي نوال: أثر التكفل بالطفل اليتيم في التخفيف من السلوك العدواني لديه-دراسة ميدانية مقارنة-، المجلة الجزائرية للتربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر2، العدد:5، ص: 86.

(2) يُنظر: عليوي نوال: المرجع نفسه...، ص: 92.

(3) البخاري: الصحيح، الأذان، وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل، ح(860)، 1/171. مسلم: الصحيح، المساجد ومواضع الصلاة، جواز الجماعة في النافلة، ح(658)، 1/457.

(4) يُنظر: فورار سارة وقوجيل رضوان: الطفل اليتيم ومجهول النسب بين الاضطرابات النفسية والانحراف، مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية، مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات، جامعة الحلفة، الجزائر، مجلد:10، العدد:3، 2017م، ص: 185.

وإن كانت فوائد كفالة اليتيم أكثر من هذه بكثير فمنها ما يعود على الكافل ومنها ما يعود على المجتمع عندما تعم ظاهرة الكفالة فيه، وكثير منها يعود على المتكفل به وهو اليتيم، وقد تكلمت عنها بعض الكتابات التي تناولت موضوع اليتيم⁽¹⁾، في هذا المقام عمدتُ إلى تلخيصها وذكر أهمها تجنبًا للطول.

المطلب الثاني: اهتمام السنة النبوية بمشاعر الطفل اليتيم.

وقد تجلّى هذا في نقاط ثلاثة بارز، هي:

أولاً: مراعاة الجانب النفسي والشعوري لليتيم:

من لطف الله ﷺ بهذه الفئة الضعيفة في المجتمع أن أوصى به خيرًا، ودعا إلى الإحسان إليها ورعايتها، وحثَّ على حفظ مال اليتيم وصيانتها إلى أن يكبر ويصير راشدًا يُحسن التصرف فيه؛ قال ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَحْ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة/220]. وقد دعت الآية إلى الإصلاح لهم بالتعليم والتأديب، ولأموالهم بالحفظ والتنمية؛ ونعتهم بالإخوة، ذلك أن المسلم أخو المسلم وينبغي عليه أن ينظر لليتيم كما ينظر لأخيه من النسب بالشفقة والتلطف والإصلاح لذواتهم وأموالهم.⁽²⁾

وإنَّ الشريعة الإسلامية عندما دعت إلى العناية باليتيم والإحسان إليه اهتمت به من جميع الجوانب، وكان للمشاعر والأمن النفسي حصَّة من العناية، فوجدت من النصوص الشرعية من ينهى عن اذية اليتيم في نفسه استضعافًا له واحتقارًا. قال الله تعالى في سورة الضحى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى/9]، ومعنى قوله ﷺ: "فلا تقهر" أي: لا تتسلط عليه بأخذ ماله، وخصَّ اليتيم بالذكر لأنه لا ناصر له غير الله، ودلَّت الآية على اللطف والشفقة على اليتيم وبره والإحسان إليه، وبه يلين القلب ويذهب

(1): يُنظر: محمد أبو الخير شكري: الطفولة بين الشريعة الإسلامية والتشريعات الدولية، ص: 315.

(2): يُنظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 411/2.

قسوته وغلظته؛ وفي هذا الأمر تذكير للرسول الله ﷺ بيئته ليكون أكثر رعاية له⁽¹⁾. وقيل: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيماً. وقد كانت العرب تحقر اليتامى، وتأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم⁽²⁾.

وقال ابن كثير: (أي: كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم، أي: لا تُدَلِّه وتنهره وتُهنه، ولكن أحسن إليه، وتَلَطَّفْ به.)⁽³⁾. وكل هذه المعاني إنما تشير إلى ضرورة مراعاة مشاعر اليتيم، فإنه بعد فقدته لوالديه لا ينبغي أن يؤذى في نفسه، وأكبر ما يؤلمه هو رؤية الناس يُقللون من شأنه ويقهرونه ولا ناصر له.

كما رُوِعت مشاعر اليتيم أثناء قسمة الميراث وهو حاضر في المجلس، في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء/8]؛ وكان الأمر بإسهامهم في القسمة لأجل تطيب نفوسهم وجبر خاطرهم، كما أن هذا الفعل يدفع ما قد يقع في نفوسهم من ألم وحسرة، أو حسد للورثة على ما ورثوه؛ وهو الذي عبّر عنه الرازي في قوله: (وعلم تعالى أن في الأقارب من يرث ومن لا يرث، وأن الذين لا يرثون إذا حضروا وقت القسمة، فإن تُركوا محرومين بالكلية ثقل ذلك عليهم، فلا جرم أمر الله تعالى أن يُدفع إليهم شيء عند القسمة حتى يحصل الأدب الجميل وحسن العشرة)⁽⁴⁾. وحتى إن كانت الآية منسوخة كما قال البعض⁽⁵⁾، إلا أنها تركت انطباعاً جميلاً في مراعاة هذه الفئة الضعيفة في حالها ومشاعرها.

(1): يُنظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1393هـ- 1973م، 10/1949.

(2): يُنظر: البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، 1/562.

(3): ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 8/427.

(4): فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، 9/503.

(5): جاء في تفسير الزمخشري: (عن سعيد بن جبير: أن ناساً يقولون نُسخت، ووالله ما نسخت، ولكنها مما تماونت به الناس)، يُنظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، 1/477. يُنظر أيضاً: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، 2/441. أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري: كتاب تفسير القرآن، ت: سعد بن محمد السعد، ط1، دار المآثر، المدينة النبوية، 1423هـ- 2002م، 2/584. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ت: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، 3/873.

ونهى الله تعالى عن الإساءة لليتيم في موضع آخر من القرآن الكريم، عندما قال ﷺ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي

يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون/1-3].

ومعنى قوله تعالى: "يدعُ اليتيم" أي: يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ويرده رداً قبيحاً بزجر وحشونة، فيقهره ولا يحسن إليه⁽¹⁾. وقد ربط الله تعالى هذا الفعل بالتكذيب بالدين فكأن الذي يُكذِّب بالدين يكون هذا فعله.

وقد أظهر النبي ﷺ في كثير من المواقف إكرامه لليتامى، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن جعفر قال: لَوُ رَأَيْتُنِي وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَقُتْمَ⁽²⁾ وَنَحْنُ نَلْعَبُ إِذْ مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ» فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ، وَقَالَ لِقُتْمَ: «ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ» فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ، فَدَعَا لَنَا، وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيَّ عَبَّاسٍ مِنْ قُتْمَ مَا اسْتُحْيِي مِنْ عَمِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا فَعَلَ قُتْمَ؟ قَالَ: اسْتَشْهِدَ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِالْحَيِّرَةِ⁽³⁾.

وكذلك مع زينب بنت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عندما أراد البناء بها، فمنعته زينب اليتيمة الصغيرة من شدة التصاقها بأماها وحاجتها إلى الرضاعة، حيث راعى النبي ﷺ هذا الشعور عند الأم وابنتها وامتنع عن الدخول على أهله، وقد تقدّم ذكره في مباحث سابقة.

ثانياً: مراعاة مشاعر اليتيم في ماله:

عني الإسلام بحفظ مال اليتيم عناية فائقة، وقد جاءت هذه العناية على وجهين من وجوه الحفظ:

أولها: حفظ ماله من الضياع والإتلاف، أو الاستغلال والتبذير.

ثانيها: حفظ ماله باستثماره في المشاريع التي تنميه؛ ثم تسليمه لصاحبه بعد نضجه ورشده.

- فالوجه الأول: أمرت به نصوص قرآنية وحديثية كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتِيمَ أَموالَهُمْ وَلَا

تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء/2]. وفي قوله تعالى "ولا

(1): يُنظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 467/8. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بديوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ-1998م، 684/3.

(2): قُتْمَ: (قال الأصمعي: قُتْمَ له من المال، إذا أعطاه دفعة من المال جيدة، وقُتْمَ: اسم رجل معدول عن قائم، وهو المعطى. ويقال للرجل إذا كان كثير العطاء: مائِحٌ قُتْمَ). يُنظر: الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2005/5.

(3): الحاكم: المستدرک، معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ح(6411)، 655/3. (واللفظ له)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ آخر، وهذا تخريجه عنده: البخاري: الصحيح، اللباس، حمل صاحب الدابة غيره بين يديه، ح(5966)، 170/7.

تبدلوا الخبيث بالطيب" معنيان، أحدهما: أنه أخذ الجيد من اليتيم وأعطاه الرديء مكانه، والثاني: بمعنى الربح على اليتيم، واليتيم غرّ لا علم له⁽¹⁾.

وذكر الوعيد الذي ينتظر كل من تَطَالَ يدهُ مال اليتيم بالظلم والإفساد، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهَا يَا كُؤُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء/ 10].
فما بقي لليتيم بعد فقدته لوالده هو ماله الذي سينهض به ويتقوى.

كما ثبت عن النبي ﷺ نهي عن إتلاف مال اليتيم واستغلاله لأغراض شخصية، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أَنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني فقيرٌ ليس لي شيءٌ، ولي يتيماً، قال: فقال: «كُلْ من مالِ يَتِيمِكَ غيرَ مُسْرِفٍ، ولا مُبَادِرٍ، ولا مُتَأْتِلٍ»⁽²⁾. قال القاضي: (أي: لا يُسرف في الأكل فيأكل منه أكثر ممَّا يحتاج إليه، ولا يُبدِّر فيتخذ منه أطمعة لا تليق بالفقراء، ويُعد ذلك تبذيراً منهم، وروي: ولا مُبادر بالبدال غير المعجمة أي من غير استعجال ومبادرة إلى أخذه قبل أن يفتقر إليه مخافة أن يبلغ الصبي فينزع ماله من يده، "وَلَا مُتَأْتِلٌ": ...أي: غير جامع مالاً من مال اليتيم، مثل: أن يتخذ من ماله رأس مال فيتجر فيه)⁽³⁾.

وروى ابن عباس، قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام/ 152] وَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا﴾ [النساء/ 10]، الآية انطلق مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبِسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ

(1): يُنظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ، 367/1.

(2): أبو داود: السنن، الوصايا، ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم، ح(2872)، 495/4. السنن، الوصايا، ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه، ح(3668)، 256/6. ابن ماجه: السنن، الوصايا، قوله (ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)، ح(2718)، 907/2. أحمد: المسند، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(6747)، 289/6. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: إرواء الغليل، ح(1456)، 277/5. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده حسن). وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح).

(3): علي الملا الهروي: مرقاة المفاتيح...، 2198/6.

عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلِ إِصْلَحْ لَهُمْ حَيْرٌ وَإِنْ

تَخَالَطُوهُمْ فَاخْوَنُكُمْ﴾ [البقرة/220]، فَخَالَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ. (1)

كما نهي النبي ﷺ من أن يتخذ مال اليتيمة سبباً لنكاحها طمعاً فيه، روى عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة رضي الله عنها، قال لها: يَا أُمَّتَاهُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء/3]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء/3] قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرٍ وَلِيَّهَا، فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ صَدَاقِهَا، فَتُنْهَى عَنْ نِكَاحِهَا إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ ، وَأَمَرُوا بِنِكَاحِ مَنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: اسْتَفْتَى النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء/127]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء/127]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْيَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَالٍ وَجَمَالٍ رَغِبُوا فِي نِكَاحِهَا وَنَسَبِهَا وَالصَّدَاقِ، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبًا عَنْهَا فِي قَلَّةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكُوهَا وَأَخَذُوا غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ؛ قَالَتْ: فَكَمَا يَتْرَكُونَهَا حِينَ يَرَعْبُونَ عَنْهَا، فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْكِحُوهَا إِذَا رَغِبُوا فِيهَا، إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهَا وَيُعْطُوهَا حَقَّهَا الْأَوْفَى مِنَ الصَّدَاقِ (2).

والحديث يُبَيِّنُ أَنَّ الْيَتِيمَةَ إِذَا كَانَتْ فَقِيرَةً وَذَمِيمَةً يُعْرِضُونَ عَنْ نِكَاحِهَا، وَإِذَا كَانَتْ ذَاتَ مَالٍ وَجَمَالٍ رَغِبُوا فِيهَا، وَالْأَمْرُ مِنْ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَكُونُ عِنْدَهُ الْيَتِيمَةُ إِذَا كَانَتْ جَمِيلَةً وَهَوَاها تَزْوِجُهَا وَأَكَلَ مَالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ ذَمِيمَةً مَنَعَهَا الرَّجَالُ حَتَّى تَمُوتَ إِذَا مَاتَ وَرَثَتُهَا؛ فَحَرَّمَ اللَّهُ ﷻ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْهُ (3).

(1): أبو داود: السنن، الوصايا، مخالطة اليتيم في الطعام، ح(2871)، 114/3. النسائي: السنن، الوصايا، ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه، ح(3669)، 256/6. الحاكم: المستدرک، التفسير، تفسير سورة النساء، ح(3184)، 331/2. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(2871)، 2/1. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده ضعيف). وقال علوي بن عبد القادر السقاف: (حسن لغيره)، يُنظر: تخریج أحاديث وآثار في ظلال القرآن لسيد قطب، ح(209)، 111/1.

(2): البخاري: الصحيح، النكاح، تزويج اليتيمة، ح(5140)، 18/7.

(3): يُنظر: بدر الدين العيني: عمدة القاري، 164/18.

وهذا السلوك من الظلم، والقهر، هو نوع من الاستبداد الذي يمنع البنت اليتيمة إرادتها وحريتها في الاختيار، وليس له دافع إلا حبُّ الذات والاستئثار للنفس والتعلق بالمال والشهوات؛ وقد نهى الإسلام عن هذا السلوك الذميمة في غير ما آية أو حديث.

ولا شك في أنَّ اليتيمة - سواء كانت ذات مال وجمال أو تفتقر إليهما- إذا عاشت واقعًا مريئًا كهذا تشكل عندها عقدة نفسية، وتردّد فيها مشاعر الألم والحسرة، إلى جانب الشعور بالضعف والانحزام، وتجذب الكثير من القيود التي تخنق حرّيتها في تقرير مصيرها، وإنَّ اليتيمة التي تفتقر إلى المال والجمال ينتابها الشعور بالاحتقار والضعف أكثر من نظيرتها، وهذا قد يجعلها تمقت نفسها وتنبذ المجتمع الذي تعيش فيه.

والوجه الثاني: وهو استثمار ماله في المشاريع التنموية المباحة التي تُدرُّ عليه ربحًا؛ وتسليمه لليتم مع الرشد. فهذا أيضًا تكلمت فيه نصوص كثيرة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء/6]. ومعنى الابتلاء في الآية الاختبار، أي اختبروهم عند الحلم فإن عرفتم من حالهم الصلاح في أنفسهم وأموالهم فادفعوها لهم⁽¹⁾.

وقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام/152]. والآية نصّت على النهي من قرب مال اليتيم، إلا أن هذا النهي جاء معه استثناء، وهو قوله تعالى: "إلا بالتي هي أحسن". قيل في معناه: أي طلب التجارة فيه والربح فيه⁽²⁾؛ وقال البغوي: (يعني: بما فيه صلاحه وتثمينه. وقال مجاهد: هو التّجارة فيه. وقال الضّحّاك: هو أن يتبغى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئًا، حتى يبلغ أشده) ⁽³⁾. والمتاجرة بمال اليتيم فيها خير كبير عليه، فإذا اشتدّ عوده وجد مالا كافيًا يرتكز عليه ويتقوى به. وإنَّ حفظ مال اليتيم وتنميته من شأنه أن يعزز مشاعر الأخوة والانتماء للمجتمع المسلم، كما يُشعره بالراحة والاطمئنان لأن ماله الذي ورثه لم يُضِع، ما يُؤكّد له عظمة التعاليم الإسلامية ورفعة قيمه وأخلاقه.

⁽¹⁾: يُنظر: السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 2/435.

⁽²⁾: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، 5/1418.

⁽³⁾: البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، 2/171.

ثالثًا: بُعد الناس اليوم عن التعاليم النبوية في التعامل مع اليتيم:

إنَّ بُعد الناس عن التعاليم الإسلامية في التعامل مع اليتيم، والزهد في كفالاته وُلد مفاسد كثيرة تجرَّعها اليتيم بالدرجة الأولى، ثم المجتمع بالدرجة الثانية - كما سبق بيانه-.

وإنَّ أبرز هذه المفاسد هي تدهور حالة اليتيم النفسية، وانحراف سلوكه. فقد (بيَّنت دراسات عديدة وجود علاقة طردية بين وجود الأطفال الأيتام في دور الإيواء نتيجة فقدان الوالدين واضطراب الصحة النفسية لديهم، حيث أنَّ 86% من المؤسسات لا تلبّي حاجات الأطفال النفسية على اختلافها...⁽¹⁾).

كما وُجد أنَّ أطفال الملاجئ يشعرون بعدم الأمان والتقدير الاجتماعي والانتماء، ويراودهم الشعور بالخوف والتوتر ونوبات الغضب، إضافة إلى الشعور بالحزن والاكتئاب والألم، وهذا يدفع بهم إلى القسوة وتنامي مشكلة السلوك العدواني⁽²⁾، والرغبة في الانتقام من المجتمع الذي زهد فيهم وينظر إليهم نظرة دونية دفع هذا الشعور بهم إلى مخالطة الممنوعات، وانتهاك حرمة نفوسهم بالانتحار- في بعض الحالات-؛ وهم ينظرون إلى غيرهم من الأطفال الذين يعيشون في أسرهم وبين والديهم نظرة احتقار وُبغض لأنهم في نظرهم أطفال مُدلَّلون يتمتعون بحياة سعيدة وآمنة ويجدون كل شيء مُجهَّز لهم دون عناء على غرارهم.

كل هذه الآثار السيئة وغيرها ترجع أساسًا إلى أنَّ اليتيم محروم من الرعاية الأسرية التي توفر له الأمان النفسي والحب والحنان، وتوفر له حاجاته بقدر كافي، وتُعيّنه على تكوين علاقات اجتماعية آمنة، كما يحظى بنظرة حسنة من المجتمع، وتُساعده الأسرة على تفجير قدراته، وتقوده إلى مستقبل ناجح ومثمر.

قد يمتنع كثير من الناس عن كفالة اليتيم لأنهم يُدركون أنَّ إدخال طفل غريب يؤدي إلى انتهاك حرمة النسب، فهو بعد أن يشبَّ ويصبح رجلاً يبقى أجنبيًا، ولا يجوز له ما يجوز للمحارم؛ إلاَّ أنَّ الشريعة الإسلامية أعطت حلاً مناسبًا لهذه المشكلة، حلاً يجعل منه واحدًا من أبناء الأسرة، وهو الرضاعة الطبيعية إذا تم إحضار اليتيم وهو لا يزال في مرحلة الرضاعة - أي أقل من العامين-، فهنا يمكن للأسرة أن ترفع عن نفسها الحرج بكفالاته، وتمنح اليتيم أسرة آمنة ودافئة يشعر من خلالها بأنَّه طفل عادي كسائر الأطفال.

(1): عليوي نوال: أثر التكفل بالطفل اليتيم...، ص: 90.

(2): يُنظر: عليوي نوال: المرجع نفسه. فورار سارة وقوجيل رضوان: الطفل اليتيم ومجهول النسب...، ص: 184.

المبحث الثاني: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط وولد الزنا، ومراعاتها لمشاعره.

إنّ هذين الفئتين - اللقيط وولد الزنا - من أكثر الفئات تهميشًا في المجتمع، وأكثرها ازدراءً عند عامة الناس، ورغم أنّ تقرير مصيرهم لم يكن بأيديهم، إلاّ أنّ ألسنة الناس ونظراتهم بالاحتقار لا تزال تطال هذين الفئتين من الأطفال؛ فهل نظرة الناس لولد الزنا واللقيط مستوحاة من نظرة الإسلام لهما؟ أم خصّهم في القرآن والسنة النبوية بأحكام وتعاملات تضمن كرامتهم وتحفظ سلامتهم من الأذى.

المطلب الأول: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط.

أولاً: تعريف الولد اللقيط:

1- معنى اللقيط في اللغة: لَقَطَ الشيء أخذَه من الأرض، واللُّقْطَةُ بتسكين القاف، اسم الشيء الذي تجده مُلقًى فتأخذه، ويكون الالتقاط من غير قصد وطلب، ويقال للفعل: الالتقاط، أو اللُّقْطُ، بمعنى الرِّفْعُ. واللَّقِيْطُ: عند العرب هو الصبيّ المنبوذُ يجده إنسانٌ قد وضع على الطريق ولا يعرف أبوه أو أمه. ويسمى منبوذًا إلى أن يُلقَطَ، فإذا وُجِدَ وأُخِذَ سمي لقيطًا؛ فكان تسميته لقيطًا باسم العاقبة؛ لأنّه يُلقَطُ عادةً أي: يُؤخذ ويُرفع؛ وقيل سُمي منبوذًا لأنّ أمه رمته على الطريق⁽¹⁾.

2- اللقيط في الشرع: هو: اسم لمولود حيّ طرحه أهله على الأرض؛ خوفًا من العيلة، أو فرارًا من تهمّة الزنا؛ وقيل، هو: الوليد الذي يوجد ملقى على الطريق لا يعرف أبواه. وقيل اللقيط اختص بالمنبوذ من بني آدم؛ والعيلة والعالة: بمعنى الفاقة؛ والفاقة: الفقر والحاجة.⁽²⁾

وفي تعريف آخر، قيل: (طفل لا يُعرف نسبه ولا يُعرف رِقَّة، طُرِحَ في شارع أو عند باب مسجد أو في المسجد أو نحوه أو ضلَّ الطريق، وهو صغير إلى التمييز، وقيل: إلى البلوغ وهو الذي تطمئن إليه النفس؛ لاحتياجه إلى الحفظ والقيام بتربيته وتعهد أحواله)⁽³⁾.

(1) يُنظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، 16/9. ابن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، 284/1. عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي: طلبة الطلبة، المطبعة العامرة-مكتبة المثنى، بغداد، 1311هـ، 92/1. عياض بن موسى اليحصبي: مشارق الأنوار، 3/2. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 264/4. المرتضى الزبيدي: تاج العروس، 76/20.

(2) يُنظر: الجرجاني: التعريفات، ص: 193. القونوي الرومي الحنفي: أنيس الفقهاء ..، 67/1. سعدى أبو حبيب: القاموس الفقهي، 332/1. فخر الدين الزيلعي: تبين الحقائق، 301/3. ابن جزى الكلبي: القوانين الفقهية، 224/1.

(3) أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحسن السلطان: الأسئلة والأجوبة الفقهية، 333/6.

ثانياً: حكم أخذ اللقيط وكفالاته:

الأصل في التقاط الطفل المنبوذ أنه مشروع، والحجة في ذلك أدلة عامة كثيرة من القرآن والسنة، منها:

- من القرآن الكريم: قوله ﷺ: ﴿ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج/ 77]. وأخذ

اللقيط للقيام على شؤونه من قبيل إحياء النفس التي حثَّ الله تعالى على حفظها؛ ولأنَّ بقائه مرمياً على الأرض يُعرضه للهلاك لا محالة، وربما تنهشه الحيوانات الضالة، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ مِثْلَ نَسُفٍ مِمَّا نُسِفَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَالْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ ﴾ [البقرة/ 178].

أخياً النَّاسَ جَمِيعاً ﴿ [المائدة/32]

- دليhle من السنة النبوية: إنَّ أخذ اللقيط وكفالاته، وعدم تركه للشارع ينهك لحمه وعظمه يُعتبر من الرحمة والأخوة التي دعا إليها الرسول ﷺ في عديد من الأحاديث، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من قصة الأقرع بن حابس التميمي، قال ﷺ: « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ »⁽¹⁾.

وخصَّ النبي ﷺ في حديث آخر الدعوة للرحمة بالصغير، واعتبر من لا يرحم الصغير ليس على طريقه وهدية ﷺ، فعن ابن السرح، قال النبي ﷺ: « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا »⁽²⁾.

فيرحم الصغير بالشفقة عليه، وحسن تعليمه وتأديبه، وكذا الإحسان إليه لعجزه؛ وهذا يشمل اللقيط.

وكفالة اللقيط تُشبه كفالة اليتيم، فكلاهما فاقد للحضانة والرعاية، قال ﷺ: « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا »، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى⁽³⁾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ دُونِهَا ».

(1): سبق تخريجه، ص: 189.

(2): أبو داود: السنن، الأدب، في الرحمة، ح(4943)، 4/ 286. أحمد: المسند، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(7073)، 6/ 485. البخاري: الأدب المفرد، فضل الكبير، ح(354)، 1/ 184.

الحاكم: المستدرک، البر والصلة، وأما حديث عبد الله بن عمرو، ح(7353)، 4/ 197. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ابن أبي شيبة: المصنف، الأدب، ما ذكر في الرحمة من الثواب، ح(25359)، 5/ 214. قال شعيب الأرنؤوط في تخريجه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح). وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح). قال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(6540)، 2/ 1114.

(3): سبق تخريجه، يُنظر، ص: 199.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

كُرِّبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾. ومعنى قوله ﷺ: " وَلَا يُسْلِمُهُ": لا يتركه مع ما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه؛ ويُقال: أسلم فلان فلانا إذا ألقاهُ إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه⁽²⁾. وعدو الطفل المرمي على الأرض هو الظروف الطبيعية القاسية التي تنتخر في جسمه، والشارع الذي لن يرحمه بفتح ما فيه من منكرات، ولذلك وَجِبَ التقاطه واحتضانه.

ثالثاً: بعض ما تعلق باللقيط من أحكام:

- التقاطه فرض على الكفاية، فمن وجده وخاف عليه الهلاك إن تركه لزمه أخذه ولم يحل له تركه، فإذا انفرد به ذو أمانة وعدالة سقط فرضه عن الباقيين؛ ومن أخذه بنية أنه يربيه لم يحل له رده، وإن أخذه بنية دفعه للسلطان فلا شيء عليه. قال الحنفية: فإن غلب على ظنه عدم الهلاك لكثرة الناس، بأن كان في مصرٍ أو قريةٍ فأخذهُ مندوب لما فيه من السعي في إحياء نفس محترمة.⁽³⁾

وأولى الناس بحضانة اللقيط واجده؛ لأنه وليُّه إن كان أميناً عدلاً، فقد جاء في صحيح البخاري عن أبي جميلة قال: وَجَدْتُ مُنْبُوذًا فَلَمَّا رَأَيْتُ عُمْرًا، قَالَ: «عَسَى الْعُوَيْرُ أَبُوَسًا»، كَأَنَّهُ يَتَّهَمُنِي، قَالَ عَرِيفِي: إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ، قَالَ: «كَذَاكَ أَذْهَبَ وَعَلَيْنَا نَفَقَتُهُ»⁽⁴⁾. والشاهد في القصة قول عريفه: "إنه رجل صالح". فَإِنْ كَانَ واجده غير مأمون عليه انتزع من يده إلى مأمون عليه.⁽⁵⁾

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، المظالم والغصب، لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ح(2442)، 128/3. مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، تحريم الظلم، ح(2580)، 1996/4.

⁽²⁾: يُنظر: أبو الفرج بن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، 484/2. بدر الدين العيني: عمدة القاري، 288/12.

⁽³⁾: يُنظر: ابن جزى الكلبي: القوانين الفقهية، 225/1. محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي أبو عبد الله: شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، 130/7. عبد الله بن محمود بن مودود الموصلبي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي: الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ-1937م، 29/3. أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني: البناية شرح الهداية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420هـ-2000م، 312/7. الماوردي: الإقناع في الفقه الشافعي، 122/1. البكري عثمان بن محمد الدمياطي الشافعي: إعانة الطالبين، 289/3. موسى بن أحمد أبو النجا: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، 405/2.

⁽⁴⁾: البخاري: الصحيح، الشهادات، إذا زكى رجل رجلا كفاه، ح(دون رقم)، 176/3.

⁽⁵⁾: عبد العزيز السلطان: الأسئلة والأجوبة الفقهية، 338/6.

واللقيط حرٌّ لأنَّ الأصل في بني آدم الحرية، قال ابن المنذر: (أجمع عوام أهل العلم على أنَّ اللقيط حرٌّ)⁽¹⁾؛ وهو مسلمٌ في الظاهر حتى يتبين ما سواه.⁽²⁾

رابعاً: إطلالة على المشاعر في هذه الأحكام:

- إنَّ المتأمل في جملة هذه الأحكام يجد فيها قدرًا كافيًا من الرعاية والعناية باللقيط والمراعاة لحاله وضعفه ووحدته؛ فإنَّ الشريعة الإسلامية جعلت التقاطه فرض ليتربى في بيت مسلم وأسرة ترعى شؤونه واحتياجاته ويشعر معها بالأمن والأمان والراحة والسعادة.

- إنَّ ما يمكن أن يلقاه الطفل المنبوذ مثل ما يلقاه اليتيم إن لم يتم التكفل به، من سوء حال وتدهور في صحته ونفسيته، وتعرُّضه للمشكلات والانحرافات السلوكية، والمضايقات الكلامية والاحتقار والتهميش.

- ويكون واجدُ اللقيط أولى بحضائنه من غيره، وهذه فيها نقاط ثلاثة:

1- إنَّ رسوخ تلك الصورة التي يرى فيها الطفل وهو مرمي على الأرض في مكان ما، كالرصيف أو البئر أو قرب نهر أو وسط حفرة، أو حتى بجانب القمامة كما شُهد في عصرنا الحالي عدَّة مرَّات؛ ذلك المشهد يضلُّ حبيسًا في ذاكرة من وجدته، يتردد في فكره كل مرَّة، ويدفعه للرأفة والشفقة عليه والتمسك به كولد له.

2- إنَّ الشرط في أن يكون المتكفل أمينًا عدلاً مهم جدًّا، وهذا حتى يحيا اللقيط في يد أمينة عادلة غير ظالمة، ترعى حقوقه المادية والمعنوية وتؤديها على الوجه المطلوب وعلى قدر المستطاع.

3- ويبقى مع مُلتقطه إلى أن يبلغ ويستغني عن رعايته وحضائنه، فإنَّ في تغيير الحاضنين له اضطراب في حاله وعدم استقرار له، ما يشعره بعدم الأمان والراحة.

4- وفي كونه حرًّا صيانة لكرامته وعزِّته التي منحها الإسلام له منذ ولادته.

رابعاً: الفرق بين اللقيط وولد الزنا:

رغم أنَّ اللقيط وولد الزنا يتشابهان في أنَّ كل منهما يوجد مرميًا ومُتخلى عنه، وقد جاء تعريف اللقيط على أنَّه ولد زنا عند كثير من علماء اللغة والفقه، فقيل: "اسم لمولود طرحه أهله على الأرض؛ خوفًا من

(1): أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري: الإشراف على مذاهب العلماء، ت: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، ط1، مكتبة مكة الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ-2004م، 358/6.

(2): ابن جزى الكلبي: القوانين الفقهية، 225/1. مجد الدين عبد الله البلدحي الحنفي: الاختيار لتعليل المختار، 29/3. الماوردي: الإقناع، 122/1.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

العيلة، أو فرارًا من تهمة الزنا". إلا أن هناك من فرّق بينهما، فقد ثبت عن الإمام مالك أنه قال: (فيمن قال لرجل يا منبوذ قال ما نعلم منبوذًا إلا ولد الزنا)⁽¹⁾. ولا يُسمى اللقيط منبوذًا بعد أن يلتقط.

- جاء في تعريف اللقيط، أنه: "من لم يُعرف أبواه"، وفي هذا وجهٌ تفریق بينه وبين ولد الزنا إذ أن الأخير تُعرف أمه على الأقل.

- قيل إن اللقيط ما التقط صغيرًا في الشدائد والجلاء وشبه ذلك، وولد الزنا ما طرح صغيرًا لأول ما وُلد. فيكون المنبوذ من نُبذ عند ولادته، وإنما يُفعل ذلك بمن وُلد عن زنى، واللقيط ما طرح بسبب الشدائد والجدب وليس عندما يُولد، فقط يُوجد اللقيط وهو دون سنّ التمييز أو قبل البلوغ.⁽²⁾

- واللقيط من حيث اللفظ أعمُّ من المنبوذ مطلقًا، لأنه يشمل ولد الزنا ومن ضاع من أهله.

المطلب الثاني: نظرة السنة النبوية لولد الزنا.

أولاً: من هو ولد الزنا؟

في اللغة: زنى يَزني زنىً وزِناءً: الرقي على الشيء، وأصله من الضيق؛ وزنى الرجل: فجعَر، وهو زانٍ، والجمع زناةٌ، مثل قاضٍ وقُضاةٍ؛ وفلان نسبه إلى الزنا، وهو ابنُ زنيّةٍ، وزنيّةٍ، خلاف قولهم هو ابن رَشْدَةٍ. والمنبوذ: ولد الزنا.⁽³⁾ وهو أيضًا: (وطئ المرأة في الفرج من غير عقد شرعي، ولا شبهة عقد، مع العلم بذلك، أو غلبة الظن)⁽⁴⁾.

وفي الشرع: ذكر الفقهاء للزنا عدّة تعريفات، تباينت في بعض الحدود والدلالات، ومنها:

هو: (في عرف الشرع واللسان وطئ الرجل المرأة في القُبُل في غير الملك وشبهة الملك. لأنه فعل محظور والحُرمة على الإطلاق عند التعري عن الملك وشبهته)⁽⁵⁾.

(1): الخطاب الرعي المالكى: مواهب الجليل، 299/6.

(2): يُنظر: الخطاب الرعي المالكى: المصدر نفسه، 299/6. الخرشي: شرح مختصر مختصر خليل، 130/7.

(3): الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص: 1292. أحمد الفيومي: المصباح المنير، 257/1. المرتضى الزبيدي: تاج العروس، 226/38. ابن منظور: لسان العرب، 359/14.

(4): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: معجم الفروق اللغوية، ت: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب «قم»، 1412هـ، ص: 268. يُنظر أيضًا: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 489.

(5): علي المرغيناني: الهداية في شرح بداية المبتدي، 344/2. الزيلعي: تبين الحقائق، 163/3.

وقيل: (انتهاك الفرج المحرم بالوطء المحرم في غير ملك ولا شبهة)⁽¹⁾. وقيل أيضاً: (وطاءً مُكَلَّفٍ مُسْلِمٍ فَرَجٍ أَدْمِيٍّ لَا مَلِكَ لَهُ فِيهِ بِاتِّفَاقٍ تَعَمُّدًا).⁽²⁾

وقال الجرجاني: (هو الوطاء في قُبُلِ خَالٍ عَنِ الْمَلِكِ وَشِبْهَةِ).⁽³⁾

وفي تعريف آخر، الزنا هو: (هو إيلاج الحشفة بفرج محرم لعينه خال عن شبهة مشتبهى . وقيل هو وطاء من قبل خال عن ملك ونكاح وشبهة)⁽⁴⁾

وأكثر التعريفات دقةً وأقربها إلى حدِّ الزنا هو التعريف الأول، وقال به الحنفية؛ لأنَّه أتى بالوصف التام الذي يُجْرَجُ الأفعال القبيحة الأخرى كوطء الدابة، واللواط، والجماع في الحيض والنفاس، لأنه فعل محرم ولكن لا يسمى زنا.⁽⁵⁾ وعلى تعريف الزنا يتمخض تعريف الولد الزنا، فيكون هو:

(هو الولد الذي أتت به أمه من طريق غير شرعي، أو هو ثمرة العلاقة المحرمة)⁽⁶⁾. وفي تعريف آخر، قيل: (هو الولد الذي تأتي به أمه نتيجة ارتكابها الفاحشة)⁽⁷⁾؛ والفاحشة هي الزنا.

وعليه: كل لقاء غير شرعي بين رجل وامرأة بالتراضي يُعدُّ زناً، وكل ولد نتج عنه يُسمى ولد زنا؛ ولا يمكن أن تُلبَّس حقيقته باسم غير اسمه ووصفه غير وصفه، كما يفعل دُعاة الحرية ومُدَّعي الإنسانية اليوم.

ثانياً: بيان الأحاديث الواردة في ذم ولد الزنا:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ولُدُّ الزَّانَا ثَلَاثَةٌ »⁽⁸⁾.

(1): القرابي: الذخيرة، 48/12.

(2): خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري: مختصر العلامة خليل، ت: أحمد جاد، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ- 2005م، ص: 240.

(3): الجرجاني: التعريفات، 115/1.

(4): المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، 187/1.

(5): بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد: الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، ط2، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1415هـ، ص: 90.

(6): وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، 7905/10.

(7): وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، 70/3.

(8): أبو داود: السنن، العتق، في عتق ولد الزنا، ح(3963)، 29/4. النسائي: السنن الكبرى، العتق، ذكر الاختلاف على مجاهد ، ح(4909)، 21/5. أحمد: المسند، مسند العشرة المشيرين بالجنة، ابتداء مسند أبي هريرة، ح(8084)، 170/8.

الحاكم: المستدرک، الطلاق، وأما حديث واثلة، ح(2853)، 233/2. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُجْرَجْه). وقال الألباني: (قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم". ووافقه الذهبي، وهو كما قالاً..، قلت: وإسناده حسن في المتابعات والشواهد)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(672)، 276/2. وقال أحمد شاکر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح).

هذا الحديث في ظاهره يُخبر أنّ ولد الزنا شرّاً من والديه، ولم يكن كذلك إلا لأمرين ذكرهما شُراح الحديث.

فالأول: أنّ والديه يصيران إلى الحدّ يُقام عليهما، فتكون العقوبة تمحيصاً لهما.

والثاني: أنّه شرُّهما أصلاً ونسباً ومولداً، لأنّه خلُق من ماء الزاني والزانية وهو ماء خبيث⁽¹⁾.

ويُجاب عن هذا المفهوم بروايات أخرى حملت تفصيلاً وبياناً لمراد رسول الله ﷺ، كما قدّمت فيه

توضيحات أعطت للحديث معنى مخالف.

قال ابن القطان: إنّ قول رسول الله ﷺ كان في رجل مخصوص⁽²⁾، وبيانه فيما قالته عائشة رضي الله

عنها ، عندما قيل لها: إنّ أبا هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَدُ الزَّانَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَيْسَ

كَذَا قَالَ، إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَاتِلُ رَجُلًا شَدِيدَ الْبَأْسِ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ وَلَدُ

زِنًا، فَقَالَ: «وَلَدُ الزَّانَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ، يَعْنِي: ذَلِكَ الرَّجُلُ»⁽³⁾.

ومن قول عائشة رضي الله عنها بنا الطحاوي توجيهه للحديث، قال: (بأن لنا بحديث عائشة أنّ قول

رسول الله ﷺ الذي ذكره عنه أبو هريرة: «وَلَدُ الزَّانِي شَرُّ الثَّلَاثَةِ» إنّما كان لإنسان بعينه كان منه من الأذى

لرسول الله ﷺ ما كان منه ممّا صار به كافراً شرّاً من أمّه، ومن الزّاني بها الذي كان حملها به منه)⁽⁴⁾.

وهو ما رجّحه الحاكم في تعليقه عليه، حيث قال: (وأما قوله: «وَلَدُ الزَّانَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ» فلم يكن الحديث

على هذا، إنّما كان رجل من المنافقين، يؤذي رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ فُلَانٍ؟» قيل: يَا رَسُولَ

اللَّهِ، مَعَ مَا بِهِ وَلَدُ زِنًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ شَرُّ الثَّلَاثَةِ»، وَاللَّهُ عَجَبٌ يَقُولُ: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَزْرُهُ وَزَرَ

أُخْرَى﴾ [الأنعام/164] (5). ويُجاب عنه أيضاً بحديث آخر عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «هُوَ

(1) يُنظر: ابن الأثير: جامع الأصول، 79/8.

(2) علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان: بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام

ت: الحسين آيت سعيد، دار طيبة، ط1، الرياض، 1418هـ-1997م، 256/4.

(3) البيهقي: السنن الكبرى، الأيمان، ما جاء في ولد الزنا، ح(1991)، 99/10. البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة، 261/4.

(4) الطحاوي: شرح مشكل الآثار، 367/2.

(5) الحاكم: المستدرک، الطلاق، وأما حديث وائلة، ح(2855)، 234/2.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

شُرُّ الثَّلَاثَةِ إِذَا عَمِلَ بِعَمَلِ أَبِيهِ «، يَعْنِي وَلَدَ الزَّانَا. (1) فيحمل المعنى على أَنَّ ولد الزنا لَمَّا كَانَ مَبْتُتُهُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ تَخَلَّقَ مِنْ مَاءٍ خَبِيثٍ، فَإِنَّهُ يُصْبِحُ أَكْثَرَ شَرًّا وَقَبْحًا إِذَا أَتَى بِعَمَلِ وَالِدِيهِ، وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي الزَّانَا. قال الألباني معلقًا على هذا الحديث: (وهذا التفسير، وإن لم يثبت رفعه، فالأخذ به لا مناص منه، كي لا يتعارض الحديث مع النصوص القاطعة في الكتاب والسنة أن الإنسان لا يؤاخذ بجرم غيره. (2).
الحديث الثاني: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة عاقٌّ، ولا مُدْمِنٌ خَمْرٍ، ولا مَنَانٌ، ولا وَلَدٌ زَنِيَّةٍ » (3).

صريح الحديث يُظهِرُ أَنَّ ولد الزنا لا يدخل الجنة، وإن صحَّ هذا فَمَهْمَا عمل من خير فإنه يُعاقب بجرم والديه ويبقى مربوطًا به أبدًا؛ ويُجرم دخول الجنة ولا ذنب له في الأمر إلاَّ أَنَّهُ تَخَلَّقَ مِنْ عِلَاقَةِ حَرَمَةٍ. وإن كان الظاهر المقروء هو هذا، فإنَّ عبارة " ولد الزنية" يمكن أن تحمل معنا مُغاير.

(1): أحمد: المسند، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ح(24784)، 297/41. ابن حبان: الصحيح، الزكاة، ذكر الإخبار عن نفي دخول الجنة عن المنان، ح(3383)، 176/8. الطبراني: المعجم الأوسط، الميم، من اسمه محمد، ح(7294)، 210/7. البيهقي: السنن الصغير، الأيمان والندور، الخيار في كفارة اليمين، ح(3179)، 105/4. قال الهيثمي: (إبراهيم بن إسحاق لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح)، يُنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح(10549)، 257/6. وقال الألباني: (وهذا الاضطراب من إبراهيم بن إسحاق، وهو إبراهيم ابن الفضل المخزومي المترجم في "التهديب"، وهو متروك كما في "التقريب" وسائر الرواة ثقات.)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ح(672)، 277/2. وقال شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد في التحقيق على مسند أحمد: (إسناده ضعيف جدًا، فيه إبراهيم بن إسحاق.. وهو متروك.. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين).

(2): الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، 277/2.

(3): النسائي: السنن الكبرى، العتق، ما ذكر في ولد الزنا..، ح(4894)، 17/5. أحمد: المسند، ومن مسند بني هاشم، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(689)، 380/6. الدارمي: السنن، الأشربة، في مدمن الخمر، ح(2138)، 1330/2. ابن حبان: الصحيح، الزكاة، ذكر الإخبار عن نفي دخول الجنة، ح(3383)، 175/8. قال الهيثمي: (فيه جابان وثقة ابن حبان، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(10552)، 257/6. وقال ابن الجوزي: (ليس في هذه الأحاديث شيء يصح.. وكله من تخليط الرواة.. فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظم ما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾)، يُنظر: الموضوعات، 110/3. قال الألباني: (وعلة هذا الإسناد، جابان هذا، فإنه لا يدرى من هو كما قال الذهبي، وإن وثقه ابن حبان على قاعدته. والزيادة التي في آخره منكورة لأنها بظاهرها تخالف النصوص القاطعة بأنَّ أحدًا لا يحمل وزر أحد وأنه لا يجزي أحد على أحد وفي ذلك غير الآية أحاديث كثيرة)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ح(673)، 680/2. وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح). وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على مسند أحمد: (صحيح لغيره دون قوله: "ولا ولد زنية"، وهذا إسناد ضعيف علته جابان.. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين).

قال الألباني: (ليس على ظاهره بل المراد به من تحقق بالزنا حتى صار غالباً عليه، فاستحق بذلك أن يكون منسوباً إليه، فيقال: هو ابن له، كما ينسب المتحققون بالدنيا إليها، فيقال لهم: بنو الدنيا بعلمهم وتحققهم بها، وكما قيل للمسافر ابن السبيل، فمثل ذلك ولد زنية وابن زنية، قيل لمن تحقق بالزنا، حتى صار تحققه منسوباً إليه، وصار الزنا غالباً عليه، فهو المراد بقوله: « لا يدخل الجنة »، ولم يُرد به المولود من الزنا ولم يكن هو من ذوي الزنا) (1).

وعليه فإنَّ المقصود من قوله ﷺ: "ولد الزنية" هو الشاب الذي وقع في الزنا، وتعود على ممارسته حتى صار يُنسب إليه؛ ولم يكن الطفل المولود من الزنا هو المقصود، فإنَّ الشريعة الإسلامية لم تكن لتحاسب شخصاً ما بجريرة غيره، بل كل إنسان محاسب على ذنوبه وما اقترفت جوارحه، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ انْتَهَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر/40].

وقد يكون الولد الناشئ من الزنا هو المقصود حقاً في الحديث، ويكون المراد منه أن: (النفطة إذا خُبثت خُبث النَّاشئ منها فيجترئ على المعصية فتؤدِّيه إلى الكفر الموجب للخلود،... ولعلَّ هذا مبنيٌّ على الأغلب) (2). وأقل شيء من حاله أن يُؤثِّر ذلك الخبث فيه، ويدبُّ في عروقه فيحمله على الشر ويورثه الخبث؛ وقد ذكر القرآن الكريم بُعد آل عمران مثلاً عن جريمة الزنا ونقائهم منها وكان ذلك وجهُ دليل عند الناس على براءة مريم بنت عمران وبُعدها عنه، قال الله سبحانه: ﴿ يَتَأَخَّتْ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ إِمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم/28]. فكان الحكم على سلامة الفرع من سلامة الأصل.

(1) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني: موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، ط1، صنَّعه: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء- اليمن، 1431 هـ -2010م، 401/9. يُنظر أيضاً: الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ح(915)، 374/2.

(2) علي الهروي: مرقاة المفاتيح، 2389/6.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

وقد يستدل البعض على أنّ الزنا من الآباء يُؤثر على عقلية الأبناء ومصيرهم بحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ وَلَدُ الزَّانَا الْجَنَّةَ وَلَا شَيْءٌ مِنْ نَسْلِهِ إِلَّا سَبْعَةَ آبَاءٍ»⁽¹⁾. غير أنّ الحديث موضوع ولا يُبنى عليه شيء من الفوائد والأحكام.

الحديث الثالث: عن ميمونة أم المؤمنين، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مُتَمَاسِكًا أَمْرَهَا مَا لَمْ يَظْهَرِ فِيهِمْ وَلَدُ الزَّانَا، فَإِذَا ظَهَرُوا خَشِيتُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»⁽²⁾.

وإن كان الحديث ضعيف؛ فقد يُراد بقوله: "ما لم يظهر فيهم ولد الزنا"، أي ما لم يتفشى فيهم فعل الزنا ويكثر الأولاد الذين نبتوا من الزنا؛ ومعروف عن سنّة الله تعالى في الخلق أنّه إذا تفشى الظلم والمنكر والفحشاء في بلد ما يُوشك الله أن يعمهم بعقاب، والله أعلم.

ثالثاً: ما يُستفاد من دراسة هذه الأحاديث في باب المشاعر.

جميع هذه الأحاديث سبقت في معرض الذمّ والحطّ من شأن ولد الزنا في المجتمع، وقد تبينّ خلاف ذلك؛ فلم يثبت في السنة حديث صحيح صريح في ذم هذه الفئة أو التقليل منها. ولو ثبت حديث واحد لكان له الأثر البالغ على نفسية هؤلاء ومشاعرهم، فإنّ ولد الزنا حين ذاك مهما اجتهد في طاعة الله ﷻ وفعل الخير، فإنّ الحديث يجزّ به في دائرة المغضوب عليهم، وهذا من شأنه أن يؤثر تأثيراً كبيراً على بنائه العقائدي والتعبدي، وارتباطه الاجتماعي، وصحته النفسية والفكرية.

ولو صح ما دلّ عليه ظاهر هذه الأحاديث لوجد ولد الزنا في نفسه الشعور بالانكسار والانحزام ويجزّ فيه الشعور بالضعف والمهانة، كما يزرع فيه الحزن والكآبة، ويجسّ بالأسف على نفسه أن كان ضحية ذنب تسبّب فيه غيره؛ ويعجز على إصلاحه لاستحالة العودة إلى الوراء.

لو صحّت هذه الأحاديث لكانت داعماً قوياً عند عامة الناس لدم ولد الزنا أكثر بكثير ممّا نشهده في الواقع، وهذا ما يزيد حاله سوءاً. وقد يدفعه هذا الواقع بكل العوامل المشجعة على استمراره إلى محاولة ولد

⁽¹⁾: الطبراني: المعجم الأوسط، الألف، من اسمه أحمد، ح(858)، 262/1. وقال الهيثمي: (فيه الحسين بن إدريس وهو ضعيف)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(10553)، 257/6. وقال الألباني: (باطل)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ح(1287)، 447/3.

⁽²⁾: الطبراني: المعجم الكبير، مسند النساء، العالية بنت سبيع، ح(55)، 23/24. قال الهيثمي: (...الحديث صحيح أو حسن)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(10551)، 257/6. وقال الألباني: (ضعيف)، يُنظر: ضعيف الترغيب والترهيب، ح(1442)، 64/2. وقال حسين سليم أسد الداراني: (إسناده ضعيف)، يُنظر: تحقيقه على مسند أبي يعلى الموصلي، ح(7091)، 06/13.

الزنا إخفاء حقيقته المؤلمة ونسيانها، والبعد عن كل العوامل والأطراف التي تُعرّف به عند الناس، وتُذكرُ بها.

رابعًا: مكانة ولد الزنا في الإسلام:

إنَّ ولد الزنا يدخل في عموم قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ ابْنِي وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء/124]. وقوله ﷺ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ

إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم/39-41]. كل النصوص الشرعية تؤكد على قاعدة شرعية

وقانون رباني يُفيد بأنَّ كل إنسان يتحمل وزر أعماله لوحده، ولا يشاطره فيها أحدٌ من البشر مهما كانت

صلته به- أمه أو أبوه، أخوه أو ابنه، أو غيرهم- ؛ وهذا القانون لا يظلم أو يُجايي أحدًا.

وولد الزنا لا يد له فيما اقترفه أبواه، بل هو ضحية نزوة عابرة وشهوة ثائرة خلّفت وجوده في الدنيا

بطريق حرام؛ وقد تحدّث رسول الله ﷺ عن هذا الأمر، وبَيَّن أن الابن في جميع الأحوال لا يحمل من إثم أبيه

شيء؛ فعن أبي رَمَثَةَ التَّمِيمِي، قال: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ بَرَأْسَهُ رُدْعَ حِجَّاءٍ،

وَرَأَيْتُ عَلَيَّ كَنَفِهِ مِثْلَ الشَّفَاحَةِ، قَالَ أَبِي: إِيَّيَّ طَبِيبٌ، أَلَا أَبْطُهَا لَكَ؟ قَالَ: «طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا» قَالَ:

وَقَالَ لِأَبِي: «هَذَا ابْنُكَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ، وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى بلفظ: «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَيَّ نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَيَّ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَيَّ

وَالِدِهِ»⁽²⁾. والجنابة بمعنى الذنب والإثم.

(1): أبو داود: السنن، أول كتاب الترجل، في الخضاب، ح(4208)، 270/6. أحمد: المسند، مسند الشاميين، حديث أبي رَمَثَةَ

التميمي، ح(17493)، 40/29. الطبراني: المعجم الكبير، الباء، من اسمه يثري، ح(721)، 282/22. البيهقي: السنن

الكبرى، الجنائز، سياق أخبار تدل على أن الميت يعذب، ح(7178)، 122/4. قال ابن الملقن: (هذا الحديث صحيح)، يُنظر:

البدر المنير، الحديث السادس بعد الخمسين، 472/8. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: إرواء الغليل، ح(2303)، 332/7. قال

شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح). قال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه على جامع الأصول: (

إسناده صحيح)

(2): الترمذي: السنن، الفتن، ما جاء دماؤكم وأموالكم عليكم حرام، ح(2159)، 461/4. وقال: (هذا حديث حسن

صحيح). ابن ماجه: السنن، الديات، لا يجني أحد على أحد، ح(2669)، 679/3. أحمد: المسند، مسند المكيين، سليمان

بن عمرو بن الأحوص، ح(16064)، 465/25. ابن أبي شيبه: المصنف، الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها،

ح(37162)، 453/7. البيهقي: السنن الكبرى، الجراح، إيجاب القصاص على القاتل، ح(15899)، 50/8. قال

الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ح(2669)، 169/6. وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن

ابن ماجه: (صحيح لغيره).

والحديث فيه دلالة على أن كل أحد لا يُطالب بجناية غيره، سواء كان قريباً كالأب والولد أو أجنبياً، وإنما يؤاخذ بجناية نفسه.(1)

وعن مسروق قال: قال رسول الله ﷺ: « لَا أَلْفَيْنَكُمْ تَرْجِعُونَ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، لَا يُؤْخَذُ الرَّجُلُ بِجَرِيرَةِ أَبِيهِ، وَلَا بِجَرِيرَةِ أَحِيهِ »(2).

وقد ذُكر تخصيص ولد الزنا في براءته من فعل والديه في الدنيا والآخرة، حيث روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لَيْسَ عَلَى وَلَدِ الزَّانَا مِنْ وَرَرِ أَبِيهِ شَيْءٌ » ﴿ وَلَا نِزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام/164] (3).

وعليه فإنَّ الشريعة الإسلامية تنظر إلى ولد الزنا نظرة البراءة والسلامة من كل إثم أو ذنب وقع فيه والداه، ولا يختلف عن سائر الأولاد الشرعيين في حقوقه وواجباته، فله ما لهم من حق الحياة، والحرية، وحفظ الكرامة، والعيش في أمن وسكينة وراحة؛ ولم يجد أبناء الزنا في مجتمعاتنا العربية المسلمة ما يجدونه من نظرة سيئة إلا بسبب بُعد الناس عن تطبيق التعاليم الإسلامية وجهل الكثير منهم بها.

قال ابن تيمية: (ولد الزنا إن آمن وعمل صالحًا دخل الجنة وإلا جُوزي بعمله كما يُجازى غيره؛ والجزاء على الأعمال لا على النسب؛ وإنما يُدْمُ ولد الزنا لأنه مظنة أن يعمل عملاً خبيثًا كما يقع كثيرًا، كما تُحمد الأنساب الفاضلة لأنها مظنة عمل الخير، فأما إذا ظهر العمل فالجزاء عليه وأكرم الخلق عند الله أتقاهم) (4) ومن الظلم الذي نهى عنه الإسلام تعيير ولد الزنا والانتقاص من قدره، ونبذه في المجتمع؛ يقول الله ﷻ:

﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [الحجرات/11]. وبين رسول الله ﷺ أن تعيير الآخرين بأفعالهم وأفعال آبائهم وأمهاتهم وألوانهم وقبائلهم ونحوه، من أعمال الجاهلية الباطلة؛ فعن المعرور

(1): يُنظر: الصنعاني: سبل السلام، 367/2. ابن الأثير: جامع الأصول، 250/10.

(2): النسائي: السنن، تحريم الدم، تحريم القتل، ح(4127)، 127/7. ابن أبي شيبة: المصنف، الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعود منها، ح(37187)، 456/7. البزار: المسند، مسند عبد الله بن مسعود، عبد الله بن مرة وغيره، ح(1959)، 334/5. الطبراني: المعجم الأوسط، من اسمه علي، ح(4166)، 269/4. قال المهيبي: (رجاله رجال الصحيح)، يُنظر: مجمع الزوائد، ح(10705)، 283/6. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ح(4199)، 199/9.

(3): الحاكم: المستدرک، الأحكام، ح(7053)، 112/4. وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الألباني: (حسن)، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(5406)، 952/2.

(4): ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 312/4.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

بن سويد، قال: لَقِيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: « يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»⁽¹⁾. والشاهد من الحديث بدايته.

وبناءً عليه يترتب على المجتمع المسلم معاملة ولد الزنا معاملة عادلة كريمة، وأن يُنظر إليه نظرة منفصلة عن والديه؛ فإذا كان طفلاً يُعامل معاملة الأطفال وما يحتاجونه من حضانة ورعاية وتربية وتوجيه، وعطف ورحمة، وهو في هذه المرحلة صفحة بيضاء لا يعرف عن نسبه شيء، فينبغي ألا يُزرع فيه الحقد والكراهية نحو الآخرين بسوء المعاملة؛ وإذا صار بالغاً شاباً واعياً فيجب أن يُؤخذ بما اقترفت جوارحه وحسب.⁽²⁾

خامساً: مشاعر ولد الزنا وعلاقتها ببعض الأحكام الخاصة به.

أعطت الشريعة الإسلامية لكل ذي حقٍّ حقه، وبيّنت لكل فئة من فئات المجتمع ما لها وما عليها من حقوق وواجبات، وضبطت هذه الحقوق والواجبات بأحكام شرعية تُنظم سيرها وتضمن أدائها. ونظراً لخصوصية الحالة في ولد الزنا فقد أُستثنى في بعض المسائل وأُعطيت له أحكام خاصة، إلى جانب الأحكام العامة التي يُشارك فيها غيره من الأطفال الشرعيين.

وقد تبين أن هذه الأحكام تحوي قدرًا لا بأس به من العناية بمشاعر ولد الزنا؛ فهو وإن وُلد بسبب غير شرعي، إلا أنه يبقى إنسان له روح وجسد كسائر الخلق؛ يجد في نفسه من المشاعر ما يجدون، فيفرح لما يفرحون له، ويحزن لما يحزنون لأجله؛ ولا يمكن إهمال هذا الجانب فيه، لأنَّ الإهمال في عمومته يدفع للأسوأ. وقد كانت الشريعة الإسلامية السبّاقة في مراعاة مشاعر ولد الزنا، من خلال جملة الأحكام الشرعية التي

اختصت به؛ وبيانها فيما يلي:

أ- حق ولد الزنا في الحياة وحرمة إسقاطه:

لا يُعلم خلاف بين الفقهاء في حرمة إسقاط الجنين بعد نفخ الروح، لأنَّ ذلك يُعدُّ قتل للنفس؛ وقد

(1): البخاري: الصحيح، الإيمان، المعاصي من أمر الجاهلية، ح(30)، 15/1.

(2): يُنظر في الموضوع: أحمد عبد المجيد محمد محمود حسين: أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي - أطروحة ماجستير -، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2008، ص:95. خالد بن سعود البليهد: كرامة ولد الزنا في الإسلام، موقع صيد الفوائد، saaid.net

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

حكا القرابي وغيره الإجماع في هذا، قال: (وإذا قَبِضَ الرَّحِمَ المني فلا يجوز التعرض له وأشدُّ من ذلك إذا تخلَّقَ وأشدُّ منه إذا نُفِخَ فيه الروح فإنَّه قتل نفس إجماعًا)⁽¹⁾. أمَّا قبل نفخ الروح فيفيه أقوال؛ وها هنا شيء من البيان والتفصيل:

- القائلون بالجواز:

ذهب الحنفية إلى إباحة إسقاط الولد ما لم يتخلق منه شيء، ونُقِلَ عن الفقيه علي بن موسى⁽²⁾ قوله: إنَّه يُكرهه، فإنَّ الماء بعدما وقع في الرحم مألَّه الحياة فيكون له حكم الحياة.⁽³⁾ وبهذا صرَّح الحنابلة، فقال أحدهم: ("ولرجل شُرِبَ دواء مُباح يمنع الجماع"...، "ولأنثى شُرِبَ"...، "لإلقاء نطفة"؛ لأنَّها لم تتعقد بعدُ وقد لا تتعقد ولدًا؛ "ولا يجوز شُرْبَ دواء لإلقاء علقة لانعقادها."⁽⁴⁾ وهذا الكلام دال على جواز إلقاء الجنين قبل نفخ الروح، اما بعد العلوق أي مع نفخ الروح فيحرم؛ وهو المعنى الذي صرح به آخر، فقال: (...ولأنثى شربه لإلقاء نطفة قبل أربعين يومًا...)⁽⁵⁾

- القائلون بالمنع:

المشهور عند المالكية أنَّ المني إذا صار في الرحم لا يجوز إخراجها، وأشدُّ من ذلك إذا تخلَّقَ، وأشدُّ منه إذا نُفِخَ فيه الروح؛ كما لا يجوز للمرأة أن تأتي بما يُسقط جنينها ولو قبل الأربعين، كما لا يجوز للزوج فعل ما يُسقطه ولو كان من ماء زنا.⁽⁶⁾

وأما الشافعية فعلى حرمة إجهاض الجنين قبل نفخ الروح ولو كانت نطفة أو علقة، وفعله يُعدُّ جريمة؛

(1): القرابي: الذخيرة، 4/419. يُنظر أيضًا: ابن جزى: القوانين الفقهية، 1/141.

(2): هو: (الإمام العلامة شيخ الحنفية بخراسان، أبو الحسن علي بن موسى بن يزيد القمي النيسابوري، كان عالم أهل الرأي في عصره بلا مدافعة، وصاحب التصانيف، منها: كتاب "أحكام القرآن"... تصدَّر بنيسابور للإفادة، وتخرَّج به الكبار، وبعد صيته، وطال عمره، وأملى الحديث، وكان صاحب رحلة ومعرفة. سمع من: محمد بن حميد الرازي، ومحمد بن معاوية بن مالج، وتفقه بمحمد بن شجاع الثلجي... ذكره الحاكم، فعظمه وفخَّمه، وقال: توفي سنة خمس وثلاث مائة.) يُنظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م، 11/144.

(3): يُنظر: ابن عابدين: الدر المختار وحاشية بن عابدين، 3/176. ابن نجيم المصري: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، 3/215.

(4): مصطفى بن سعد السيوطي شهرة الحنبلي: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، 1/267.

(5): عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلبي الخلوقي الحنبلي: كشف المخدرات والرياض الزهراء لشرح أخصر المختصرات، ت: محمد بن ناصر العجمي، ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان-بيروت، 1423هـ-2002م، 1/97.

(6): يُنظر: الخرشبي: شرح مختصر خليل، 3/225.

قال البكري الشافعي: (وفي البجيرمي ما نصه: واختلفوا في جواز التسبب في إلقاء النطفة بعد استقرارها في الرحم فقال أبو إسحاق المرزوي يجوز إلقاء النطفة والعلقة، ونقل ذلك عن أبي حنيفة رضي الله عنه. وفي الإحياء، في مبحث العزل، ما يدل على تحريمه، وهو الأوجه، لأنها بعد الاستقرار آيلة إلى التخلق المهياً لنفخ الروح..⁽¹⁾ وكان قول أبي حامد الغزالي في هذه المسألة أكثر وضوحاً ودقّة، حيث قال: (وليس هذا كالإجهاض والوآد لأن ذلك جنابة على موجود حاصل وله أيضاً مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جنابة فإن صارت مضغّة وعلقة كانت الجنابة أفحش وإن نفخ فيه الروح واستوتت الخلقة ازدادت الجنابة تفاحشاً)⁽²⁾.

وعن كون الجنين ولد الزنا، فهل يجوز إسقاطه استثناءً من الولد الشرعي، أم يبقى الحكم على عمومه عند الشافعية؟ قال الماوردي: (... إذا وجب الحدُّ على حاملٍ لم يجز أن تُحدَّ حتى تضع حملها، ويسكن ألم نفاسها؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للغامدية، حين أقرت عنده بالزنا، وكانت حاملاً: " اذْهَبِي حَتَّى تَضَعِي حَمْلَكَ "؛ ولأنَّه إذا حدَّها في حال الحمل أفضى إلى تلفها وإجهاض حملها، وكلا الأمرين محظور)⁽³⁾.

وهذا الحكم ينطبق على كل جنين حتى وإن كان من زنا، فإنَّ عدم شرعيته لا تبيح إسقاطه والاعتداء على حياته، والقاعدة الفقهية تقول: " الرُّخص لا تُنَاط بالمعاصي "؛ قال الخرشي من المالكية: (ولا يجوز للمرأة أن تفعل ما يُسقط ما يبطنها من الجنين... ولو من ماء زناً..)⁽⁴⁾.

وفي السنّة العملية دليل قوي على هذا في قصة المرأة الغامدية التي زنت، حيث لم يأمرها بإلقاء ما في بطنها بعد أن صرّحت بحملها، بل كان عادلاً ورحيماً بولدها، ولم يُقم عليها الحدُّ حتى وضعت وأرضعت ثم سلّمته لرسول الله صلى الله عليه وآله فينظر من يكفله ويؤدي حقوقه.

روى سليمان بن بُريدة عن أبيه، قال: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَرْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: « وَيْحَكَ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ » فَقَالَتْ: أَرَأَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَرَ بَنَ مَالِكٍ، قَالَ: « وَمَا ذَاكَ؟ » قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الرَّبِيِّ، فَقَالَ: « أَنْتِ؟ » قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: « حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكَ »، قَالَ: فَكَفَّلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: « قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ »، فَقَالَ: « إِذَا لَا نَزْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ »، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

(1): البكري: إعانة الطالبين ، 298/3.

(2): أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، 51/2.

(3): الماوردي: الحاوي الكبير، 419/13.

(4): المصدر نفسه.

، فَقَالَ: إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا.(1)

وفي رواية أخرى لمسلم: قالت: هَذَا قَدْ وَكَّدْتُهُ، قَالَ: « اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ »، فَلَمَّا فَطَمْتَهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلِ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.(2) وهنا يظهر جلياً أن رسول الله ﷺ لم يحكم بقتله مع أمه، بل ضمن له حياته، ثم رضاعته، وكفالاته عند رجل مسلم ليربي مع أسرة مسلمة يتعلم فيها شعائر الدين والأخلاق.

نقل الملا الهروي في شرحه على الحديث كلام جيد لأحدهم قال: (فيه أن الحمل لا يُقام عليها الحدُّ ما لم تضع الحمل لثلاً يلزم إهلاك البريء بسبب المذنب سواء كانت العقوبة لله تعالى أو للعباد)(3). إن إثبات حق الحياة لولد الزنا يُشعره بالأمان والطمأنينة؛ وأنه إنسان كسائر البشر له كيانه وكرامته، يتمتع بمطلق الحرية والاستقلالية، كما أن هذا الحكم يُظهر له ولغيره مدى عدالة الشريعة الإسلامية وإنصافها حيث أنها لم تأخذه بجريرة والديه.

ب- نسب ولد الزنا:

ولد الزنا يتبع أمه من جهة النسب إجمالاً كما يتبعها في الملك والإرث والحرية والرق؛ ولا يلحق بالزاني رغم أنه صاحب الماء الذي تخلَّق منه قطعاً(4). ويدل عليه ما رُوِيَ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أن النبي ﷺ قال: « مَنِ ادَّعَى وَكَلَدًا مِنْ أُمَّةٍ لَا يَمْلِكُهَا أَوْ مِنْ حُرَّةٍ غَاهَرَ بِهَا فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُ بِهِ وَلَا يَرِثُ وَهُوَ وَكَدُ زَنَّا لِأَهْلِ أُمِّهِ مَنْ كَانُوا »(5). ومردُّ ذلك لأسباب، منها:

(1): مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالزنا، ح(1695)، 1321/3.

(2): مسلم: الصحيح، الحدود، من اعترف على نفسه بالزنا، ح(1695)، 1323/3.

(3): الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 2335/6.

(4): أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م، 142/4.

(5): أبو داود: السنن، الطلاق، في ادعاء ولد الزنا، ح(2266)، 280/2. ابن ماجه: السنن، الفرائض، في ادعاء الولد، ح(2746)، 917/2. أحمد: المسند، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاصي، ح(7042)، 470/6. الحاكم: المستدرک، الفرائض، ح(7993)، 380/4. عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، الفرائض، المستلحق والوارث يعترف بالدين، ح(19138)، 289/10. البيهقي: السنن الكبرى، الفرائض، لا يرث ولد الزنا من الزاني، ح(12504)، 425/6. قال البوصيري: (هذا إسناد حسن.. ولم يذكره المزني وهو وارد عليه)، يُنظر: مصباح الزجاجة، ح(976)، 151/3. وقال الألباني: (حسن)، ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح(2266)، 2/1. وقال سعد بن عبد الله آل حميد في تحقيقه على مختصر تلخيص الذهبي لابن الملقن: (الحديث ضعيف بهذا الإسناد)، يُنظر: ح(1037)، 3095/6.

- أن نسبه من جهة أمه مُتَيَقَّن لا شك فيه، فهي التي حملت به وهي التي ولدته، ولهذا فهي ترثه ويرثها.
- وأنَّ مَاءَهُ يكون مستهلكاً بمائها فيترجح جانبها.(1)
- ثمَّ إنَّ في إثبات نسبه للزاني تضييعٌ للأنساب وتعدي على حرمتها، فإنما النسب الصحيح يُبنى على العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة.
- وفي عدم إثبات نسبه للزاني ردُّ لكل من تُحدِثه نفسه بالزنا، حتى يدُرُس عواقب فعله قبل الوقوع فيه.
- ويرى بعض الفقهاء(2) جواز إلحاق ولد الزنا بالزاني، وأفضلية إثبات نسبه على نفيه في حال لم تكن المرأة فراشاً- أي متزوجة-، وفي حال لم يقع خلاف وتنازع على إثبات بنوته لأبيه، بل أقرَّ الرجل أنه ابنه ورَضِيَ بأنَّ يلحق الولد به، ولم يدَّعي نسبه إليه أحد؛ كما أنَّ هذا الفعل يُحَفِّق مقاصد أخرى، وهي الحفاظ على الولد من الضياع والإهمال والانحراف، وحمايته من الأضرار النفسية والجسمية والاجتماعية التي يمكن أن تلحقه بعدم إثبات نسبه.(3)

قال ابن القيم: (.. وهو إذا كان يُلْحَقُ بِأُمَّه، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَتَرْتُهُ وَيَرِثُهَا، وَيُثَبِّتُ النَّسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَقْرَبِ أُمِّهِ مَعَ كَوْنِهَا زَنْتَ بِهِ، وَقَدْ وُجِدَ الْوَلَدُ مِنْ مَاءِ الزَّانِيَيْنِ، وَقَدْ اشْتَرَكَا فِيهِ، وَأْتَفَقَا عَلَى أَنَّهُ ابْنُهُمَا، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ حُجُوقِهِ بِالْأَبِ إِذَا لَمْ يَدَّعِهِ غَيْرُهُ؟ فَهَذَا مَحْضُ الْقِيَاسِ...)(4).

أَمَّا عَنْ مَشَاعِرِ وَلَدِ الزَّانِي حِيَالَ نَسَبِهِ: فَعَلَى أحوال:

- في الغالب العام نجد ابن الزنا يلوم والديه على وضعه؛ فتكون علاقته بهما وخاصةً أمه مضطربة متوترة مشحونة بمشاعر الغضب والسخط وعدم الرضا مع محاولات التمرد على الأوامر والأحكام التي يصدرانها.
- وفي حالات أخرى قد يسعى ابن الزنا إلى البحث عن والده محاولاً إحياء العلاقة معه، ومع إخوته من أبيه إن كان له أولاد شرعيون؛ في محاولة منه لإثبات وجوده والتأقلم مع الوضع.

(1) يُنظر: الزيلعي: تبين الحقائق، 72/3. الملا خسرو: درر الحكام شرح غرر الأحكام، 6/2. ابن نجيم المصري: البحر الرائق، 251/4.

(2) وَهُمْ: الحسن البصري، إسحاق بن راهوية، وابن تيمية، وابن القيم، عملاً بمذهب عمر بن الخطاب في المسألة، يُنظر: ابن القيم: زاد المعاد، 381/5. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 139/32.

(3) يُنظر: محمد علي فركوس أبي عبد المعز: الموقع الرسمي، الفتوى رقم: ، 9 ماي 2019م.

(4) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد من هدي خير العباد، 381/5.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- ويمقت ولد الزنا والده ويبغضه لأنه تسبّب في وجوده بهذه الصفة، وقد نفى علاقته به ثم تركه وأمه لوحدهما يصارعان الواقع والمجتمع.

- والأسوأ من ذلك عندما يفتح ولد الزنا عينيه في دار الأيتام، ويدوق فيها أشكالا من المعاملة السيئة والتقصير في حاجات اليومية من الطعام الجيد والملبس المناسب وغيرها؛ وبعد أن يكبر ويبحث عن والديه يجد أنّ كل منهما يعيش حياته الخاصة بصورة عادية مريحة، فيكون ظهوره أمامهما من جديد تنغيص عليهما، وقد يقابلانه بالرفض، ما يزيده حزناً واكتئاباً، ويدفعه لفعل سوء انتقاماً من نفسه ووالديه.

وعليه فإنّ ولد الزنا في جميع الأحوال يعاني أمراضاً نفسية ومشاعر سلبية بسبب نسبه غير الصحيح، إن لم يجد مجتمعاً يحتضنه ويُعامله بصورة طبيعية كإنسان سوي عادي، لا يذكره بأصله أو يُعيّره به.

ج- رضاعة ولد الزنا وحضانتها:

بالنظر إلى حديث الغامدية السابق، فإنّ ولد الزنا له كامل الحق في الرضاعة والحضانة والكفالة؛ أمّا رضاعته فهي تلحق أمه بالدرجة الأولى وهي ملزمة بأدائها له، ودليل هذا عموم ما ذكرته الآية القرآنية من

أَنَّ رِضَاعَةَ الْأَبْنَاءِ تَتَكَلَّفُ بِهَا أُمَّهَاتُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضْعَةَ﴾ [البقرة/233]؛ وجاء تخصيص الأمر في ولد الزنا من حديث الغامدية السابق، حيث أمرها رسول الله ﷺ بإرضاع ابنها حولين كاملين.

قال القرابي: (وأما المُرْضِعَةُ فالأُمُّ مطلقاً لأنّ الزنا لا يُنْأَى الأُمومة. (1)). وحضانتها كذلك تلحق أمه ما لم يُطبّق عليها الحد؛ لعموم الأحكام المتعلقة بالحضانة وترتيب الحاضنين، وأمّه أولى بحضانتها من غيرها (2)، وقد سبق بيان هذا الترتيب في فقرة متقدمة. (3)

(1): القرابي: الذخيرة، 273/4.

(2): يُنظر: أحمد عبد المجيد حسين: أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي - أطروحة ماجستير -، ص: 97. أحمد بن علي الشهابي اليمني: ولد الزنا وأحكامه - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون اليمني والأندونيسي - (مقالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه وأصوله)، جامعة الحمديّة، سوراكرتا، سنة النشر 1437هـ - 2016م، ص: 08.

(3): يُنظر: ص: 86.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبيه على الأحكام الشرعية.

وحديث الغامدية تكلم عن حضانة ولد الزنا، وأن من حقه الحصول على الحضانة كطفل لا حول له ولا قوة إلى أن يشتد عوده، فالغامدية لما جاءت بالصبي وقد استغنى عن الرضاعة، دفع رسول الله ﷺ الصبي لرجل من المسلمين يحضنه ويتكفل به.

قال ابن عبد البر: (قال مالك لا تُحْدُ حتى تضع إذا كانت ممن تُجلد وإن كان رجماً رُجمت بعد الوضع، وقد زوي عنه أنها لا تُرجم حتى تجد من يكفل ولدها، والمشهور من مذهبه أنه إن وُجد للصبي من يُرضعه رُجمت وإن لم يُوجد للصبي من يُرضعه لم تُرجم حتى تفظم الصبي، فإذا فطمت الصبي رُجمت)⁽¹⁾.

سادساً: نظرة المجتمع لأولاد الزنا.

إنّ الشريعة الإسلامية عندما حرّمت الزنا فلأنها نظرت إلى مآلاته، وإنّ من أشدها قبيحاً وضرراً هو إنجاب ولد بطريق غير شرعي، قد حُرِمَ أهم حقوقه لو كان طفلاً شرعياً، منها نسب يتشرف به، ثم تمتعه بكفالة والده له ورعايته وحضانته؛ وحق التوارث بينهما؛ وأيضاً العيش بكل فخر واعتزاز بين الناس...

وهذه الأخيرة هي بمثابة الضربة القاسمة لظهره، فإنّ المجتمعات العربية والإسلامية بصفة عامة تنظر لولد الزنا على أنه وصمة عار على نفسه وعلى والديه، ويعتبرونه مذنباً وشريراً، وأنه يحمل في طبيعته وأخلاقه وأفكاره كل قبيح، فيكون اجتنابه والبعد عن مخالطته أسلم وأفضل؛ ولا بد من أن يلحظ نظرات الاحتقار والدونية من المجتمع ويلمسها في تعاملهم معه.

وهذا بلا شك يضر بصحته النفسية وشعوره، ويحطم عزيمته وإرادته في محاولة صنع صورة أحسن لنفسه، مما يدفع به إلى القلق والحيرة والتوتر، ويؤلّد فيه النفور من المجتمع والانعزال عنه، وقد يجره الأمر إلى التمرد على قوانينه عصيانها وهذا يُوقعه في الجريمة والانحراف.

إنّ مجرد تَعْيِير ولد الزنا بأمه ونَسَبِهِ، يُعدُّ منكراً وجريمة يُحاسب عليه كل من قام به، وقد نهت الشريعة الإسلامية عن هذا الفعل ودعت إلى اجتنابه من جهة كون ولد الزنا لا ذنب له فيما هو واقع فيه، والله عَزَّ وَجَلَّ

يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَزَرْنَا أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿[الأنعام/164]. ولأجل مراعاة مشاعره والحفاظ على كرامته من جهة أخرى.

(1): ابن عبد البر: التمهيد، 134/24.

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قَضَى رسول الله ﷺ في وَلَدِ الْمُتَلَاعِنِينَ، أَنَّهُ يَرِثُ أُمَّهُ، وَتَرِثُهُ أُمَّهُ، وَمَنْ قَفَّاهَا بِهِ جُلِدَ ثَمَانِينَ، وَمَنْ دَعَاهُ وَكَذَرَ زَنًا جُلِدَ ثَمَانِينَ.⁽¹⁾

وقد أجاب ابن تيمية عن حكم الرجل يشتم آخر ويقول له: أنت ملعون ولد زناً؟، قال: (يجب تعزيره على هذا الكلام، ويجب عليه حدُّ القذف إن لم يقصد بهذه الكلمة ما يقصده كثير من النَّاس من قصدهم بهذه الكلمة أنَّ المشتوم فعله خبيث كفعل ولد الزنا).⁽²⁾، وإذا قالها بقصد رميه في عرضه وجب عليه الحد. والإسلام لما حرَّم الزنا كفعل قبيح شنيع، وكبيرة من الكبائر، نصَّ القرآن الكريم على عقوبته وأوجب تطبيقها على مرتكبيه، فإنَّه لم يظلم تلك المضغة البريئة التي قُدِّر لها أن تكون نتاج علاقة محرمة، بل دعا إلى احتضانه ورعايته والإحسان إليه، كما بينته النصوص والشواهد التي حملت هذه الدعوة.

فكان الأرحح والأولى بالمسلمين اليوم إتباع التعاليم الإسلامية في التحذير من الزنا ومنع وقوعه عن طريق التوعية والإرشاد بالتربية الصالحة التي تحث على العفة والحياء، وعن طريق الدروس والخطب في المساجد، وإدراج وحدات تعليمية في مناهج التربية والتعليم تحذر من هذا الفعل القبيح وتبين آثاره السلبية على دينه وصحته والمجتمع؛ كما يتم الحدُّ من وقوعه عن طريق تسليط العقوبة الشرعية على مرتكبيه وترهيب كل من يفكر في فعله؛ مع الاجتهاد في رفع كل المثيرات والدوافع التي تدعو إليها. فواقعنا اليوم يتهجم على ابن الزنا ويُقبحه بدلاً من ازدراء الفعل الذي تَسبَّب في وجوده.

إنَّ أكثر دول العالم تحضراً ورقياً اليوم، تُصنّف الزنا ضمن قائمة الحقوق والحريات الشخصية التي لا يجب المساس بها، وإنَّ كثيراً من الدول العربية الإسلامية لا تُطبق على الزاني العقوبة الرادعة التي تمنع من انتشاره حتى وإن لم تكن العقوبة الشرعية؛ وهو الأمر الذي جعل جريمة الزنا تزداد تفشيًا، وأبناء الزنا يزدادون عددًا.

⁽¹⁾: أحمد: المسند، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، ح(7028)، 454/6. قال الهيثمي: (رواه أحمد من طريق ابن إسحاق قال: وذكر عمرو بن شعيب، فإن كان هذا تصريحًا بالسماح فرجاله ثقات، وإلا فهي عنعنة ابن إسحاق وهو مُدلس، وبقية رجاله ثقات). يُنظر: مجمع الزوائد، ح(10685)، 280/6. وقال الحسن بن أحمد الصنعاني: (في إسناده محمد بن إسحاق وبقية رجاله ثقات.)، يُنظر: فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، ح(4606)، 1541/3. وقال الألباني: (وابن إسحاق مدلس، ولم يصرح بالتحديث..)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تحت رقم: ح(4839)، 397/10. وقال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح).

⁽²⁾: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 228/34.

في الجزائر فقط يُولد ما يقارب الـ45 ألف طفل غير شرعي سنويًا، وأغلب هذه الولادات تتم خارج العيادات⁽¹⁾، ومصيرهم بعد الولادة مجهول؛ فقد يسير البعض إلى حتفه فيموت إهمالاً، أو يُرمى في القمامة من لحظة ولادته، وقد تتكفل الدولة بعدد منهم، كما يمكن أن تقوم بعض الأسر المحرومة من الإنجاب بضم بعضهم إليها تحت مسمى الكفالة أو التبني.

وعليه يكون جديرًا بالأمة المسلمة أن تعني بهذه الشريحة الضعيفة من المجتمع، وأن تتم مخالطتهم والتعامل معهم بطرق أخلاقية وإنسانية مثلهم مثل سائر الناس، مع مراعاة ما أحاطتهم الشريعة الإسلامية به من أحكام تختص بهم في بعض القضايا.

المبحث الثالث: التبني، وأثره على مشاعر الطفل.

للتبني والتسول آثاره النفسية على الطفل، وهي على درجات متفاوتة بينهما، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: التبني، وموقف الإسلام منه.

عُرف التبني كنظام اجتماعي ذو طابع إنساني تعمل به الكثير من الشعوب والقبائل، منذ عهد قدم قبل مجيء الإسلام، وتبناه الأسر المحرومة وغير المحرومة من الذرية؛ وفي عصرنا الحالي سعت الكثير من الدول الغربية إلى تقنينه وتنظيم أحكامه في تشريعاتها الخاصة، ليكون واحدًا من الطرق البديلة عن الأسرة الحقيقية في حال الضياع أو تفكك الأسرة أو الفقر ونحوها.

فمن خلال ما تقدّم هل رحّب الإسلام بالتبني كحل لمشكل الأطفال المشردون والفاقرين لأسرهم؟، وهل التبني يُعدُّ فعلاً حلاً مناسباً للمشاكل المختلفة لهذه الفئة من الأطفال، وخاصة من الناحية النفسية؟.

أولاً: تعريف التبني.

في اللغة: التبني من "بنو" بمعنى: الشيء يتولد من الشيء؛ يقال تَبَنَيْتُهُ وَتَبَنَّاؤُهُ، أي: اتَّخَذْتُ ابْنًا، أو ادَّعَى بُنُوَّتَهُ وهو ليس له بابن في الأصل.⁽²⁾

⁽¹⁾ يُنظر: نسيم لكحل: قانون جديد في الجزائر لإثبات نسب الأطفال غير الشرعيين، موقع صحيفة القبس، alqabas.com. كريمة خلاص: الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان تدق ناقوس الخطر: 45 ألف مولود غير شرعي سنويًا في الجزائر، جواهر، موقع الشروق، echoroukonline.com.

⁽²⁾ يُنظر: مرتضى الزبيدي: تاج العروس، لفظ "بنى"، 228/37. ابن منظور: لسان العرب، فصل الباء الموحدة، 91/14. محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي: معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، 1408هـ - 1988م، 121/1.

وفي اصطلاح الفقهاء: بمعنى: اتَّخَذَ الشَّخْصَ وَلَدًا غَيْرَهُ ابْنًا لَهُ، ويدعوه إليه الناس⁽¹⁾؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا

جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

[الأحزاب/4]؛ فسماه الله تعالى بـ "الدَّعِي" ، من الإِدْعَاءِ، وادَّعَاهُ بمعنى: صَيَّرَهُ إِلَيْهِ واستلحقه به⁽²⁾.

وهذا المعنى ينطوي على جملة من التبعات أهمها:

- يَتَّمُّ التَّبْنِيَّ بِالْحَاقِّ الطِّفْلَ الْمُتَّبَنَى بِالْمُتَّبِنِيٍّ مِنْ جِهَةِ النِّسْبِ فَيَصِيرُ لَهُ بِمِثَابَةِ الْابْنِ الشَّرْعِيَّ.
- تنزِيلُ الطِّفْلِ الْمُتَّبَنَى بِمَنْزِلَةِ الْابْنِ الصُّلْبِيِّ وَمَسَاوَاتِهِ مَعَهُ فِي كَافَّةِ الْحَقُوقِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَرْمِيَّةِ، وَالْمِيرَاثِ.
- يَصِيرُ الطِّفْلُ تَحْتَ وَايَةِ مُتَّبِنِيهِ، وَيَكُونُ مِنْ حَقِّهِ التَّصَرُّفِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ⁽³⁾.

ثانيًا: موقف الشريعة الإسلامية من التبني.

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يظهر جليًا أنَّ التبني يحمل صورة الخداع والكذب، والافتراء والتدليس الذي حرّمه الإسلام، والعدل يُوجب قول الحق ونسبة الولد إلى أبيه من النسب الصحيح، فإن لم

يكن معلومًا فلا يصح نسبته لآخر زورًا. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ

بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا

ءَابَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ﴾ [الأحزاب/4-5].

قال ابن تيمية معلقًا على الآية: (فأوجب علينا دعاءه لأبيه الذي ولدته دون من تبناه وحرّم التبني. ثم

أمر عند عدم العلم بالأب بأن يدعى أخًا في الدين ومولى.)⁽⁴⁾. وإنما جاء هذا التحريم للمفاسد والمنكرات

التي يمكن أن تقع على الطفل المُتَّبَنَى، أو على الأسرة التي تبنته.⁽⁵⁾

(1) يُنظر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، 120/10.

(2) يُنظر: المرتضى الزبيدي: المصدر السابق، 50/38.

(3) يُنظر: مصطفى الخن - الدكتور مصطفى البغا - علي الشربجي: الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط4، دار القلم،

دمشق، 1413هـ - 1992م، 27/4.

(4) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 164/29.

(5) يُنظر: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، 7248/10.

ثالثاً: واقع التبني في عصرنا الحاضر.

شهدت عملية تبني الأطفال في وقتنا الحالي اهتمام ورعاية كثير من المؤسسات الاجتماعية في بلدان عدّة من العالم، وأخذت في شكلها العام إطاراً إنسانياً تحت رداء رعاية الأطفال وحمايتهم من التشرد والضياع؛ وكانت الفئات المعنية من الأطفال هم المحرومون من الأبوين أو أحدهما بسبب الوفاة أو الفراق، والأطفال غير الحاصلين على الرعاية الملائمة في أسرهم الحقيقية، أو الأطفال ضحايا الحروب والنزاعات. وتعمل هذه المؤسسات على اختيار ما يسمى بالأسرة البديلة للطفل، حيث تكون قادرة على توفير احتياجات الطفل المادية والمعنوية. وفي حالات أخرى نجد بعض الزوجين يُهدّون أحد أطفالهم وهو لا يزال جنيئاً لأحد الأقارب الذي حُرِمَ الإنجاب لسنوات، فإمّا أن يبقى تحت اسم والده الحقيقي وإما أن يتحول إلى العائلة الجديدة.

المطلب الثاني: طبيعة تعامل النبي ﷺ مع مجهول النسب، ومدى تأثير التبني على مشاعر المُتبني.

أولاً: تعامل النبي ﷺ مع الولد مجهول النسب.

لقد كان منهج رسول الله ﷺ في التعامل مع سائر البشر كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»⁽¹⁾ وإنّ تعامله ﷺ مع هذه الفئة من الأطفال لم يخرج عن منهجه العام في التعامل بالأخلاق الحميدة، فقد كان يتّسم بالرحمة والرفق، ومراعاة المشاعر والعواطف؛ ونبذ العنف والغلظة.

- عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ خَدَمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤْفِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةً نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»⁽²⁾. وقد قرّن رسول الله ﷺ النهي عن الدعوة على النفس والولد بالنهي عن الدعوة على

(1): البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبي ﷺ، ح(3559)، 4/189. مسلم: الصحيح، الفضائل، كثرة حياته ﷺ، ح(2321)، 4/1810.

(2): أبو داود: السنن، تفريع أبواب الوتر، النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله، ح(1532)، 2/88. وقال: (هذا الحديث متصل، عبادة بن الوليد بن عبادة، لقي جابراً). ابن حبان: الصحيح، الحظر والإباحة، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به...، ح(5742)، 13/51. قال الألباني: (إسناده صحيح على شرط مسلم)، يُنظر: صحيح أبي داود، ح(1371)، 5/260. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (إسناده صحيح). وقال حسين سليم الداراني: (إسناده صحيح)، يُنظر: موارد الظمان للهشمي، ح(2411)، 8/53. وقال أيمن صالح شعبان: (إسناده صحيح)، يُنظر: تعليقه على جامع الأصول لابن الأثير، ح(2134)، 4/165.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

الخادم الذي يمكن أن يكون طفلاً لقيطاً ومجهول النسب، وقد تضمن معنى الحديث الدعوة إلى معاملة الخادم مثل معاملة الولد الصلي.

- وقد حدث أن رسول الله ﷺ تبنى زيد بن حارثة ؓ عندما كان صغيراً، وأراد أن يكون واحداً من بين أولاده حتى صار الناس يُلقبونه بزيد بن محمد، وظلّ الحال كذلك حتى نزلت الآيات التي تُحرم التبني؛ فقد حُرّم التبني ولكن رسول الله ﷺ باقى على حسن عشرته وطيب أخلاقه ومحبته لزيد بن حارثة وأبنائه. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ مُحَاطَ أُسَامَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعَنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ أَجَبِيهِ فَإِنِّي أَجِبُهُ »⁽¹⁾.

ثانياً: مدى تأثير التبني على مشاعر الطفل.

إنَّ جُلَّ المؤسسات التي تشرف على رعاية الأيتام ومجهولي النسب - بصفة عامّة-، تضع عدّة شروط على الأسرة التي تريد تبني طفل من داخلها، ومن بين هذه الشروط:

- أن يكون الأبوين صالحين للرعاية ومُدركين لعظم المسؤولية التي سيتحملانها، وأن يكونا على وعي بمختلف الاحتياجات التي تتطلبها مرحلة الطفولة.

- أن يكون المنزل الذي سينزل به الطفل متوفراً على الشروط الصحية والحيوية التي تخدم استقراره وراحته؛ كما يلزم أن يكون قريباً من المرافق الأساسية التي يحتاجها الطفل كالمؤسسة التعليمية والصحية والرياضية.

- أن تسمح الأسرة البديلة بإشراف المؤسسة الاجتماعية على سير العملية ومتابعة أحوال الطفل مع زيارة المنزل من حين لآخر.

- أن يتجاوز دخل الأسرة الحد الأدنى للأجر، حتى يتمكنوا من توفير احتياجات الطفل المختلفة.⁽²⁾

⁽¹⁾: الترمذي: السنن، المناقب، مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنهما، ح(3818)، 677/5. وقال: (هذا حديث حسن صحيح). ابن ماجه: الصحيح، إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ؓ، ذكر الأمر بمحبة أسامة بن زيد، ح(7058)، 534/15. ابن حبان: الصحيح، إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر الأمر بمحبة أسامة بن زيد، ح(7058)، 534/15. قال الألباني: (حسن)، يُنظر: مشكاة المصابيح، ح(6176)، 1740/3. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: (إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين..).

⁽²⁾: يُنظر: دويدي سامية و رحاوي سعاد كحلولة: الصورة الوالدية وعلاقتها بالبناء النفسي لدى المتبنين، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 13 (02)، 2021م، ص: 87-90.

ورغم ذلك فإنّ الوصول إلى المطلوب وتحقيق المقصود يبقى بعيد المنال في ظل انعدام العاطفة الحقيقية التي تتكون نتيجة البنية الفطرية بين الوالدين والطفل، إلى جانب إخضاع الطفل للعيش في جو أساسه الكذب والتزوير، سيدرك حقيقته لا محالة وسيتجرع انعكاساته السلبية يومًا ما.

ولذلك سيعاني الطفل تحت سقف التبني جملة من المشكلات، أهمها:

- حاجة الطفل لقدر كافي ودائم من الحب والحنان الذي يشعر من خلاله أنّه في كنف أسرته الحقيقية، وتحقيق هذا المطلب ضعيف جدًا مع غياب العاطفة الحقيقية التي تربط أفراد الأسرة بالطفل؛ مع عدم استجابة الأقارب والجيران لذلك، وبقاء النظرة السطحية والمعاملة التي يظهر عليها التكلّف أو الجفاء.

- في كثير من الحالات تنجح الأسرة البديلة في إخفاء الحقيقة عن الطفل لفترة معينة، فقد يُفصح الأمر بسبب الكثير من العوامل والسلوكيات، ويعلم عاجلاً أم آجلاً حقيقته؛ ولكن تأتي الحقيقة في عمر متقدم لا يسمح له بتقبلها، وتعجز الأسرة البديلة حينذاك عن وجود حل أو أسلوب مناسب لتوضيح الأمر؛ وينشأ عن ذلك نفور الطفل من أفراد الأسرة وأولهم الزوجين اللذين تبنيانه.

- ويدخل الطفل في صدمة نفسية مصحوبة بكثير من التساؤلات والشكوك، مع نزع الثقة من المحيطين به؛ ويجد في نفسه مشاعر الحسرة والألم والضييق، والشعور بالضعف والانحزام والوحدة، وكأنّه لم يكن إلاّ لعبة في يد الآخرين.

- ويُدرك المُتبنّي في كثير من الحالات أنّه لم يؤتِ به من الميتم أو مؤسسة الرعاية إلاّ لسدّ فراغ عاطفي، وتحقيق رغبة شخصية في وجود طفل ضمن الأسرة، وليس المساهمة في إنقاذ نفس بريئة من الضياع وصناعة إنسان مسلم ناجح.

- وقد يجد الطفل من المُتبنّي القسوة في المعاملة والحِدّة في الطبع بحكم غياب العاطفة التي تجمعهما.

- خوف الطفل المُتبنّي من أن يفقد حياة الرفاهية التي وفّرتها له الأسرة البديلة وعودته لأسرته الحقيقية يُحتمّ عليه تقبل واقعها كما هو، وهذا يُسبب له اضطرابًا في نفسيته وسلوكه يجعله يعجز على تحديد مساره.⁽¹⁾

- اعتراض أفراد العائلة الكبيرة على أحقيّة الولد المُتبنّي في الميراث، يُفجّمه في عداوة وصراع لا أصل له، وقد يُعرضه للخطر والأذى.

(1): يُنظر: دويدي سامية و رحاوي سعاد كحلولة: الصورة الوالدية وعلاقتها بالبناء النفسي لدى المتبنين، ص: 87-90.

الباب الثاني..... مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية.

- وفي حالة تبني الطفل من داخل العائلة الكبيرة، فإنَّ الواقع يشهد عن حدوث مشاكل بين الوالدين الحقيقيين والمُتبنِّي، حيث أنَّ الوالدين يُقرران استرجاع طفلهما بعد عمر ما، ليأتي الرفض المطلق من جهة المُتبنِّي ويتسبَّب الأمر في مشاكل بعيدة المدى بين الأُسرتين؛ وهذا من شأنه أن يخلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في حياة الطفل، ناهيك أنَّ الطفل سيعتبر نفسه سببًا في النزاع القائم بين من يعتبرهم والديه من الجهتين، فيشعر بالحزن والأسى لأجل ذلك.

كل هذه المشاكل وغيرها سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو مالية دعتِ الشريعة الإسلامية إلى اجتنابها بتحريمها التبنِّي من أساسه، فلا يَنْجُرُّ عنه غير أذية الطفل بنسبته لغير والده الحقيقي، مع الكثير من المساوئ الأخرى كاختلاط الأنساب، وإعطاء الحق لمن لا حق له في المحرمية والميراث وغيرها. والشريعة الإسلامية عندما حرَّمت التبنِّي أعطت بديلاً عنه وهو الكفالة، لتجد حلاً لمشكلة الأطفال اليتامى ومجهولي النسب، فيبقى الطفل على أصل نسبه إن كان معلومًا، أو يُدعى "أخاً" أو "مولى" إن كان مجهولاً.

ويكبر الطفل ضمن حقيقة معلومة، وهي أنَّ الأسرة التي يعيش فيها ليست أسرته الحقيقية وأنَّه يجد المعاملة الحسنة منها وفق ما يُملِّيه الإسلام من المعاشرة بالمعروف والرفق بالضعيف، وأن بإمكانه البحث عن عائلته الحقيقية عندما يتسنى له ذلك.

وفي ختام هذا الفصل، يتضح لنا:

الأثر البارز الذي تلعبه التنشئة الاجتماعية على حياة الطفل في سلوكه ومشاعره وبناء شخصيته، فقد يكون هذا الأثر إيجابياً إذا وَجد من يَعْتني به ويُوْجِّهه إلى الخير، وقد يكون سلبياً إذا حدث العكس. وإنَّ أكثر فئة محرومة من الحياة الأسرية الآمنة، التي ألقى بها القدر إلى حتمية البحث عن الأمان والراحة في المحيط الاجتماعي الواسع، هي فئة: اليتامى، والأطفال اللقطاء، وأبناء الزنا، والذين تمَّ تَبْنِيهم. وفي كل هذه الأحوال يتخبط الطفل في معترك الحياة مع أشخاص آخرين قد لا يجد عندهم من العطف والحب ما يُنْعش جسمه الضعيف ويغذي مشاعره المرهفة.

ولهذا حثَّ النبي ﷺ على ضرورة العناية بهذه الفئة المهشَّة، وكفالتهم، واحتضانهم، وإكرامهم، حتى لا يكونوا طُعماً سائغاً لأصحاب الأهواء والمنحرفين، وأحاطهم بمجموعة أحكام شرعية تضمن التكفل بهم بشكل حسن صحيح، في ظل مراعاة مشاعرهم حتى لا يُصيبهم ما يؤذيهم في أنفسهم وأجسادهم وممتلكاتهم.

من خلال ما تقدم في هذا الباب، نصل إلى:

أنَّ السنة النبوية وضعت منظومة تربية وتعليمية متكاملة تقوم على العناية بالطفل في ظل مراعاة مشاعره، تنطلق من ربطه شعوريًا بالله تبارك وتعالى وتعليمه أصول العقيدة الصحيحة، وتربيته على حبِّ الله تعالى وحبِّ رسوله ﷺ، ثم إلى تعليمه أحكام العبادات، على رأسها أركان الإسلام الخمسة، فيتعوّدها الطفل ويتعلّق قلبه بها. وفي هذه جميعًا رفع لمعنوياته وبثّ الطمأنينة والسعادة في نفسه.

وألقى عليه الصلاة والسلام اهتمامه على أسرة الطفل، فنصَّ على أحكام تُعين على تحقيق السعادة والراحة لكل أفرادها، بداية من لحظة تكوينها، إلى أساليب التعامل مع الأطفال في مختلف الجوانب: المادية والعاطفية، والفكرية كأهمية الحوار مع الطفل، إلى ما يمكن أن يُهدد بانفصالها وتشتُّتها، وخصَّ البنت بأحكام كثيرة راعى فيها الجانب العاطفي الذي يُعتبر من أكبر محرّكات السلوك عندها، فدعا إلى إكرامها والإحسان إليها بما يُساعد على تربيتها تربية حسنة.

وأعطى النبي ﷺ اهتمامًا كافيًا بفتنة اليتامى واللقطاء وأبناء الزنا والتبني من أطفال المجتمع، فحثَّ على ضرورة العناية بهم والتكفل بهم، ويبيّن ما يتعلق بهم من أحكام يجب التقيد بها عند التعامل معهم ومن ذلك إظهار ما يحتاجون من إظهار الحب والرحمة والعطف عليهم.

الباب الثالث:

مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الأساليب التأديبية،
وبعض المشكلات الشعورية عند الطفل وعلاجها التربوي
في السنة النبوية.

ويتضمن تمهيداً وفصلين وملحق:

تمهيد: أهمية التأديب كأسلوب تربوي تعليمي لتوجيه مشاعر الطفل وتقويم سلوكه.

الفصل الأول: أثر الأساليب التأديبية في تدعيم مشاعر الطفل الإيجابية وتوجيه مشاعره
السلبية.

الفصل الثاني: بعض المشكلات الشعورية عند الطفل، وعلاجها التربوي في السنة النبوية.

ملحق: بيان بعض الأسرار الشعورية في تعليم الأطفال الآداب الشرعية
في ضوء السنة النبوية.

تمهيد: أهمية التأديب كأسلوب تربوي تعليمي لتقويم مشاعر الطفل وتعديل سلوكه.

ثبت شرعاً أنّ لكل إنسان مسؤولية ملقاة على عاتقه اتجاه من استرعاه الله تعالى عليهم، وتكون هذه المسؤولية حسب مكانته منهم وقدرته؛ فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽¹⁾. وهكذا فكل من الأب والأم مسئول في الأسرة، وكلّ منهما يمارس مسؤوليته بما يتناسب مع موقعه فيها.

وأهم واجبات هذه المسؤولية هو قيامهما على تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة صالحة وفق ما تمليه أحكام الشريعة الإسلامية من آداب وضوابط، حتى يشبّوا عباداً صالحين قادرين على تحمل المسؤولية؛ ودليله ما روي عن أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»⁽²⁾. وعليه فتأديب الطفل عملية لا بد منها لتكوين الفرد الصالح، فلا يمكن تحقيق اعتدال في سلوك الطفل من تلقاء نفسه من دون توجيه وتأديب.

1- معنى التأديب:

يأتي التأديب في اللغة بمعنى التعليم والتهديب، والتقويم، والمعاقبة على الإساءة، وأيضاً بمعنى الضرب الخفيف والتوبيخ والوعيد والتعنيف الذي يُراد به الإصلاح⁽³⁾.

وفي الاصطلاح التأديب هو تلك العملية التربوية التي تهدف إلى تقويم سلوك الطفل وتعليمه مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال فيعتادها ويألفها، وبه يستقيم أمره في الحال والمآل؛ بما يتوافق مع الشرع الإسلامي الحنيف⁽⁴⁾.

2- من المسؤول عن تأديب الطفل؟

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ..﴾

[التحريم/06]؛ ووقاية الأهل من النار تكون بتعليمهم، وتوجيههم، وتحذيرهم، وتأديبهم أيضاً؛ والأطفال

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 186.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 142.

(3): يُنظر: الجرجاني: التعريفات، 19/1. محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي: معجم لغة الفقهاء، 118/1. سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي، 71/1.

(4): يُنظر: لانصاري رشيدة: تأديب الأطفال - المشروعية والوسائل - دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، مج3، ع:2، ديسمبر 2019، ص: 422.

من أهل الرجل وخاصَّته.

وفي حديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أَعَلَّمَكُمْ...»⁽¹⁾، ومنه تكون مهمة الوالد هي التربية والتعليم، وهي ملقاة على كاهل الوالدين بالدرجة الأولى؛ ثم يأتي بعدهما كل معلم ومربي، فكما جعل رسول الله ﷺ - وهو المرشد الأول والمعلم - نفسه في مقام الوالد، يكون كذلك كل معلم كالوالد يُربي ويُعلم؛ فمعلم القرآن في المسجد مُربي، ومرِيَّة الأطفال في الروضة، والمعلم في المدرسة، إلى الأقربون من أهل الطفل؛ وكل من رأى سلوكًا قبيحًا من الطفل وجب عليه التنبيه عليه، والتحذير منه؛ فالنصيحة للطفل واجب مُلقى على الجميع. ويشهد لهذا حديث المسؤولية السابق، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...». وهذه النصوص وغيرها تدل كلها على مشروعية التأديب وتحت عليه.

3- ضرورة التأديب لتعديل سلوك الطفل وتقويم مشاعره.

إنَّ عملية التأديب التي تبنى على التربية والتعليم والتوجيه، بالنصيحة والرفق والموعظة الحسنة، أو بالتوبيخ والتعنيف والعقاب، يُعدُّ ضرورة لا بدَّ منها لتقويم السلوك وتوجيه المشاعر والعواطف توجيهًا سليمًا في نصابها؛ ومبدأ الثواب والعقاب هو منهج رباني في التعامل مع أفعال البشر، فالمحسن له ثوابه، والمسيء عليه عقابه، قال الله تعالى عن ثواب المؤمنين الصالحين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ؕ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة/9]، وعن جزاء الكافرين، قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِنَا وَرُسُلَنَا هُزُوًا﴾ [الكهف/105-106].

ولتأديب الطفل آثار إيجابية كثيرة، إذا تمَّ بطريقة صحيحة؛ ومن أبرز نقاط هذه الأهمية على المستوى السلوكي والعاطفي، ما يلي:

(1): النسائي: السنن، الطهارة، النهي عن الاستطابة بالروث، ح(40)، 38/1. أحمد: المسند، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، ح(7403)، 212/7. ابن حبان: الصحيح، الطهارة، ذكر الزجر عن الاستطابة بالروث والعظم، ح(1431)، 279/4. البزار: المسند، مسند أبي ذر الغفاري، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ح(8930)، 356/15. البيهقي: السنن الكبرى، الطهارة، النهي عن الاستنجاء باليمين، ح(546)، 181/1. قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن)، يُنظر: تعليقه على الحديث من صحيح ابن حبان. وقال أحمد شاکر في تحقيقه لمسند أحمد: (إسناده صحيح). وقال ابن الملتن: (أسانيد كلها صحيحة)، يُنظر: البدر المنير، 298/2. وقال الألباني: (حسن صحيح)، يُنظر: صحيح وضعيف سنن النسائي، ح(40)، 184/1.

أ- أنّ الطفل في هذه المرحلة أسهل انقيادًا وأكثر تقبلاً لكلام الكبار وتوجيهاتهم، وخاصةً إذا ناهز الاحتلام فإنّه في هذه السن يُحب أن يشعر بأنّه كبير يتصرف مثلهم ويكره أن يقف أمامهم موقف المذنب والمخطئ، ولهذا وجب استغلال هذه المرحلة قدر الإمكان لتعليم الطفل أهم الأساسيات والآداب والقيم⁽¹⁾

ب- والطفل إذا ترك دون تعليم وتربية فإنّه يرث الخصال المذمومة من أيّ شخص كان دون أن يفرّق بين ما هو صحيح وما خاطئ؛ كما لا ينبغي تهوين عقابه عند الإساءة وإغراقه في التدليل والحنو لأنّ هذا يُعوّد الطفل الأمان في غير موضعه والتكاسل عن القيام بالواجبات، كما قد يورثه الكذب والنفاق للظهور دائماً بنظرة حسنة؛ هذا وإنّ ترك الثناء على الطفل على العمل الحسن وإثابته عليه قد يدفعه إلى الزهد فيه فوجود المحفزات للعمل الصالح أمر لا بدّ منه في العملية التربوية التأديبية.⁽²⁾

ج- وفي الواقع فإنّ الذين يتخبطون في إهمال والديهم وقلة متابعتهم لأحوالهم وحاجاتهم يتألمون كثيراً لهذا، فإذا سمعوا حكايات رفاقهم عن اهتمام والديهم بهم وسؤالهم عن حالهم وحيرتهم عليهم وما يقدمونه لهم من تعليمات، فإنهم يتأثرون كثيراً ويشعرون بفقدهم لهذه الرعاية، ويشعرون بالحزن والكآبة والملل؛ وربما يتكون لديهم الشعور بالغيرة والحسد لما يلقاه غيرهم من حسن تربية واهتمام.

د- وفي المقابل فإنّ ذلك الذي يتعم بتوجيهات والديه ومتابعتهم لأحواله وسلوكياته فإنّه يعتزّ بما يُعلمه والداه إياه، ويشعر بالدفء والأمان.

هـ- بمبدأ الترغيب والترهيب نغرس القيم في سلوك الطفل ونعينه على الالتزام بالعبادات والتدريب عليها كما هو الأمر مع الصلاة، وهو مبدأ مبني على إثارة الانفعالات، وتربية العواطف الربانية، كعاطفة الخوف المجتمعة مع الحب له سبحانه، وحبّ رسول الله ﷺ وسنته.

و- كما أنّ هذا الأسلوب يتناوب فيه الترغيب مع الترهب، بين التحفيز والتدعيم والتعبير عن الإعجاب، وبين الشدّة في الخطاب من التخويف والتهديد؛ حسب ما يقتضيه الحال؛ وهذا الأسلوب يُعطي فسحة وأمل في نفس المتعلم، ويحقق التوازن في العملية التربوية؛ وهو منهج رباني يجمع بين الخوف والرجاء.

4- قواعد عامّة ينبغي مراعاتها عند تأديب الطفل.

يلزم على المرابي أن يكون على بصيرة وعلم بما له وما عليه في العملية التأديبية، فإنّ فكرة التأديب لا

⁽¹⁾: يُنظر: عبد السلام عطوة الفندي: تربية الطفل في الإسلام، ص: 302. أحمد علي بدوي: الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد، شركة سفير، القاهرة، 1993هـ، ص: 15.

⁽²⁾: يُنظر: عبد الفتاح مصطفى غنيمه: حاجات الطفل للنفس والبدن، ص: 11.

تبيح له فعل أيّ شيء تحت غطاء العملية التأديبية؛ فقد يحصل منها ما لا تُحمد عُقْبَاهُ، كموت الصبي أو حدوث إعاقة دائمة أو نحو ذلك، وهذا مخالف لأهداف ومقاصد التأديب.

ومن أبرز ما ينبغي احترامه والتّقيّد به أثناء ذلك، ما يلي:

أ- يُشترط في التأديب أن يكون لأجل تقويم سلوك الطفل وتهديب نوازعه، وحمله على الطباع الحسنة والأخلاق الكريمة، ولا يُرادُّ منه الانتقام أو التشفي منه، وإشعاره بالألم الجسدي والنفسي فقط جرّاء فعله.

ب- على المؤدّب أن يتدرج في عملية التأديب، ولا يستعمل وسيلة إلا بعد استنفاد ما هو أدنى منها؛ وفي هذا الباب قال عز الدين بن عبد السلام: (...ومهما حصل التّأديب بالأخفّ من الأفعال والأقوال...، لم يُعدّل إلى الأغلظ إذ هو مفسدٌ لا فائدة فيه؛ لحصول الغرض بما دونه).⁽¹⁾

ج- عليه أن يُراعي نفسية الطفل ويجتهد في التعرف على السبل والحلول التي تُصلحُه بقراءة شخصيته وطباعه وما يؤثر فيها من عبارات وأساليب تجعله يعيد النظر في سلوكه جون اللجوء إلى الأشد.

د- إذا كان الخطأ من الطفل لأول مرة، فالأولى أن يغضّ المربي الطرف عنه، وإعطائه فرصة لتدارك خطئه بنفسه، وهذا من الرحمة والرفق به؛ فإن كرّرهُ لثاني مرة وأكثر يُعاتب ويُعزّر على قدر فعله.⁽²⁾

(1): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، سلطان العلماء: قواعد الأحكام

في مصالح الأنام، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414هـ - 1991م، 2/88.

(2): يُنظر في الموضوع: نجيب جلواح: تربية الأولاد ويليه تذكير العباد بأحكام ضرب الأولاد، ط1، دار المنهج، قلالة- الجزائر،

1442هـ - 2020م، ص: 55.

الفصل الأول:

أثر الأساليب التأديبية في تدعيم مشاعر الطفل الإيجابية
وتوجيه مشاعره السلبية.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أسلوب الترغيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل الإيجابية.
- المبحث الثاني: أسلوب الترهيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل السلبية.

تقوم عملية التأديب على مبدأي الترغيب والترهيب أو ما يسمى في وقتنا الحاضر عند كثير من علماء النفس والتربية بالثواب والعقاب، وما يحمله كلٌّ منهما من أساليب وطرائق مختلفة.

ومنهج الترغيب والترهيب هو منهج رباني، اختاره الله تعالى لإصلاح عباده وإرشادهم إلى الصلاح والفلاح، وقد فقه هذا المنهج القرآني الكثير من عباد الله الصالحين فكانوا يعبدون الله تعالى رغبة في رحمته ورضاه وطمعاً في مغفرته والنعيم الذي أعده للصالحين، ورهبة من عذابه وعقابه وَعَذَابُكَ، وفي هذا قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾
[الأنبياء/90].

وقد اعتمد هذا المنهج التربوي الرباني على ما فطر الله سبحانه عليه بني آدم من حبِّ الخير ونبذِ الشرِّ، ففي الإنسان رغبة في المتعة والراحة والسعادة، ورهبة من الألم والخوف والشقاء؛ ولذلك هو يبتعد بشكل فطري عن كل ما يُزعجه ويؤذيه، ويصبو إلى كل ما ينفعه ويُرضيه.

وقد شهدت السنة النبوية وقائع كثيرة عالج من خلالها رسول الله ﷺ سلوكيات خاطئة من الأطفال، راعى فيها حجم الخطأ الصادر عنهم، مع ما تحتاجه مشاعرهم البريئة المرهفة من توجيه ورعاية. والسؤال الذي يجب طرحه، هو: ما نوع الأساليب التي اعتمدها الرسول ﷺ في عملية الترغيب والترهيب وهل عُرف عنه استعمال أسلوب دون آخر؟.

وفي هذا الفصل نجيب عن هذا التساؤل ضمن مبحثين، هما:

المبحث الأول: أسلوب الترغيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل الإيجابية.

المبحث الثاني: أسلوب الترغيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل السلبية.

المبحث الأول: أسلوب الترغيب في السنة النبوية، وأثره على مشاعر الطفل الإيجابية.

تُعتبر أساليب الترغيب من أفضل الطرق لتعليم الطفل وتربيته، لأنه يحقق النتائج المتبتغاة دون اللجوء إلى تعنيف الطفل والتشديد عليه؛ وقد عُرف هذا الأسلوب عند رسول الله ﷺ في عدّة مواقف مع الأطفال.

المطلب الأول: معنى الترغيب وبيان المنهج العام للنبي ﷺ في الترغيب.

أولاً: معنى الترغيب في اللغة والاصطلاح:

يُطلقُ الترغيب ويراد به في اللغة: الترغيب بالشيء: بمعنى الإغراء به، وغرس الحرص عليه في النفس، وهو خلاف الزهد في الشيء؛ يُقال: رَغِبَ في الشيء إذا طلبه وأراده.⁽¹⁾

في الاصطلاح: عرّفه النحلاوي بقوله: (الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده)⁽²⁾.

وقال عنه عبد الكريم زيدان: (كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)⁽³⁾.

ومن خلال العودة إلى ما سبق ذكره والفهم العام للكلمة يمكن القول أيضاً أنّ الترغيب: (هو مجموعة العوامل والطرق التي تُحفّزُ الطفل وتدفعه للقيام بالعمل الصالح والخُلُق الحميد، وترك القبيح؛ وتكون أكثر نجاحاً عندما تغرس في الطفل حب هذا السلوك الطيب والشعور النبيل فيعتاده ويتعلق به ليصبح سلوكاً دارجاً عليه.

والترغيب يكون بأحد أمرين: إمّا مادي أو معنوي، فقد يكون بابتسامته في وجه الصبي، أو سكوت عن فعله كعلامة على الرضا، أو بتقبيله وضمه، أو مدحه وتشجيعه، وضرب المثل به أمام الآخرين، ونحوه. وقد يكون مادي بمنحه بعض الامتيازات المادية، ك شراء هديّة له، أو اصطحابه في نزهة نظير سلوكه الطيب أو شراء ما كان يحلم بتملكه، وغير ذلك؛ وكل نوع من هذه الأساليب يستعمل على قدره.

(1) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، 3/197. محمد رواس قلنجي - حامد صادق قنبي: معجم لغة الفقهاء، 1/128. أبو

زكريا محيي الدين بن شرف النووي: تحرير ألفاظ التنبيه، ت: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1/94.

(2) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها...، ص: 230.

(3) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ط9، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م، ص: 437.

ثانياً: بيان المنهج العام للرسول ﷺ في أسلوب الترغيب:

أظهرت نصوص السنة النبوية مدى ميل رسول الله ﷺ للرفق واليسر في كل أمر، فقد كان ﷺ معروفاً بلين الجانب في القول والفعل، وهو أمر حضَّ عليه في كثير من الأحاديث والمواقف؛ ما يُقرَّر منهجاً أصيلاً وعمماً في تعاملاته واختياراته ﷺ.

وقد مدح الله ﷻ في القرآن الكريم خلق الرسول ﷺ وطريقته في الدعوة والتعامل مع الناس، فقال ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران/159].

وقال ﷻ أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/128].

وقد حثَّ النبي ﷺ في أكثر من حديث على ضرورة اختيار الرفق واللين لحل أي قضية، وأن يكون ديدن الناس في تعاملاتهم فيما بينهم؛ ومن هذه الأحاديث أذكر:

- عن عائشة، زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»⁽¹⁾. فيظهر من الحديث أن رسول الله ﷺ مدح الرفق حتى جعله سبباً لزينه الأشياء وبركتها والتمتع بجلالاتها ونيل المراد منها، وإن نزع ساءت وخسرت وصارت غير نافعة، وكذلك في تربية الأطفال فإن تربيتهم بالجفاء والقسوة يُبدد المتعة معهم ويمنع الإحساس بزينتهم في الحياة، كما يزيدهم عناداً ونفوراً من التعليمات، والله يقول: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران/14].

- وعن رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»⁽²⁾.

وفي قوله ﷺ: "يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ"، تعميم على كل أمر، وهو دليل عام على أن التعامل بالرفق مع الأطفال خير من ترهيبهم والشدة معهم.

(1): مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الرفق، ح(2594)، 2004/4.

(2): البخاري: الصحيح، الاستئذان، كيف يرد على أهل الذمة، ح(6256)، 57/8. مسلم: الصحيح، السلام، النهي عن ابتداء أهل الكتاب، ح(2165)، 1706/4.

وقد استدلل الإمام مالك بهذا الحديث في عدم الحمل على الصغير في تعليم القرآن، والذي هو من أشرف الأعمال وأوجب الواجبات على الوالدين نحو الأولاد، قيل: (وسئل عن صبي ابن سبع سنين جمع القرآن، قال: ما أرى هذا ينبغي؛ قال محمد بن رشد: إنما قال مالك: إنه لا ينبغي هذا من أجل أن ذلك لا يكون إلا مع الحمل عليه في التأديب والتعليم وهو صغير جدًا وترك الرفق به في ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ: « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » (1).

- عن جرير، عن النبي ﷺ، قال: « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ، يُحْرَمِ الْحَيَرَ » (2). وهذا الحديث أضاف أمرًا مهمًا وهو أن الذي يُجانب الرفق في تعاملاته يُحرم الخير من أعماله، فتكون شدته وقسوته سببًا لنزع البركة وحرمانه الخير، وفي هذا نوع من العقاب له والزجر عن استعمال الشدة بدل اللين والرفق؛ ويُحْمَلُ على هذا الذي يُربي ولده بالقسوة دون مراعاة لسنته وضعفه، وحاجاته الفطرية النفسية والعاطفية يُحرم من خير هذا الولد ونجاحه وطاعته وبرّه.

- ويؤكد حديث آخر عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: « يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » (3).

- وحث رسول الله ﷺ على اليسر والرفق في عملية التعليم والتوجيه بشكل خاص، فزوي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « علموا، ويسرّوا ولا تُعسّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت » (4). فإن الغضب مغبّة زلات اللسان وفتنات اليد التي تُسيء للطفل وتُعلمه الكلام الجارح أو البذيء، ولذا دعا رسول الله ﷺ للسكوت.

من خلال ما تبين في هذه الأحاديث، يظهر جليًا أن الرفق واليسير ونبد التعسير هو منهج نبوي عام وأصيل تأكّد في هذه الأحاديث وفي أخلاقه ﷺ ولين جانبه ورحمته ﷺ بالخلق.

(1): ابن رشد القرطبي: البيان والتحصيل، 287/18.

(2): مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الرفق، ح(2592)، 2003/4.

(3): مسلم: الصحيح، البر والصلة والأدب، فضل الرفق، ح(2593)، 3003/4.

(4): أحمد: المسند، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس...، ح(2136)، 538/2. البخاري: الأدب المفرد، الانبساط إلى الناس، ح(245)، 129/1. البزار: المسند، مسند ابن عباس، ح(4872)، 143/11. قال أحمد شاعر في تحقيقه على مسند أحمد: (إسناده صحيح). وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(4027)، 744/2.

المطلب الثاني: تأديب رسول الله ﷺ للطفل بأساليب الترغيب، ومدى تأثيره على مشاعره الإيجابية.

رُغم أنَّ الأحاديث العامّة في الموضوع كافية للاستدلال على مدى اختياره ﷺ لأسلوب الترغيب في تأديب الطفل، فإنَّ ما شهدته السنّة من تطبيقات عملية تُؤكد حرص رسول الله ﷺ على الرفق بالطفل عند تأديبه وأنَّه الأسلوب الأنجع لإصلاحه؛ خاصّة وأنَّ هذه الفئة من أضعف خلق الله ﷻ وأكثرهم حاجة للرحمة والعطف والرفق؛ وإنَّ من أبرز الجوانب التي ظهرت في أسلوب رسول الله ﷺ هو مدى اهتمامه ﷺ بمشاعر الطفل وأحاسيسه في العملية التأديبية ومراعاته لها؛ ومن ذلك ما يلي:

أولاً: عن عمر بن أبي سلمة، قال: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ يَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. (1)

وهذا الحديث يُظهر كيف أنَّ رسول الله ﷺ أرشد الغلام الذي كان تحت رعايته إلى الأدب الحسن بأسلوب لين وخطاب هادئ بناءً، تدرّج معه في آداب الطعام بدءاً من البسملة، ثم الأكل باليمن، ثم الأكل مما يليه؛ وكأنَّه ﷺ رسم له مخططاً تعليمياً يساعده على الحفظ والتذكر راعى فيه قدراته الفكرية، ولذلك قال الغلام في نهاية الحديث: " فما زالت تلك طعمتي بعد". وعليه:

- 1- استعمال صيغة النداء سواء باسم الطفل أو كنيته أو مرحلته العمرية، أو بصفة جميلة موجودة فيه، تجعل من الطفل ينتبه للكلام المُوجّه له ويُقبل عليه بكل اهتمام، فإنَّ في تخصيص الخطاب أحياناً أثر عميق في نفس السامع خاصّة إذا كان المتكلم ممن هو قدوة له.
- 2- تذكير الطفل بالله تعالى وربطه به ﷻ في كل عمل يقوم به، فيستحضر معه رقابته وخوفه منه ﷻ، وإذا ما تحقق هذا المقصد فإنَّه لن ينتظر بعد ذلك رقابة أحد عليه حتى ينتظم في عمله، بل سيكفيه ذكره لله.
- 3- إنَّ مراعاة مستوى فهم الطفل أمر ضروري في العملية التربوية تفادياً لتكليفه بما لا يطيق فهمه.
- 4- لا بدَّ من اختيار الأسلوب والطريقة المناسبة لإيصال المعلومة إلى ذهن الطفل بشكل يسهل عليه فهمها وحفظها، تفادياً للنسيان الذي قد يشكك الولي في عصيان الولد وعناده.
- 5- أنَّ اختيار اللفظ الجميل الدافئ مع مستوى صوت معتدل يترك أثراً عميقاً في نفس الطفل اتجاه المرابي، تجعله يُولي كلامه وتوجيهاته أهمية قصوى، ويُقبلُ عليها بكل حبٍّ وعزيمة.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 38.

ثانياً: في تصحيحه ﷺ لخطأ الطفل تأديباً وترغيباً له في العمل الصالح، حكاه عمّ أبي رافع بن عمرو الغفاري قال: كُنْتُ غُلَامًا أُرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأَتَى بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « يَا غُلَامُ، لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟ »، قَالَ: أَكُلُ. قَالَ: « فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا »، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ فَقَالَ: « اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ »⁽¹⁾.

بصرف النظر عمّا في الحديث من أحكام فقهية فإنّ التأمل في اللمسات العاطفية الشعورية هو المقصد، والحديث لا يخلو من هذه اللمسات، وفيه:

- 1- أنّ رسول الله ﷺ لم يُعنف الطفل أو يأمر بعقابه من لحظة وقوفه أمامه، كما يفعل عامة الناس.
 - 2- أنّه أعطاه فرصة لتبرير سلوكه عندما سأله عن السبب، وفي هذا إيناس للطفل من الخوف، ومنحه أملاً في النجاة من العقوبة بعذر مقبول، وفيه أيضاً احترام لفكر الطفل وتقديره أمام الحضور.
 - 3- تعاطف الرسول ﷺ مع جوع الطفل وإحساسه بحاجة للأكل، ويظهر هذا عندما أُرشدته إلى أفضل سبيل للأكل من النخلة دون إفساد، ثم دعا له.
 - 4- المسح على رأس الطفل هو رسالة حبّ وعطف ورحمة به، تبعث فيه الطمأنينة والراحة والأمان اتجاه المرابي، وهو أكثر شيء يحتاجه الطفل عند الوقوع في الخطأ.
 - 5- الأطفال هم مرآة الكبار في سلوكياتهم وأقوالهم، ولذلك فإنّ الطفل يرثُ خلق الرحمة والرفق بمن هو أضعف منه، عند تعرضه لسلوك مشابه أو رؤيته لقدوته وهو يعطف على الآخرين.
- ولهذا تكلم أكثر المرابين من أهل العلم والأدب عن أهمية التربية بالقدوة، وأنها من أنجع الطرق في تربية الولد وأسرعها وصولاً إلى النتائج المرغوبة؛ وفيها يقول الله ﷻ:
- ثالثاً: عن عبد الله بن عامر، أنّه قال: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ »، قَالَتْ: أُعْطِيَهُ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ »⁽²⁾.

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، الجهاد، من قال: يأكل ممّا يسقط، ح(2622)، 262/4. الترمذي: السنن، البيوع، ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة، ح(1288)، 576/3. وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب). ابن أبي شيبة: المصنف، البيوع والأفضية، من رخص في أكل الثمرة إذا مر بها، ح(20305)، 294/4. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف..)، وقال أيمن صالح شعبان: (حسن) يُنظر: تعليقاته على جامع الأصول لابن الأثير، ح(5538)، 450/7. وقال الألباني: (ضعيف)، يُنظر: ضعيف سنن الترمذي، ح(54)، 151/1.

⁽²⁾: أبو داود: السنن، الأدب، في التشديد في الكذب، ح(4991)، 298/4. أحمد: المسند، مسند المكيين، حديث عبد الله بن عامر، ح(15702)، 470/24. البيهقي: السنن الكبرى، الشهادات، من وعد غيره شيئاً...، ح(20839)، 335/10. ابن أبي شيبة: المصنف، الأدب، ما جاء في الكذب، ح(25609)، 236/5. قال عنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (حديث حسن لغيره)، وقال الألباني: (حسن لغيره)، يُنظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(2943)، 74/3.

- 1- فيه يُعلم النبي ﷺ الأولياء كيف يُنشئوا أولادهم تنشئة صالحة قائمة على الصدق في القول والعمل.
 - 2- إنّ الأم في الحديث استعملت حيلة تجعل ولدها يستجيب لدعوته، فمعلوم أنّ الأطفال قد يتدلون على أمهاتهم فيعصون أوامرهم، فكانت حيلة المرأة أن استعملت شيئاً يجذب اهتمام ولدها ليطيعها، وهذا نوع من الضرب على أوتار المشاعر، وهو لا شكّ مباح، ولو كان غير ذلك لأنكره رسول الله ﷺ.
 - 3- المرأة لم تُفصح عمّا ستعطيه لولدها، فكان مبهمًا بادئ الأمر، وفي هذا السلوك إثارة لاهتمامه، وبعث الفضول في نفسه كي يتشوّف لمعرفة، وهذا ممّا قد يحقق نتيجة إيجابية وسريعة.
 - 4- إنّ وعد الطفل بشيء ثم النكوص عنه يُخلّف أثرًا سيئًا في شعوره، فهو يترك فيه حزنًا وألمًا كبيرًا، يؤدي به في أغلب الأحيان إلى البكاء واختيار العزلة كملجئ له؛ وهو في هذه الحالة انتقل انتقالات مفاجئًا وصادمًا من الفرح الشديد إلى الحيبة والحزن العميق، وقد يُولد معه الإحساس بالبغض والكراهية، والرغبة في الانتقام من الشخص الذي وعده ثم أخلف، سواء كان أحد والديه أو مُدرّسه أو مُربيته أو غيرهم.
 - 5- لم ينتظر رسول الله ﷺ ليرى ما ستقدّمه المرأة لولدها بل سأها مباشرة عنه، لأنّه يكون شيئًا ذا قيمة يُسعد الطفل وقد لا يكون، فيشعر بعده بالإحباط والخيبة، ما قد يدفعه في المرّات القادمة لعدم الاهتمام والاستجابة لها؛ فكان التمر وهو مما يحبه أغلب الناس.
 - 6- نبّه رسول الله ﷺ إلى ضرورة الصدق مع الأطفال عند الوعد، لأنّ الوعد مع الصغير كالوعد مع الكبير يستوجب الوفاء به؛ ثم إنّ تنشئة جيل صالح مُتخلّق من أولى أولويات الدعوة الإسلامية، وعليه فإنّ الطفل يجب أن يرى من مُربيه كل سلوك حسن حتى يقتدي به، فإن رأى منه الكذب والعذر والخيانة مال إليه.
- وعليه: مهما تعدّدت النماذج والروايات فإنّها جميعًا تُقرر أنّ رسول الله ﷺ يعتمد أسلوب الترغيب بوجوه مختلفة تتماشى وطبيعة الموقف، وهو ما عُرف في تآديبه للطفل بالترغيب، وتبيّن من خلال ما تقدّم أنّ في أسلوبه ﷺ تعزيز لمشاعره الإيجابية وتشجيع له، مع تغذيتها بشيء من التنظيم والتقييم.

المبحث الأول: تأديب رسول الله ﷺ للطفل بأسلوب الترهيب، ومدى تأثيره على مشاعره السلبية.

تحتاج المشاعر السلبية كالغضب والحقد والأنانية والعناد والعدوانية، إلى بعض الرّدع والترهيب في أحيان كثيرة حتى تكبح جماحها وتعود إلى نهجها السليم؛ وقد قدّمت السنة النبوية حلولاً عملية لذلك؛ وحيث أنّ أسلوب النبي ﷺ قد عرّف معالجات ميدانية ناجحة خالية من أيّ مشكلات، نطرح هنا تساؤلاً: هل اعتمد النبي ﷺ أساليب شديداً في الترهيب لتنظيم المشاعر وانفعالاتها عند الطفل، أم كان له أسلوب مختلف فيه شيء من الرفق واللين؟.

المطلب الأول: معنى الترهيب، وبيان منهج رسول الله ﷺ في استعمال أسلوب الترهيب مع الطفل.

أولاً: معنى الترهيب في اللغة والاصطلاح:

- الترهيب في اللغة: مصدر "رَهَبَ" يقال رَهَبْتُ الشيءَ رُهْبًا و رَهَبًا ورهبةً، إذا خِفْتُهُ وَفَزَعْتُ مِنْهُ؛ والترهيب هو التهديد والترعيب والوعيد، ذلك أنّ مقام الترهيب يقتضي مزيد التشديد والتأكيد، فيناسبه تكثير حروف الوعيد.⁽¹⁾

- وفي الاصطلاح: عرّفه النحلاوي بقوله: (الترهيب وعيد وتهديد بعقوله تترتب على اقرار أو ذنب ممّا نهي الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة ممّا أمر الله به).⁽²⁾
وعرّفه عبد الكريم زيدان بقوله: (كل ما يخيف ويحذر المدعوّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله).⁽³⁾

ويمكن أن يُقال: هو مجموعة الأساليب والطرق من التخويف والتهديد التي تُنقّر الطفل وتمنعه من القيام بفعل قبيح، أو تدفعه للقيام بفعل صالح؛ بحيث يُدرك من خلاله حقيقة ذلك الفعل، فيقلع عن فعله أو يُقبل عليه.

(1): يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، 447/2. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 280/2. رينهارت بيتر آن دوزي:

تكملة المعاجم العربية، 226/5. أبو البقاء الحنفي: الكليات، 939/1.

(2): عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص: 230.

(3): عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص: 437. يُنظر أيضاً: لبيبة سمير سعيد فروانة: درجة ممارسة معلمي المرحلة الثانوي لأساليب الترغيب والترهيب كما جاءت في السنة النبوية من وجهة نظر الطلبة بمديرية غزة، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية- تخصص: تربية إسلامية-، الجامعة الإسلامية غزة، كلية التربية، 1431هـ- 2010م، ص: 24-60. كريمة خوازم: الأغراض البلاغية للترغيب والترهيب في الحديث النبوي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مج: 12، ع: 02، 15-09-2020، ص: 1502.

ويعتمد أسلوب الترهيب على إثارة المشاعر والانفعالات لتحقيق أغراضه والوصول إلى نتائج مرغوبة، فيصاحبه دائماً شعور معين، كإثارة الخوف والرهبة والخشوع والنفور والإحساس بالألم، أو زرع الشعور بالملل من شيء ما وتحقيره، وغيرها.

ثانياً: منهج رسول الله ﷺ في استعمال أسلوب الترهيب مع الطفل.

ثبت في عدد من نصوص السنة النبوية استعمال رسول الله ﷺ لبعض أساليب الترهيب في العملية التربوية، كما دعا في بعض آخر إلى ضرورة تهيب الطفل بداعي الحزم والشدة، حسب ما يقتضيه حجم الخطأ أو إصراره عليه؛ فإنَّ الترهيب قد ينفع في مواقف وسلوكيات لا تجدي معها كل وسائل الترغيب لو اجتمعت، كما أنَّ بعض الصنف من الأطفال حادُّ المزاج، لا يُحرك جوارحهم إلا التوبيخ والوعيد. وإنَّ من أبرز الأساليب الماثورة عنه ﷺ في الترهيب، ما يلي:

1- الترهيب بالزجر والتحذير والتنبيه.

ثبت هذا الأسلوب في منهج رسول الله ﷺ لتقوم السلوك في كثير من الوقائع والمشاهد، سواء كان مع كبار الصحابة رضي الله عنهم أو مع الأطفال؛ وقد عُرف نجاحه في الوصول إلى المقاصد المرجوة من خلال الأثر الطيب الذي يتركه في نفس المتعلم ومدى تعديله لسلوكه.

ومما جاء في هذا الأسلوب عن رسول الله ﷺ مع الأطفال، نماذج كثيرة أذكر، منها:

- عن محمد بن زياد، قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه، قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ كَيْفَ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»⁽¹⁾. وفي رواية أخرى للبخاري بلفظ: «أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»⁽²⁾، ولفظ عند مسلم، فيه: «أَرُم بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»⁽³⁾. و"كخ" كلمة فارسية الأصل⁽⁴⁾، تُقال للصبي إذا زجره عن شيء مستقذر يريد أكله، وتعني: أتركه وارم به؛ ولأنَّ الصدقة لا تحل لآل رسول الله ﷺ فقد زجره عنها.

(1): البخاري: الصحيح، الزكاة، ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، ح(1491)، 127/2.

(2): البخاري: الصحيح، الجهاد والسير، من تكلم بالفارسية والبطانة، ح(3072)، 74/4.

(3): مسلم: الصحيح، الزكاة، تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، ح(1069)، 751/2.

(4): يُنظر: محمد أنور شاه الكشميري: فيض الباري، 248/4. ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 231/5. وبوب البخاري

على الحديث: "باب من تكلم بالفارسية والبطانة"، يُنظر: كتاب: الجهاد، ح(3072)، 74/4.

وقد اشتمل الحديث على جملة من الفوائد التربوية والشعورية، يُستحسن مراعاتها في عملية الترهيب،
أذكر منها:

1- مخاطبة الصبيان بما يخاطب به الكبار الفهماء، وفي هذا دعم لإحساسهم بالمكانة والمقام العالي مما يعزز
شعور الطفل بالمكانة والأهمية؛ وهذه المخاطبة وإن كانت للحسن بدايةً ففيها مزيد تعريف وتأكيد
للمسلمين أنه ﷺ وأهله لا يأكلون الصدقة.⁽¹⁾

2- في قوله ﷺ: "أما علمت"، وفي رواية "أما تعرف"، وفي رواية "أما شعرت"، وإن كان يُراد بها جميعاً
فهماً واحداً وهو أن الأمر ظاهر فكيف خفي عليك⁽²⁾؛ إلا أن في هذه العبارات دلالات متباينة فالعلم
والمعرفة والشعور بالشيء ليسوا سواء، والحسن بن علي صبي صغير لا علم له، وبهذا يتحقق المعنى المراد
بقوله ﷺ: "أما شعرت" أي أما أحسست من خلال المشاهدة أن الصدقة لا تحل لنا، والإحساس هو أول
الطرق الموصلة للعلم والمعرفة.

3- في الحديث ما يدل على أنه من واجب الآباء نهي الأولاد عمّا لا يجوز في الشرع، ومن ذلك منعهم
عن كشف العورة، والكلام البذيء، وكل فعل مذموم⁽³⁾.

- حديث عمّ أبي رافع بن عمرو الغفاريّ السابق الذكر حينما قال: "كُنْتُ غُلَامًا أُرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأُتِيَ
بِي النَّبِيُّ ﷺ..."، فإن رسول الله ﷺ بادره بسؤاله فقال: «يَا غُلَامُ، لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟»، وفي هذا السؤال نوع
من الزجر والتنبيه له في أن فعله هذا قبيح ولا يصح القيام به، وهو كفيل بوقفه عن العودة إليه، لأنه سيجد
بعد ذلك خوفاً من العقوبة وهدراً من أن يُرى، هذا وإن أسلوب النبي ﷺ مهما كانت طبيعته فإنه يتبعه
دائماً الإقناع التام للمذنب بحجم ذنبه فلا يعود إليه إيماناً وتصديقاً بخطره وعقوبته عند الله ﷻ.

2- الترهيب بالضرب:

يُعتبر الضرب من أكثر الأساليب الشائعة والأكثر استعمالاً من طرف الوالدين والمربين، وذلك يعود في
الغالب لأمرين: 1- سرعة الغضب من خطأ الطفل والرغبة في علاج الأمر بسرعة.

2- الجهل بالأساليب التربوية الصحيحة.

⁽¹⁾: يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، 231/5.

⁽²⁾: يُنظر: ابن حجر: فتح الباري، 355/3.

⁽³⁾: يُنظر: علي الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 1301/4.

وفي سنة رسول الله ﷺ كلام وافي في الموضوع، حيث تكلم ﷺ عن تشريع الضرب، والأمور التي تستدعي استعماله، والأحكام والضوابط التي تدور عليه.

أ- تشريع ضرب الطفل: مما نصَّ فيه رسول الله ﷺ على ضرورة تأديب الطفل بالضرب إذا لزم الأمر، تهاونه في أمر الصلاة وتكاسله عنها، حيث جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»⁽¹⁾.

- اتخاذ رؤية السوط سبيلاً لترهيب أهل البيت ومنهم الأولاد وتخويفهم من العقوبة، فقد روى ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهَا أَهْلُ الْبَيْتِ»⁽²⁾. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ضرورة وضع السوط في مكان واضح يتجلى فيه لكل أهل البيت حتى لا يحتاج المربي إلى جلبه والتهديد به مع كل خطأ، فيشقُّ عليه الأمر؛ كما أنَّ مجرد رؤيته بين الحين والآخر ولو من غير خطأ يجعل الطفل يتذكر دائماً العقوبة ويمتنع عن الأفعال المؤدية إليها.

ب- ضوابط ضرب الطفل: من الضوابط والأحكام الواجب احترامها عند التأديب بالضرب ما يلي:

- 1- ابتداء الضرب من سنِّ العاشرة، استناداً لقوله ﷺ: «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ»، أمَّا ما دونها فلا يكون فيها الضرب، وذلك أنَّ الطفل في هذا العمر أضعف من أن يتحمل ألمه، كما أنَّه أصغر من أن يعي الأسباب التي ضربَ من أجلها، خاصّة في مرحلة ما قبل التميّز، ولهذا لن يجني من الضرب غير الألم.
- 2- عن أبي بُرْدَةَ رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يقول: «لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلَّا فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»⁽³⁾ وفي رواية أخرى قال ﷺ: «لَا عُقُوبَةَ فَوْقَ عَشْرِ ضَرْبَاتٍ إِلَّا فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»⁽⁴⁾.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 130.

(2): عبد الرزاق: المصنف، العقول، ضرب النساء والخدم، ح(17963)، 447/9. الطبراني: المعجم الكبير، العين، علي بن عبد الله بن عباس، ح(10669)، 284/10. الهيثمي: مجمع الزوائد، الأدب، ما جاء في لطم حدود الدواب، ح(13217)، 106/8. وقال: (إسناد الطبراني... حسن). أبو نعيم: حلية الأولياء، ذكر طوائف من جماهير النساء والعباد، علي والحسن ومنهم الأخوان التوأمان، 332/7. قال أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي: (طرقه ضعيفة)، ينظر: أسنى المطالب، ح(888)، 184/1. وقال الألباني: (حسن)، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح(4022)، 744/2.

(3): البخاري: الصحيح، الحدود، كم يجلد في التعزير والأدب، ح(6848)، 174/8. مسلم: الصحيح، الحدود، قدر أسواط التعزير، ح(1708)، 1332/3.

(4): البخاري: الصحيح، الحدود، كم يجلد في التعزير والأدب، ح(6849)، 174/8.

قال ابن عرفة المالكي في ضرب الصبيان: (...والضرب بالسوط من واحدٍ إلى ثلاثةٍ، ضرب إيلام فقط دون تأثير في العضو فإن لم يُعِد زاد إلى عشر،...ومن ناهز الحلمَ وغلظَ حلْفُه، ولم تَرُدعه العشرة فلا بأس بالزيادة عليها)⁽¹⁾.

- أن لا تكون الآلة التي يضرب بها حادَّةً مؤلمة، سواء كانت سوطاً أو عصاً أو نعل أو غيرها، فالقصد من الضرب هو تأديب الطفل وتهذيب سلوكه وليس الانتقام منه لعصيانه وتعديه؛ وعليه لا ينبغي أن يترك الضرب آثاراً وجروحاً على جسد الطفل، فكم من طفل مات تحت تأثير الضرب الشديد، ومنهم فقد عضواً بسبب إنزال كل الضربات على ذلك العضو.

وفي هذا يُعلِّق ابن الحاج المالكي على سلوك بعض معلمي القرآن، يقول: (وليحذر الحذر الكلبي من فعل بعض المؤدِّبين في هذا الزمان، وهو أنهم يتعاطون آلةً اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس، والجريد المُشْرَح، والأسواط النوبية، والفلقة، وما أشبه ذلك ممَّا أحدثوه وهو كثير ولا يليق بمن يُنسب إلى حمل الكتاب العزيز)⁽²⁾، وقد بيَّن أنَّ هذا الأمر محدث ولم يكن من قبل في تأديب الأطفال على حفظ القرآن أو غيره، وهي طريقة مبالغ فيها تُخلِّف انعكاسات سلبية على نفسية الطفل وبدنه.

3- أن يتجنب الضرب على الوجه والمواطن المؤثرة كالرأس والصدر والبطن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»⁽³⁾. وإذا كان الأمر صريحاً في القتال، فهو مع الأطفال أولى.

4- أن يتجنب المربي ضرب الطفل وهو في حالة الغضب، لأنَّ الغضب يدفعه إلى التجاوز في ضرب الطفل فوق الحدِّ المناسب، ولذلك يجب عليه أن ينتظر زهاب الغضب عليه، ثم يقرر معاقبة الطفل.

وفي هذا ما رواه أبو مسعود البدری، قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الْعَضْبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدَي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.⁽⁴⁾

(1): الخطاب المالكي: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 414/1.

(2): ابن الحاج: المدخل، 317/2.

(3): البخاري: الصحيح، العتق، إذا ضرب الوجه فليجتنب الوجه، ح(2559)، 151/3. مسلم: الصحيح، البر والصلة والآداب، النهي عن ضرب الوجه، ح(2612)، 2016/4.

(4): مسلم: الصحيح، الأيمان، صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده، ح(1659)، 1280/3.

5- وإذا أظهر الطفل اعتذارًا وأسفًا على فعلته فَعَلَّ المرابي أن لا يُعاند ويقبل اعتذاره، حتى وإن كان مجرد التخلص من العقوبة، فيصبح الاعتذار عن الخطأ سلوكًا في الطفل، ويعرف قيمة العفو. (1)

3- مراعاة مشاعر الطفل في الضرب من خلال نصوص السنة النبوية.

استنادًا إلى ما تقدم من نصوص يمكن استنباط جملة من الحكم والفوائد في ضرورة مراعاة مشاعر الطفل عند تأديبه بالضرب، ومما يمكن استنباطه ما يلي:

- 1- في كثير من الحالات يَسْتَفْزُ الطفل الوالدين والمرين بالعصيان وكثرة الشغب وهو يستشعر الأمان منهم فيزيده جِدَّةً وعنادًا، ولا يُوقِظُه من أمانه ويُوقِفُ أعماله إلا قرع العصي والنعال على جسده.
- 2- عدم الإفراط في الضرب، وتركه للأمور الأكثر أهمية وخطورة، كترك الصلاة وإتيان القبيح من الأقوال والأفعال؛ وإنَّ الإكثار منه يجعل الطفل يَعْتاده حتى يستهين به ويصبح تهديده به من قبيل المزاح معه.
- 3- كما ثبت أنَّ الضرب يؤدي إلى وقف السلوك القبيح مؤقتًا، يختفي بوجود العقاب ويظهر في غيابه (2).
- 4- أنَّ التَّقْوِي على الطفل بضربه أكثر مما يلزم يشعره بالضعف والانكسار والذل، وقد يلازمه هذا الشعور طيلة حياته، ليس فقط مع وليه الذي كان يضربه وإنما قد يجده حتى مع رفاقه في المدرسة والحج، ويُفقد الشجاعة للدفاع عن نفسه.

وقد تنبَّه البشير الإبراهيمي إلى هذه الانعكاسات السلبية للمبالغة في الضرب، فقال: (ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن، فإنَّها أفست هذا الجيل، وغرست فيه الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم). (3)؛ بل وقد حث المعلمين على جعل المشاعر وسيلة تواصل مع الأطفال للتقرب منهم وفهم أحوالهم؛ وهذا مختصر ما قاله: (وليدرس المعلم ميول الأطفال بالاختلاط بهم، وليكن بينهم كأخ كبير لهم

(1): يُنظر في موضوع الضرب: عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، 766/2. عبد السلام عطوة الفندي: تربية الطفل في الإسلام، ص: 306. ياسين بولحمار: تأديب الطفل بالضرب في الشريعة الإسلامية، مجلة كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مج: 08، ع: 15، جوان 2019، ص: 151. نجيب جلواح: تربية الأولاد...، ص: 55.

(2): يُنظر في مساوئ العقاب إلى: عدنان أحمد الفسفوس: المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، ط1، 1432هـ- 2011م، ص: 45. أحمد علي بدوي: الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد، ص: 43. ألفت حقي: سيكولوجيا الطفل، ص: 164.

(3): أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1940-1952، 113/2.

يفيض عليهم عطفه، ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه،... إنَّ درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أصدادها من الفضائل في نفوسهم.⁽¹⁾

5- ينبغي أن يصاحب ضرب الطفل توضيح من المربي لسبب ضربه، حتى يُدرك الطفل أن تصرفه القبيح هو من تسبب له بالضرب؛ وإذا كان وراء هذا التصرف شعور سلبي يُراود الطفل كالغيرة أو الحسد أو الرغبة في التشفي والانتقام مثلاً، فيجب على المربي أن يُصحِّح له شعوره، ويضرب له الأمثلة والقصص الناجحة فيه حتى يتَّعَضَّ ويَهْتَدِي.

6- ويلزم أن لا يكون هذا التوضيح في شكل توبيخ وعتاب، فإنَّ التوبيخ في حدِّ ذاته عقاب وليس من العدل أن يُنزل المربي على الطفل عقوبتين على خطأ واحد؛ كما يجب أن يكون سرًّا بينه وبين الطفل لا جهراً أما الآخرين، فهذا التصرف يُشعر الطفل بـ: - التألم نتيجة الشعور بالذنب. - التضايق نتيجة التوبيخ العلن والحرج من الآخرين أمامه. - عدم إعارة التوبيخ اهتماماً بسبب انشغاله بطبيعة نظرة الآخرين إليه، وبهذا يضيع جهد التوبيخ سداً.

7- الغضب شعور مزدوج القطبية، يكون إيجابياً في حالات وسلبياً في حالات أخرى، ولذلك يجب على المربي أن لا يُظهر غضبه أمام الطفل إلاَّ في الحالات التي تستحق الغضب، فيدرك الطفل حقيقة غضبه ويستشعر خطره؛ وقد يُقلد الطفل مُربيه في طريقة غضبه بالإيجاب أو السلب.

8- إنَّ الأمر بتجنب الضرب على الوجه فيه قدرٌ مهم من احترام السنة النبوية لكرامة الإنسان وهيبته، واحترامه لنفسه، فإنَّ الوجه مجمع لها جميعاً، وإنَّ الضرب على الوجه يُحطم هذا الشعور الإيجابي. إلى جانب أنَّ الضرب على الوجه قد يُتلف بعض الجوارح منه وهي رقيقة شديدة الحساسية ويُسبب له تشوهاً قد يكون مؤقتاً أو دائماً، وهنا تظهر الأمراض النفسية والمشاعر السلبية التي تجس الطفل في دائرة تشوّهه كشعوره بالنقص، إلى جانب المشكلات التي بلقها جرّاء ذهاب عضوه الحسي أو ضعفه: بصره أو أنفه أو أذنه، أو ضرر في فمه ولسانه.

⁽¹⁾: أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 113/2.

المطلب الثاني: نهي رسول الله ﷺ عن بعض الأخطاء عند تأديب الطفل، وذكر نماذج لم يعاقب فيها رسول الله ﷺ أو يعاتب.

أولاً: نهي رسول الله ﷺ عن بعض السلوكيات التي يقع فيها تجاوز في حق الطفل عند تأديبه بالترهيب.

نهي رسول الله ﷺ عن بعض السلوكيات التي فيها تجاوز في حق الطفل عند استخدام أسلوب من أساليب الترهيب، ومنها:

- حديث طويل يرويه جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال: «... لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤْفِقُوا مِنِ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (1).

- وحديث أبي مسعود البدري ﷺ السابق الذكر، حيث نهاه رسول الله ﷺ عن التجاوز في الحد عند ضرب الطفل، وعن الضرب في حال الغضب.

- عن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذرّ بالزّبدة، وعليه حلة، وعلي غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذرّ أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (2).

رغم أنّ الحديث يتكلم أساساً عن حسن معاملة الخادم والمملوك، وهذا الأخير في هذا الحديث رجل كما صرح الصحابي أبا ذر في قوله: "إني ساببت رجلاً"، إلا أنّ موضوع الحديث يحتمل التعميم؛ فقد يكون الخادم غلاماً ناهز الاحتلام أو قاربه، فيكون من الواجب الإحسان إليه وعدم الإساءة له باللفظ كتعبيره في ذاته أو أهله أو مستواه الدراسي أو المادي وغيرها.

كما يمكن تطبيق فحوى الحديث على كل طفل في كفالة وليّه سواء كان والدّه أو غيرهما، فالله تعالى جعل الطفل تحت يد وليه، فلا يحق للوليّ التجاوز في الحدّ عند تأديبه بالسب والشتم والتعيير.

ثانياً: مواقف من رسول الله ﷺ مع الطفل لم يكن فيها تعقيب وتأنيب غير التجاوز والعفو.

قد عُرِفَ عنه ﷺ أنّه لم يغضب لنفسه أو ينتقم لها قط من أحد رأى منه سوء أدب أو عصيان في أمر إلا أن تنتهك حرمة من حرّمات الله تعالى فيغضب لها، غيراً على الشريعة وحرصاً على تطبيقها وحفظها؛

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 257.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 247.

وفي هذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: « مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا »⁽¹⁾. وفي مواقف له ﷺ شهدت تجاوزه ﷺ عن زلات الأبطال وأخطائهم، وذلك بحكم أنهم لم يبلغوا حدَّ التكليف بعد، ومن هذه الشواهد، ما يلي:

- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: « مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ »⁽²⁾.

- وعن أنس رضي الله عنه قال: « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ »⁽³⁾
- وقد وقع مرّة أن انشغل أنس رضي الله عنه عن حاجة رسول الله ﷺ بالتفرج على لعب الصبيان في الطريق، فلم يكن من رسول الله ﷺ إلا الضحك على صنيعه تقديرًا منه ﷺ لضعف الطفل وحبه للعب، يقول أنس رضي الله عنه: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِلْحَاجَةِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَبِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟، قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ »⁽⁴⁾.

في ختام هذا الفصل، يمكن الخروج بجملة من النقاط المهمة، أذكرها كالاتي:

- اهتمام السنة النبوية بتأديب الطفل وتعديل سلوكه حسب ما يناسب فطرته ويتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا ظاهر في تنوع الأساليب وتعدد النصوص التي تضمنتها.
- كما يلاحظ أن أساليب الترغيب في السنة النبوية أخذت حظًا أوفرًا بالنظر إلى أساليب التهيب، وهذا يدلُّ على سماحة الدين الإسلامي ورحابة تشريعه الذي يتَّسم بالرحمة والرفق بالعباد، خاصة مع فئة

⁽¹⁾: البخاري: الصحيح، المناقب، صفة النبي ﷺ، ح(3560)، 4/189. مسلم: الصحيح، الفضائل، مباحثه ﷺ للآثام واختياره من المباح...، ح(2327)، 4/1813.

⁽²⁾: مسلم: الصحيح، الفضائل، مباحثه ﷺ للآثام واختياره من المباح...، ح(2328)، 4/1814.

⁽³⁾: البخاري: الصحيح، الأدب، حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ح(6038)، 8/14. مسلم: الصحيح، الفضائل، كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ح(2309)، 4/1804.

⁽⁴⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 120.

الأطفال، واختيار أسلوب الترغيب يرجع إلى طبيعة النفس المبحولة على حبّ الخير، فهي تستجيب لكل دعوة خير جاءت بأسلوب لين ورفق.

- وإن لم يحصل تغيُّر واضح في سلوك الطفل بعد محاولة تأديبه، فهذا دليل واضح على أنّ الأسلوب المستعمل خاطئ.

مكتبة الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

الفصل الثاني:

بعض المشكلات الشعورية عند الطفل، وعلاجها التربوي

في السنة النبوية.

فيه مبحثان:

- المبحث الأول: شعور التعلق والغيرة عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.
- المبحث الثاني: شعور الخوف والخجل عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.

رغم أنّ الأطفال صفحة بيضاء وما يُسعدهم أكثر مما يُحزنهم، إلا أنّ مرحلة الطفولة تُعرف الكثير من المشكلات العاطفية التي تمتد إلى سلوكياتهم، وقد تصبح من طباعهم وعاداتهم إنّ لم يُوجد لها علاج صحيح ودقيق؛ وقد وُجد في سنّة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام علاجات تربوية ناجعة لبعض منها، وفي هذا الفصل نستعرض أبرز المشكلات الشعورية السلوكية عند الطفل، في مبحثين، هما:

المبحث الأول: أسلوب الترغيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل الإيجابية.

المبحث الثاني: أسلوب الترهيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل السلبية.

المبحث الأول: شعور التعلق والغيرة عند الطفل، وعلاجها التربوي في السنة النبوية.

يرتبط شعور التعلق والغيرة على السواء بشعور الحب والانتماء، ورغم أنّ هذا الأخير هو شعور طيب وحميد إلا أنّ المبالغة في حدّه يكسب الطفل شعورًا سلبيًا يؤثر على راحته النفسية وشعوره بالطمأنينة، وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: شعور التعلق عند الطفل، وعلاجه التربوي في السنة النبوية.

يُعدّ التعلق في مرحلة الطفولة موضوعًا شديد الأهمية باعتباره العلامة الأولى لارتباطات الطفل العاطفية والاجتماعية، ولأنّ مرحلة الطفولة بكل ما فيها من مكتسبات تُعدّ حجر الزاوية في تكوين شخصيته، ولذلك فقد احتلّ موضوع التعلق عند الطفل حيزًا كبيرًا من اهتمامات المشتغلين بعلم نفس الطفل والمربين. أولاً: تعريف التعلق، ومجالاته عند الطفل.

1- تعريف التعلق كشعور:

- التعلُّق في اللغة: يُقال: تعلَّقت بالشيء واعتلَّقت به وتعلَّفته واعتلَّفته وعلَّفته، وعلِّق به علِّقاً وعلِّقاً؛ وهو بمعنى: التَّشبُّث بالشيء ولزومه، وشِدَّة الأخذ به؛ ويكون التعلُّق لشعور صاحبه بالضعف. وفي هذا نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: ... الحاجة تحملُ صاحبها على التَّعلُّق بكلِّ شيءٍ قدَّرَ عليه، ونحوً منه قولهم: العَرِيق يتعلَّق بالطُّحْلُب. (1)

ويؤكد هذا المعنى ما قاله أبو البقاء الحنفي في كتابه الكليات: (وإطلاق المُتعلِّق بالكسر على المَعْمُول وبالفتح على العَامِل وهو المُتعارف مع أنه يجوز بالعكس، والسر فيه أن التَّعلُّق هو التشبُّث

(1): يُنظر: الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1/284. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة "شبت"، 5/272. ابن منظور: لسان العرب، 2/158، فصل الواو، 8/407.

والمعمول لضعفه متشبت على عامله، والعامل لقوته متشبت فيه⁽¹⁾. فالمعمول هنا هو الطفل والعامل هو الشخص المتعلق فيه، والديه أو أحدهما، أو بديلة الأم، أو صديق، أو شيء ما، وهكذا.

- في الاصطلاح: ورد معنى التعلق في علم النفس بتعاريف متقاربة في معناها ومحتواها، ومنها القول بأن التعلق هو: (رابطة انفعالية قوية تؤدي إلى شعور الطفل بالسعادة والفرح والأمن عندما يكون قريباً من مُقدّم الرعاية، والشعور بالتوتر والانزعاج عندما ينفصل عنه..)⁽²⁾.

وهذا تعريف شامل يُعبّر عن طبيعة هذا الشعور عند الطفل، ويمكن تعميمه على كل حالات التعلق التي يتعرّض لها الإنسان في حياته بمختلف درجاته وأشكاله؛ وحدود التعريف تُعتبر من أبرز ما دلالاته، وهي السعادة والسرور عند قربه بمن يحب، والحزن والكآبة عند بُعده عنه.

2- مجالات التعلق عند الطفل: تشير الدراسات النفسية إلى أنّ التعلق يبدأ عادة من الشهر الثالث وينتهي مع نهاية السنة الأولى من عمر الطفل⁽³⁾؛ وفي هذا التحديد شبه اتفاق بين علماء النفس، ومن الممكن أن يستمر الأمر إلى أبعد من ذلك في كثير من الحالات؛ فمدّة التعلق عند الأطفال تختلف باختلاف حالاتهم النفسية والصحية، وحسب المحيط والتنشئة الأسرية وأسلوب المعاملة الوالدية، حيث نجد بعض الأطفال وهم في مرحلة الطفولة المتأخرة لا يزالون مُتعلقين بأمهاتهم وآبائهم تعلق الرضيع بأمه؛ ومن يعانون مشاكل صحّية أو عقلية كالطفل المعاق وأطفال التوحد.

ولذلك أقول: ربما يكون بالإمكان تعميم بداية التعلق عند أغلب الأطفال وتحديد سنّها، لكن لا يمكن تعميم السنّ الذي ينتهي فيه.

وتتعدّد أشكال التعلق عند الطفل وتختلف باختلاف ميوله والعروض المقدّمة أمامه، وهنا يمكن ذكر أشهرها وأبرزها، وهي:

- تعلق الطفل بوالديه أو أحدهما، وعادة ما ينصرف الطفل إلى الالتصاق بأمه وتتبعها سواء بخطواته أو نظراته، فلا يقبل فراقها مهما كانت الأسباب؛ وهذا التعلق هو أول أشكال التعلق ظهوراً عند الطفل، وأولى

(1): أبو البقاء الحنفي: الكليات، ص: 140.

(2): مدوري يمينه: إشكالية التعلق لدى الطفل، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ع: 13، 14 ديسمبر 2015، ص: 69.

(3): يُنظر: ألفت حقي: سيكولوجيا الطفل...، ص: 90. عزيز سمارة وآخرون: سيكولوجيا الطفولة، ص: 177. هدى محمود الناشف: الأسرة وتربية الطفل، ص: 151.

بوادِرَ هذا الشعور؛ ويصبح للأب نصيب من تعلق ولده إذا وجد منه احتضاناً وعطفًا وملاعبَةً، ومصاحبة إلى خارج البيت بين الحين والآخر.⁽¹⁾

وتعلّق الطفل بوالديه شعور لا تنفصم عُراه طول فترة الطفولة، بل قد تستمر إلى مرحلة الرشد أو ما بعدها؛ وإنما تخف مظاهره، وتقلّ حِدَّتُه نوعًا ما.

- تعلّق الطفل ببديلة الأم عند غيابها، وخاصة إذا كان غيابها كثير ومتكرّرًا كما هو الحال عند الأمهات العاملات خارج البيت.

- تعلّق الطفل بلعبته المفضلة، يُلاعبها ويُحدّثها وينقلها معه أينما حلّ وارتحل.

- كذا يتعلّق الطفل بحيوان في المنزل كقط أو عصور أو جدي أو غيره، ألفه ويلعب معه.

- تعلّق الطفل بالأشياء التي يتَمَلَّكها أو يراها عند غيره من الأطفال، ولذلك نراه يُصرُّ على أخذها بالبكاء والصراخ، وربما يدفعه حاله إلى الهجوم عليه بالضرب لاغتصابها منه؛ ويكون هذا- في الغالب العام- في مرحلة الطفولة المبكرة عند بعض منهم.

3- علامات التعلق عند الطفل: من أبرز العلامات الدالة على التّعلق عند الطفل هي:

1- في سنواته الأولى يُفضل الالتصاق العضوي بأمه طول الوقت، ويكره مفارقتها ولو للحظات، ويُعبّر عن هذا الشعور ببكائه الشديد والمستمر عند بُعدها عنه، ويظل يتبعها بعينه إلى أن تختفي؛ وتكون في ابتسامته العريضة وهزّ جسمه عند رؤيتها مع مدّ ذراعه لحمله تعبير قوي عن تعلقه؛ وهي علامات خاصة مع الأم، وعامة مع كل شخص يتعلق به الطفل.

2- يلجأ الطفل بنظراته إلى الشخص الذي تعلّق به في حال شعوره بالخوف، كرسالة منه "أني خائف"؛ ويحسّ بالأمان والحصانة من أيّ تهديد أو خطر وهو بجانبه.

4- ضرورة مراعاة هذا الشعور في حياة الطفل:

للتعلّق كغيره من المشاعر آثار على شخصية الطفل وحياته النفسية، وعلاقاته الاجتماعية؛ قد تكون هذه الآثار إيجابية وقد تكون سلبية؛ وعند إساءة التعامل مع هذا الشعور فإنّ نتائجه لا بدّ تكون وخيمة على الطفل، ومن أبرز ما يمكن توقعه في هذه الحالة، هو:

⁽¹⁾: يُنظر في الموضوع: مدوري يمينة: إشكالية التعلق لدى الطفل، ص: 69. سحر طلعت: نظرية التعلق...مفتاح لبناء علاقة آمنة مع طفلك، موقع صحتك، www.sehatok.com.

- في حال حرمان الطفل من الشخص الذي تعلّق به فإنّ الطفل يدخل في حالة من الاكتئاب والصراع الحادّ بين ما يطلبه وما يفرضه واقعه عليه، وانتقاله إلى السلوك العدواني، خاصّة إذا كان الحرمان مفاجئاً وطويل الأمد؛ وأحياناً تستعمل بعض الأسر هذا الأسلوب للحدّ من تعلق الطفل بأمه فيطلب منها المُوارأة عن نظره، أو ربما يمسكونه حتى لا يتبعها ويصرخون في وجهه؛ وهذا من الخطأ، فالطفل في هذه الحالة سيزداد عناداً ويرتفع مستوى توتره وقلقه، ويتولد لديه الشعور بالخوف من خسارة أمه، وفي نهاية المطاف لن يخرج هذا الأسلوب إلا بنتائج سلبية على الطفل بالدرجة الأولى.¹

ولهذا يكون من المستحسن أن يتم العمل على تخفيف حدّة التعلق بإشغال الطفل عن طريق شخص آخر يداعبه ويلعبه بين الحين والآخر، أو إلهائه بلعبة جديدة، أو مرافقته إلى خارج المنزل من شخص. - والحرمان يجعل الطفل ضعيف الشخصية غير قادر على تشكيل علاقات مع الآخرين، فقد يفقد الثقة بنفسه وبالآخرين.

- محاولة الطفل جاهداً لإظهار مودته ومحبهته الشديد بالشخص الذي تعلّق به، مع مقابلة الآخر بالصدّ والقسوة، فلا يُعيّره اهتماماً إلا قليلاً، هذا السلوك يُرهق الطفل ويُشعره كل حين بالصدمة وخيبة الأمل؛ كما يفقده الشعور بذاته ومكانته، ومع الوقت قد يستبدل شعور الحب والتعلق هذا بالكراهية والحقد، فيصير عدائياً بغيضاً يهوى خلق المشاكل لمن حوله.

وإنّ أحسن علاج يُستعمل مع هذا الشعور هو إشباع الطفل بالحب والحنان والرفق به، في مرحلة معينة من عمره وهي مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة، ثم التدرّج للنهوض به إلى الاهتمام بأمور أخرى كحفظ القرآن الكريم والارتباط بالصلاة وحلق العلم في المساجد والمدارس وغيرها، وأيضاً تحبيبه في رياضة معينة كالسباحة أو الرماية، أو مختلف الرياضات النافعة المتاحة، والألعاب التنافسية الآمنة مع الأطفال في الحي.

وهكذا يعيش الطفل تعلقاً آمناً، يستمتع فيه بمرحلة شعورية فطرية يجد فيها ما يغذي عواطفه في فترة معينة، ثم يخرج منه بطريقة سلسة لا يشعر بأي منغصات أو تغيرات تزعجه وتوتره أو تُخلف ما هو أسوء.

وفي السنة النبوية الكثير من الصور التي تُعبّر عن تعلق الطفل، وتُظهر طريقة رسول الله ﷺ في التعامل معها بما يناسب.

(1): يُنظر في الموضوع: فريق مايو كلينيك: اضطراب التعلق التفاعلي، موقع مايو كلينيك، www.mayoclinic.org.

5 علامات تدل على إصابة الطفل باضطراب التعلق... كيف تساعد، منوعات، موقع الشرق الأوسط، aawsat.com.

ثانياً: مراعاة السنة النبوية لشعور التعلق عند الطفل، وعلاجها التربوي.

لأنَّ التعلق من السلوكيات البارزة في الأطفال فقد ناسب أن وجد في السنة النبوية نماذج كثيرة تحكي حقيقة هذا الشعور عند الأطفال وتحدّد بعض أشكاله ومظاهره، وتبيّن منهج رسول الله ﷺ في التعامل معه، وهاهنا بيان لذلك.

1- **حُتُّ الطفل على التعلق بالله ﷻ:** ثبت في الحديث الذي وجّهه النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما - السابق الذكر -⁽¹⁾، حيث يدعو في جمل الحديث إلى التعلق بالله سبحانه وحده وأن لا يتعلق بغيره من الناس، والتعلق بالله ﷻ هو أعظم أشكال التعلق وأهمها وأوجبها على المؤمن، وقد دلّ عليه قوله ﷺ: "احفظ الله يحفظك"، و قوله: "إذا سألت فاسأل الله"، و"إذا استعنت فاستعن بالله"؛ فبيّن له أنّ كل شيء يسير بقدر الله ﷻ، وأنّ ما يصيبه من خير أو شر فهو من بمشيئته ﷻ، ولهذا لا بدّ من أن يكون تعلقه بالله وحده في كل أمره.

2- **تعلُّق الأطفال بالنبي ﷺ:** وفي هذا نماذج كثير - تقدم ذكر بعضها⁽²⁾ - تُظهر مدى تعلق الأطفال برسول الله ﷺ وحبّه له. أذكر منها قصة زيد بن حارثة الذي أوى العودّة مع أهله رغبة في البقاء مع رسول الله ﷺ، حيث روى جبلة بن حارثة، أخو زيد قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْ مَعِيَ أَحِي زَيْدًا قَالَ: «هُوَ ذَا، فَإِنْ انْطَلَقَ مَعَكَ لَمْ أَمْنَعُهُ». قَالَ زَيْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَأْيَ أَحِي أَفْضَلَ مِنْ رَأْيِي⁽³⁾.

3- **نماذج في تعلق الطفل بأمه:** سبق الحديث في مبحث خاص عن علاقة الطفل بأمه ومدى تعلقه بها وهاهنا نشير إلى أبرز الشواهد على هذا النوع من التعلق، ومما ثبت في سيرته ﷺ أنّه كان يخفف الصلاة عند سماعه لبكاء الصبي على أمه، رغبة في احتضانها وحمله، فروى أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، فَأَرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَجْوِزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»⁽⁴⁾.

وفي هذا التصرف قمة المراعاة لمشاعر الطفل وأمه وتقديره لحاجته في الالتصاق بأمه وهو في سنّ يحتاج فيها لمثل هذا العطف والرعاية، وليس من الصواب أن يُقابل بالتجاهل لأن الطفل سيزداد بكاءً وصراخاً

(1): يُنظر: ص: 38.

(2): يُنظر: ص: 187.

(3): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 159.

(4): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 65.

وفي هذه الحالة سينشغل قلب الأم بطفلها أكثر وتلتفت أسماع الآخرين لصوته بدل القرآن، ولذا كان من الحكمة أن يتجاوز في الصلاة حتى تحتضنه أمه وتنتهي المشكلة.

ومما أبحاثه الشريعة في هذا الموقف هو جواز رفع الصبي أثناء الصلاة ووضعه، كعلاج لمشكلة التعلق والالتصاق الجسدي، ودليله ما فعل رسول الله ﷺ مع حفيدته أمانة بنت زينب، ونصه ما رواه أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا»⁽¹⁾.

- حكاية زينب بنت أم سلمة التي منعت رسول الله ﷺ عن البناء بأهله أم سلمة رضي الله عنها من شدة بكائها على أمها ورغبتها في البقاء بين ذراعيها، فكان كلما أتاها وجدها تُرضع زينب، فينصرف عنها؛ حتى «..بَلَغَ ذَلِكَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَأَتَاهَا، فَقَالَ: حُلَّتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ حَاجَتِهِ، هَلُمَّ الصَّبِيَّةَ، قَالَ: فَأَخَذَهَا، فَاسْتَرْضَعَ لَهَا، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَيْنَ زُنَابُ؟"، يَعْنِي زَيْنَبَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَهَا عَمَّارٌ. فَدَخَلَ بِهَا...»⁽²⁾.

وحيث نرى عند كثير من الأطفال الرضع إدعائهم الجوع والنوم والأمر غير كذلك، ودافعهم هو حرصهم على البقاء في حجر الأم، وهم في هذا السن أقدر على الاحتياج بيكائهم من أي سن آخر. إلا أن خلق رسول الله ﷺ المعروف بالرفق واللين، وحسن تقديره لحاجات الآخرين، جعله ينتظر فرصة مواتية تكون فيها الطفلة زينب في غنى عن أمها ليأتي أهله.

4- **تعلق الطفل بحيوان يُلاعبه:** تُعتبر قصة أبو عمير من أشهر ما رُوي في هذا الموضوع، فالطفل الصغير المكنى بأبي عمير تملك عصفورًا وأخذ يلعب به، ثم كان من أمر العصفور أن مات وحزن عليه، فدخل رسول الله ﷺ ووجده حزينا، وعندما سأل عنه أخبر بالسبب، فلم يكن من أمر النبي الذي أرسل رحمة للعالمين، إلا أن حاول التنفيس عنه ومداعبته ليرفع عنه غمّه؛ ونصُّ القصة كما يرويها أنس رضي الله عنه، كالتالي:

(1): سبق تخريجه: يُنظر: ص: 168.

(2): سبق تخريجه: يُنظر: ص: 110.

عن أنس، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: « يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ »، نُعْرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيَكُنْسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَفُومُ وَنَفُومُ خَلْفَهُ فَيَصَلِّي بِنَا. (1)

وما يمكن تسجيله من هذه القصة، هو أنه بعد مداعبته بقوله: " يا أبا عمير ما فعل النعير"، عمد ﷺ إلى الصلاة بأفراد العائلة جميعاً، فرمما ينسى أبو عمير العصفور وينشغل بأمر آخر.

وهذا واحد من أساليب العلاج لمشكلة التعلق عند الأطفال - كما سبق بيانه -، وليس هناك مجال أفضل وأنفع من ربطه بالله تعالى وما يقرب إليه من قول وعمل، فيتعلم أن بذكر الله تهون كل مصيبة.

5- تعلق الطفل بمكان ما: يبقى في خلد كل فرد منا ذكريات جميلة عن مكان ولادته وطفولته، أو قضى فيه أوقاتاً سعيدة رفقة عائلته أو أقرانه، ويشعر بالحنين إليه كلما ذكره أو مرَّ عليه؛ وهو أمر حدث مع النبي ﷺ نحو مكة المكرمة، البلد شهد ولادته، واحتضن طفولته، و ترعرع فيه شبابه، فكان للنبي ﷺ معه ذكريات ضمت أحداثاً ووقائع وشخصيات كثيرة.

جاء في حديث رواه ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ ملكة: « مَا أَطْيَبِكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبُّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ » (2).

وهو في هذا الحديث يُعبّر عن شدة تعلقه ﷺ ببلد الله الحرام مكة وهو ظاهر جداً في قوله: "...مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ"، وهو تعبير عميق عن تلك الرابطة والشعور القوي التي يجمعه ﷺ معها.

وحبُّ رسول الله ﷺ ملكة وتفضيله لها على سائر البلاد يشهد لهذا النوع من التعلق عند الطفل، بل وإنه تعلق عام يحدث عند الصغير والكبير مع كل بلد أو بقعة عاش فيها حدثاً ما.

وفي خلاصة ما تقدّم، يمكن الخروج بجملة من النقاط أهمها:

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 62.

(2): الترمذي: السنن، المناقب، في فضل مكة، ح(3926)، 723/5. وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه). ابن حبان: الصحيح، الحج، ذكر البيان بأن مكة كانت أحب الأرض إلى رسول الله، ح(3709)، 23/9. الطبراني: المعجم الكبير، العين، أبو الطفيل عن ابن عباس، ح(10633)، 270/10. البزار: المسند، مسند ابن عباس، ح(4690)، 17/11. قال عبد القادر الأرنبوط في تخريجه على "جامع الأصول" لابن الأثير: (حديث حسن)، ح(6904)، 292/9. وقال الألباني: (صحيح)، ينظر: مشكاة المصابيح، ح(2724)، 832/2.

- يحتاج الطفل إلى الاحتضان والحب في حالة تعلقه حتى يكون تعلقه آمناً؛ ولكن ينقلب إلى العكس عند مقابلته بالجفاء واللامبالاة، وهذا يولد عنده اضطرابات نفسية شعورية واجتماعية لا تُحمد عقبائها.
- يعيش الطفل هذا الشعور على أشدّه في مرحلة الطفولة الأولى (الرضاعة والطفولة المبكرة)، وتكون في الغالب مُتَّجِهة نحو الأم؛ ثم تخفُّ حِدَّتْها في المراحل التالية لتظهر بين الحين والآخر حسب المستجدات.
- وُجد في السنة النبوية نماذج كثيرة تُظهر اهتمام رسول الله ﷺ بشعور الطفل في حال تعلقه بشخص أو شيء ما، وتؤكد في جملتها مدى مراعاته ﷺ لإحساس الطفل في هذه الحالة.
- من خلال النظر في النصوص المتقدمة يظهر جلياً أنّ النبي ﷺ استعمل الرفق لحل ارتباط التعلق، ولم يوجد في واحدة منها أنه عنّف صبيّاً أو انتهره، فما دام الطفل في مرحلة يكون فيها التعلق سلوكاً طبيعياً فإنه لا يحتاج إلاّ لسياسة حكيمة تُشبع رغبته، إلى أن يتدرج في مراحل عمره ويَعِي مسائل أكبر وأهم.
- وإذا كان جُل من كَتَب عن التعلق عند الطفل يحثُّ على ضرورة أن يكون آمناً، وذلك بالتعبير عن الحب، والوَد والعطف، ومحاولة إلى أمور أخرى، وهذا ما وُجد حقيقةً في سنّة رسول الله ﷺ ومنهج في التعامل قبل قرون، وقبل أن تصل المدارس الغربية النفسية والتربوية إلى ما تُؤكد عليه اليوم.

المطلب الثاني: الغيرة عند الطفل، وعلاجها التربوي في السنة النبوي.

تعتبر الغيرة من الأمور الطبيعية والشائعة بين الأطفال وخاصّة في مرحلة الطفولة المبكرة، قد تتلاشى مع مرور الوقت أو بزوال أسبابها؛ ولكن قد تتحول إلى مشكلة سلوكية حقيقية تتولد عليها مشاكل أكبر، وغالباً ما يكون للوالدين يدٌ في إثارتها أو تفاقم مشكلاتها.

أولاً: تعريف الغيرة، وأسبابها عند الطفل.

1- تعريف الغيرة: في اللغة: العَيْرَةُ بالفتح، مصدر غار الرجل على أهله يَغَارُ غَيْرًا وَغَيْرَةً، ورجلٌ غَيورٌ وَغَيْرَانٌ والجمع: غَيْرٌ وَغَيَارَى وَغَيَارَى، يُقَال: رجلٌ مِعْيَارٌ أي شديد العَيْرَةِ، وامرأةٌ غَيورٌ وَغَيْرِيٌّ؛ وأغار الرجل زوجته وغارها إذا تزوج عليها؛ وهي بمعنى: الحمية والأنفة.⁽¹⁾

⁽¹⁾: يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، 4/404. الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2/775. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 13/288. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي: غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، دار الفكر، 1402هـ-1982م، 3/139.

وفي معنى الغيرة قول سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه قال: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ، لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَعْيُرُ مِنِّي» (1).

- وفي الاصطلاح: تُعرَّف الغيرة في علم النفس على أنَّها مزيج من انفعالات مختلفة اجتمعت في نفس الطفل وكوَّنت عنده الإحساس بالغيرة، كالخوف والغضب والحب والتعلق، والشعور بالنقص والمهانة، وحب التملك، وخوفه من خسارة ما يتمتع به من ارتباطات عاطفية.

وينتج عن ذلك مجموعة من الاضطرابات السلوكية كالعناد والمشاجرة وكثرة البكاء والتبول الليلي، كما يُلاحظ عليه الانطواء أحياناً، فضلاً عن تنامي الإحساس بالخوف وضعف الثقة بنفسه وبمن حوله. (2) وعرفها بعض أهل الاصطلاح على أنَّها: كراهة شركة الغير في حقِّه. (3) وهو تعريف جمع أهم حدود الغيرة، فالولد يكره أن يشاركه أحد فيما يملك من حقوق مادية ومعنوية كالحب والعلاقة مع الآخرين.

2- أسباب الغيرة عند الطفل:

إنَّ الغيرة شعور يستدعي الوقوف على أسبابها، فجلها عوامل خارجية عن الطفل، حتى أنَّ البعض عدَّها شعور مكتسب وليس فطري (4).

ومن أبرز أسبابها وأهمها، ما يلي:

1- مجيء مولود جديد للأسرة: عندما يجد الطفل أن والديه قد انشغلا عنه بالاهتمام بالمولود الجديد، يتولَّد لديه الشعور بالتهديد والأمن على امتيازاته التي طالما تمتع به منذ ولادته؛ والحقيقة أن الطفل يمتزج لديه الشعور بالفرحة والسعادة بأخ جديد، مع الخوف من أن يشاركه أحد في امتيازاته المادية والعاطفية.

(1): البخاري: الصحيح، الحدود، من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، ح(6846)، 173/8. مسلم: الصحيح، الطلاق، انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، ح(1499)، 1136/2.

(2): يُنظر: محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم وطرق العلاج، ص: 218. حاتم آدم: الصحة النفسية للطفل، ص: 91. عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ص: 67. نبيلة عباس الشوربجي: المشكلات النفسية للأطفال، ص: 150.

(3): زين الدين المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، 1/ 255. الجرجاني: التعريفات، 163/1.

(4): يُنظر: ألفت حقي: سيكولوجية الطفل، ص: 94.

وهذه الأخيرة هي لب المشكلة، فلو اقترحنا عليه إبعاد أخيه لينشأ في عائلة أخرى إرضاءً له، لرفض رفضاً قاطعاً وأخذ بالبكاء والصراخ واحتضان أخيه ليمنع ذلك، وهذا يدل على أنه لا يرفضه لذاته وإنما يرفض تبعات وجوده كشريك معه في ممتلكاته، وخاصة مودة والديه ورعايتهما له.

وهنا يظهر دور الوالدين في الحفاظ على إحساسه بالحب والاهتمام، وعدم إثارة غيرته نحو أخيه بشيء من الحيطة حتى يتجاوز هذه المرحلة ويتقبل وجوده بشكل تلقائي، ويشاركه أغراضه والأنس بوالديه.

وربما يرى البعض أن الغيرة تكون من الكبير نحو الصغير، وهذا قد يكون في بادئ الأمر، فبعد أن يكبر الصغير ويمتلك بعض الوعي فإنّ الحال ينقلب إلى العكس ويصبح الصبي ذو السنين يغار من أخيه الأكبر منه ويُنازعه في كل شيء حتى الاقتراب من والديه.

2- التفريق بين الأبناء في المعاملة: سواء كان التفريق بينهم في الأمور المادية أو المعنوية العاطفية فإنّ الولد يشعر به ويتأثر أيما تأثر، وهو يلاحظ كيف أنّ غيره من إخوته يحوزون على طلباتهم المادية، وينعمون بالاحتضان واللعب معهم والمديح والإطراء على تصرفاتهم وهو يفتقر إلى الكثير منها.

وهذا يُولد فيه الشعور بالنقص والحقد والكراهية لإخوته والغضب من والديه وعدم الرضا عليهما، كما يؤدي إلى إحساسه بالظلم والمهانة وخيبة الأمل؛ وقد تمتد تبعات هذا الشعور إلى عُمر مُتقدم من حياته فتنشأ عنه الضغينة والقطيعة مع والديه وإخوته⁽¹⁾.

3- مقارنة الطفل بغيره من الأطفال من داخل الأسرة أو خارجها: يعمد الآباء في كثير من الأحيان إلى إجراء مقارنة بين أحد أبنائهم وغيره من الأطفال من باب استفزازه للقيام بالعمل الصالح، وأحياناً يجلس الوالدين يتحدثون أمام الطفل عمّا يعانیه من نقائص جمالية أو قدرات حسية أو عقلية، غافلين العواقب السيئة لهذا التصرف.

وهو يشحنه بشيء من التنافس الذي قد لا يملك مقوماته، فيشعره بالفشل والعجز، ويدفعه إلى كراهية الطرف المنافس، وعدم تقبل نقد وتوجيهات والديه المثبطة، ويتشكل عنده الشعور بالأنانية والاعتزاز بالنفس مهما كان الحال⁽²⁾.

(1) يُنظر: محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم...، ص: 219. نبيلة عباس شوربجي: المشكلات النفسية للأطفال...، ص: 107.

(2) يُنظر: حكمت الحلو: مشكلات الأطفال السلوكية في البيت والمدرسة، دار النشر، القاهرة، 1430هـ - 2009م، ص:

وتجد الغيرة بيئة أرحب في رياض الأطفال والمحيط المدرسي، ومن أبرز أسبابها هو التنافس على الدرجات الأولى ونيل رضا المعلم والتقرب منه، وفي الغالب يكون بين النجباء منهم؛ وهو أمر طبيعي أو فطري عند تلاميذ هذه المرحلة، ولكن السيئ في هذا، هو أن يتعمد المعلم إجراء المقارنات بين التلاميذ، وعدم توخي العدالة بينهم في المعاملة الحسنة وفي توزيع الدرجات⁽¹⁾.

4- التمييز حسب الجنس: إن تفضيل الصبيان على البنات أمرًا قديم الوجود في حياة الناس، ورغم أن الإسلام أعطى للمرأة مكانتها التي تستحق وحثَّ على تربية البنات وإكرامهنَّ، إلا أن هذا السلوك لا يزال مُتجذرًا في عقلية الكثيرين في زماننا، وهذا يُعد سببًا واضحًا في نشوء الغيرة عند البنات.

فالبنات التي تشعر أن أخاها يحظى بتقدير واهتمام، ويحصل على أكثر مطالبه فعلى الأغلب ستغار منه، ولكونها "بنت" ستشعر بالضيق والحسرة والدونية وتفقد تقديرها لذاتها؛ ويبدأ معها الشعور بالحقد والكرهية، وتصبح عدائية وينمو في داخلها العناد، محاولة بذلك إثبات وجودها وقدراتها وتحقيق ذاتها. وعلاج الغيرة يتوقف أساسًا على معرفة أسبابها، ثم العمل على التخلص منها وتقديم البديل المناسب.

ثانيًا: العلاج التربوي لغيرة الطفل في السنة النبوية.

قدّمت السنة النبوية علاجات تربوية لمسألة الغيرة ودعت للالتزام بما قبل نشوئها، ونهت عن كل سلوك فيه إجحاف بحق الطفل أو تعدي عليه في شؤونه المادية أو المعنوية، وعليه كانت جُلُّ هذه العلاجات تركز على الأسباب المؤدية لها.

ولهذا دعت السنة النبوية إلى تجنب هذه الأسباب، واحترام التعاليم الشرعية المتعلقة بها، وبيانه كالتالي:

1- فيما تعلق بغيرة الولد من المولود الجديد، فإن ما حثَّ عليه النبي ﷺ من سُنَّة العقيقة والختان وغيرها عند ولادة طفل جديد، والتي فيها إظهار للفرح والبهجة يشارك في صنعها الجميع، ويسعد بها الصغير قبل الكبير، كلها أعمال تمحو الشعور بالغيرة من نفس الطفل، بل وتقوي فيه الشعور بالحبِّ والحنو، والحرص على حمايته واحتضانه؛ وقد جاء الكلام عن هذه الأعمال وبيانها في مبحث متقدم.

2- ونهى النبي ﷺ عن التفريق بين الأولاد في الأمور المادية وكذا في المعاملة العاطفية، لما يترتب على هذا السلوك من مفسدات كبيرة تطل نفسية الأولاد وعلاقتهم ببعض في الحاضر والمستقبل، وعلاقتهم بوالديهم،

(1) يُنظر: حكمت الحلوة: مشكلات الأطفال السلوكية، ص: 83. نبيلة عباس الشوربجي: المشكلات النفسية للأطفال...، ص:

وقد جاء الأمر بالعدل بينهم في الأمور المادية كالهدايا والهبات في حديث يرويه النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ونصُّه: عن عامرٍ، قال: سمعتُ النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، وهو على المنبر يقول: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.⁽¹⁾

فاحتثَّ النبي ﷺ السبب من أصله وأمر بالعدل بين الأولاد، فلا يعرفون به حسداً ولا غيره، ولا كراهية أو عداوة ولا غيرها.

كما نهى النبي ﷺ عن التفريق بينهم ذكورا وإناثاً في التعبير عن المحبة والمودة، ودعا إلى العدل بينهم حتى في التقبيل والقرب في المجلس؛ فعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَقْعَدَهُ عَلَى فِخْذِهِ وَجَاءَتْهُ بُنْيَةٌ لَهُ فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا.⁽²⁾

فلم يكن من العدل أن يُقبل الولد ويجلسه على فخذه ويترك البنت لتجلس بين يديه دون أن يُقبلها، والبنت تلحظ كل هذا وتفقهه وتتأثر في نفسها بما يثير إحساسها بالدونية والاحتقار ويولد عندها الشعور بالغيرة، وهو أمر تنبه له رسول الله ﷺ عندما أمره بالتسوية بينهما حتى لا يُؤثر على مشاعر أيٍّ منهما.

وقد كان رسول الله ﷺ يعدل بين الأولاد في هذه الأمور، وحديث جابر بن سمرة السابق الذكر دليل على ذلك حيث مسح خدي الأولاد ولم يترك واحداً منهم. وعامة فإنَّ الأولاد يرجون من آبائهم ما يرجوه الآباء منهم من البر والإحسان، فإنَّ الأولاد أيضا يرجون منهم العدل وحسن المعاملة والتقدير.

⁽¹⁾: سبق تخريجه، يُنظر: ص: 186.

⁽²⁾: البزار: المسند، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ح(6361)، 45/13. وقال: (هذا الحديث لا نعلمه رواه عن معمر إلا عبد الله بن موسى، وكان صنعائياً تحوّل إلى مكة). عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، الوصايا، في التفضيل في النحل، ح(16501)، 99/9. الطحاوي: شرح معاني الآثار، الهبة والصدقة، الرجل ينحل بعض بنيه دون بعض، ح(5847)، 89/4. الهيثمي: مجمع الزوائد، البر والصلة، منه في الأولاد والأقارب وفضل النفقة عليهم، ح(13489)، 156/8. وقال: (رواه البزار فقال: حدثنا بعض أصحابنا ولم يُسمه، وبقية رجاله ثقات). وقال الألباني: (وهذا إسناد حسن؛ معمر والزهري ثقتان لا يسأل عنهما. وعبد الله بن معاذ ويعقوب بن حميد صدوقان كما في "التقريب"؛ إلا أنه قال في الثاني منهما: "ربما وهم"؛ وهذا لا يضر في حديثه، ولا ينزله عن مرتبة الحسن)، يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهاها، ح(3098)، 263/7.

3- أما فيما تعلق بتمييز الصبيان على البنات، وحبّ الصبي أكثر من البنت وإحاطته بالعناية دونها فهذا مخالف لمبدأ العدل بين الأولاد، ولما نصّت عليه الشريعة الإسلامية من تعاليم سمحة في حق البنت؛ فحفظ لها الإسلام حقها في الحياة، وأمر بمشورتها في أمور الخاصة، ودعا إلى إكرامها وحسن تربيتها ورتب على ذلك أجراً؛ فيكون من الإجحاف أن يستمر الناس في التقليل من شأنها. وقد سبق الحديث عن شأن البنات في السنة النبوية وبيان اهتمام النبي ﷺ بشأنهن والعناية بأموهنّ في مبحث خاصّة. ولهذا فإنّ غير الأطفال مرتبطة بأسبابها، وللكبار يدٌ في نشوئها، ولذلك على المرء أن يتجنب ذلك.

المبحث الثاني: شعور الخوف والخجل عند الطفل، وعلاجها التربوي في السنة النبوية.

يُعد كل من الخوف والخجل من أكثر المشاعر شيوعاً في صفوف الأطفال، وهي مشاعر ذات وجهين فقد تكون إيجابية في جوانب وسلبية في جوانب أخرى، لكن وجودها في حياة الطفل في غير محلها أو بشكل مبالغ فيه يكسبها صفة السلبية، وتجرح عليه وعلى أهله متاعب كثيرة، وقد أولت لها السنة النبوية عناية كافية كغيرها من المشاعر الأخرى من حياة الطفل؛ وهاهنا بيان ذلك:

المطلب الأول: شعور الخوف عند الطفل، وعلاجه التربوي في السنة النبوية.

وحيث أنّ التطرق لمثل هذه المواضيع من حياة الطفل يحتاج أولاً إلى ذكر أهم الحدود والتعاريف ليتحقق بهذا الإحاطة بالموضوع ولو بشكل مختصر.

أولاً: معنى الخوف وذكر أنواعه عند الطفل.

1- معنى الخوف:

في لغة العرب: الخوف، الفزع والذعر، ومنه التخويف والإخافة والتخوّف والخيف. والنعث: خائف، وتقول:

طريقٌ مخوفٌ يخافه الناس، ومُخيفٌ يُخيفُ الناس، ومنه قوله ﷺ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل/47] وخَوَّفْتُ الرَّجُلَ: جعلت فيه الخَوْفَ، وَكَذَلِكَ: التَّخْوِيفُ، وَطَرِيقٌ مَخُوفٌ: يَخَافُهُ النَّاسُ. (1)

والخوف يكون من توقع حلول مكروه أو خوف فوات محبوب، وهو خلاف الطمأنينة والسكينة. (2)

(1): يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، 4/312. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 23/289. الحسن بن مهران العسكري: معجم الفروق اللغوية، 1/227.

(2): يُنظر: الجرجاني: التعريفات، 1/101. المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، 1/161.

في الاصطلاح: مما قيل في تعريف الخوف، هو أنه: (أحد الانفعالات الأولية البدائية الفطرية التي زوّد الله سبحانه وتعالى بها الإنسان ليحمي نفسه وليأخذ حذره من مخاطر الحياة...) (1).

وعليه فالخوف: هو أحد المشاعر القوية التي تحكم سلوك الفرد، وهو شعور غير مرغوب فيه في الأصل، يكون سببه في الغالب إدراك خطر، أو فوت محبوب.

ويمكن القول أنّ الخوف شعور سلبي غير مرغوب فيه، قد تنجم عنه الكثير من المساوئ في حال زاد عن حدّه أو طال أمده، ومن ذلك انتقال الفرد من حال الخوف العادي إلى الرّهَاب أو الوسواس القهري، والانهيار النفسي.

ويكون الخوف مفيد وإيجابي في حال ساهم في بناء الحيطة لتجنب الخطر؛ والخوف من الله تعالى مطلوب شرعاً وبه لا يأمن المؤمن عذاب الله سبحانه.

2- أنواع الخوف عند الطفل: هناك نوعان من المخاوف عند الأطفال، وهما:

أ- الخوف الطبيعي: ويسمى "الموضوعي" أو "العادي"، وهو النوع الأكثر شيوعاً عند الأطفال وأسبابه موضوعية، كخوف الطفل من الرعد والبرق، العواصف، الظلام، الطبيب، الحيوانات، الأماكن العالية، المدرسة... إلخ.

وهناك مخاوف طبيعية تتعلق بالجانب النفسي، كالخوف من الامتحانات، الوقوع في الخطأ، النقد، الشعور بالعجز، الخوف من وقوع بعض الأخطار المُتخيّلة.

ب- مخاوف مرضية: وتسمى أيضاً بـ "الرهاب"، وهي مخاوف غامضة لا تُعرف أسبابها لأنها أصبحت في دائرة اللا شعور، وقد تكون أسبابها تجارب مؤلمة تعرّض لها الطفل في طفولته المبكرة، فتظهر أعراضها عندما يواجه موقفًا مشابهًا لها؛ وهذه الحالة من الخوف عند الطفل شاذة.

3- متى يبدأ الشعور بالخوف عند الطفل:

إنّ معظم المخاوف عند الأطفال هي مخاوف اكتسبها بالمحاكاة والتقليد لأفراد أسرهم أو المحيط الذي يرتبطون به؛ والأطفال في طبيعتهم الفطرية لا يولدون وفيهم شعور الخوف، وإنما يبدأ بالتكوّن في داخلهم من بعد عمر السنة إلى سنتين، حيث لا يلاحظ على هذه الفئة تخوفها من لمس أي شيء ولا يظهر

(1): نبيلة عباس شوربجي: المشكلات النفسية للأطفال: أسبابها وعلاجها، ص: 142.

عليها تراجع عن فعله؛ ويشهد لهذا ما حدث مع موسى عليه السلام عندما التقط جمرة ووضعها لأنه لم يكن يعي

حقيقتها وخطورها؛ قال عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَكَرُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص/34].

وهو ما ذكره بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: من أن عدم فصاحة موسى تعود إمّا إلى أصل الخلق في لسانه، وإمّا لأجل أنه وضع الجمرّة في فيه عندما أخذ بلحية فرعون (1).

ولذا لا يمكن القول أن الشعور بالخوف عند الطفل هو شعور فطري، فهو لم يكن لينشأ في نفس الطفل لو لم ينقله الكبير إليه بالكلام أو المشاهدة.

وكثير من هذه المخاوف المكتسبة تختفي بعد نمو الطفل واتساع دائرة خياله وتفكيره، وإطلاعه على حقيقة الأشياء ودرجة خطورتها.

4- علامات الخوف عند الطفل:

يُعرف الخوف عند الطفل بوجود أحد العلامات الدالة عليه، ومنها: الصراخ الشديد أو المتقطع، البكاء، الصياح المصحوب بالرعدة، وقد تكون الرعدة مع الانغلاق عن الكلام وجحوظ العينان، العرق، سرعة دقات القلب، اضطراب الكلام مع محاولة الإشارة إلى سبب الخوف، التبول الإرادي، وغيره (2).

5- أسباب الخوف عند الطفل، وعلاجها:

من أبرز الأسباب المؤدية إلى نشوء الخوف عند الطفل، وتهديد أمنه وإطمئنانه النفسي والعاطفي، هو:

- الاستماع إلى الحكايات والقصص المخيفة حقيقية كانت أو خيالية.
- الخلافات والنزاعات داخل الأسرة وخاصة التي تكون بين الأب والأم.
- غياب الوالدين أو أحدهما بوفاة أو طلاق، أو حتى انشغال أحدهما بعمله خارج المنزل وخاصة الأم.
- مرض الطفل أو إصابته ببعض الجروح، أو مرض أحد والديه أو إخوته أو أصدقائه المقربين.

(1): أبو عبد الله محمد الرازي: مفاتيح الغيب، 596/24. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي: تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض-السعودية، 1418هـ-1997م، 139/4. أبو محمد بن الفراء البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، 534/3. جمال الدين أبو الفرج الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، 384/3.

(2): يُنظر في الموضوع: عبد الحميد الخليدي - كمال حسن وهي: الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، ص: 191. برتراند راسل: في التربية...، 76. هدى محمود الناشف: الأسرة وتربية الطفل، ص: 125. نبيلة عباس شوربجي: المشكلات النفسية للأطفال: أسبابها وعلاجها، ص: 144.

- قلق الوالدين المستمر وحرصهما على حماية الطفل من كل خطر، هذا الشعور يصبح موروثاً عند الطفل.
- غياب مشاعر الحب والرحمة والرفق في التعامل مع الطفل، يجعل الطفل في خوف دائم من المُربي ومما قد يصدر منه من تعنيف وعقاب⁽¹⁾.

- الوعيد الشديد والعقاب القاسي يجعل الطفل في اضطراب وخوف دائم حتى عند أبسط الأخطاء، وهذا قد يجره إلى الكذب للتخلص من العقوبة، ولا شك أن الكذب أسوء من الخوف في حال التعود عليه.
- الخوف من المجهول أو المستقبل، خاصة فيما يتعلق بالدراسة ومهنة المستقبل، وهو خوف يجعله الكثير من الأولياء وسيلة لدفع الولد إلى التعلم والاجتهاد حتى يحقق النتيجة المطلوبة، فيصبح الخوف من الفشل في الدراسة هاجساً يورق الكثير من الأطفال كل سنة ومع كل امتحان.

وعليه: فإنَّ التخلص من الخوف يقتضي أولاً التغلب على أسبابه، فالحلول لا تنفع مع بقاء الأسباب.

- كما يجب أن يكون الرفق واللين مع المودة والرحمة شعار الأسرة في أغلب أمورها وأحوالها.
- اجتناب الشدّة والقسوة وكل ما يُفزع الطفل ويُروعه من باب التهيب، إلا للضرورة وبقدرها.
- تفقد أحوال الطفل النفسية والسؤال عن جديد يومياته، والبحث عن مشكلاته.
- ومن ذلك فتح باب الحوار معه فيما تعلق بأموره الخاصة أو العامة بشكل فردي أو وسط جو عائلي عاطفي هادئ وهادف.

- التعبير بين الحين والآخر عن المودة والمحبة اتجاهه، وإحاطته بجو من الدفء العاطفي، وهي وسيلة ناجعة لدفع الخوف وزرع الشعور بالأمان والطمأنينة والسعادة.

- مكافأة الطفل على مواقفه الشجاعة التي يُقاوم فيها خوفه ويتغلب عليه، فيما يحتاج إلى جرأة وشجاعة وإقدام، ولا يكون الخوف فيها سبيل نجاة ووقاية.

- و لا بدّ من إبعاد الطفل عن مثيرات الخوف كالحكايات المخيفة والأفلام السينمائية المرعبة.

ثانياً: مراعاة السنة النبوية لشعور الخوف عند الطفل، وعلاجها التربوي.

وردت كلمة الخوف ومشتقاتها ك: "أخاف"، و"يخاف"، و"تحويف" وما هو في معناها من مفردات ككلمة: "فزع"، و"رؤع"، و"يروع"، في أكثر من حديث واحد في السنة النبوية؛ وهذا إنما يدل على عناية السنة النبوية بهذا الشعور الإنساني، في بيانها لحقيقته، وأشكاله، وتنصيبها لأحكامه، وأثره على الفرد.

(1): يُنظر: حصة بنت محمد بن فالح الصغير: تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً، ص: 61.

ومن أبرز الأحاديث التي تكلم فيها رسول الله ﷺ عن الخوف، حديث نهي فيه عن تخويف المسلم وترويعه، وهو: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: « مَا يُضْحِكُكُمْ؟ »، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبَلَ هَذَا فَفَرِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا »⁽¹⁾. وهو حديث عام من جهة أنه يقضي على كل مسببات الخوف المكتسبة التي يكون للآخرين دخل في صناعتها؛ كما أنه عام يمنع التخويف على كل شرائح المجتمع، فكلمة "مسلم" يدخل فيها كل صغير وكبير، ومن هنا فحتى لعب الصغار الذي يكون فيه ترويع لبعضهم لا يجل ويحب نهيهم عنه.

- وعن سلمة بن عبید الله بن محصن الحظمي، عن أبيه، وكانت له صُحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتٌ يَوْمِهِ فَكَأَمَّا حِيرَتٌ لَهُ الدُّنْيَا »⁽²⁾. ومعنى قوله: " في سربه" أي في نفسه ويدخل فيها أيضًا الأهل والعيال⁽³⁾؛ وآمنًا في نفسه أي لا خوف عليه فهو يشعر بالأمان والطمأنينة، وهكذا فالحديث تكلم عن ثلاثة من أنواع الأمن المهم في حياة الفرد والتي إذا فقدت واحد منها أو اختلَّ عاش الإنسان خوفًا وألمًا واضطرابًا، وهي الأمن النفسي الداخلي، والأمن الجسدي من الأمراض، والأمن الاقتصادي المرتبط بالمعيشة والقوت اليومي.

وهذه الأنواع الثلاثة يستشعر نعمتها الكبير والصغير، ويجد ألم فقدانها أو اختلالها الكبير والصغير، فلا يمكن إخفاء قلق وتوتر الوالدين عن الصغار، ولا يمكن إنكار أمر المريض في البيت عن الصغار، وهم

⁽¹⁾: أبو داود: السنن، أول كتاب الأدب، من يأخذ الشيء على المزاح، ح(5004)، 352/7. أحمد: المسند، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ح(23064)، 163/38. البيهقي: السنن الكبرى، الشهادات، المزاح لا ترد به الشهادة ما لم...، ح(21177)، 420/10. قال البوصيري: (إسناده رواه ثقات)، ينظر: إتحاف الخيرة المهرة، ح(5347)، 64/6. وقال أئمن شعبان في تخرجه على جامع الأصول لابن الأثير: (إسناده صحيح)، 58/11. وقال الألباني: (صحيح)، يُنظر: صحيح الترغيب والترهيب، ح(2805)، 42/3.

⁽²⁾: الترمذي: السنن، الزهد، باب، ح(236)، 574/4. وقال: (هذا حديث حسن غريب..). ابن ماجه: السنن، الزهد، القناعة، ح(4141)، 1387/2. ابن حبان: الصحيح، الفقر والزهد والقناعة، ذكر الإخبار عن طيب الله عيشه في هذه الدنيا، ح(671)، 445/2. الطبراني: المعجم الأوسط، من اسمه أحمد، ح(1828)، 230/2. قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على سنن ابن ماجه: (حسن مجموع شواهد). وقال الألباني: (حسن لغیره)، يُنظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ح(670)، 117/2.

⁽³⁾: يُنظر: علي بن محمد الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، 3250/8.

يخافون من مرضه أكثر من الكبار ذلك أنَّ الصغر لا يدركون حجم الأمور فيربطون كل مرض بالموت ويتصورون أنَّ كل من مرض سوف يموت؛ وكذلك اضطراب الجانب المادي وقلة القوت في البيت فإنَّ أول من يلاحظه هم الأطفال خاصَّة إذا مسَّ بعضًا من حاجاتهم اليومية.

- قد كان الغلام في زمن رسول الله ﷺ إذا ناهز الاحتلام يعرض نفسه للمشاركة في الحرب بكل عزيمة وإصرار دون تردد أو خوف من الموت أو لقاء العدو فيرده ﷺ لصغر سنِّه؛ وفي هذا روى ابن عمر عن نفسه، قال: عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخُنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي، قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لِحَدِّ بَيْنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُمَالِهِ أَنْ يَفْرَضُوا لِمَنْ كَانَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ فَاجْعَلُوهُ فِي الْعِيَالِ.⁽¹⁾

وأهم نوع من أنواع الخوف تحدثت عنه السنة النبوية وخصته بمزيد من البيان والتوضيح هو الخوف من الله ﷻ، وهو خوف مطلوب شرعًا، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن/ 46]. وإذا اجتمع الخوف مع الحب والرجاء تحقق الإيمان في قلب الفرد⁽²⁾.

وقد علَّم رسول الله ﷺ الأطفال هذا النوع من الخوف وحرص على أن يتربى النشء عليه ويترسَّخ في عقولهم وقلوبهم، ومَّا يشهد لهذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَحَقَّتِ الصُّحُفُ »⁽³⁾.

في هذا الحديث يُعلِّم النبي ﷺ الغلام كيف يكون خوفه من الله وحده، فهو من بيده مقاليد كل شيء، ولا يخاف أحدًا من الناس حتى لو اجتمعوا ومهما بلغ مستوى أذاهم، فإنَّ خوفه من الله ﷻ وإيمانه بحكمته

(1): مسلم: الصحيح، الإمامة، بيان سن البلوغ، ح(1868)، 1490/3.

(2): يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، 21/15.

(3): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 38.

في قدره وقضائه أقوى من كل شيء، فلا ينبغي أن يجاوره أي خوف آخر في قلب المؤمن؛ وهو خوف لو يترسخ في قلب الطفل منذ الصغر بشكل جيد فإنه يقضي على كل أنواع الخوف مهما تفاقمت أسبابها. ومن هنا فإنّ هذا الحديث يبرز بشكل واضح مدى اهتمام النبي ﷺ بشعور الخوف عند الطفل، ومحاولة تحديد حصره في مجاله الذي يصلح فيه، وكل ما تقدّم من أحاديث وغمّاذج تُلخص منهجاً نبويّاً واضحاً يحدّد أهم الضوابط والآداب التي ينبغي التّقيّد بها في التعامل مع هذا الشعور.

المطلب الثاني: شعور الخجل عند الطفل، وعلاجه التربوي في السنة النبوية.

يرتبط الخجل ارتباطاً كبيراً بعدم قدرة الطفل على التعبير عن ذاته وإرادته، وضعف جرأته على مخالطة الآخرين والتفاعل معهم، وهو من المشكلات السلوكية الشائعة والصعبة نوعاً ما عند الأطفال لما تحتاجه من وقت وجهد لعلاجها، وقد تستمر مع الطفل إلى ما بعد البلوغ.

أولاً: تعريف الخجل، وأسبابه ومظاهره عند الطفل.

1- تعريف الخجل:

- في اللغة: الخَجَلُ هو التَّحِيْرُ والدَّهْشُ من الاستحياء. وأن يبقى الإنسان باهتاً لا يتحدث، يُقال خَجِلَ الرجل: إذا فعَلَ فعلاً استحى منه، وبقي ساكناً لا يتكلم ولا يتحرك.⁽¹⁾

- أمّا في الاصطلاح: فقد عرّفه الكثيرون بصفاته التي تظهر على الطفل وبعض أسبابه المؤدية له. ومن هذه التعريفات، القول بأنّ الخجل هو: (استعداد وجداني وانفعالي يلعب دوراً وظيفياً في الحياة النفسية للفرد ويتجلى بضروب من عدم التكيف المؤقت أو الدائم، ويُنظر إليه أحياناً على أنّه أحد المشاكل النفسية الاجتماعية التي تسبب كثير من الفشل لصاحبه في مختلف مجالات الحياة)⁽²⁾.

وفي تعريف آخر قيل، هو: (حالة انفعالية معقدة، تنطوي على شعور سلبي بالذات، أو على شعور بالنقص والعيب ولا يبعث الارتياح والاطمئنان في النفس، مما يدفع بالطفل للانزواء وعدم الاندماج في الحياة...)⁽³⁾.

(1) يُنظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 4/1682. ابن منظور: لسان العرب، 11/200. ابن فارس: مجمل

اللغة، 1/313. أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، 1/88. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 28/396.

(2) أنس شكشك: علم النفس العام، ط1، دار النهج، حلب- سورية، 1429هـ- 2008م، ص: 195.

(3) حكمت الحلو: مشكلات الأطفال السلوكية...، ص: 119.

ومنه، يمكن القول أنّ الحَجَل عند الطفل هو: عدم قدرته على التفاعل بصورة طبيعية وحرّة مع الأشخاص والمواقف التي يتعرض لها، بسبب مانع شعوري داخلي تكوّن عنده بسبب ظروف وعوامل معينة، يمكن أن تنجّر عنه أمراض نفسية وسلوكية أخرى.

والحجل بهذه الصفة لا يبعث على الارتياح، فالطفل الخجول يُسبب لنفسه ولأسرته الكثير من المشكلات، لأنه سيحتاج دائماً إلى تدخل أفراد أسرته لحل مشكلاته ومرافقتهم له في كل خطوة، وهذا مما يرهق الجميع.

2- أسباب الخجل ومظاهره عند الطفل: من أبرز أسباب الخجل عند الأطفال، هي:

أ- التنشئة الوالدية الخاطئة: وتعود لعدة سلوكيات يقوم بها الوالدين من باب الحرص على تربية الطفل ومتابعته، وهم لا يدركون أنهم واقعون في خطأ كبير يجر عليهم وعلى الطفل الكثير من المشكلات. ومن ذلك:

- الحماية الزائدة خوفاً عليه من المخاطر والأمراض أو الحسد أو نحوها، وعدم السماح له بمخالطة الناس إلا برفقتهم، وهكذا يتكون لديه عجز على الاختلاط مع أقرانه والمحيطين به، خاصة إذا كان الطفل وحيداً لديهما أو لم يرزقان به إلا بعد عناء طويل.

- القسوة والإكثار من زجره وتوبيخه وتهديده على كل صغيرة وكبيرة وتصحيح أخطائه ومعاتبته، حتى أمام الآخرين؛ وتكليفه بأعمال فوق قدراته الفكرية أو الجسمية؛ وهذا يولد عنده شعور بالكبت والأسر ويقتل فيه روح المبادرة والإقدام والثقة بالنفس.

ب- العيوب والعاهات الجسمية: خاصة إذا كانت بارزة لا يمكن إخفائها أو أصابت مناطق حساسة وفاعلة في جسمه كالوجه أو اليدين أو الرجلين.

ج- الضعف المادي للأسرة: والذي يظهر على الطفل في ملابسه الرثة والقديمة، وفي حاجته لكثير من الأدوات المدرسية التي يطلبها المعلمون فينال عليها توبيخهم أمام زملائه.⁽¹⁾

⁽¹⁾: يُنظر: عبد الستار إبراهيم، وآخرون: العلاج السلوكي للطفل أساليبه ونماذج من حالاته، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ع: 180، ديسمبر 1993، ص: 193. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة نمو وتربية الطفل، ص: 284. برتراند راسل: في التربية..، ص: 87. حكمت الحلو: مشكلات الأطفال السلوكية، ص: 121.

هذه أبرز الأسباب وأكثرها شيوعاً عند الأطفال الخجولين، ويبقى للوالدين دائماً الدور الإيجابي والفعال في علاج كل مخلفات هذه الأسباب والقضاء عليها، باعتبارهم الأقرب إلى الطفل والأكثر قدرة على ملاحظة سلوكياته والتغيرات التي تظهر عليه ومعرفة أسبابها، وهم الأكثر قدرة على رفع معنوياته وتشجيعه ليكون طفلاً حيويًا فاعلاً في محيطه واثقاً بنفسه.

أمّا عن علاماته ومظاهره التي يمكن أن تظهر على الطفل فيعرف حَجَلُهُ من خلالها فهي كثيرة ومختلفة من طفل لآخر، وبشكل عام يمكن ملاحظته من خلال: الحركات المضطربة والمترددة، والأفكار المضطربة الغامضة التي يحاول ترجمتها بالكلمات المتقطعة واللججة؛ مع الكثير من الخوف والتردد والهيبية من مواصلة الحديث.

ومن أشهر علاماته احمرار الوجه، وامتناعهم من الاشتراك في اللعب مع زملائهم واكتفاؤهم بالمشاهدة من بعيد، وأيضاً ابتعادهم عن كل موقف يجزُّ عليهم نقدًا وتوبيخاً ما يزيدهم عزلة وانكماشًا.⁽¹⁾ وهذه الاضطرابات السلوكية إنما تنمُّ عن اضطراب نفسي شعوري تكوّن في داخله ثم تُرجم إلى سلوك، فالطفل الخجول دائماً ما يشعر بالقلق والخوف والحساسية المفرطة، إلى جانب فقدانه الثقة بنفسه واستسلامه لكل ما يملى عليه من أوامر، ورغم أنه يحمل أفكاراً جميلة وإبداعات فريدة مقارنة بأقرانه إلا أن حجله يمنعه من التعبير عنها وهذا يُشعره بالحسرة والكبت والضجر، واستضعاف نفسه واحتقارها. قد يكون الطفل الخجول عدوانياً وسريع القلق، يمارس القوة على من هو أضعف منه كأخيه الأصغر أو صديق، كنوع من التفريغ لشحنة الكبت والعجز التي يعيشها.

ثانياً: العلاج التربوي للخجل عند الطفل في السنة النبوية.

يقوم العلاج التربوي للخجل كغيره من المشاعر السلبية الأخرى على التخلص من أسبابه المؤدية إليه، ثم تقديم البدائل عنها، وفي هذه الحالة يكون من العلاج، هو:

- تشجيع الطفل على تكوين الثقة بنفسه وتنمية روح المبادرة والإقدام فيه، وحثّه على التعبير عن رأيه.
- دفع الطفل إلى الاحتكاك بالعالم الخارجي بعيداً عن رُفقة والديه أو إخوته، مع المراقبة الأولية غير المباشرة، وتربية روح الاستقلال لديه.

(1) يُنظر: حكمت الحلو: مشكلات الأطفال السلوكية...، ص: 121. حاتم آدم: الصحة النفسية للطفل، ص: 126. عبد المجيد الخليدي- كمال حسن وهي: الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، ص: 196.

- عدم جعل الطفل في ميزان المقارنة مع غيره بانتقاص قَدْره وقُدْرته، وانتقاد خَلْقته وأخلاقه وتعييره بها، بل السعي لتنبئيه إلى أخطائه بأسلوب تربوي حسن وهادف، مع الثناء عليه وتشجيعه فيما يستحق.
- اجتهاد الوالدين والمربين في ضبط أنفسهم عند وقوع الطفل في خطأ ما، وتجنب انتقاده وتوبيخه أمام أقرانه أو غيرهم، فلا يكون محطَّ سخرية لهم؛ مع عدم تكليفه بما لا يستطيع حتى لا تكثُر أخطاؤه.
- وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ تعامل مع الأطفال بكثير من التشجيع والتحفيز على فعل الخير، ورفع حجاب الخجل عنهم ليتمكنوا من التعريف بأفكارهم ورغباتهم، ويشهد لهذا بعض النماذج، منها:
- عندما دخل رسول الله ﷺ على السيدة عائشة رضي الله عنها وهي لا تزال طفلة تهوى اللعب، أخفت ألعابها خوفاً وخجلاً منه ﷺ فلم يكن منه ﷺ إلا أن جلس بقرها يسألها عن أسمائهم وأشكالهم، ليرفع عنها حجاب الخجل، وفي هذا تروي تقول: « قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من غزوة تَبُوكِ، أو خيبر، وفي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعبٍ، فقال: "ما هذا يا عائشة؟" قالت: بناتي، ورأى بينهنَّ فرساً لها جناحانٍ من رِقَاعٍ، فقال: "ما هذا الذي أرى وَسَطَهُنَّ؟" قالت: فرسٌ، قال: "وما هذا الذي عليه؟" قالت: جناحانٍ: قال: "فرسٌ له جَنَاحَانِ؟! " قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذَه »⁽¹⁾. وطريقة السؤال التي استعملها النبي ﷺ تُشجع الولد على تبادل الحديث والتعبير عن رأيه، وهي طريقة نافعة لإخراجه من تقوُّعه على نفسه وخجله الذي يكبِّته، إلى احتكاكه بالآخرين ومبادلتهم أفكاره ونشاطه.
- وكان رسول الله ﷺ يُشجع الأطفال على حضور مجالس الكبار والاستفادة بما يطرحون فيها من مسائل وعلم، فيشعرهم بأنهم صاروا في مصافِّ الكبار فيشجعهم على الجرأة والحوار ويقوي شخصيتهم واعتزازهم بأنفسهم، وفي هذا عن عبد الله بن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْفُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمَسْلَمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟»، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « هِيَ النَّخْلَةُ »، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: « لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا »⁽²⁾.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 121.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 200.

في هذه الرواية لم يكن يمنع عبد الله بن عمر من الإجابة إلا أنه أصغر القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فمنعه الحياء أن يجيب وهم سكوت، وهذا توقير واحترام للكبار وهو أدب رفيع منه ﷺ، فلم تكن تنقصه الشجاعة ليجيب على سؤال رسول الله ﷺ لولا هذا المانع.

- وكان من عادة العرب أن يستخدموا الأطفال في سنٍّ معين لخدمة الكبار وإرسالهم في إيصال الأشياء وتبليغ والأخبار، وقد استعمل رسول الله ﷺ أنس بن مالك ﷺ في خدمته وكان يرسله في كثير من حاجاته، والروايات في هذه الجزئية كثيرة -وقد تقدّم ذكر بعضها-؛ وكذلك البنات يجرن في قضاء الحاجات عندما يبلغن سنًا معينة من طفولتهن، فسميت لذلك جارية من كثرة جريها في حاجاتهم⁽¹⁾. وهذا الأمر يورثهم النشاط والحيوية فتكون لديهم جرأة وإقدام على الفعل وعلى التعامل مع الآخرين عكس التخفي والانغلاق الذي يسبب الخجل والخمول.

- وكثير من الأعمال التي دعا إليها الإسلام مما يتكون بها الطفل تكوينًا جيدًا يتحقق من ورائها مخالطة الطفل للآخرين والتعرف عليهم وتكوين صداقات معهم وهذا يعينه على دفع الحياء والخجل من سلوكه فيما لا يصح أن يكون فيه، كدفعهم إلى الكتاب لتعلم القرآن الكريم والحديث الشريف ومختلف العلوم الشرعية، واصطحابهم للمسجد للصلاة؛ وأيضًا بتعليمهم الرياضات المختلفة النافعة كالسباحة والرماية وركوب الخيل فهذا يعلم الولد الشجاعة وعدم الخوف، ويزرع فيه حب المنافسة والفوز.

وختامًا فإنّ الخجل كشعور سلبي يجعل الطفل منطويًا على نفسه غير قادر على مخالطة الآخرين والتفاعل معهم، يجعله يتخلى عن حقوقه، وغير قادر على ردّ المظالم عنه؛ ولذلك يجب على الوالدين والمربين على توفير التربية الحسنة والبيئة المناسبة لتفادي مشكلة الخجل، وجعل الطفل اجتماعيًا، نشطًا وحيويًا.

ومّا سبق بيانه في هذا الفصل، يتّضح لنا ما يلي:

تظهر على الطفل الكثير من السلوكيات التي قد يتساءل الوالدين عن نُشُوئها، وهي في جملتها تعود إلى اضطراب الحياة الشعورية لديه بسبب عامل داخلي أو خارجي. ويرتكز علاج هذه المشكلات بالأساس على معرفة السبب الداعي إليها أولاً، ثم اختيار العلاج المناسب الذي يتوافق مع سنّ الطفل واستعداداته

(1): يُقال: (الجارية السّفينة سُميت بذلك لجريها في البحر، ومنه قيل للأمة جارية على التّشبيه لجريها مُسَسخَرَةً في أشغال مواليتها...)، ينظر: الفيومي: المصباح المنير، لفظ (جري)، 97/1.

الفكرية والشعورية. ومن أبرز المشكلات الشعورية التي يتعرض لها الأطفال على مختلف أعمارهم هي: التعلق والغيرة، الخوف والخجل.

وقد وُجد في السنة النبوية علاجات تربوية لهذه المشكلات، بيّن من خلالها رسول الله ﷺ الطريقة الصحيحة في التعامل مع المشكلة، وكذا تصحيح سلوك الطفل في ظل مراعاة مشاعره، ممّا يضمن عدم أذيته في نفسه أو جعل المشكلة تتفاقم لديه أكثر.

وفي ختام هذا الباب، يتجلى لنا ما يلي:

من البديهي أن يقع الأطفال في الكثير من المشكلات السلوكية، ممّا يُسبب لوالديهم أو مُربيهم المتاعب، لا اعتبار أنّ عقل الطفل ونضجه لم يكتمل بعد، ولأجل هذا وُجِدَت الأساليب التربوية التأديبية التي تجعل الطفل يكف عن تكرار فعله القبيح.

وقد تطرّقت السنة النبوية إلى أسلوبين أساسيين لهذه العملية، وهما: أسلوب الترغيب وأسلوب التهيب، وكل منهما يُستخدم مع السلوك المناسب له. كما تفرّدت السنة النبوية بمنهج قويم وملائم يجمع بين تأديب الطفل بأحد الأسلوبين، وبين مراعاة مشاعره والحرص على توجيهها بشكل إيجابي سليم.

وقد تحدّثت السنة النبوية أيضاً عن علاجات تربوية لبعض المشكلات الشعورية التي ينجُر عنها مشكلات سلوكية، ومن بين أكثر المشكلات شيوعاً عند الأطفال، وهي: التعلق والغيرة، الخجل والخوف. والتي لها علاجات تتناسب وأصل المشكلة، إذ رُوِيَ - عند تطبيقها - مشاعر الطّفل.

ملحق بالباب:

بيان بعض الأسرار الشعورية في تعليم الأطفال الآداب الشرعية
في ضوء السنة النبوية.

وفيه ثلاثة عناصر:

- الأول: حكم الاستئذان بالنسبة للطفل.
- الثاني: استئذان الأطفال في السنة النبوية.
- الثالث: صيانة مشاعر الطفل في تأديبه على الاستئذان.

اهتم الإسلام بتعليم الأطفال الكثير من الآداب والأخلاق الحميدة منذ بداية إدراكهم وتمييزهم للأشياء، وهذا حتى ينشئوا عليها وتصبح راسخة في سلوكهم وطبائعهم؛ فوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من النصوص التي تدعو إلى ضرورة تعليم الطفل الآداب الشرعية.

وإنّ من أبرز الآداب التي يلزم على الطفل تعلّمها والتأدب بها قبل سنّ البلوغ هو أدب الاستئذان، وله أثره الإيجابي على مشاعره في حال تطبيقه وتعويده عليه.

يُعد الاستئذان معلّمً بارزاً من معالم التربية الفردية والاجتماعية الإسلامية، ودليل للسلوك الناضج، وهو أدب رفيع يُنمّي في الطفل احترام الأوقات والأماكن الخاصّة، والإحساس بالآخرين، والاحتياط لأحوالهم.

ونظراً لأهميته البالغة فقد تولى الله ﷻ تشريع أحكامه بنفسه في القرآن الكريم، وجاء لفظ "إذن" ومشتقاته في القرآن 82 مرة، في 33 سورة. وزاد الرسول ﷺ هذه الأحكام بياناً وتفصيلاً قولاً وعملاً.

وحقيقة الاستئذان تكمن في: طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن⁽¹⁾. أو: التماس الإذن تأديباً، خشية الاطلاع على عورة⁽²⁾ وجُلُّ معانيه تدور حول: العلم والإعلام، والإباحة، والأنس أو الاستئناس، والنداء.

وقد تم تناول هذا الموضوع في ثلاثة عناصر أساسية، هي:

أولاً: حكم الاستئذان بالنسبة للأطفال.

ثانياً: استئذان الأطفال في السنة النبوية.

ثالثاً: صيانة مشاعر الأطفال في تأديبهم على الاستئذان.

(1): ابن حجر: فتح الباري، 05/11.

(2): أحمد بن سليمان العريني: أحكام الاستئذان في السنة والقرآن، دار الوطن، 1414هـ، ص: 12.

أولاً: حكم الاستئذان بالنسبة للأطفال.

يُعتبر الأمر بالاستئذان واجب، معلقٌ بالبلوغ، ودليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ 59]. فيكون واجب على البالغين، والآية دلّت على أنّ الاستئذان فرض على الأطفال إذا بلغوا كما كان على من قبلهم من البالغين⁽¹⁾.

أمّا إذا كان الطفل دون البلوغ (... فإن كان الصغير ممن لا يُميّز بين العورة وغيرها فيدخل في الأوقات كلها، وإن كان من أهل التمييز بأن قُرب من البلوغ يمنعه الأب من الدخول في الأوقات الثلاثة تأديباً وتعليماً لأمر الدين، كالأمر بالصلاة...، والتفريق بينهم في المضاجع)⁽²⁾ ومنه يستأذن البالغ في كل وقت، ويستأذن الطفل في العورات الثلاث.

ويكون السنُّ الذي يؤمر فيه الطفل بالاستئذان هو مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة التي يُناهز فيها الطفل الاحتلام فيؤمر بالاستئذان في أوقات الحرج من باب التأديب والتعليم له.

وهذه المرحلة هامة من حياة الطفل، تتحدّد فيها مستويات قريبة من مستويات الكبار في تفكيرهم وأفعالهم ورغباتهم، ولذلك يُلزم فيها الولد بالتّقيّد بالآداب الإسلامية حتى يُحصّن نفسه وينشأ نشأة سليمة.

ثانياً: استئذان الأطفال في السنة النبوية.

تكلّمت السنة النبوية على ضرورة تعليم الأطفال هذا الأدب الرفيع كما نصّت عليه الآية القرآنية، كما جاءت ببعض الحالات التي يلزم فيها على الكبار أن يستأذِنوا الصغار في بعض شأنهم، ومن ذلك ما يلي:

- عن عكرمة، أنّ نَفراً من أهل العراق قالوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي أَمَرْنَا فِيهَا بِمَا أَمَرْنَا،

وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ؟ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا

⁽¹⁾ يُنظر: القرابي: الذخيرة، 296/13. صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري: الثمر الداني، 302/1. أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي: الأم، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ-1990م، 170/4-275.

⁽²⁾ الكاساني: بدائع الصنائع، 125/5. القرابي: الذخيرة، 296/13. صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري: الثمر الداني، 302/1.

الْحَلْمِ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ

عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴿النور/58﴾ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ قِرَاءَ الْقَعْنَبِيِّ إِلَى

﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿النور/59﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ، وَكَانَ

النَّاسُ لَيْسَ لِيُؤْتِيَهُمْ سُبُورًا وَلَا حِجَالًا⁽¹⁾، فَوَيْمًا دَخَلَ الْحَادِمُ أَوْ الْوَالِدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُمُ اللَّهُ بِالسُّتُورِ وَالْحَيْرِ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ⁽²⁾).

وهذا أثر من الصحابي يؤكد على أمر الأطفال بالاستئذان في الأوقات الثلاثة التي تعتبر "عورات" للكبار، لما يمكن أن يلحقهم من الحرج إذا دخل عليهم أحد.

- وقد دعا النبي ﷺ إلى تعليم الأطفال أدب الاستئذان على نطاق أوسع من مسألة الدخول على الكبير في خلوته، حيث بين بعض المسائل التي يُطلب فيها من الكبار استئذان الصغار في بعض أمرهم، وفي هذا مزيد من التعليم للصغير أدب الاستئذان، ومن ذلك ما يلي:

1- في أن البكر حتى وإن كانت صغيرة دون البلوغ تُستأذن في الزواج إذا جاءها خاطب، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لَا تُنكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلَا التَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ»، فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «إِذَا سَكَتَتْ»...⁽³⁾.

وتفسير صمتها في هذه الحالة ذكرته السيدة عائشة في الحديث الذي ترويهِ عن النبي ﷺ قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ»، قُلْتُ: إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحْيِي؟، قَالَ: «إِذْنُهَا صُمَاتُهَا»⁽⁴⁾. فصمتها كان بسبب حياتها؛ ومن هنا فإن استئذان البكر في الزواج أمر لا بد منه لأنه متعلق بها ويجب الأخذ برأيها،

(1): حِجَالٌ: جمع "حِجَلَةٍ"، وهي بيت كالثَّيِّبَةِ يُسْتَرُ بِالثِّيَابِ بِجَعْلِهَا لِلْعُرُوسِ. يُنْظَرُ: أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، 67/1.

ابن منظور: لسان العرب، 11/144. العظيم آبادي: عون المعبود، 65/14.

(2): أبو داود: السنن، أول كتاب الأدب، الاستئذان في العورات الثلاث، ح(5192)، 489/7. قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود: (رجاله ثقات)، وقال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه على جامع الأصول لابن الأثير: (سنده حسن)، 282/2. وقال الألباني: (حسن الإسناد موقوف)، يُنْظَرُ: صحيح وضعيف سنن أبي داود، 02/1.

(3): البخاري: الحيل، في النكاح، ح(6968)، 25/9. مسلم: الصحيح، النكاح، استئذان الثيب في النكاح...، ح(1419)، 1036/2.

(4): البخاري: الصحيح، الحيل، في النكاح، ح(6968)، 26/9.

وصمتها كافي لتقرير رضاها، وفي هذا كله اعتداد من النبي ﷺ بقانون المشاعر الذي يحكم سلوك الإنسان وما يفرضه من انفعالات.

2- واستأذن النبي ﷺ غلامًا أمام جمع من الصحابة تعليمًا له ولغيره أن الاستئذان واجب في كل ما هو حق من حقوق الآخرين حتى وإن كان المستأذن طفلًا صغيرًا، وهذا فيما رواه سهل بن سعد الساعدي ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟»، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُؤَثِّرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ.⁽¹⁾ إِنَّ فِي اسْتِئْذَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْغُلَامِ مِرَاعَاةً لَشُعُورِهِ، فَهُوَ يَتْلَهُفُ لِلشَّرْبِ بَعْدَهُ ﷺ وَلِيَحْظِيَ بِفُرْصَةٍ قَدْ لَا تَكْرُرُ مَعَهُ، وَلَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَسْتَشِرْ الْغُلَامَ لِأَذَى شُعُورِهِ وَتَرَكَ فِي نَفْسِهِ حَزْنًَا وَأَلْمًا.

ثالثًا: صيانة مشاعر الأطفال في تأديبهم على الاستئذان.

إن الكثير من أعمال الفحش التي يقع فيها الأطفال يكون سببها هو تقليدهم للكبار فيما يسمعونهم أو يشاهدونه، وإن انفتاح الأطفال في زماننا على العوالم المختلفة عبر النوافذ الإلكترونية التي سمحت له بمشاهدة ما لا يحق له رؤيته أودى بهم إلى ارتكاب الكثير من المخالفات الشرعية والوقوع في الانحراف. ولأن العين مدخل من مداخل إبليس إلى ارتكاب المنكر والوقوع في المحذور، فقد بين النبي ﷺ أن الاستئذان جاء أساسًا لصيانة العين من النظر في المستور، فعن سهل بن سعد، قال: «اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرِ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرَى يَحْكُ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الْاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»⁽²⁾. والعلة ظاهرة في وجوب الاستئذان ومنع النظر في بيت الغير لئلا تقع العين على محذور.

وتعليم الأطفال أدب الاستئذان وتعويدهم عليه فيه حفظ لعيونهم من النظر فيما يلوث فطرتهم النقية ويخدش حيائهم، ويهدد استقامة سلوكهم وطيب أخلاقهم، ويجفزهم على المنكر وهم لا يدركون عواقبه. وفيه أيضًا حماية لنظرة الإجلال والإكبار والاحترام التي يرى بها الطفل والديه، حيث يراهم دائمًا بنظرة النقاء والطهر والمثالية، فإذا وقع بصره على شيء مما يكون بين الرجل وزوجته فقد يخدش هذه الصورة ويُسقط المهابة عنهم، وقد يُشعره بالصدمة من والديه والحيرة والدهشة مما رآه.

(1): سبق تخريجه، يُنظر: ص: 156.

(2): سبق تخريجه، يُنظر: 139.

وإنّ رؤية الطفل لهذه المشاهد تجعله يتنبه مبكراً للغريزة، وقد تأتي معه الإثارة الجنسية ما يدفعه إلى تقليد المشهد، الأمر الذي قد يتكرر معه مرّات عدّة بسبب مشهد واحد وقع بصره عليه.⁽¹⁾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

⁽¹⁾: يُنظر: حسينة فريجة- بوبكر كافي: المنهج القويم في التعامل مع الدافع الجنسي عند الإنسان- قراءة في ضبط السلوكيات من خلال السنة النبوية-، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مجلد: 26، العدد: 64، 2022، ص: 128. إسلام كمال سعيد سليمان: الاستئذان في القرآن والسنة، دراسة موضوعية، - رسالة ماجستير في أصول الدين-، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2015م، ص: 65.

الخلاصة

جامعة الأمير
عبد القادر
للعلوم الإسلامية

كشفت هذه الدراسة عن جانب مهمّ وحساس في حياة الطفل، وهو الكلام عن مشاعره وما تحتاجه من عناية واهتمام، وهدفت إلى بيان أهميتها وضرورة مراعاتها في العمل التربوي حتى ينشأ الولد منشأً سليماً متزناً، تنسجم فيه مكوناته كإنسان من الناحية: النفسية والروحية والجسمية، وعليه فإنّ إهمال المشاعر أو سوء التعامل معها ينتج عنه عواقب وخيمة تنعكس سلباً على نفسية الطفل أولاً ثم على سلوكه تبعاً. وإنّ خير منهل نستقى من خلاله منظومة الأحكام المنوطة بهذا الموضوع بعد كتاب الله ﷻ، هو سنّة رسوله الكريم ﷺ، باعتبار أنّ نصوصها تضمّنت العديد من الأحكام الأساليب والطرق والآداب التي ترسم معالم الطريق السويّ للمربي في تعامله مع الطفل.

وفي الأخير، بعد معالجاتي للجزئيات المشكلة لهذا الموضوع واكتمال الدراسة، وصلت إلى استخلاص جملة من النتائج، وعرض بعض التوصيات، التي أحسب أنّها ستكون مفيدة في عالم تربية الطفل؛ أوردتها على النحو الآتي:

أولاً: النتائج.

1- المشاعر عند الإنسان هي جملة الانفعالات النفسية المختلفة التي تختلج الإنسان؛ بسبب عوامل داخلية وخارجية، تؤدي إلى تغيرات جسدية ونفسية تُؤثر على السلوك.

2- يُعدّ الاهتمام بالمشاعر وعدم إهمالها عبر كامل مراحل حياة الإنسان عموماً، وبالأخص أثناء مرحلة الطفولة، ضرورة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها البتّة؛ ولذلك نجد أنّ السنّة النبوية راعت مشاعر الطفل، بدءاً بمرحلة الجنين ثم الرضاعة، رغم أنّها مرحلة لا يدرك فيها الطفل في الغالب كونه الأحداث التي تحيط به. وهذا يشهد على أنّ السنّة النبوية تشريعتُ سبق غيره في تناول الجوانب الشعورية لدى الطفل عبر مراحل نموه، لما لها من تأثير في صقل شخصية.

3- حدّدت المعاجم العربية وكتب الفقه مرحلة الطفولة من حين ولادة الطفل إلى نهاية مرحلة البلوغ. كما بيّنت لنا من جهة أخرى أنّ مرحلة المراهقة، تبدأ من سنّ العاشرة تقريباً وتنتهي كذلك بنهاية مرحلة البلوغ، على العكس ممّا ذهب إليه علماء النفس الغربيون، إذ تبدأ عندهم مع البلوغ وتنتهي في سنّ اختلفوا في تحديده.

4- من النقاط المهمة التي تطرّقت لها السنّة النبوية، وراعت فيها جانب مشاعر الطفل، من خلال جملة الأحكام والضوابط التي خصتها بها، هي مرحلة الحمل؛ إذ هي مرحلة حرجة ومهمة للغاية في حياة الطفل

وهو جنين، فأبى شعور سلمي ينتاب الأم أثناء فترة الحمل سيجد تأثيره على نفسية الجنين وقد يتعدى إلى صحته الجسمية.

5- لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أنّ الأحكام المتعلقة بالمولود ومعاني سننها لها تأثير على نفسية الطفل، قد تخفي على كثير من الباحثين، بل ربما يجهل أو يتنكر آخرون ممن ليس له عمق نظر في مكنون السنة النبوية على عدم جدوى تأثير هذه السنن على مشاعر الطفل، والحقيقة أنّ أثرها البالغ والإيجابي يخدم شخصيته السوية في المراحل التي تليها.

6- تُعد الرضاعة الطبيعية تعبيراً مباشراً عن مشاعر الحب والحنان التي تُكثفها الأم لرضيعها، إذ يشعر بقدر كبير من الأمن والراحة حين يستند على صدرها. ولذا وجب التنبيه على الأهمية التي تكتسبها الرضاعة الطبيعية في حياة الطفل؛ إذ لا يمكن الاستغناء عنها في الحالات العادية. وقد نبّه النبي ﷺ على هذه الأهمية من خلال النصوص التي أبرزت عنايته ﷺ برضاعة الطفل من أمه، كما جاء في قصة الغامدية؛ والأحاديث التي شملت أحكاماً تتعلق بها.

7- لقد أسندت السنة النبوية حضانة الطفل بعد الأم إلى من هو أكثر حنوًا وعطفًا عليه، فجعلت الرحمة والعطف مناط الحضانة. وهذا لا يعتبر أنّ مرحلة الطفولة تحتاج إلى عناية خاصة ومركزة، أهمها الجانب المعنوي. فحاجة الطفل إلى أن يتغذى بالسلوك العاطفي كالرفق به والعطف عليه وإحاطته بمشاعر الحب والحنان، أكثر من حاجته إلى الطعام والشرب. وقد لوحظ في هذا المجال أنّ أطفالاً أكثر يعزفون عمّا يتطلبه جسداهم من أكل لأشهر عديدة مع ذلك تغمرهم السعادة، لكن سلوك واحد فيه قسوة وجفاء يجعلهم يشعرون بالانكسار والضعف.

8- ورد في رحاب السنة النبوية جملة من النصوص والقصص التي تُعزّز مكانة الأم بالنسبة لرضيعها، وأشارت إلى أنّها المصدر الأول والأساسي - بلا منازع - في تزويد الطفل بمشاعر الحب والحنان والرحمة.

9- يُعدّ اللعب عنصراً مهمّاً في نمو مشاعر الطفل بشكل سليم، إذ يؤدي أدواراً متعددة وإيجابية في بناء حياة الطفل النفسية والشعورية. ولذلك دعت السنة النبوية إلى العناية به، ومنح الطفل قدره الكافي منه في حدود الضوابط الشرعية.

10- من المشاعر التي تطرأ على الطفل في إحدى مراحل طفولته هي "المشاعر الجنسية"، فتشكل بالنسبة إليه مرحلة حرجة، يستقبل فيها مشاعر جديدة لم يعرفها من قبل؛ وقد رسمت لها السنة النبوية ضوابط

وآداب تقي الطفل من الانحراف، مثل الاستئذان، والتفريق بين الأولاد في المضاجع..؛ الأمر الذي يجعلنا نلح على ضرورة الاهتمام بها، ومراعاتها في العمل التربوي.

11- من التّجني على الشريعة الغراء رميها بأنها عبارة عن منظومة أحكام تُصدر لنا أوامر ونواهي فقط، ففي جعبة أصحاب هذا الاتجاه أنها لا تعالج الجوانب النفسية والمعنوية في تكوين الإنسان. في حين كشفت لنا هذه الدراسة على بطلان هذا القول. فيظهر من خلال النصوص النبوية الواردة في هذا البحث دقة متابعتها للجوانب الشعورية في حياة الطفل في مختلف الأحكام الشرعية، ومن ذلك تنصيبها أحكاماً متعلقة بالجانب العقدي راعت فيه مشاعر الطفل، وفي مجال تدريبه على العمل بأبواب العبادات الكبرى كالطهارة والصلاة والصيام والحج.

12- حرص السّنة النبوية على ضرورة نشأة الطفل وترعرعه داخل أسرته الحقيقية التي ينتمي إليها؛ فحرمت التّبني، وشرعت الكفالة لمن لا أسرة له. كما نصّت على أحكام تضمن للطفل حقوقه المادية والمعنوية داخل الأسرة، كالأمر بالعدل في العطايا والهبات، وفي التعبير عن مشاعر المحبة والرحمة بهم. إلى جانب أنها حذرت من مغبة الخلافات الزوجية وما يترتب عنها من فك العصمة الزوجية، إذ أثبت الواقع أن الأولاد الذين يترّبون في كنف أسرة مستقرة أفضل حالاً من غيرهم - نفسياً وجسماً -.

وأما الأطفال الذين يعيشون خارج نظام الأسرة، مثل اليتيم، واللقيط، وابن الزنا، والمتبني، فقد راعت السنة النبوية مشاعرهم، وسطرت لهم أحكاماً تحمي حقوقهم وتضمن لهم عيشاً كريماً.

13- كما اهتمت السنة النبوية بمشاعر البنات التي عرفت إهمالاً كبيراً طيلة قرون مضت، والبنات كتلة من المشاعر المرهفة الحساسة، ولذلك دعت السنة إلى إكرامها والإحسان إليها، كما دعت إلى مراعاة مشاعرها فيما يختصُّ بها من قضايا وأحكام، وقد أثبتت السنة ذلك في مجمل الأحكام التي أفردتها بها، مثل: تحريم واد البنات، وإباحة اللعب والغناء لهنَّ يوم العيد، واستئذانها في الزواج.

14- اعتماد السّنة النبوية على أسلوب التّربوي والترغيب في التعامل مع أخطاء الأطفال. فقد كان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب الحكمة في التعامل مع الأطفال ويختار من الطرق ما يناسب حالهم وحاجاتهم الفطرية كميلهم للعب والرغبة في الاستكشاف. وقد ينظر أحياناً إلى حجم الخطأ وطبيعته فيختار ما هو ملائم للمقام. وقد كان رسول الله ﷺ في منهجه التربوي للطفل يُغلب أسلوب التّربوي على التّربوي.

15- سبقت السُّنة غيرها من التشريعات الوضعية في توضيح الأسلوب الأليق والأجْع في التعامل مع أبرز المشكلات الشعورية والسلوكية لدى الأطفال، كالغيرة والتعلُّق الخجل والخوف، التي غالبًا ما يصدر عنها انفعالات عديدة تؤدي إلى اضطراب الحالة النفسية والشعور وإصابتها بالضعف.

ثانيًا: التوصيات.

أ- للسلطات:

1- ضرورة تكثيف دورات علمية وتدريبية بغية تأطير الوالدين والمربين والمعلمين داخل المؤسسات التعليمية وخارجها، وكذا عن طريق الحصص التلفزيونية والدروس المسجدية، لبيان الطرق المثلى في تربية الطفل وطرق التعامل معه في جميع مراحل العمرية، وكيفية تلبية حاجاته ومراعاة مشاعره وتوجيه رغباته، فإن ما نراه اليوم من انحراف للشباب وانتشار للفساد سببه سوء التربية في الصغر وعدم إدراك الوالدين والمربين للطرق الصحيحة في التعامل مع مشاعر الطفل بشكل يتوافق وتعاليم الرسول ﷺ.

2- لا يجب أن تُهَوَّن من شأن اللعب لدى الأطفال واعتباره مجرد ملهاة ولا فائدة منه، فاللعب يأخذ حيزًا كبيرًا من حياة الأطفال، لذا يجب توسيع فضاءات مناسبة للعب والترفيه وتسييرها وفق معايير تتلاءم واحتياجات الأطفال ورغباتهم وتتوافق والضوابط الشرعية للعب، تتواجد عبر الأحياء والمدارس الجوارية؛ بحيث تكون في متناول الأطفال، يستطيعون من خلالها التعبير عمَّا ينتابهم من مشاعر وأفكار وإفراغ مكبوتاتهم.

ب- لوزارة التعليم العالي والجامعات والمعاهد الإسلامية:

3- ضرورة اعتماد مادة: "علم النفس الإسلامي" وإدراجها ضمن مقررات المرحلة الجامعية على مستوى جميع التخصصات، تستمد مادتها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، تتناول أهم مواضيع علم النفس التي يتعرض لها المسلم في حياته العامة، مع نفسه وأسرته ومحيطه، لتُبدلَه على المنهج الصحيح في التعامل مع الحالات النفسية والشعورية وطرق علاجها.

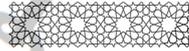
4- حثُّ الطلبة والباحثين في ميادين الشريعة الإسلامية، وخاصةً المشتغلين بفقهِ القرآن الكريم والسنة النبوية على تناول مثل هذه المواضيع المتعلقة بعلم النفس وعلم الاجتماع في بحوثهم، ليتم استنباط مادتها بشكل دقيق من معيها وأصولها الثابتة، ولا يتحقق ذلك إلا بتظافر الجهود من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو التأصيل الإسلامي لهذه العلوم.

هذه جملة ما توصلتُ إليه في هذا البحث، قد تعمّدتُ ذكره بشيء كبير من الاختصار والعموم، كما لا أدعي الإمام بالموضوع في جميع جزئياته لأنه واسع وذو فروع كثيرة، ولا أدعي إتقان ما قدمته فيه فالتقصير والنقص لصيق بكل عمل بشري مهما كان مستواه.

ج- للقائمين على الشأن التربوي والتعليمي (أولياء ومربين).

5- ضرورة عودة أولياء الأمور والمربين إلى ما دعت إليه السنة النبوية من أحكام وآداب تقضي بتربية الأبناء تربية صحيحة وسليمة، بعيداً عن أي سلوك يُسبب أذى للطفل في جسمه ومشاعره. ولذا يتوجب عليهم العودة إلى الأخذ بمنهج السنة النبوية في التربية والتعليم، والعمل بما جاء فيها من أحكام وتوجيهات عند التعامل مع الطفل.

فإن أصبتُ فمن الله وحده، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان. وأسأل الله العليّ القدير أن يبارك في عملي هذا ويتقبّله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون نبراساً يهتدي به غيري، وينتفع به كل مُرَبٍّ وأي باحث في ميدان الطفل وميادين السنة النبوية؛ والحمد لله رب العالمين.



ملخص البحث باللغتين

العربية والأجنبية

جامعة الأمير
عبد العزيز
للعلوم الإسلامية

ملخص البحث باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة إحدى القضايا التي تُعنى بشؤون الطفل في المجال النفسي والتربوي؛ فجاءت لتناقش موضوع مراعاة مشاعر الطفل في ضوء السنة النبوية، سيما في العمل التربوي. ويكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة في حياة الطفل والأسرة بل المجتمع، إذ من خلاله يتم ضبط العملية التربوية والتعليمية، وبالتالي تعديل سلوك الطفل وصقل شخصيته السوية المتوازنة، وفق أسس تتوافق مع مقصود المشرع الحكيم.

وتبين من خلال هذه الدراسة مدى عناية السنة النبوية بمشاعر الطفل وتلبية حاجاته الفطرية؛ وقد ترجمتها مضامين النصوص الحديثية الواردة في الباب، سواء بالتصريح أو بالإشارة، أو تبعاً لسيرته في حُسن تعامله مع هذه الشريحة في واقع الأمر.

كما تطرق هذا البحث، إلى عنصر مراعاة رسول الله ﷺ لمشاعر الطفل في جميع مراحل العمرية، بداية من تكوينه كجنين إلى غاية انتهاء مرحلة المراهقة. فزوّدتنا السنة النبوية بأحكام وضوابط تتماشى مع طبيعة كل مرحلة، بحيث تنال المشاعر والعواطف لدى الطفل حظاً من الرعاية، وبذلك يتحقق المقصد التربوي في بناء الشخصية السوية لدى الطفل.

وعند النظر في فحوى النصوص الحديثية؛ سيَتَبَيَّن للمتفحص تنوع المجالات التي روعيت فيها المشاعر، بداية بالحقوق الفطرية التي حثت السنة النبوية على العناية بها، منها: حسن اختيار الاسم، العقيقة والختان، ويليهِ حق الطفل في الرضاعة الطبيعية والحضانه. وصولاً إلى مراعاة مشاعره في معرض تعليمه لأحكام العقيدة، وأثناء تدريبه على لزوم سائر العبادات.

وفيما يتعلق بأبرز ارتباطاته الطفل العاطفية؛ فقد توصلت الدراسة إلى أوثقها وهي علاقته بأمه، حيث بيّنت السنة النبوية جوهرها وقوتها، ومدى تأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه. وأما الحالة التي يتعد فيها الطفل عن أمه ويحرم من حضنها؛ فستترتب عنه عواقب وخيمة تتجلى آثارها السلبية في سلوكه وتدهور حالته النفسية.

دون أن تهمل السنة النبوية غريزة اللعب لدى الطفل، وهي إحدى رغبات الطفل الملحة، إذ حُبّه وشغفه به نابع من وجود فسحة للتعبير عن مشاعره وأفكاره وإبداعه. فقد التفت السنة النبوية إلى هذا

الجانب، لما له من آثار إيجابية في تنمية مشاعر الطفل واستقامة سلوكه، من خلال تجاوب النبي ﷺ مع الأطفال في اللعب معهم ومشاركته لهم، وذلك في حدود الضوابط المرعية التي تضعه في قلبه الصحيح. ومن بين الجوانب الحساسة في مشاعر الطفل الغريزة الجنسية، إذ التفت السنة النبوية إلى خطورة هذا الأمر، فسنت جملة من الآداب والأحكام التي تضمن لها النمو السليم، درءاً لأي انحراف عاطفي أو سلوكي.

ومن دعائم المنهج النبوي القويم في التربية النفسية، الحرص على نشأة الطفل في رحاب أسرته الحقيقية، في أجواءٍ تغمرها مشاعر الحب والرحمة والرفق، التناغم والحوار البناء، بعيداً عن أجواء الشحناء والبغضاء التي غالباً ما تنشأ بسبب عدم العدل بين الأولاد - مادياً وعاطفياً -، وبعيداً أيضاً عن سوء العشرة الزوجية التي غالباً ما يتمخض عنها تفكك الأسرة وتشرذم الأولاد، وأدنى أحوالها اهتزاز نفسية الأولاد واضطرابها نتيجة الخوف والقلق والارتباك.

إلى جانب أن السنة النبوية لم تغفل عن فئة الأطفال الذين ينشؤون خارج نظام الأسرة، كاليتامى وأبناء الزنا واللقطاء ومن تمَّ تَبَنِّيهم، فقد أشارت إلى ضرورة العناية بهم والتكفل بحاجياتهم المادية، وكذا النفسية، مثل العطف عليهم والرحمة بهم وتزويدهم بالحنان.

وهذا وقد كشفت لنا هذه الدراسة مدى نجاعة الأسلوب الذي وضعته السنة النبوية في مجال تأديب الأطفال وتعديل سلوكهم. فسطرت أسلوباً يتناسب فيه طبيعة الخطأ وحجمه مع استعدادات الطفل الفكرية والشعورية. وقد غلَّب المنهج النبوي جانب الترغيب على التهيب؛ لأنه الأجدر في تصحيح سلوك الطفل وتقويم مشاعره بشكل إيجابي.

ومن أبرز المشكلات السلوكية التي يقع فيها الأطفال، عادة، هي تغليب شعور مُعين على سلوكه، مثل شعوره بالتعلق، والغيرة، والخوف، والحجل. ومن ثمة عاجلت السنة النبوية هذه المشكلات النفسية وقدمت لها الحلول المناسبة التي تُعين على التخفيف من حدتها وإعادتها إلى حالة الاعتدال والفضيلة التي جُبلت عليها.

وقد عالج هذا البحث، في الختام، أهم الآداب الشرعية التي تحفظ الطفل - في مشاعره وسلوكه - من الوقوع في الزلل والانحراف، وهو " أدب الاستئذان ". حيث تحدث عنه القرآن الكريم في أكثر من موضع، وأشارت إليه السنة النبوية في جملة من الأحاديث؛ وهذا ما يؤكد أهميته وضرورة الالتزام به.

ملخص البحث باللغة الأجنبية:

This study aims to address one of the issues dealing with children's affairs in the psychological and educational fields. She came to discuss the issue of taking into account the feelings of the child in the light of the Prophet's Sunnah, especially in educational work. This subject is of great importance in the life of the child, the family, and even society, as through it the educational process is controlled, and thus the child's behavior is modified and his balanced personality is refined, according to foundations that are consistent with the intention of the wise legislator.

Through this study, it was revealed how much the Sunnah of the Prophet cared for the child's feelings and met his innate needs. It was translated by the contents of the hadith texts contained in the chapter, whether by declaration or by reference, or according to his biography in his good dealings with this class in reality.

This research also touched on the element of observance of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - to the feelings of the child in all his life stages, starting from his formation as a fetus until the end of the adolescence stage. The Sunnah of the Prophet provided us with provisions and controls that are in line with the nature of each stage, so that the feelings and emotions of the child receive their share of care, and thus the educational goal is achieved in building the normal personality of the child.

And when looking at the content of the hadith texts; The examiner will discover the diversity of areas in which feelings were taken into account, starting with the innate rights that the Prophet's Sunnah urged to take care of, including: choosing a good name, aqeeqah and circumcision, followed by the right of the child to breast-feed and custody. In order to take into

account his feelings in the course of teaching him the provisions of the creed, and during his training on the necessity of all acts of worship.

With regard to his most prominent emotional attachments to the child; The study reached the closest one, which is his relationship with his mother, as the Sunnah showed its essence and strength, and the extent of its impact on the child's feelings and behavior. As for the situation in which the child is separated from his mother and deprived of her lap; It will result in dire consequences, the negative effects of which will be evident in his behavior and the deterioration of his psychological state.

Without neglecting the Sunnah of the Prophet, the child's instinct to play, which is one of the child's urgent desires, as his love and passion for him stems from having space to express his feelings, ideas, and creativity. The Sunnah of the Prophet turned to this aspect, because of its positive effects on the development of the child's feelings and the uprightness of his behavior, through the response of the Prophet – may God bless him and grant him peace – to the children in playing with them and sharing with them, within the limits of the established controls that put him in the right mold.

Among the sensitive aspects of the child's feelings is the sexual instinct, as the Sunnah of the Prophet turned to the seriousness of this matter, so it enacted a number of etiquette and provisions that ensure its proper growth, in order to ward off any emotional or behavioral deviation.

One of the pillars of the correct prophetic approach in psychological education is the concern for the child to grow up in the realm of his real family, in an atmosphere filled with feelings of love, mercy and kindness, harmony and constructive dialogue, away from the atmosphere of enmity and hatred that often arises due to the lack of justice between children –

financially and emotionally -, and away from Also about the bad marital relationship that often results in the disintegration of the family and the homelessness of the children, and its lowest condition is the shaking of the children's psyche and its turmoil as a result of fear, anxiety and confusion.

In addition, the Sunnah of the Prophet did not overlook the category of children who grow up outside the family system, such as orphans, children of adultery, foundlings, and those who have been adopted.

This has revealed to us the extent of the effectiveness of the method adopted by the Sunnah in the field of disciplining children and modifying their behavior. I wrote a method in which the nature and size of the error commensurate with the child's intellectual and emotional preparations. The prophetic approach prevailed over intimidation. Because it is the most appropriate in correcting the child's behavior and positively correcting his feelings.

One of the most prominent behavioral problems that children usually fall into is the predominance of a certain feeling in his behavior, such as his feelings of attachment, jealousy, fear, and shyness. Hence, the Sunnah of the Prophet dealt with these psychological problems and provided them with appropriate solutions that helped mitigate their intensity and return them to the state of moderation and common sense that they were inborn with.

In conclusion, this research dealt with the most important legal etiquette that preserves the child - in his feelings and behavior - from falling into error and deviation, which is the "literature of seeking permission." Where the Holy Qur'an spoke about it in more than one place, and the Sunnah of the Prophet referred to it in a number of hadiths. This confirms its importance and the need to adhere to it.



الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصطلحات المعروفة.

خامساً: فهرس المصادر والمراجع.

سادساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	الآية
--------	-------	-------

- سورة البقرة -

16	38	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى ﴾
02	198	﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾
-228 232	220	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي اتَّبَعَتْ قُلِ إِنَّهَا صَالِحَةٌ خَيْرٌ مِنْ أُمَّةٍ أُخِرَتْ فَاحْضَرُوا نَفْسَهُمْ فَانْحَسِبُوا أَنَّهَا كَذِبَةٌ ﴾
161	222	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾
-23 -80 227	233	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضْعَةَ ﴾
109	260	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُومِن قَال بَلَى ... ﴾
207	282	﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾

- آل عمران -

-47 270	14	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾
156	31	﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾
-57 63	36	﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَيْكٍ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾
11	52	﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾
270	159	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾
57	170	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

46	175	﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
----	-----	--

- المائدة -

	02	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾
264	06	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾
236	32	﴿ وَمَن أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

- النساء -

230	02	﴿ وَءَاتُوا الْيَتِيمَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ ... ﴾
232	03	﴿ وَإِن خِفْتُمْ ۖ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾
-267 233	06	﴿ وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِن آنَسْتُمْ مِنَّهُمْ رَشْدًا فَادْفَعُوا ... ﴾
229	08	﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ ... ﴾
231	10	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ... ﴾
191	34	﴿ وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ... ﴾
224	36	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾
245	124	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أُوْىٰئِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... ﴾
232	127	﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾

- الأنعام -

210	151	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾
-231 233	152	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
160	162	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ... ﴾

03	109	﴿ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
-241 253	164	﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزْرُ أَخْرَى... ﴾

- الأعراف -

16	95	﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا... ﴾
173	172	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... ﴾
57	175	﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
58	200	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ... ﴾

- التوبة -

155	24	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ... ﴾
161	108	﴿ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مِثْبَاتًا يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾
270	128	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ... ﴾

- يوسف -

118	12	﴿ أَرْسَلَهُ مَعَاغِدًا يَّرْتَجِعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
-----	----	---

- الرعد -

15	28	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
----	----	--

- إبراهيم -

77	07	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... ﴾
----	----	---

- النحل -

298	47	﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾
-----	----	--

210	58	﴿ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ.... ﴾
59	98	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

- الكهف -

264	105 107	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ.... ﴾
-----	------------	--

- مريم -

243	28	﴿ يَتَأَخَتِ هُنُورًا مَا كَانَ أَبُوكَ إِمْرَأَةً سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴾
23	29	﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾
58	36	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ... ﴾
11	98	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾

- الأنبياء -

11	12	﴿ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ سَنَاءًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يُرْكَبُونَ ﴾
268	90	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا.... ﴾

- الحج -

236	77	﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
-----	----	---

- المؤمنون -

58	97	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾
----	----	---

- النور -

181	03	﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ.... ﴾
181	26	﴿ الْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ.... ﴾

136	30	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾
-23 130	31	﴿ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾
181	32	﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ... ﴾
-24 -129 313	58	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾
- 20 -33 312	59	﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

-القصص-

208	10	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُؤْمِنٍ فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لِتُبَدِّلَ بِهِءَ ﴾
300	34	﴿ وَأَنْ هَكَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّْي لِسَانًا ﴾

-الروم-

-15 -98 182	21	﴿ وَمِنْ - آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾
149	30	﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَٰهَ فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا ﴾

- السجدة -

181	18	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾
-----	----	--

- الأحزاب -

256	04	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ ﴾
-----	----	---

- ص -

56	41	﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾
----	----	---

- غافر -

243	40	﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...﴾
-----	----	---

19	67	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾
----	----	---

- الحجرات -

246	11	﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾
-----	----	--

181	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾
-----	----	---

- النجم -

245	- 39 41	﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ...﴾
-----	------------	--

- الرحمن -

02	46	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾
----	----	---

- المجادلة -

46	10	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا...﴾
----	----	---

- الممتحنة -

16	13	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُونَ الْآخِرَةَ...﴾
----	----	--

- التغابن -

168	15	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾
-----	----	---

- الطلاق -

54	04	﴿ وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾
----	----	--

- التحريم -

263	06	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
-----	----	---

- الإنسان -

44	02	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
----	----	---

- التكوير -

210	08	﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ ﴾
-----	----	--

- الفجر -

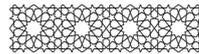
224	17	﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ، كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾
-----	----	--

- الضحى -

228	09	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾
-----	----	--

- الماعون -

230	3-1	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ ﴾
-----	-----	---



ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	الصفحة
- ١ -		
01	أَتَيْتَنِي بِنَبِيِّ جَعْفَرٍ، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهْمُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ...	104
02	اخْتَنَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ.	78
03	اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَعْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي...	103
04	اشْتَكَى ابْنُ لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ	50
05	إِطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجْرِ النَّبِيِّ ﷺ...	139
06	إِلْتَمَسَ غُلَامًا مِنْ غُلَمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ خَيْرًا...	34
07	إِنْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ...	231
08	اقْعُدْ نَاحِيَةً، وَقَالَ لَهَا: اقْعُدِي نَاحِيَةً...	100
09	الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا...	216
10	الْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ، قُلْتُ: إِنَّ الْبِكْرَ تَسْتَحْيِي؟...	217
11	الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.	181
12	الرِّضَاعُ يُعَيِّرُ الطَّبَاعَ.	82
13	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ.	161
14	الْغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَتِهِ يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ...	76
15	الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْحِثَانُ، وَالْإِسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّرَابِ...	78
16	اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا...	171
17	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ...	236
18	أَتْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ...	81
19	أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: عَلَى غُلَمَانٍ يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ...	118
20	أَتَى عَلِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ...	158
21	أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا حَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ:...	204
22	أَنْتُمْ لُكْعُ؟ أَنْتُمْ لُكْعُ؟، يَعْنِي حَسَنًا...	159

275	أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ...	23
258	أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنْحِيَ مِحْطَ أُسَامَةَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعَنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا...	24
191	أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...	25
186	أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ...	26
34	أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الْإِحْتِلَامَ...	27
64	أَلَّا تَسْتَرْقُونَ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ؟...	28
245	أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ...	29
176	أَلْهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ...	30
271	أَتَمُّ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرَةٍ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ...	31
174	أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ رُفِعَ عَنِ الْمُخْنُونَ...	32
214	أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، الْعَوَاتِقَ...	33
76	أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نَعُقَّ عَنِ الْعُلَامِ بِشَاتَيْنِ...	34
147	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ...	35
118	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ...	36
226	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْمَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ:...	37
157	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ وَهُوَ يَسْلُخُ شَاةً...	38
227	أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعْتُهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ:...	39
231	أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ...	40
160	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوباتِ...	41
226	أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَوَّاهُ قَلْبَهُ،...	42
297	أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ ابْنُ لَهُ فَمَبَّلَهُ وَأَقْعَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ...	43
156	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ...	44
188	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فِيهَا فِلَادَةٌ مِنْ جَزَعٍ، فَقَالَ:...	45
139	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟...	46
168	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّيَ وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ...	47
153	أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ...	48
165	أَنَّه بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهِيَ خَالَتُهُ - قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ...	49

172	أَنَّهُ قَالَ لِنَشْوَانٍ فِي رَمَضَانَ: وَيَلِّكَ، وَصَبِيَانُنَا صِيَامًا، فَضَرَبَهُ.	50
121	أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...	51
204	أَهْدَى الْأَكْبَدِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَرَّةً مِنْ مَنٍّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...	52
180	إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ...	53
279	إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ.	54
59	إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ...	55
المقدمة	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا...	56
183	إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي...	57
270	إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ.	58
196	إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ لِحْيَتُهُ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْأَخْذِ لِنَفْسِهِ...	59
212	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتٍ...	60
313	إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يَحِبُّ السُّتْرَ...	61
183	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ...	62
59	إِنَّ آبَاكُمْ كَانُوا يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...	63
109	إِنَّ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَنَا امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ...	64
264	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ	65
241	إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَاتِلُ رَجُلًا شَدِيدَ الْبَأْسِ...	66
199	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ...	67
225	إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ.	68
38	إِنِّي رَأَيْتُ غُلَامًا شَابًا وَجَارِيَةً شَابَةً فَخَشِيتُ عَلَيْهِمَا الشَّيْطَانَ.	69
205	إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلِي يَتِيمٌ، قَالَ: فَقَالَ: ...	70
65	إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَاسْمَعْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ...	71
71	أَيُّنَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ: قَلْبَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ...	72
154	أَيُّنَ اللَّهِ؟، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟...	73
110	أَيُّنَ زُنَابُ؟، يَعْنِي زَيْنَبَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَهَا عَمَّارٌ...	74

158	بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ...	75
-----	--	----

- ت -

223	تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ...	76
54	تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى لِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ...	77
53	تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ.	78
124	تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقُكَ...	79
180	تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَاهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَاهَا...	80
99	تُوْفِّي ابْنِي فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لِلَّذِي يَغْسِلُهُ...	81

- ث -

152	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ...	82
249	ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي...	83

- ج -

183	جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبَّلُونَ الصَّبِيَّانَ؟	84
172	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ...	85
176	حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ.	86

- ح -

124	حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا...	87
-----	--	----

- خ -

283	خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ...؟	88
120	خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا...	89
245	خَرَجْتُ مَعَ أَبِي حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ بِرَأْسِهِ رَدْعَ حَنَاءٍ...	90
225	خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ...	91

- د -

209	دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَرْفٍ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا لَكَ أَنْفَسْتِ؟»...	92
-----	---	----

215	دَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُعْنِيَانِ بِنِجَاءِ بُعَاثٍ ...	93
98	دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ ...	94
273	دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاعِدْتُ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ ...	95

- ر -

125	رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ حَامِلَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ ...	96
123	رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ ...	97
20	رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ ...	98
51	رُوِيَكَ يَا أَبَجَشَةَ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ.	99

- س -

216	سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَارِيَةِ يُنكِحُهَا أَهْلُهَا، أَسْتَأْمُرُ أَمْ لَا؟ ...	100
176	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ...	101
71	سَمَّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ..	102

- ص -

172	صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ ...	103
57	صِيَاخُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ، نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.	104

- ع -

34	عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً ..	105
278	عَلَّفُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهَا أَهْلُ الْبَيْتِ.	106
279	علموا، ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت.	107

- ف -

212	فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي ...	108
12	فَأَبْصُرُونِي أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَعَطَّفُوا عَنْهُ وَاشْتَدُّوا فِي النَّبِيَّةِ ...	109
148	فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...	110
80	فَجَاءَتِ الْعَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ...	111
155	فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ ...	112

- ق -

166	113	قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلُهُ؟ قَالَ فَلَقَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ...
117	114	قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ»...
189	115	قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا...
121	116	قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ...
205	117	قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَلِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ النَّحَّاشِيِّ، أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ...
254	118	قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَلَدِ الْمِتْلَاعَيْنِ أَنَّهُ يَرِثُ أُمَّهُ...

- ك -

133	119	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا.
187	120	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ نُفِّيَ بِصَيَّانِ أَهْلِ بَيْتِهِ...
120	121	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ...
169	122	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ...
146	123	كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ...
147	124	كَانَ قُدُومَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِحَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ...
97	125	كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِأَبْنِ إِحْدَاهُمَا...
193	126	كَانَتْ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَلَدَتْ لَهُ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ...
186	127	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْتَعْوِلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ...
206	128	كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ...
146	129	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ...
191	130	كُنَّا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ قَوْمًا نَعْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ...
279	131	كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي...
273	132	كُنْتُ غُلَامًا أَرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأَتَى بِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا غُلَامُ...

- ل -

246	133	لَا أُلْفَيْتُكُمْ تَرْجِعُونَ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ...
126	134	لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ.
257	135	لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ...

244	لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مُتَمَاسِكٌ أَمْرَهَا مَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِمْ وَلَدُ الزَّانَا...	136
126	لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ زُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ.	137
313	لَا تُنْكِحُ الْبِكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ...	138
278	لَا عُقُوبَةَ فَوْقَ عَشْرِ ضَرْبَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ.	139
155	لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ...	140
222	لَا يُتَمَّ بَعْدَ إِخْتِلَامٍ...	141
278	لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ...	142
302	لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا.	143
242	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَلَا مَثَانٌ، وَلَا وَلَدٌ زَنِيَّةٍ.	144
244	لَا يَدْخُلُ وَلَدُ الزَّانَا الْجَنَّةَ وَلَا شَيْءٌ مِنْ نَسْلِهِ إِلَى سَبْعَةِ آبَاءٍ.	145
136	لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ...	146
187	لَقَدْ قُدْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَالْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ، بَعَلَّتُهُ الشَّهْبَاءُ...	147
206	لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الْحَمَلِ، لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ فَارِسًا...	148
137	لَمَّا أَتَى مَا عَزْرُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ...»	149
156	لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أُعْيِلْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ...	150
257	لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ:....	151
49	لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ...	152
294	لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ...	153
230	لَوْ رَأَيْتُنِي وَعَبِيدَ اللَّهِ وَقُتْمَ وَنَحْنَ نَلَعَبُ إِذْ مَرَّ بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ...	154
246	لَيْسَ عَلَى وَلَدِ الزَّانَا مِنْ وَرَثَةِ أَبِيهِ شَيْءٌ.	155
170	لِيَلِينِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثَلَاثًا...	156

- ٢ -

73	مَا اسْمُكَ، قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ...	157
292	مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي...	158
209	مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.	159
65	مَا حَبَسَكَ؟، فَقَالَ: مَرَزْتُ بِفَاطِمَةَ وَهِيَ تَطْحَنُ، وَالصَّبِيُّ يَبْكِي...	160

283	مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا...	161
283	مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا...	162
57	مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ...	163
161	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيَتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ...	164
149	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ...	165
161	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ...	166
142	مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلِ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ.	167
51	مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرَّيْشَةِ، تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ بِقِلَادَةٍ.	168
154	مَرَّ ابْنُ عَمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ، فَقَالَ: يَا رَاعِيِ الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟...	169
130	مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ...	170
251	مَنْ ادَّعَى وَلَدًا مِنْ أُمَّةٍ لَا يَمْلِكُهَا أَوْ مِنْ حُرَّةٍ عَاهَرَ بِهَا فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُ بِهِ...	171
173	مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلَيْتِمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ...	172
302	مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَاقٍ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتٌ يَوْمِهِ...	173
126	مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ...	174
203	مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ...	175
204	مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا...	176
98	مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَبِّهِ...	177
127	مَنْ كَانَ لَهُ صَبِي فَلْيَتَصَابَ لَهُ.	178
236	مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا.	179
201	مَنْ هَوَّلَاءِ يَا زَيْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبِي، وَهَذَا عَمِّي...	180
271	مَنْ يُحْرِمِ الرَّفْقَ، يُحْرِمِ الْخَيْرَ.	181
270	مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ...	182

- ه -

54	هَلَّا تَزَوَّجْتَ بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ..	183
159	هُوَ ذَا، فَإِنْ انْطَلَقَ مَعَكَ لَمْ أَمْنَعُهُ...	184
241	هُوَ شَرُّ الثَّلَاثَةِ إِذَا عَمِلَ بِعَمَلِ أَبِيهِ...	185

86	هِيَ أَعْطَفُ، وَاللِّطْفُ، وَأَرْحَمُ، وَأَحْنَأُ، وَأَرْأَفُ...	186
----	---	-----

- و -

164	وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ...	187
226	وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا...	188
237	وَجَدْتُ مَنْبُودًا فَلَمَّا رَأَى عُمَرَ، قَالَ: «عَسَى الْعُوَيْرُ أَبُوَسًا»...	189
240	وُلِدَ الزَّانَا سِتْرُ الثَّلَاثَةِ.	190
70	وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ...	191

- ي -

215	يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عَيْدًا وَهَذَا عِيدُنَا...	192
247	يَا أَبَا ذَرٍّ أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ...	193
62	يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ...	194
232	يَا ابْنَ أُخْتِي هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرٍ وَلِيَّهَا فَيَرَعَبُ فِي جَمَاهَا...	195
137	يَا أَسْمَاءُ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ...	196
85	يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ...	197
96	يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمَّكَ»...	198
271	يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ...	199
38	يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ...	200
38	يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلُّ بِيَمِينِكَ...	201
85	يَا غُلَامُ، هَذَا أَبُوكَ، وَهَذِهِ أُمَّكَ، فَخُذْ بِيَدَيْهِمَا شَتًّا...	202
207	يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ...	203



ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

الرقم	العَم	الصفحة
- ا -		
01	السير تشارلز بيل	06
- ب -		
02	بتراند راسل	128
- ت -		
03	تشارلز روبرت داروين	06
- د -		
04	ديكارت رينيه	09
- ر -		
05	روبرت بلوتشيك	08
- س -		
06	ستانلي هول	36
07	سيجموند فرويد	36
- ع -		
08	علي بن موسى الفقيه	248
- و -		
09	وليم ماك دو حال	129



رابعاً: فهرس المصطلحات المعرفية.

الصفحة	المصطلح	الرقم
--------	---------	-------

- ا -

119	الأرجوحة	01
147	الجُحَّاتَة	03
154	الجَوَّانِيَة	04
133	الحِذْر	05
162	السِخَّاب	06
209	السِرْف	07
214	العَاتِق	08
173	العِهْن	09
71	العَوَارِي	10
83	الكَبْوَة	10
62	النُّعَيْر	11
	أَنْعَر	11

- ب -

215	بُعَاث	12
-----	--------	----

- ج -

148	جَذْلَان	13
-----	----------	----

- ح -

313	جِجَال	14
146	خَزَاوِرَة	15

- ع -

101	عقدة أوديب وألكترا	16
-----	--------------------	----

- ق -

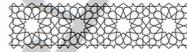
230	قُثم	17
-----	------	----

- ن -

173	نشوان	18
-----	-------	----

- ه -

50	هرمون الكورتيزول	19
----	------------------	----



خامساً: فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- أ -

* الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الرُّباعي الصنعاني:

1- فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، ت: مجموعة بإشراف الشيخ علي العمران، ط1، دار عالم الفوائد، 1427هـ.

* الصادق بن عبد الرحمن الغرياني:

2- الأسرة أحكام وأدلة، ط10، دار الشعب، ليبيا، 2013م، ص: 22.

* أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي.

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت: يوسف علي بدوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ-1998م.

* أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير.

4- الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1417هـ-1997م، 408/3.

* أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطال.

5- شرح صحيح البخاري، ط2، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ-2003م، 347/9.

* أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني.

6- سنن الدارقطني، ت: شعيب الارنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1424هـ-2004م.

* أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي.

7- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ت: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419هـ-1999م.

- 8- تفسير الماوردي - النكت والعيون-، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 9- نصيحة الملوك، ت: خضر محمد خضر، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1403هـ-1983م.
- * أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي:
- 10- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ-1994م.
- 11- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ت: حسين سليم أسد الداراني - عبده علي الكوشك، ط1، دار الثقافة العربية، دمشق، 1412هـ-1992م.
- * أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي.
- 12- البيان في مذهب الإمام الشافعي، ت: قاسم محمد النوري، ط1، دار المنهاج، جدة، 1421هـ-2000م، 20/13.
- * أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي.
- 13- الروضة الندية شرح الدرر البهية، دار المعرفة، 91/2.
- * أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي.
- 14- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، ت: محمد المنتقى الكشناوي، ط2، دار العربية، بيروت، 1403هـ.
- 15- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ت: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1420هـ-1999م.
- * أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي.
- 16- الذخيرة، ت: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م،
- * أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي.
- 17- البداية والنهاية، دار الفكر، 1407هـ-1986م،
- 18- تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، 49/6.
- * أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي.

- 19- تنبيه النائم العَمُر على مواسم العمر، ت: قسم التحقيق بالدار، ط1، دار الصحابة، طنطا، 1411هـ-1991م.
- * أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني.
- 20- التلخيص الحبير في تخریج أحاديث الرافعي الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، 1419هـ-1989م.
- * أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي.
- 21- طرح الشريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، 225/7.
- 22- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخریج ما في الإحياء من الأخبار، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1426هـ-2005م.
- * أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي.
- 23- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ت: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ-1991م.
- * أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر.
- 24- تاريخ دمشق، ت: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، 1415هـ-1995م، 165/28.
- * أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي الغرناطي:
- 25- القوانين الفقهية.
- * أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.
- 26- الفائق في غريب الحديث والأثر، ت: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان، 242/3.
- 27- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
- * أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي.
- 28- تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض-السعودية، 1418هـ-1997م، 139/4.
- * أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي.
- 29- المنتقى شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، جوار محافظة مصر، 1332هـ.
- * أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الشهير بابن رشد الحفيد:
- 30- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، ت: د محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1408هـ-1988م.

- 31- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ-2004م.
* أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي.
- 32- المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية.
* أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبخاري.
- 33- مسند البخاري المنشور باسم البحر الزخار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط1، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، 1988-2009م.
* أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي.
- 34- المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.
* أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصري، تقي الدين الشافعي.
- 35- كفاية الأختار في حل غاية الاختصار، ت: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهي سليمان، ط1، دار الخير، دمشق، 1994م.
* أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني.
- 36- المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ.
* أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي، المشهور بالبكري.
- 37- إغاثة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ط1، دار الفكر، 1418هـ-1997م، 298/3.
* أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي.
- 38- جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين - بيروت، 1987م.
* أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري.
- 39- الإشراف على مذاهب العلماء، ت: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، ط1، مكتبة مكة الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ-2004م.
- 40- كتاب تفسير القرآن، ت: سعد بن محمد السعد، ط1، دار المآثر - المدينة النبوية، 1423هـ-2002م.
* أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري.
- 41- صحيح ابن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، ط3، المكتب الإسلامي، 1424هـ-2003م.
* أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي
- 42- شرح معاني الآثار، ت: محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق، ط1، عالم الكتب، 1414هـ-1994م.

- 43- مختصر اختلاف العلماء، ت: عبد الله نذير أحمد، ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ.
* أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي.
- 44- إحياء علوم الدين، ط1، دار الفكر، بيروت، 1423هـ-2003م.
* أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي.
- 45- البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ .
* أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي.
- 46- المجموع شرح المذهب، دار الفكر.
- 47- تحرير ألفاظ التنبيه، ت: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ.
- 48- روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، 1412هـ-1991م.
- 49- صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة.
* أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي.
- 50- معجم ابن الأعرابي، ت: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م.
- * أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي.
- 51- غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، 1402هـ-1982م.
* أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي.
- 52- السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.
- * أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام.
- 53- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ت: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط10، مكتبة الصحابة- مكتبة التابعين، الإمارات- القاهرة، 1426هـ-2006م.
* أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي.
- 54- المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ-1986م.
* أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني.

- 55- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، ط1، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة، 1424هـ-2003م.
- 56- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ-1985م.
- 57- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.
- 58- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1، دار المعارف، الرياض، 1412هـ-1992م.
- 59- صحيح الترغيب والترهيب، ط5، مكتبة المعارف، الرياض.
- 60- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
- 61- صحيح أبي داود- الأم، ط1، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1423هـ-2002م.
- 62- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
- 63- صحيح وضعيف سنن أبي داود، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
- 64- صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
- 65- صحيح وضعيف سنن النسائي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية.
- 66- ضعيف الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي.
- 67- موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، ط1، صَنَعَه: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء- اليمن، 1431هـ-2010م.
- * أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع.
- 68- المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1990م.
- * أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.

69- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1416هـ-1995م.

* أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي.

70- الأم، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ-1990م.

* أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي.

71- معرفة الصحابة لابن منده، ت: الأستاذ الدكتور- عامر حسن صبري، ط1، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ-2005م.

* أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم القضاعي المصري.

72- مسند الشهاب، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ-1986م

* أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري.

73- مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

* أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج.

74- المدخل، دار التراث.

* أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني.

75- سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ-2009م.

* أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي.

76- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.

* أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.

77- الكافي في فقه أهل المدينة، ت: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، ط2، مكتبة الرياض الحديث، المملكة العربية السعودية، 1400هـ-1980م.

* أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني.

78- مستخرج أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1419هـ-1998م.

* أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي.

- 79- شرح السنة، ت: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت، 1403هـ- 1983م.
- 80- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
- * أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسبي.
- 81- المنتخب من مسند عبد بن حميد، ت: الشيخ مصطفى العدوي، ط2، دار بلنسية للنشر والتوزيع، 1423هـ- 2002م.
- * أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم.
- 82- تفسير القرآن العظيم، ت: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
- * أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلطان.
- 83- الأسئلة والأجوبة الفقهية.
- * أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بھرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي.
- 84- سنن الدارمي، ط1، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412هـ- 2000م.
- * أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
- 85- غريب الحديث، ت: عبد الله الجبوري، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ .
- * أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي.
- 86- المعونة على مذهب عالم المدينة، ت: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.
- * أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، سلطان العلماء.
- 87- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414هـ- 1991م.
- * أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني.
- 88- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- 89- البناية شرح الهداية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1420هـ- 2000م.

- * أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي.
90- المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، 1388هـ- 1968م.
- * أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني.
91- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ- 1974م.
- * أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري.
92- الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
- 93- معجم الفروق اللغوية، ت: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1412هـ.
- 94- ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت.
- * أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي.
95- دلائل النبوة، ت: عبد المعطي قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، 1408هـ- 1988م.
- 96- السنن الصغير، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، ط1، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي- باكستان، 1410هـ- 1989م.
- 97- السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ- 2003م.
- * أحمد بن سليمان العريني.
98- أحكام الاستئذان في السنة والقرآن، دار الوطن، 1414هـ.
- * أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
99- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ،
* أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي.
100- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415هـ- 1995م.
- * أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسن.
101- معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م،
413/3.
- * أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس.
102- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

- * أحمد بن مصطفى المراغي.
103- تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1365هـ - 1946م.
- * أحمد طالب الإبراهيمي.
104- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1940-1952م.
- * أحمد عزت راجح.
105- أصول علم النفس، ط7، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م.
- * أحمد عكاشة- طارق عكاشة.
106- علم النفس الفسيولوجي، ط12، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- * أحمد علي بدوي.
107- الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد، شركة سفير، القاهرة، 1993هـ .
- * أحمد علي بديوي محمد.
108- في نمو الإنسان وتربيته، ط1، دار العلم والإيمان، الإسكندرية، 2008م.
- * أحمد محمد مبارك الكندري.
109- علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1412هـ-1992م،
* أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل.
- 110- معجم الصواب اللغوي: دليل المثقف العربي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ- 2008م .
- 111- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 1429هـ- 2008م.
- * أنس شكشك.
112- علم النفس العام، ط1، دار النهج، حلب- سورية، 1429هـ- 2008م.
- * أيمن محمد.
113- ليتني أفهم طفلي- كيف تتغلبين على مشاكل طفلك النفسية-، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2005م.
- * أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي.
114- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج.

115- معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ-
1988م

* إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح أبو إسحاق برهان الدين.

116- المبدع في شرح المنع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1418هـ- 1997م.

* إبراهيم مصطفى- أحمد حسن الزيات- حامد عبد القادر- محمد علي النجار.

117- المعجم الوسيط، دار الدعوة، تركيا، 1989م.

* إبراهيم وجيه محمود.

118- المراهقة خصائصها ومشكلاتها، دار المعارف، 1981م، ص: 25.

* إجلال إسماعيل حلمي.

119- علم اجتماع الزواج والأسرة- رؤية نقدية للواقع والمستقبل-، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،
2013م.

* إسماعيل بن حماد الجوهري.

120- الصحاح في اللغة تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم
للملايين، بيروت- لبنان، 1404هـ- 1984م

* إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي.

121- موسوعة نمو وتربية الطفل (تربية- نمو - طيبة- اجتماعية)، كتب عربية، ص: 653.

- ب -

* بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد.

122- الحدود والتعزيرات عند ابن القيم، ط2، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1415هـ.

- ت -

* تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي.

123- درء تعارض العقل والنقل، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ- 1991م.

124- مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،
المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/ 1995م.

- ج -

- * جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
125- المعجم العربي الأساسي.
- * جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.
126- الموضوعات، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية،
المدينة المنورة، 1388 هـ - 1968 م
- 127- زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ.
- 128- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
* جميل أبو ميزر- محمد عبد الرحيم عدس.
129- المرشد في منهاج رياض الأطفال، دار مجدلاوي، الأردن، 1422 هـ - 2001 م.
* جورج طرايشي.
130- معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت، 2006 م، ص: 298.
- ح -
- * حاتم آدم.
131- الصحة النفسية للطفل، ط10، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1431 هـ - 2010 م.
* حامد عبد السلام زهران.
132- علم نفس النمو- الطفولة والمراهقة-، دار المعارف، 1986 م.
* حسان سخسوخ.
133- محاضرات في الصحة النفسية للطفل والمراهق: لطلبة السنة الثالثة - توجيه وإرشاد (ل.م.د)،
جامعة محمد لامين دباغين- قسم علم النفس وعلوم التربية-، سطيف 2، 2014 - 2015 م.
* حسن أحمد شحاتة ومنى الشرقاوي.
134- تقوية شخصية طفلك، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1439 هـ - 2018 م.
* حسين بن عودة العوايشة.
135- الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، ط1، المكتبة الإسلامية - دار ابن حزم،
عمان- بيروت، من 1423 - 1429 هـ .
* حصّة بنت محمد بن فالخ الصغير.
136- تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1429 هـ -
2008 م.

* حكمت الحلو.

137- مشكلات الأطفال السلوكية في البيت والمدرسة، دار النشر، القاهرة، 1430هـ - 2009م.

* حمزة محمد قاسم.

138- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، مكتبة المؤيد، دمشق- الطائف، 1410هـ-1990م.

- خ -

* خالصة البطاشية.

139- المراهقة مفهومها وحاجاتها المختلفة، نفسياً وجسدياً وعاطفياً، وزارة التربية والتعليم- المديرية العامة للبرامج التعليمية-، سلطنة عمان.

* خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري.

140- مختصر العلامة خليل، ت: أحمد جاد، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ - 2005م.

- ر -

* رشا عيتاني.

141- مبروك كيف تعتنين بطفلك، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1433هـ - 2012م.

- ز -

* زكي نجيب محفوظ.

142- برتراند رسل، هنداوي، المملكة المتحدة، 2020م.

* زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي.

143- مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ-1999م .

* زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي.

144- جامع العلوم والحكم، ط1، دار البيان العربي، القاهرة، 1421هـ-2002م.

145- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1417هـ - 1996م .

* زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الهندي.

146- فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين (هو شرح للمؤلف على كتابه هو المسمى قرّة العين بمهمات الدين)، ط1، دار بن حزم.

* زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري.

147- التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ- 1990م.

148- فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.

* زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري.

149- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط2، دار الكتاب الإسلامي .

- س -

* سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ابن الملقن.

150- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ت: مصطفى أبو الغيط وعبد الله

بن سليمان وياسر بن كمال، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، 1425هـ- 2004م.

151- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم، ت: عبد الله بن حمد

الليحيدان، سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ط1، دار العاصمة، 1411هـ.

* سعدي أبو حبيب.

152- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، ط2، دار الفكر، دمشق، 1408هـ- 1988م.

* سعيد بن عبد القادر بن سالم باشنفر.

153- الكفاءة في النكاح بين العرف والشرع، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1428هـ- 2007م.

* سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، أبو داود السجستاني.

154- سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

155- المراسيل، ت: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ.

* سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني.

156- المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار

الحرمين، القاهرة.

157- المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

* سهام حسن.

158- نفسية طفلك من سنة إلى 18 سنة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1918م.

* سهيلة زين العابدين حمّاد.

159- بناء الأسرة المسلمة، الدار السعودية.

* سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي.

160- الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

- ش -

* شرف الدين النووي.

161- روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، 1412هـ- 1991م.

* شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي.

162- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت: محمد عثمان الخشت، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ- 1985م.

* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية:

163- تحفة المودود بأحكام المولود، ت: فواز أحمد زمرلي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1423هـ- 2003م.

164- زاد المعاد في هدي خير العباد، ط27، مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية، بيروت- الكويت، 1415هـ- 1994م.

165- مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت.

* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي.

166- سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ- 1985م.

* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي.

167- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار الفكر، 1412هـ- 1992م.

* شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي.

168- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1994م.

- ص -

* صالح بن طه عبد الواحد.

169- سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ط2، مكتبة الغرباء- الدار الأثرية، 1428هـ.

* صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري.

170- الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت.

* صالح عبد الكريم.

171- فن تربية الأبناء كيف نربي أبنائنا تربية نفسية سليمة؟، الراية- مكتبة عراس، مصر، 2011م.

- ع -

* عادل صادق.

172- الطب النفسي، ط1، الدار السعودية، جدة، 1408هـ-1988م.

* عبد الباسط محمد السيد.

173- موسوعة تربية الطفل، ط1، دار ألفاء، مصر، 1432هـ- 2011م.

* عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، ط1، دار الراتب، بيروت- لبنان، 1420هـ- 2000م.

* عبد الرحمن النحلاوي.

174- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط25، دار الفكر، 1428هـ- 2007م.

* عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.

175- حاشية السندي على سنن النسائي، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 - 1986م.

176- الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.

* عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوقي الحنبلي.

177- كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات، ت: محمد بن ناصر العجمي، ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان-بيروت، 1423هـ-2002م.

* عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي.

178- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي.

* عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

- 179- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1425هـ- 2004م.
* عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني أبو البركات مجد الدين.
- 180- المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ط2، مكتبة المعارف، الرياض، 1404هـ- 1984م.
* عبد السلام عطوة الفندي.
- 181- تربية الطفل في الإسلام- أسس وأساليب-، ط2، دار المسيرة، عمان، 1436هـ- 2015م.
* عبد الظاهر الطيب - رشدي عبده حنين - محمود عبد الحليم منسى.
- 182- التلميذ في التعليم الأساسي، دار المعارف، الإسكندرية.
* عبد الفتاح مصطفى غنيمية.
- 183- حاجات الطفل للنفس والبدن، ط2، 1994م.
* عبد القادر بن عمر بن عبد القادر بن عمر بن أبي تغلب بن سالم التغلبي الشيباني.
- 184- نيل المآرب بشرح دليل الطالب، ت: محمد سليمان عبد الله الأشقر، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1403هـ- 1983م.
* عبد الكريم بكار.
- 185- تأسيس عقلية الطفل، ط2، دار وجوه، الرياض، 1433هـ- 2012م.
* عبد الكريم زيدان.
- 186- أصول الدعوة، ط9، مؤسسة الرسالة، 1421هـ- 2001م.
* عبد اللطيف عاشور.
- 187- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، القاهرة.
* عبد اللطيف معاليقي.
- 188- المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة: دراسة تحليلية اجتماعية للمراهقة في واقعها وديناميتها ومعضلاتها، ط3، شركة المطبوعات، بيروت- لبنان، 2004.
* عبد الله الطارقي.
- 189- دعه فإنه مراهق- قراءات في تحديد مصطلح المراهقة، ط1، دار كنوز المعرفة، جدة، 1432هـ- 2011م.
* عبد الله بن محمود بن مودود الموصلية البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي.
- 190- الاختيار لتعليق المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ- 1937م.

- * عبد المجيد الخليدي - كمال حسن وهيبي.
191- الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1997م.
- * عبد المجيد سيد أحمد منصور وَ زكريا أحمد الشرييني وَ إسماعيل محمد الفقي.
192- السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002م.
- * عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر.
193- شرح سنن أبي داود، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس: 257.
- 194- عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة أسانيداً وشرح متونها، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1409هـ.
- * عبد الوهاب المسيري.
195- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ- 2002م.
- * عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي.
196- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، 1313هـ.
- * عثمان حمود الخضر.
197- الألعاب التربوية، شركة الإبداع الفكري، الكويت.
- * عدنان أحمد الفسفوس.
198- المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك، ط1، 1432هـ- 2011م.
- * عدنان السبيعي.
199- الصحة النفسية للمولود والرضيع، ط1، دار الفكر، دمشق، 1418هـ- 1997م.
- * عزيز سمارة- عصام النمر- هشام الحسن.
200- سيكولوجيا الطفولة، ط3، دار الفكر، الأردن، 1419هـ- 1999م.
- * علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي.
201- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط2، دار إحياء التراث العربي.
* علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي.
202- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط2، دار الكتب العلمية، 1406هـ- 1986م.

- * علوي بن عبد القادر السَّقَّاف.
- 203- تخریج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب -رحمه الله-، ط2، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 1416هـ- 1995م.
- * علوي عطر جي.
- 204- إدارة المشاعر بتقنيات العلاج بخط الزمن، ط1، دار فكرة، 2011.
- * علي السيد- سماح كوثراني.
- 205- طرق إشباع الحاجات النفسية للطفل، ط1، دار اليوسف - دار الرفيق، بيروت- لبنان، 2007م.
- * علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني.
- 206- بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، مكتبة محمد علي صباح، القاهرة
- 207- الهداية في شرح بداية المبتدي، ت: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- * علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري.
- 208- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الفكر، بيروت، 1422هـ- 2002م.
- * علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان.
- 209- بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، ت: الحسين آيت سعيد، دار طيبة، ط1، الرياض، 1418هـ- 1997م.
- * علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني.
- 210- التعريفات، ت: جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1403هـ- 1983م.
- * عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي.
- 211- طلبة الطلبة، المطبعة العامرة-مكتبة المثني، بغداد، 1311هـ.
- * عمر سليمان الأشقر.
- 212- أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، ط4، دار النفائس، الأردن، 1428هـ- 2008م.
- * عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان، الشهير بالجاحظ.
- 213- البرصان والعرجان والعميان والحولان، ط1، دار الجليل، بيروت، 1410هـ
- * عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل.
- 214- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة - دار التراث .
- * عيسى الشماس.

215- موسوعة التربية الأسرية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010.

- ف -

- * فاروق عبده فليلة - أحمد عبد الفتاح الزكي.
216- معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004 م .
* فؤاد أبو حطب- محمد سيف الدين فهمي.
217- معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1984 م.
* فرج عبد القادر طه وآخرون.
218- معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.

- ق -

- * قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي.
219- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ت: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، 2004م-1424هـ.

- ك -

- * كامل محمد محمد عويضة.
220- رحلة في علم النفس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416هـ- 1996 م .
* كليبر فهمي.
221- المشاكل النفسية للمراهق، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1987 م.

- ل -

- * لطفي الشريبي.
222- معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية.

- م -

- * ماريا بيرس - جنيفيف لاندو.
223- اللعب ونمو الطفل، إعداد: عبد الرحمن سيد سليمان- شيخة يوسف الدريستي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997 م.
* مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني

- 224- المدونة، ط1، دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1994م.
- 225- موطأ الإمام مالك، ت: بشار عواد معروف- محمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ.
- * مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير.
- 226- النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م.
- 227- جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت: عبد القادر الأرنبوط- التتمة تحقيق بشير عيون، ط1، مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان.
- * مجد الدين أبو الفضل الحنفي.
- 228- الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356هـ-1937م.
- * مجدى محمد الدسوقي.
- 229- سيكولوجية النمو من الميلاد إلى المراهقة، مكتبة الأجلو المصرية، مصر، 2002م.
- * مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.
- 230- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1393هـ- 1973م.
- * محمد الطاهر بن عاشور.
- 231- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984.
- * محمد أبو الخير شكري.
- 232- الطفولة بين الشريعة الإسلامية والتشريعات الدولية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1432هـ- 2011م.
- * محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي.
- 233- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
- * محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، المعروف بابن عابدين.
- 234- رد المختار على الدر المختار، ط2، دار الفكر، بيروت، 1412هـ- 1992م.
- * محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي.
- 235- فيض الباري على صحيح البخاري، ت: محمد بدر عالم الميرتحي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م.
- * محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، أبو منصور.
- 236- تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

- * محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي.
237- المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ- 1993م
- * محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي.
238- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.
- * محمد بن أحمد بن محمد عlish أبو عبد الله المالكي.
239- منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، 1409هـ-1989م.
- * محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري.
240- موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية، 1430هـ- 2009م.
- * محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري.
241- الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ - 1989م.
- 242- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، ط1، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- 243- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار الصديق، 1418هـ-1997م.
- * محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.
244- جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ- 2000م.
- * محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي.
245- الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ-1988م.
- * محمد بن صالح بن محمد العثيمين.
246- الشرح الممتع على زاد المستقنع، ط1، دار ابن الجوزي، 1422هـ- 1428م.
- 247- شرح رياض الصالحين، دار الوطن، الرياض، 1426هـ.
- * محمد بن عبد الله الخرشبي المالكي أبو عبد الله.
248- شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت.
- * محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي.

- 249- مشكاة المصابيح، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.
* محمد بن عبد الهادي التتوي أبو الحسن نور الدين السندي.
- 250- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت.
* محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني.
- 251- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط1، دار ابن حزم.
- 252- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: فتح القدير، ط1، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، 1414هـ.
- 253- نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصبابطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1413هـ- 1993م.
* محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.
- 254- سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر- محمد فؤاد عبد الباقي- إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ- 1975م.
- 255- ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
* محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي.
- 256- جمع الجوامع من جامع الأصول وجمع الزوائد، ت: أبو علي سليمان بن دريع، ط1، مكتبة ابن كثير- دار ابن حزم، الكويت- بيروت، 1418هـ- 1998م.
* محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة.
- 257- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط8، دار القلم، دمشق، 1427 هـ.
* محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي.
- 258- تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
* محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربيعي أبو الفتح فتح الدين.
- 259- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط1، دار القلم، بيروت، 1414هـ- 1993م.
* محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي.
- 260- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ- 1997م.
- * محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي.
- 261- الفروع، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1424هـ- 2003م.
* محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري.

- 262- لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- * محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي.
- 263- التاج والإكليل لمختصر خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1416هـ- 1994م.
- * محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن متلا علي خليفة القلموني الحسيني.
- 264- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- * محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنبيي.
- 265- معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، 1408هـ- 1988م.
- * محمد سعيد رمضان البوطي.
- 266- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، ط14، دار الفكر، دمشق، 1435هـ- 2014م.
- * محمد سلامه محمد غباري.
- 267- أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم وطرق العلاج، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م.
- * محمد سيد أرناؤوط.
- 268- التغذية السليمة لطفلك، ط1، دار الفنار للعلوم والآداب، بومرداس، 1435هـ- 2014م.
- * محمد علي البار.
- 269- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط4، الدار السعودية، جدّة، 1403هـ- 1983م، ص: 32.
- * محمد علي الصابوني.
- 270- صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني، القاهرة، 1417هـ- 1997م.
- * محمد عماد الدين إسماعيل.
- 271- الأطفال مرآة المجتمع- النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية-، عالم المعرفة، الكويت، 1986م.
- 272- الطفل من الحمل إلى الرشد، ط2، دار القلم، الكويت، 1415هـ- 1995م.
- * محمد قطب.
- 273- أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ط1، مكتبة القرآن، القاهرة.
- 274- دراسات في النفس الإنسانية، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ- 1993م.

- * محمد كمال يوسف.
- 275- الخبرات التربوية المتكاملة لرياض الأطفال، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1430هـ - 2009م.
- * محمد نبيل كاظم.
- 276- كيف نتعامل مع مراهقة أبنائنا، ط2، دار السلام، القاهرة، 1428هـ - 2007م.
- * محمد نور بن عبد الحفيظ سويد.
- 277- منهج التربية النبوية للطفل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1430هـ - 2009م .
- * مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري.
- 278- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- * مصطفى الحزن - الدكتور مصطفى البُغا - علي الشرجي.
- 279- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ط4، دار القلم، دمشق، 1413هـ - 1992م.
- * مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي.
- 280- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ط2، المكتب الإسلامي، 1415هـ - 1994م.
- * مغلاطي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين.
- 281- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط1، الفاروق الحديثة، 1422هـ - 2001م.
- * منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي.
- 282- كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية.
- * منير وهيبه الخازن.
- 283- معجم مصطلحات علم النفس - الأول من نوعه في اللغة العربية-، دار النشر للجامعيين
- * موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ثم الصالحي شرف الدين أبو النجا.
- 284- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ت: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- * موسى إسماعيل.
- 285- أحكام الأضحية والعقيقة، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 1427هـ - 2007م.

* نبيلة عباس الشوربجي.

286- المشكلات النفسية للأطفال: أسبابها، علاجها، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002-
2003م.

* نجيب جلواح.

287- تربية الأولاد وويليه تذكير العباد بأحكام ضرب الأولاد، ط1، دار المنهج، قلمة-الجزائر،
1442هـ-2020م.

* نخبه من أساتذة قسم الاجتماع- جامعة الإسكندرية-.

288- المرجع في مصطلحات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية

* نشوان بن سعيد الحميري اليمني.

289- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: حسين بن عبد الله العمري- مطهر بن علي
الإرياني- يوسف محمد عبد الله، ط1، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت- دمشق، 1420هـ-
1999م .

* نور الدين عتر.

290- عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع، ط1، دار البحوث للدراسات، دبي، 1422هـ-
2001م.

- ه -

* هدى محمود الناشف.

291- الأسرة وتربية الطفل، ط2، دار المسيرة، عمان، 1432هـ-2011م.

- و -

* وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

292- الموسوعة الفقهية الكويتية، ط2، دار السلاسل، الكويت، 1404- 1427هـ .

* وهبة بن مصطفى الزحيلي.

293- الفقه الإسلامي وأدلته، ط1، دار الفكر، دمشق.

- ي -

* ياسين صلواتي.

294- الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ- 2001م.

* يوسف محمد رضا.

295- معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 2006م .

- الرسائل الجامعية -

* أحمد عبد المجيد محمد محمود حسين.

296- أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي- أطروحة ماجستير-، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2008.

* إسلام كمال سعيد سليمان.

297- الاستئذان في القرآن والسنة - دراسة موضوعية-، - رسالة ماجستير في أصول الدين- ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2015م.

* بن زيان مليكة.

298- عمل الزوجة وانعكاساته على العلاقات الأسرية- دراسة ميدانية بجامعة منتوري قسنطينة- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس- تخصص علوم التربية-، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003- 2004م.

* خالد أحمد العلمان.

299- المراهقة بين الفقه الإسلامي والدراسات المعاصرة- رسالة ماجستير مطبوعة-، ط1، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006م.

* سها ياسين عطا القيسي.

300- زواج الصغار في ضوء تحديد سن الزواج - رسالة ماجستير في الفقه المقارن-، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ- 2010م

* عز الدين عبد الدائم.

301- حكم النفقة الشرعية للزوجة العاملة - رسالة ماجستير-، ط1، دار كردادة، بوسعادة- الجزائر، 2011م.

* قاضي فريدة.

302- عادات استقبال الطفل بين التقاليد والحداثة: السابع، التسمية، معتقد العين، التقييم - مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الجزائر-، 2005-2006.

* لبيبة سمير سعيد فروانة.

303- درجة ممارسة معلمي المرحلة الثانوي لأساليب الترغيب والترهيب كما جاءت في السنة النبوية من وجهة نظر الطلبة بمدينة غزة، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في أصول التربية- تخصص: تربية إسلامية-، الجامعة الإسلامية غزة، كلية التربية، 1431هـ- 2010م.

* محمد بن أحمد بن علي البهوتي الخُلُوتي.

304- حاشية الخُلُوتي على منتهى الإرادات، ت: سامي بن محمد بن عبد الله الصقير و محمد بن عبد الله بن صالح اللحيدان - أطروحة دكتوراة للمحققين-، ط1، دار النوادر، سوريا، 1432هـ - 2011م.

* مها يوسف جار الله الحسن الجار الله.

305- عناية القرآن والسنة بمشاعر المرأة: دراسة موضوعية - أطروحة لنيل درجة الدكتوراه -، ط1، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، 1429هـ- 2008م.

- المجالات العلمية -

* أحمد بن علي الشهابي اليمني.

306- ولد الزنا وأحكامه - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون اليمني والأندونيسي- (مقالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه وأصوله)، جامعة المحمدية، سوراكتا، سنة النشر 1437هـ- 2016م.

* بن عمارة محمد- موساوي سمية.

307- أثر ظاهر الطلاق على جنوح الأحداث، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، مارس 2017، ع: 04.

* بلبشير عمر- خلافي زاهية.

308- العناية بالمرأة والطفل من خلال كتاب " خلق الجنين وتدريب الحبالى والمولودين " ل: "عريب بن سعيد القرطي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر- الجزائر، ع: 11، ديسمبر 2016.

* حسينة فريجة- بوبكر كافي.

309- المنهج القويم في التعامل مع الدافع الجنسي عند الإنسان- قراءة في ضبط السلوكيات من خلال السنة النبوية-، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مجلد: 26، العدد: 64، 2022، ص: 128.

* دويدي سامية و رحاوي سعاد كحلولة.

310- الصورة الوالدية وعلاقتها بالبناء النفسي لدى المتبنين، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 13 (02)، 2021م.

* شريفة جنان- سميرة علايقة.

311- واقع الطلاق وأثره في ظهور الجنوح لدى المراهق في المجتمع الجزائري، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة المسيلة، مارس 2017، ع: 04.

* عبد الستار إبراهيم، وآخرون.

312- العلاج السلوكي للطفل أساليبه ونماذج من حالاته، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ع: 180، ديسمبر 1993.

* عليوي نوال.

313- أثر التكفل بالطفل اليتيم في التخفيف من السلوك العدواني لديه-دراسة ميدانية مقارنة-، المجلة الجزائرية للتربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر2، العدد: 5.

* فاكر محمد الغرايه- حمود سالم عليمات.

314- التأثيرات النفسية والاجتماعية للطلاق على الأطفال- دراسة على عينة من الأطفال في دار الضيافة في اتحاد المرأة الأردنية-، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، رجب 1433هـ- 2012م، مج: 09، ع: 02، ص: 99.

* فورار سارة وقوجيل رضوان.

315- الطفل اليتيم ومجهول النسب بين الاضطرابات النفسية والانحراف، مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية، مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات، جامعة الجلفة، الجزائر، مجلد: 10، العدد: 3، 2017م، ص: 185.

* كريمة خوازم.

316- الأغراض البلاغية للترغيب والترهيب في الحديث النبوي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مج: 12، ع: 02، 15- 09- 2020.

* كلثوم بلميهور، وأخريات.

317- أثر اضطراب العلاقة الزوجية على الصحة النفسية للأبناء، مجلة: شبكة العلوم النفسية العربية، ع: 21-22، شتاء وربيع 2009.

* لانصاري رشيدة.

318- تأديب الأطفال -المشروعية والوسائل- دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، مج3، ع:2، ديسمبر 2019.

* مدوري يمينة.

319- إشكالية التعلق لدى الطفل، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ع: 13، 14 ديسمبر 2015.

* نورة إدريس محمد الجراري.

320- المنهج الإسلامي للتنشئة العقدية للطفل المسلم، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع: 74.

* نويات قدور.

321- العلاقة الزوجية المتكدره وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، ع: 8، جوان 2012 م.

* ياسين بولحمار.

322- تأديب الطفل بالضرب في الشريعة الإسلامية، مجلة كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مج: 08، ع: 15، جوان 2019.

- الكتب المترجمة إلى اللغة العربية -

* برتراند راسل.

323- في التربية...، ترجمة: سمير عبده، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

* بيرتون ل. وايت.

324- السنوات الأولى للحياة، ترجمة: بدر العمر، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1985م.

* تشارلز داروين.

325- التعبير عن العواطف عند الإنسان والحيوانات، ترجمة: محمد عبد الستار الشخلي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، 2010م.

- * جرتود دريكول.
326- كيف نفهم سلوك الأطفال، ترجمة: رشدي فام منصور، دار النهضة- مؤسسة فرانكلين، القاهرة- نيويورك، 1964م.
* دينا جايسون.
327- سلوك الأطفال، ت: هنادي مزبودي، ط1، نوميديا- دار المؤلف، قسنطينة، 1436هـ- 2015م.
* روبرت سيجلر.
328- تفكير الأطفال، ترجمة: السيد إبراهيم السمدوني، ط1، دار الفكر، بيروت، 2010م.
* رينه ديكرت.
329- انفعالات النفس، ترجمة: جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت- لبنان، 1413هـ- 1993م.
* رينهارت بيتر آن دوزي.
330- تكملة المعاجم العربية، ت وتعليق: محمد سليم النعيمي- جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 1979-2000م.
* سيجموند فرويد:
331- الموجز في التحليل النفسي، ترجمة: سامي محمود علي- عبد السلام القفاش، مكتبة الأسرة- مهرجان القراءة للجميع-، 2000م.
332- ثلاث مقالات في النظرية الجنسية، ت: سامي محمود، دار المعارف، القاهرة.
333- معالم التحليل النفسي، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ط5، دار الشروق.
* كلارك موستاكس.
334- علاج الأطفال باللعب، ترجمة: عبد الرحمن سيد سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م.
* لويز ج. كابلن.
335- المراهقة: وداعاً أيتها الطفولة، ت: أحمد رمو، وزارة الثقافة، دمشق.
* ي. إ. كولتشتيسكايا.
336- تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة: عبد اللطيف أبو سيف، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1997م.

- المواقع الالكترونية -

- 337- اتفاقية حقوق الطفل، موقع الأمم المتحدة: حقوق الإنسان، www.ohchr.org
- 338- الجزيرة - الصحافة الأمريكية: بينها كوريا الشمالية وأميركا وإيران.. أرقام جديدة عن نسبة الختان في 17 دولة، موقع الجزيرة، www.ajazeera.net
- 339- النوع الاجتماعي والتعبير العاطفي، موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org
- 340- أثر فقدان أحد الوالدين على الطفل، موقع جريدة عنب بلدي، العدد: 34، www.enabbaladi.net
- 341- ألاء، الفرق بين عقل الرجل وعقل المرأة، موقع الرسائل، www.almrsal.com
- 342- تأثير انفعالات الأم الحامل على جنينها، موقع فيدو، feedo.net، 2022-11-29.
- 343- حب إنجاب الطفل الذكر.. هاجس الرجال وصداع النساء، موقع الشروق العربي، www.echoroukonline.com
- 344- حسناء: الفرق بين العواطف والمشاعر، موقع الرسائل، www.almrsal.com
- 345- خالد بن سعود البليهد: كرامة ولد الزنا في الإسلام، موقع صيد الفوائد، saaid.net
- 346- زواج الأطفال، حماية الطفل، يونيسف لكل طفل، unicef.org، 2022-11-22.
- 347- سحر طلعت: نظرية التعلق... مفتاح لبناء علاقة آمنة مع طفلك، موقع صحتك، www.sehatok.com
- 348- سوسن الغافري: أثر المربيات على نشأة الأطفال، موقع مشاريع إبداعية لتطوير عمل الأخصائي الاجتماعي، sociaworker2009.ahlamontada.net
- 349- شعور، موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org
- 350- عطية بن محمد سالم: شرح الأربعين النووية، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية) www.islamweb.net
- 351- علوم القرآن: قوة التذكر عند المرأة والرجل، موقع البيان، www.albayan.ae
- 352- غادة حرقوش: www.facebook.com/Dr.Ghada.OBGYN.clinic .17 أفريل 2013.
- 353- غيداء أبو الخيري: سيكولوجيا العواطف: كيف تفهم عواطفك وتفسرها، موقع ن بوست، www.noonpost.org
- 354- فاطمة خليل: كيف تؤثر الحالة النفسية للحامل على صحة الجنين؟، موقع اليوم السابع

- .www.youm7.com ،
355- فريق عمل مايو كلينيك، اضطراب التعلق التفاعلي، موقع مايو كلينيك،
www.mayoclinic.org
356- كراهية إنجاب الإناث اعتراض على حكم الخالق، ملحق الدين للحياة، موقع الخليج،
www.alkhaleej.ae
357- كريمة خلاص: الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان تدق ناقوس الخطر: 45 ألف مولود غير شرعي سنويًا في الجزائر، جواهر، موقع الشروق، echoroukonline.com
358- محمد سلامة الغنيمي: تسمية المولود، ar.islamway.net ، 11 - 05 - 2015.
359- محمد علي فركوس أبي عبد المعز: الموقع الرسمي، الفتوى رقم: 9، ماي 2019م.
360- مربية الطفل وأثرها السلبي على شخصيته، موقع: الفرات مؤسسة الوحدة، alwehda.gov.sy
361- مروة صلاح: قبل أن تسمي مولودك... تأكد من ملامحه، موقع للعلم،
.www.scientificamericn.com
362- نسيم لكحل: قانون جديد في الجزائر لإثبات نسب الأطفال غير الشرعيين، موقع صحيفة قبس،
www.ohchr.org
363- هل يؤثر الضغط النفسي على الحمل؟، موقع طب تائم، www.tebtime.com
364- هناء المكاوي: لا تلموا الهرمونات على سلوكيات المراهقين، موقع للعلم،
www.scientificamerican.com
365- 5 علامات تدل على إصابة الطفل باضطراب التعلق... كيف تساعده، منوعات، موقع الشرق الأوسط،
.aawsat.com

- المراجع الأجنبية -

* Edward L. Thorndike.

366- Biographical memoir of Granville Stanley Hall (1846-1924), National Academy of sciences biographical memoirs. Volume XII fifth memoir. presented to the Academy at the annual meeting, 1925

* Mark pettinelli.

367- the Psychology of Emotions- feelingz and thoughts.

* Robert Plutchik.

368- the Emotions, university press of America, London ,1991

* Ross Buck.

369- The American Psychological Association, vol. 62, n°.2, February - March 2007

* Stefan Stater.

370- Journal the royal college of physicians of Edinburgh, Volume 51, Issue 3, September 2021.

* U.S. Department of Education ،Office of Communications and Outreach.

371- Helping your child –through early adolescence، Revised 2005.



سادساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة.....
01	مدخل: مقدمات أساسية عن المشاعر والطفل.....
02	الفصل الأول: مفهوم المشاعر وخصائصها والفرق بينها وبين غيرها من المصطلحات...
03	المبحث الأول: مفهوم المشاعر لغة واصطلاحاً.....
03	المطلب الأول: تعريف المشاعر لغةً.....
04	المطلب الثاني: تعريف المشاعر اصطلاحاً.....
05	المبحث الثاني: خصائص المشاعر وانفعالاتها.....
05	المطلب الأول: خصائص المشاعر.....
08	المطلب الثاني: انفعالات المشاعر.....
11	المبحث الثالث: الفرق بين مصطلح المشاعر وغيرها من المصطلحات ذات الصلة.....
11	المطلب الأول: الفرق بين مصطلح المشاعر مع مصطلح الأحاسيس والعواطف.....
15	المطلب الثاني: أهمية المشاعر ومدى تأثيرها على السلوك وتوجيهه.....
18	الفصل الثاني: التعريف بمرحلة الطفولة وتقسيماتها وخصائصها.....
19	المبحث الأول: تعريف الطفولة كمرحلة عمرية.....
19	المطلب الأول: تعريف الطفل.....
19	أولاً: تعريف الطفل في اللغة.....
20	ثانياً: تعريف الطفل في اصطلاح علماء الشرع وعلم النفس.....
22	المطلب الثاني: مراحل الطفولة وتقسيماتها.....
25	المبحث الثاني: خصائص الطفل النفسية والجسمية.....
25	المطلب الأول: الخصائص النفسية للطفل.....
28	المطلب الثاني: الخصائص الجسمية للطفل.....
31	المبحث الثالث: مرحلة المراهقة وتأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه.....

31	المطلب الأول: تعريف المراهقة في اللغة والاصطلاح.....
25	أولاً: تعريف المراهقة لغةً.....
25	ثانياً: تعريف المراهقة اصطلاحاً.....
32	المطلب الثاني: تحديد زمن المراهقة بين الدراسات الإسلامية والدراسات الغربية.....
32	أولاً: المراهقة من المنظور الإسلامي.....
35	ثانياً: المراهقة في الدراسات الغربية.....
37	ثالثاً: تصويب المسألة.....
39	المطلب الثالث: تأثير المراهقة على مشاعر الطفل وسلوكه.....
42	المبحث الرابع: التفكير عند الطفل ومدى استيعابه لقضايا الكبار وتأثره بها.....
42	المطلب الأول: الأساليب المساعدة على تنمية التفكير عند الطفل.....
43	المطلب الثاني: مدى فهم الطفل لقضايا الكبار وتأثيرها على مشاعره.....
46	الباب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيئاً وبعد الولادة، مع ذكر أبرز الارتباطات الشعورية في مرحلة الطفولة.....
47	تمهيد: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية للاهتمام بالطفل في جميع مراحل العمرية.....
48	الفصل الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الجنين وحديث الولادة.....
49	المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل جنيئاً.....
50	المطلب الأول: مدى تأثير نفسية الأم الحامل على مشاعر الجنين.....
55	المطلب الثاني: مدى تأثير نفسية الأم الحامل على صحة الجنين الجسمية.....
56	المبحث الثاني: الحياة الشعورية عند الطفل حديث الولادة.....
56	المطلب الأول: النظرة الإسلامية لكيد الشيطان وتأثيره على النفس والبدن.....
60	المطلب الثاني: طبيعة المشاعر عند الأطفال حديثي الولادة.....
63	المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في البكاء.....
68	الفصل الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل بعد الولادة في أهم حقوقه الفطرية والشرعية.....
69	المبحث الأول: تسمية المولود والعقيقة والختان وعلاقتها بمشاعر الطفل.....
69	المطلب الأول: تسمية المولود وعلاقتها بمشاعر الطفل.....
75	المطلب الثاني: سنة العقيقة والختان وعلاقتها بمشاعر الطفل.....

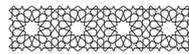
75	أولاً: سنة العقيقة وعلاقتها بمشاعر الطفل.....
78	ثانياً: سنة الختان وعلاقتها بمشاعر الطفل.....
80	المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة والحضانة.....
80	المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الرضاعة الطبيعية.....
84	المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحضانة.....
85	أولاً: ترتيب الحاضنين وعلاقته بمشاعر الطفل.....
88	ثانياً: نهاية مرحلة الحضانة وأثرها على مشاعر الطفل.....
90	ثالثاً: صور حديثة لحضانة الأطفال ومدى تأثيرها على مشاعره.....
94	الفصل الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في علاقته بأمه.....
95	المبحث الأول: مشاعر الطفل وعلاقتها القوية بالأم.....
95	المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الأمومة وأثرها في حياة الطفل.....
99	المطلب الثاني: ارتباط الطفل بأمه شعورياً.....
103	المبحث الثاني: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره، مع ذكر نموذج في ذلك.....
103	المطلب الأول: حرمان الطفل من أمه وأثره على مشاعره.....
106	المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لعلاقة الطفل بأمه - قصة أم سلمة أممؤدجًا-.....
111	الفصل الرابع: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب، وفي الغريزة الجنسية.....
112	المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في اللعب.....
112	المطلب الأول: أهمية اللعب في حياة الطفل وأثره على مشاعره.....
112	أولاً: أثر اللعب على مشاعر الطفل.....
116	ثانياً: قواعد عامة للعب الكبار مع الصغار.....
116	المطلب الثاني: اهتمام السنة النبوية باللعب عند الطفل.....
117	أولاً: في كون اللعب ينسب للأطفال ابتداءً.....
119	ثانياً: تقديره ﷺ لحاجة الطفل إلى اللعب ومراعاة مشاعره فيه.....
121	ثالثاً: مشاركته ﷺ في اللعب مع الأطفال.....
125	رابعاً: ضوابط وآداب في لعب الأطفال.....
127	المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الغريزة الجنسية.....
127	المطلب الأول: مظاهر النمو الجنسي عند الطفل.....

127	أولاً: نمو المشاعر الجنسية عند الطفل.....
131	ثانياً: مظاهر السلوك الجنسي عند الطفل.....
134	المطلب الثاني: ما تحتاجه المشاعر الجنسية من ضوابط وآداب.....
134	أولاً: أثر الميل الجنسي على مشاعر الطفل.....
135	ثانياً: رعاية المشاعر الجنسية وفق منظومة الآداب والضوابط الشرعية.....
142	الباب الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الأحكام الشرعية، وفي الحياة الأسرية والاجتماعية.....
142	تمهيد: ضرورة إتباع أحكام الشريعة الإسلامية للوصول إلى تربية ناجحة.....
144	الفصل الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة وأحكام العبادات..
145	المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أصول العقيدة.....
145	المطلب الأول: ضرورة ربط الطفل بالعقيدة الإسلامية شعورياً.....
149	المطلب الثاني: الإيمان الفطري وأثره على مشاعر الطفل وسلوكه عقائدياً.....
152	المطلب الثالث: تربية مشاعر الطفل على حب الله ﷻ.....
155	المطلب الرابع: تربية مشاعر الطفل على حب رسول الله ﷺ وإتباع سنته.....
160	المبحث الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على أحكام العبادات.....
161	المطلب الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الطهارة.....
163	المطلب الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الصلاة واصطحابه للمسجد..
163	أولاً: في تدريبه على الصلاة.....
170	ثانياً: في اصطحابه للمسجد وما ينشأ عنه من مشاعر التعلق وحبّ الانتماء.....
173	المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الصيام.....
175	المطلب الرابع: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في تدريبه على الحج.....
178	الفصل الثاني: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في أحكام الأسرة.....
179	المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل عند بناء الأسرة، والعدل بين الأولاد.....
179	المطلب الأول: حسن اختيار الزوجين لبعضهما سبيل لاستقرار الأسرة ونفسية الطفل.....
182	المطلب الثاني: تأثير الحياة العاطفية للأسرة على مشاعر الطفل.....
185	المطلب الثالث: العدل بين الأولاد وأثره على مشاعرهم.....
189	المبحث الثاني: اضطراب الحياة الأسرية وتأثيره على مشاعر الطفل.....

189	المطلب الأول: الخلافات الزوجية وأثرها على مشاعر الطفل.....
192	المطلب الثاني: فك الرابطة الزوجية وأثره على مشاعر الطفل.....
195	المطلب الثالث: عمل المرأة خارج البيت وانعكاساته على مشاعر الطفل.....
198	المطلب الرابع: دور الحوار الأسري مع الطفل في تنمية مشاعره الإيجابية وتكوين شخصيته.....
203	المبحث الثالث: اهتمام السنة النبوية بمشاعر البنت.....
203	المطلب الأول: حثُّ السنة النبوية على العناية بالبنت وإكرامها والإحسان إليها.....
205	المطلب الثاني: عاطفة المرأة ومدى تأثيرها في الحكم والاختيار.....
209	المطلب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر البنت في تشريع بعض الأحكام.....
210	أولاً: الواد وأثره على مشاعر البنت.....
214	ثانياً: في خروج البنت لصلاة العيدين.....
215	ثالثاً: إباحة الغناء واللعب للبنت يوم العيد في غير معصية.....
216	رابعاً: الارتكاز على شعور الحياء لمعرفة رضا البكر بالمخاطب من عدمه.....
219	الفصل الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الحياة الاجتماعية.....
220	توطئة: أثر التنشئة الاجتماعية في توجيه مشاعر الطفل.....
222	المبحث الأول: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل اليتيم.....
222	المطلب الأول: الحث على رعاية اليتيم وإكرامه في السنة النبوية.....
228	المطلب الثاني: اهتمام السنة النبوية بمشاعر الطفل اليتيم.....
228	أولاً: مراعاة الجانب النفسي والشعوري لليتيم.....
230	ثانياً: مراعاة مشاعر اليتيم في ماله.....
234	ثالثاً: بُعد الناس اليوم عن التعاليم النبوية في التعامل مع اليتيم.....
235	المبحث الثاني: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط وولد الزنا ومراعاة مشاعره.....
235	المطلب الأول: نظرة السنة النبوية للطفل اللقيط.....
235	أولاً: تعريف الولد اللقيط.....
236	ثانياً: حكم أخذ اللقيط وكفالاته.....
237	ثالثاً: بعض ما تعلق باللقيط من أحكام.....
238	رابعاً: إطلاقة على المشاعر في هذه الأحكام.....
238	خامساً: الفرق بين اللقيط وولد الزنا.....

239	المطلب الثاني: نظرة السنة النبوية لولد الزنا.....
239	أولاً: من هو ولد الزنا؟.....
240	ثانياً: بيان الأحاديث الواردة في ذم ولد الزنا.....
244	ثالثاً: ما يستفاد من دراسة هذه الأحاديث في باب المشاعر.....
245	رابعاً: مكانة ولد الزنا في الإسلام.....
247	خامساً: مشاعر ولد الزنا وعلاقتها ببعض الأحكام الخاصة به.....
253	سادساً: نظرة المجتمع لولد الزنا.....
255	المبحث الثالث: التبني، وأثره على مشاعر الطفل.....
255	المطلب الأول: التبني وموقف الإسلام منه.....
257	المطلب الثاني: طبيعة تعامل النبي ﷺ مع مجهول النسب، ومدى تأثير التبني على مشاعر المتبني.
263	الباب الثالث: مراعاة السنة النبوية لمشاعر الطفل في الأساليب الأدبية، وبعض المشكلات الشعورية عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.....
263	تمهيد: أهمية التأديب كأسلوب تربوي تعليمي لتقويم مشاعر الطفل وتعديل سلوكه.....
267	الفصل الأول: أثر الأساليب الأدبية في تدعيم مشاعر الطفل الإيجابية وتوجيه مشاعره السلبية.....
269	المبحث الأول: أسلوب الترغيب في السنة النبوية وأثره على مشاعر الطفل الإيجابية.....
269	المطلب الأول: معنى الترغيب وبيان المنهج العام للنبي ﷺ في الترغيب.....
272	المطلب الثاني: تأديب رسول الله ﷺ للطفل بأسلوب الترغيب ومدى تأثيره على مشاعره الإيجابية.....
275	المبحث الثاني: تأديب رسول الله ﷺ للطفل بأسلوب التهيب ومدى تأثيره على مشاعر الطفل السلبية.....
275	المطلب الأول: معنى التهيب وبيان منهج رسول الله ﷺ في استعمال أسلوب التهيب مع الطفل.....
282	المطلب الثاني: نهي رسول الله ﷺ عن بعض الأخطاء عند تأديب الطفل، وذكر نماذج لم يعاقب فيها رسول الله ﷺ أو يعاتب.....
285	الفصل الثاني: بعض المشكلات الشعورية عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.
286	المبحث الأول: شعور التعلق والغيرة عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.....

286	المطلب الأول: شعور التعلق عند الطفل وعلاجه التربوي في السنة النبوية.....
293	المطلب الثاني: الغيرة عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.....
298	المبحث الثاني: شعور الخوف والحجل عند الطفل وعلاجها التربوي في السنة النبوية.....
298	المطلب الأول: شعور الخوف عند الطفل وعلاجه التربوي في السنة النبوية.....
304	المطلب الثاني: شعور الحجل عند الطفل وعلاجه التربوي في السنة النبوية.....
310	ملحق بالباب: بيان بعض الأسرار الشعورية في تعليم الأطفال أدب الاستئذان في ضوء السنة النبوية.....
312	أولاً: حكم الاستئذان بالنسبة للطفل.....
312	ثانياً: استئذان الأطفال في السنة النبوية.....
314	ثالثاً: صيانة مشاعر الأطفال في تأديبهم على الاستئذان.....
317	الخاتمة.....
328	الفهارس العامة.....
329	فهرس الآيات القرآنية.....
336	فهرس الأحاديث النبوية.....
345	فهرس الأعلام المترجم لهم.....
346	فهرس المصطلحات المعرّفة.....
348	فهرس المصادر والمراجع.....
382	فهرس الموضوعات.....



ملخص البحث باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة إحدى القضايا التي تُعنى بشؤون الطفل في المجال النفسي والتربوي؛ فجاءت لتناقش موضوع مراعاة مشاعر الطفل في ضوء السنة النبوية، سيما في العمل التربوي. ويكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة في حياة الطفل والأسرة بل المجتمع، إذ من خلاله يتم ضبط العملية التربوية والتعليمية، وبالتالي تعديل سلوك الطفل وصقل شخصيته السوية المتوازنة، وفق أسس تتوافق مع مقصود المشرع الحكيم.

وتبين من خلال هذه الدراسة مدى عناية السنة النبوية بمشاعر الطفل وتلبية حاجاته الفطرية؛ وقد ترجمتها مضامين النصوص الحديثية الواردة في الباب، سواء بالتصريح أو بالإشارة، أو تبعاً لسيرته في حُسن تعامله مع هذه الشريحة في واقع الأمر.

كما تطرق هذا البحث، إلى عنصر مراعاة رسول الله ﷺ لمشاعر الطفل في جميع مراحل العمرية، بداية من تكوينه كجنين إلى غاية انتهاء مرحلة المراهقة. فزوّدتنا السنة النبوية بأحكام وضوابط تتماشى مع طبيعة كل مرحلة، بحيث تنال المشاعر والعواطف لدى الطفل حظاً من الرعاية، وبذلك يتحقق المقصد التربوي في بناء الشخصية السوية لدى الطفل.

وعند النظر في فحوى النصوص الحديثية؛ سيُتَبَيَّن للمتفحص تنوع المجالات التي روعيت فيها المشاعر، بداية بالحقوق الفطرية التي حثت السنة النبوية على العناية بها، منها: حسن اختيار الاسم، العقيقة والختان، ويليهِ حق الطفل في الرضاعة الطبيعية والحضانه. وصولاً إلى مراعاة مشاعره في معرض تعليمه لأحكام العقيدة، وأثناء تدريبه على لزوم سائر العبادات.

وفيما يتعلق بأبرز ارتباطاته الطفل العاطفية؛ فقد توصلت الدراسة إلى أوثقها وهي علاقته بأمه، حيث بيّنت السنة النبوية جوهرها وقوتها، ومدى تأثيرها على مشاعر الطفل وسلوكه. وأما الحالة التي يتعد فيها الطفل عن أمه ويحرم من حضنها؛ فستترتب عنه عواقب وخيمة تتجلى آثارها السلبية في سلوكه وتدهور حالته النفسية.

دون أن تهمل السنة النبوية غريزة اللعب لدى الطفل، وهي إحدى رغبات الطفل الملحة، إذ حُبّه وشغفه به نابع من وجود فسحة للتعبير عن مشاعره وأفكاره وإبداعه. فقد التفت السنة النبوية إلى هذا

الجانب، لما له من آثار إيجابية في تنمية مشاعر الطفل واستقامة سلوكه، من خلال تجاوب النبي ﷺ مع الأطفال في اللعب معهم ومشاركته لهم، وذلك في حدود الضوابط المرعية التي تضعه في قلبه الصحيح. ومن بين الجوانب الحساسة في مشاعر الطفل الغريزة الجنسية، إذ التفت السنة النبوية إلى خطورة هذا الأمر، فسنت جملة من الآداب والأحكام التي تضمن لها النمو السليم، درءاً لأي انحراف عاطفي أو سلوكي.

ومن دعائم المنهج النبوي القويم في التربية النفسية، الحرص على نشأة الطفل في رحاب أسرته الحقيقية، في أجواءٍ تغمرها مشاعر الحب والرحمة والرفق، التناغم والحوار البناء، بعيداً عن أجواء الشحناء والبغضاء التي غالباً ما تنشأ بسبب عدم العدل بين الأولاد - مادياً وعاطفياً -، وبعيداً أيضاً عن سوء العشرة الزوجية التي غالباً ما يتمخض عنها تفكك الأسرة وتشرذم الأولاد، وأدنى أحوالها اهتزاز نفسية الأولاد واضطرابها نتيجة الخوف والقلق والارتباك.

إلى جانب أن السنة النبوية لم تغفل عن فئة الأطفال الذين ينشؤون خارج نظام الأسرة، كاليتامى وأبناء الزنا واللقطاء ومن تمَّ تَبْنِيهِمْ، فقد أشارت إلى ضرورة العناية بهم والتكفل بحاجياتهم المادية، وكذا النفسية، مثل العطف عليهم والرحمة بهم وتزويدهم بالحنان.

وهذا وقد كشفت لنا هذه الدراسة مدى نجاعة الأسلوب الذي وضعته السنة النبوية في مجال تأديب الأطفال وتعديل سلوكهم. فسطرت أسلوباً يتناسب فيه طبيعة الخطأ وحجمه مع استعدادات الطفل الفكرية والشعورية. وقد غلَّب المنهج النبوي جانب الترغيب على التهيب؛ لأنه الأجدر في تصحيح سلوك الطفل وتقويم مشاعره بشكل إيجابي.

ومن أبرز المشكلات السلوكية التي يقع فيها الأطفال، عادة، هي تغليب شعور مُعين على سلوكه، مثل شعوره بالتعلق، والغيرة، والخوف، والحجل. ومن ثمة عاجلت السنة النبوية هذه المشكلات النفسية وقدمت لها الحلول المناسبة التي تُعين على التخفيف من حدتها وإعادتها إلى حالة الاعتدال والفضيلة التي جُبلت عليها.

وقد عالج هذا البحث، في الختام، أهم الآداب الشرعية التي تحفظ الطفل - في مشاعره وسلوكه - من الوقوع في الزلل والانحراف، وهو " أدب الاستئذان ". حيث تحدث عنه القرآن الكريم في أكثر من موضع، وأشارت إليه السنة النبوية في جملة من الأحاديث؛ وهذا ما يؤكد أهميته وضرورة الالتزام به.

ملخص البحث باللغة الانجليزية:

This study aims to address one of the issues dealing with children's affairs in the psychological and educational fields. She came to discuss the issue of taking into account the feelings of the child in the light of the Prophet's Sunnah, especially in educational work. This subject is of great importance in the life of the child, the family, and even society, as through it the educational process is controlled, and thus the child's behavior is modified and his balanced personality is refined, according to foundations that are consistent with the intention of the wise legislator.

Through this study, it was revealed how much the Sunnah of the Prophet cared for the child's feelings and met his innate needs. It was translated by the contents of the hadith texts contained in the chapter, whether by declaration or by reference, or according to his biography in his good dealings with this class in reality.

This research also touched on the element of observance of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - to the feelings of the child in all his life stages, starting from his formation as a fetus until the end of the adolescence stage. The Sunnah of the Prophet provided us with provisions and controls that are in line with the nature of each stage, so that the feelings and emotions of the child receive their share of care, and thus the educational goal is achieved in building the normal personality of the child.

And when looking at the content of the hadith texts; The examiner will discover the diversity of areas in which feelings were taken into account, starting with the innate rights that the Prophet's Sunnah urged to take care of, including: choosing a good name, aqeeqah and circumcision, followed by the right of the child to breast-feed and custody. In order to take into

account his feelings in the course of teaching him the provisions of the creed, and during his training on the necessity of all acts of worship.

With regard to his most prominent emotional attachments to the child; The study reached the closest one, which is his relationship with his mother, as the Sunnah showed its essence and strength, and the extent of its impact on the child's feelings and behavior. As for the situation in which the child is separated from his mother and deprived of her lap; It will result in dire consequences, the negative effects of which will be evident in his behavior and the deterioration of his psychological state.

Without neglecting the Sunnah of the Prophet, the child's instinct to play, which is one of the child's urgent desires, as his love and passion for him stems from having space to express his feelings, ideas, and creativity. The Sunnah of the Prophet turned to this aspect, because of its positive effects on the development of the child's feelings and the uprightness of his behavior, through the response of the Prophet – may God bless him and grant him peace – to the children in playing with them and sharing with them, within the limits of the established controls that put him in the right mold.

Among the sensitive aspects of the child's feelings is the sexual instinct, as the Sunnah of the Prophet turned to the seriousness of this matter, so it enacted a number of etiquette and provisions that ensure its proper growth, in order to ward off any emotional or behavioral deviation.

One of the pillars of the correct prophetic approach in psychological education is the concern for the child to grow up in the realm of his real family, in an atmosphere filled with feelings of love, mercy and kindness, harmony and constructive dialogue, away from the atmosphere of enmity and hatred that often arises due to the lack of justice between children –

financially and emotionally -, and away from Also about the bad marital relationship that often results in the disintegration of the family and the homelessness of the children, and its lowest condition is the shaking of the children's psyche and its turmoil as a result of fear, anxiety and confusion.

In addition, the Sunnah of the Prophet did not overlook the category of children who grow up outside the family system, such as orphans, children of adultery, foundlings, and those who have been adopted.

This has revealed to us the extent of the effectiveness of the method adopted by the Sunnah in the field of disciplining children and modifying their behavior. I wrote a method in which the nature and size of the error commensurate with the child's intellectual and emotional preparations. The prophetic approach prevailed over intimidation. Because it is the most appropriate in correcting the child's behavior and positively correcting his feelings.

One of the most prominent behavioral problems that children usually fall into is the predominance of a certain feeling in his behavior, such as his feelings of attachment, jealousy, fear, and shyness. Hence, the Sunnah of the Prophet dealt with these psychological problems and provided them with appropriate solutions that helped mitigate their intensity and return them to the state of moderation and common sense that they were inborn with.

In conclusion, this research dealt with the most important legal etiquette that preserves the child - in his feelings and behavior - from falling into error and deviation, which is the "literature of seeking permission." Where the Holy Qur'an spoke about it in more than one place, and the Sunnah of the Prophet referred to it in a number of hadiths. This confirms its importance and the need to adhere to it.



Résumé de la recherche en français :

Cette étude vise à répondre à l'une des questions relatives aux affaires de l'enfance dans les domaines psychologique et éducatif. Elle est venue évoquer la question de la prise en compte des sentiments de l'enfant à la lumière de la Sunnah du Prophète, notamment dans le travail éducatif. Ce sujet est d'une grande importance dans la vie de l'enfant, de la famille et même de la société, car à travers lui le processus éducatif est contrôlé, et ainsi le comportement de l'enfant est modifié et sa personnalité équilibrée est affinée, selon des fondements compatibles avec l'intention du sage législateur.

Grâce à cette étude, il a été révélé à quel point la Sunnah du Prophète se souciait des sentiments de l'enfant et répondait à ses besoins innés. Il a été traduit par le contenu des textes de hadith contenus dans le chapitre, que ce soit par déclaration ou par référence, ou selon sa biographie dans ses bonnes relations avec cette classe dans la réalité.

Cette recherche a également touché l'élément de la considération du Messager de Dieu pour les sentiments de l'enfant à toutes les étapes de sa vie, depuis sa formation en tant que fœtus jusqu'à la fin de l'adolescence. La Sunna du Prophète nous a fourni des dispositions et des contrôles qui correspondent à la nature de chaque étape, de sorte que les sentiments et les émotions de l'enfant reçoivent leur part de soins, et ainsi l'objectif éducatif est atteint dans la construction de la personnalité normale de l'enfant.

Et en regardant le contenu des textes de hadiths ;
L'examineur découvrira la diversité des domaines dans lesquels les sentiments ont été pris en compte, à commencer par les droits innés dont la Sunna du Prophète exhortait à prendre soin, notamment : le choix d'un bon nom, la aqeeqah et la circoncision, suivis du droit de l'enfant à l'allaitement et la garde. Afin de tenir compte de ses sentiments au cours de son

enseignement des dispositions du credo, et lors de sa formation sur la nécessité de tous les actes de culte.

En ce qui concerne ses attachements émotionnels les plus importants à l'enfant ; L'étude a atteint le plus proche, qui est sa relation avec sa mère, car la Sunna a montré son essence et sa force, et l'étendue de son impact sur les sentiments et le comportement de l'enfant. Quant à la situation dans laquelle l'enfant est séparé de sa mère et privé de ses genoux ; Il en résultera des conséquences désastreuses, dont les effets négatifs se manifesteront dans son comportement et la détérioration de son état psychologique.

Sans négliger la Sunna du Prophète, l'instinct de jeu de l'enfant, qui est l'un des désirs urgents de l'enfant, car son amour et sa passion pour lui découlent de l'espace pour exprimer ses sentiments, ses idées et sa créativité. La Sunna du Prophète s'est tournée vers cet aspect, en raison de ses effets positifs sur le développement des sentiments de l'enfant et la correction de son comportement, à travers la réponse du Prophète, que Dieu le bénisse et lui accorde la paix, aux enfants en jouant avec eux et en partageant avec eux, dans la limite des contrôles établis qui le mettent dans le bon moule.

Parmi les aspects sensibles des sentiments de l'enfant, il y a l'instinct sexuel, car la Sunnah du Prophète s'est tournée vers la gravité de cette affaire, elle a donc édicté un certain nombre d'étiquettes et de dispositions qui assurent sa bonne croissance, afin d'éviter toute émotion émotionnelle ou comportementale. déviation.

L'un des piliers de l'approche prophétique correcte dans l'éducation psychologique est le souci pour l'enfant de grandir dans le domaine de sa vraie famille, dans une atmosphère remplie de sentiments d'amour, de miséricorde et de bonté, d'harmonie et de dialogue constructif, loin de la atmosphère d'inimitié et de haine qui surgit souvent en raison du manque de justice entre les enfants - matériellement et émotionnellement -,

et loin de Aussi sur la mauvaise relation conjugale qui entraîne souvent la désintégration de la famille et le sans-abrisme des enfants, et son plus bas condition est l'ébranlement de la psyché des enfants et son agitation en raison de la peur, de l'anxiété et de la confusion.

De plus, la Sunnah du Prophète n'a pas négligé la catégorie des enfants qui grandissent en dehors du système familial, tels que les orphelins, les enfants adultères, les enfants trouvés et ceux qui ont été adoptés.

Cela nous a révélé l'étendue de l'efficacité de la méthode développée par la Sunnah dans le domaine de la discipline des enfants et de la modification de leur comportement. J'ai écrit une méthode dans laquelle la nature et la taille de l'erreur sont proportionnées aux préparations intellectuelles et émotionnelles de l'enfant. L'approche prophétique l'a emporté sur l'intimidation. Parce que c'est le plus approprié pour corriger le comportement de l'enfant et corriger positivement ses sentiments.

L'un des problèmes de comportement les plus importants dans lesquels les enfants tombent généralement est la prédominance d'un certain sentiment sur son comportement, comme ses sentiments d'attachement, de jalousie, de peur et de timidité. Par conséquent, la Sunna du Prophète a traité ces problèmes psychologiques et leur a fourni des solutions appropriées qui ont contribué à atténuer leur gravité et à les ramener à l'état de modération et de bon sens avec lequel ils étaient innés.

En conclusion, cette recherche a porté sur l'étiquette juridique la plus importante qui préserve l'enfant - dans ses sentiments et son comportement - de tomber dans l'erreur et la déviation, qui est la "littérature de la demande de permission". Là où le Saint Coran en a parlé à plus d'un endroit, et la Sunnah du Prophète y a fait référence dans un certain nombre de hadiths. Cela confirme son importance et la nécessité d'y adhérer.

République algérienne démocratique et populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université des sciences islamiques Prince Abdul Qadir

Faculté des fondamentaux de la religion
Section : Livre et Sunna

**Prise en compte du ressenti de l'enfant dans le
travail éducatif à la lumière de la Sunna
–Etude thématique –.**

Une thèse présentée pour l'obtention d'un doctorat
en sciences islamiques
Spécialisation: Le Livre et la Sunna

Préparation de l'étudiant
Hassina Fridja

Encadrement:
M. Dr.Boubacar Kafi

Comité de discussion:

Discuter.Dr	Adjectif	Établissement d'origine

l'année universitaire: 1443-1444/2022-2023